صحيفة

صحيفة

الجزء الثالث من كتاب إنسان العيون
في سيرة الأمين المأمون عليه الصلاة
والسلام تأليف العالم العلامة نور
الدين علي الحلبي الشافعي
رحمه الله تعالى وأعاد
علينا من بركات
علومه
آمين

وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة فى ربيع الاول أى من السنة الرابعة
وقيل كانت قبل وقعة أحد * قال وبه قال البخارى قال ابن كثير والصواب ايرادها
بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحاق وغيره من أئمة المغازى انتهى أمر صلى الله عليه وسلم
الناس بالتهيؤ لحرب بنى النضير والسير اليهم واختلف فى سبب ذلك فمن جملة ما قيل
انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم أى لانه كان بينهم وبين بنى عامر قبيلة الرجلين
اللذين قتلهما عمرو بن أمية عند رجوعه من بئر معونة غيلة حلف وعقد وقيل ذهب
اليهم ليستعين بهم فى دية الرجلين المذكورين أى وكان صلى الله عليه وسلم أخذ العهد
على اليهود أن يعاونوه فى الديات وقيل لاحد دية الرجلين منهم لان بنى النضير كانوا
حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا فى الاصل فليتأمل فان فيه أخذ
الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه أى دون
العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقالوا له نعم يا أبا القاسم حتى تطعم

وترجع بحاجتك وكان صلى الله عليه وسلم جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد سادتهم انا لذلك أي وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقى الصخرة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مظهرا انه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بما أرادت بنو النضير وقد أشار الى ذلك الامام السبكي في تائيته بقوله

وجاءك وحي بالذي أضمرت بنو النضير وقد هموا بالقاء صخرة

أي وفي رواية لما رأوا قلة أصحابه قالوا نقتله ونأخذ أصحابه اسارى الى مكة فنبيعهم من قريش أي ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب في خروجه صلى الله عليه وسلم اليهم أنهم أرسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فلما غدا عليهم في ثلاثين من أصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب ان يموت قبله فأرسلوا اليه أن اخرج في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير لاخ لها مسلم تعلمه بذلك فأعلم أخوها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ما تقدم لكن في السيرة الشامية أن خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك أي على ارادة القاء الحجر والتهيء لالقائه اذ جاء جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ما تريدون فذكروا له الامر فقال لهم أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط في أيديهم وقالوا قد أخبر بأمرنا فأرسل اليهم محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه أن اخرجوا من بلدي يعني المدينة لان قريتهم من أعمالها فلا تساكنوني بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر أي وأخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال ويقول لكم قد أجلتكم عشرا فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لا ينافي ما تقدم من ارادة قتله أيضا قيل وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم

أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ولا ينافي ذلك ما تقدم من نزولها في حق
دعثور في غزوة ذي أمر لجواز تكرار النزول فأرسلوا في احضار الابل فأرسل اليهم
المنافقون أن لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلكم علينا النصر وان أخرجتم
لن نتخلف عنكم خصوصا عبد الله بن أبي بن سلول فانه أرسل لهم لا تخرجوا من دياركم
وأقيموا في حصنكم فان معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون
عن آخرهم قبل ان يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو
النضير فيما قال ابن أبي فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا
فاصنع ما بدا لك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره
وقال حاربت يهود قال والمتولي أمر ذلك سيد بني النضير حيي بن أخطب والد صفية
أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بني النضير وهو سلام بن
مشكم وقال له منتك نفسك والله يا حيي الباطل فان قول ابن أبي ليس بشيء وانما
يريد ان يورطك في المهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس في بيته ويتركك ألا ترى انه
أرسل الى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة ان تمدكم بنو قريظة فقال له
لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بني قريظة وأيضا قد وعد حلفاءه من بني
قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم في صياصيهم أي
حصونهم وانتظروا ابن أبي فجلس في بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا
كان ابن أبي لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع
الاوس في حروبهم أي لانه اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع
مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل قوله فقال حيي
يأبى الا عداوة محمد والا قتاله قال سلام فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا
وشرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا فأبى حيي الا محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت له بنو النضير أمرنا لامرك تبع لن نخالفك فأرسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما ذكر انتهى فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل
رايته علي بن أبي طالب وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا
وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة أي وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه
وسلم أمر أصحابه بالمسير الى بني النضير فسار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب
ابن الاشرف أي الآتي قتله في السرايا قالوا يا محمد داعية أثر داعية وباكية اثر
باكية ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك فقال لهم اخرجوا من المدينة قالوا الموت أهون

من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه * قال ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس واستعمل على العسكر على بن أبى طالب ويقال أبا بكر وبات المسلمون يحاصرونهم ويكبرون حتى أصبحوا ثم أذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى قبة من خشب عليها مسوح فدخل صلى الله عليه وسلم فيها وكان رجل من يهود يقال له غزول وكان أعسر راميا يبلغ نبله مالا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فأمر بها فحولت وفى ليلة من الليالى فقد على رضى الله تعالى عنه قرب العشاء فقال الناس يارسول الله ما نرى عليا فقال دعوه أى اتركوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته صلى الله عليه وسلم كمن له على حين خرج يطلب غيره من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان معه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على أبادجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول وفروا من على فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان أولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم أتوا برؤسهم فطرحت فى بعض الآبار وفى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى ان عليا هو القاتل لاولئك العشرة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل أى وبحرقها بعد ان حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل عشرين ليلة وقيل ثلاثة وعشرين ليلة وقيل خمسة وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى تلك المدة يحمل التمر للمسلمين أى يجاء به من عنده * قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قطع النخل أبا ليلى المازنى وعبد الله ابن سلام وكان أبو ليلى يقطع العجوة وعبد الله يقطع اللين أى ويقال له اللون وهو ما عدا العجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة * ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى وجاء عن على كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاحت نخلة بأخرى هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى اتسامى نخل المدينة أى هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل انه كذب والبرنى بالفارسية حمل مبارك أو جيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة وعشرون نوعا أى وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى وان أنواع التمر بالمدينة التى أمكن جمعها بلغت مائة ونيفا وثلاثين نوعا ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها أكثر مما ذكره النووى قال ولعل مازاد على ماذكره حدث بعد ذلك

أى وأما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن
غازى أرسل الى عالم سجلماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك
البلدة فأرسل اليه حملا أو حملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ما تعلق به
علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم رأيت فى نسق الازهار ان بهذه البلدة
رطبا يسمى البتونى وهو أحمر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر
وكانت العجوة خير أموال بنى النضير أى لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث العجوة من
الجنة وثمرها أحسن غذاء أى وتقدم أن آدم نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من
تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولا سحر أى وقد جاء
فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره
فى ذلك سم ولا سحر أى وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحانى
تضرب الى سواد وهو مما غرسه النبى صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة
أى وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا
والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وروى عن
ابن عباس وعائشة وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من
غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه
فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس وفى حديث وفد عبد
القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر البرنى أنه من خير تمركم
وأنه دواء وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع أهله قال ذلك مرتين ولما قطعت
العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل أى وذلك البعض الذى
حرق كان بنخل يعرف بالبويرة انتهى أى والبويرة تصغير بورة وهى هنا الحفرة
ويقال لها البولة باللام بدل الراء وعند ذلك نادوه أى يا محمد وفى رواية أى
يا أبا القاسم قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل
وتحريقها أى وفى رواية ما هذا الفساد وفى لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد
الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد
فى الارض وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وحينئذ
وقع فى نفوس بعض المسلمين من ذلك شىء فأنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة
أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين أى فى قولهم
ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطع وأحرق واست نخلات ولا زال عبد الله

ان أبي ابن سلول بعث لبني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم أي ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك فخذلهم ولم يحصل لهم منه شيء أي وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيي أين نصر ابن أبي الذي زعمت فيقول حيي ما أصنع هي ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصارهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة أي آلة الحرب ففعل فاحتملوا النساء والصبيان وحملوا من أموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستمائة بعير فكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبه كبابه وكشاف بابه أي أسكفته فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به أي وفي لفظ صاروا ينقضون العمد والسقوف وينزعون الخشب حتى الاوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا وفي رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم ويهدم الآخرون ما يليهم * قال وفي رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلى الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير ومنهم سلمى أم وهب * وقال ابن اسحاق أم عمرو وصاحبة عروة ابن الورد الذي قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد أغار عروة على قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد ثم ان بعض بني النضير اشتراها من عروة بعد ان سقاه الخمر ثم لما أفاق ندم ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره فخيرها فاختارت من اشتراها * وقيل ان قومها جاؤا اليه بفدائها فخيرها وكان لا يظن ان تختار عليه أحدا فاختارت قومها فندم وعند مفارقتها له قالت له والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت سترا على بعل مثلك أغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى عناء انك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهر الخيل ثقيل على متون الاعداء وأحنى الاهل والجار وما كنت لاوثر عليك أهلي لولا اني كنت أسمع بنات عمك يقلن قالت أم عروة وفعلت أم عروة فأجد من ذلك الموت والله لا يجامع وجهي وجه أحد من أهلك فاستوص ببنيك خيرا ثم تزوجت في بني النضير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا في أثر قطار وان سلاما ابن أبي الحقيق رافعا جلد جمل أي أو ثور أو حمار مملوء حليا وينادي بأعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها وان كنا تركنا نخلا ففي خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن انتهى وهذا الحلى كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان

يكون عند آل أبي الحقيق وسيأتي في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم عبر عن هذا الحلي بالآنية والكنز وأنه كان سبب القتل ولدي أبي الحقيق لما كتماه عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم من سار إلى خيبر أي ومن جملة هؤلاء أكابرهم حيي ابن أخطب وسلام ابن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الربيع بن أبي الحقيق فلما نزلوا خيبر دان لهم أهلها ومنهم من سار إلى الشام أي إلى أذرعات وكان فيهم جماعة من أبناء الأنصار لأن المرأة من الأنصار كانت إذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها إن عاش لها ولد تهوده فلما أجليت بنو النضير قال آباء أولئك لا ندع أبناءنا وأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين وهي مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الإسلام وإلا فإكراه الكفار الحربيين على الإسلام سائغ ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان أي وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب قال أحدهما لصاحبه والله إنك لتعلم أنه رسول الله فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل وأسلما (ه) وأحرزا أموالهما أي وجعل يامين لرجل من قيس جعلا أي وهو عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذي أراد أن يلقي الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة أي بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس سورة بني النضير كما في البخاري وفي كلام السبكي رحمه الله لم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت في بني النضير وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل * ينفق إلا على السفيه الشقاء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم * فأبيد الأمار والنهاء
أسلموهم لأول الحشر لا * ميعادهم صادق ولا الإيلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

أي وخدعهم قول المنافقين إنهم يكونون معهم وينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم وما يروج الشقاء إلا على السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه على النفاق لأنه كما تقدم لا زال يرسل لهم أن اثبتوا وتمنعوا فإنكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقة بسلام بن مشكم فلم ينتهوا وأسلمهم أولئك المنافقون لأول الحشر وأي الحشر جلاؤهم وخروجهم من ديارهم فميعادهم لهم بأن ينصروهم على النبي صلى الله عليه وسلم غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق أيضا ذكر موسى ابن عقبة أنهم كانوا

من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل المراد بالحشر أرض المحشر فانهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعني أرض المحشر والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فيحشر الناس الى الموقف وقيل الحشر الثاني لهم كان على يد سيدنا عمر رضي الله عنه أجلاهم من خيبر الى تيما وأريحا وسيأتي ذكره وسكن الرعب وهو خشية انتقامه صلى الله عليه وسلم منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها واخراجهم وجلاؤهم من أرضهم وأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب وهم بنو النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أي في خذلانكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين ووجد صلى الله عليه وسلم من الحلقة أي آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا ولم يخمس ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كما خمس أموال بني قينقاع * قال وقد قال له عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله الا تخمس ما أصبت أي كما فعلت في بني قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجعل شيأ جعله الله لي دون المؤمنين بقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية كهيئة ما وقع فيه السهمان (٠) أي فكان أموال بني النضير وعقارهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم التنبيه على ذلك في غزوة بني قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادي القرى أي تلك ذلك كما في الامتاع وينبع وفسرت القرى ببني النضير وخيبر أي بثلاث حصون منها وهي الكتيبة والوطيح وسلالم كما في الامتاع وفدك أي نصفها كما في الامتاع ذكره الرافعي في شرح مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه * أقول قال بعضهم وهذا أول فيء حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما تقدم في غزوة بني قينقاع الا أن يقال المراد أول فيء اختص به صلى الله عليه وسلم ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الانصار الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم في منازلهم وايثارهم على أنفسهم بأموالهم ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال أي التي أفاء الله علي وخصني بها مع أموالكم بينكم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت وفي رواية ان

أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم أي الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء وكان الانصار أهل الارض والعقار أي النخل فآثروهم بمتاع من أشجارهم فمنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونهم العمل ومنهم من قبلها بشرط أن يعمل في الشجر والارض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه أن يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم أن يكونوا كلا وان أحببتم أعطيتهم أي وخرجوا من دوركم أي وأموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا بل نحب أن تقسم ديارنا وأموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار زاد في رواية وأبناء أبناء الانصار وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه جزاكم الله يا معشر الانصار خيرا أي وأنزل الله تعالى فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أي ولو كان بهم فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بين المهاجرين أي وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعم المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين أي وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحارث بن الصمة ونظر فيه بعضهم بأنه قتل في بئر معونة وأعطى سعد بن معاذ سيف بن أبي الحقيق أحد سادات بني النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان صلى الله عليه وسلم يزرع أرضهم التي تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله في الكراع أي الخيل والسلاح عدة في سبيل الله تعالى * أقول فيه تصريح بأنه لم يقسم الارض ويحتمل أن المراد بقوله كان يزرع أرضهم التي تحت النخل أي بعض أرضهم ويدل له ما يأتي ولم أقف على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة أو غيرها وفي الخصائص الكبرى عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فأعطى أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بني النضير أموالهم كما تقدم في الروايات لا خصوص النخل ثم رأيت في عبارة بعضهم وأكثر الروايات على ان أموال بني النضير أي من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة له

خصه الله تعالى بهالم يخمسها ولم يسهم منها لاحد وأعطى منها ما أراد ووهب العقار للناس وأعطى أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وصهيب وأبا سلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بنى النضير ولعل المراد بالضياع الاراضى ويدل لذلك ما فى البخارى أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا من أراضى بنى النضير كان ذلك هو المراد بقول الامتاع وكانت بنوا النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون أعطى بعض أراضى وأبقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما أعطى المهاجرين أمرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت أم أيمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده أى لان أم أنس كانت أعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته وصار يعطيها وهى تمتنع من رده الى ان أعطاها عشرة أمثاله أو قريبا من ذلك وذكر هذا فى بنى النضير يخالف ما فى مسلم أن ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم وذكر قصة أم أيمن فليتأمل والله أعلم

(غزوة ذات الرقاع)

أى وتسمى غزوة الاعاجيب أى لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار عن ابن اسحاق رحمه الله ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الاول وقال غيره شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة حين بلغه صلى الله عليه وسلم انهم جمعوا الجموع أى من غطفان لمحاربته فخرج صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة من أصحابه رضى الله عنهم أى وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة (ه) أى واحتج البخارى رحمه الله على ان هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن أبى موسى رضى الله عنه مما يدل على ان أبا موسى شهدت غزاة ذات الرقاع وهو خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت أقدامنا فنقبت قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع اذا ثبت ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت انه لم يجئ اليه صلى الله عليه وسلم من الحبشة الا بخيبر لزم أن تكون غزوة ذات والرقاع بعد خيبر الا أن يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وانها كانت قبل خيبر

وبعدها والتي وجدت فيها صلاة الخوف هي الثانية * أي والسبب في تسميتها ذات الرقاع ما تقدم عن أبي موسى رضي الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم أن تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت أي لانها لو كانت شرعت لصلاها صلى الله عليه وسلم ولم يؤخر الصلوات كما سيأتي وسيأتي الجواب عن ذلك * وقد ذكرها الشمس الشامي رحمه الله تعالى بعد خيبر والاصل لم يذكر ما تقدم عن البخاري بل رواه بالمعنى فقال روينا في صحيح البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه انهم نقبت أقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع * قال وجعله أي البخاري حديث أبي موسى هذا حجة على ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لان أبا موسى انما قدم في خيبر * لا دلالة فيه على ذلك أي لانه يجوز أن يكون قول أبي موسى رضي الله عنه انهم نقبت أقدامهم يعني الصحابة فيكون هذا مما رواه أبو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة * وفيه ان هذا لا يأتي مع قول البخاري عن أبي موسى فنقبت قدماي وسقطت أظفاري اذ هو صريح في ان أبا موسى رضي الله عنه حضرها * والاصل تبع في تقديمها على خيبر شيخه الدمياطي * وتابعه أيضا في رواية ما تقدم عن البخاري بالمعنى * ونظر الدمياطي في رواية أبي موسى أي التي في البخاري التي رواها عنه بالمعنى بانها مخالفة لما عليه أهل المغازي من تقديمها على خيبر * قال الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطي غلط الحديث الصحيح وان جميع أهل السير على خلافه والاعتماد على ما في الصحيح أي من تأخيرها عن خيبر أولى لان أصحاب المغازي مختلفون في زمانها * قال والبخاري مع روايته عن أبي موسى الصريحة في تأخير غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر * قال ولا أدري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبل خيبر أو أن ذلك من الرواة عنه أو اشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين أي واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه * أي وقدمنا ان سبب التسمية في الثانية ما ذكر عن أبي موسى رضي الله عنه * وأما في الاولى فأحد الاسباب الآتية * قال في الامتاع وقد قال بعض من أرخ ان غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها أي وبعد خيبر ولما غزاها صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا ذر الغفاري * وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ابن عبد البر وعليه الاكثر أي وقد نظر في الاول ان أبا ذر رضي الله عنه لما أسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجيء حتى

مضت بدرواحد والخندق أقول وهذا النظر بناء على أنها كانت قبل الخندق وأما على أنها كانت بعد الخندق و بعد خيبر فلا يتأتى هذا النظر والله أعلم وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا و وجد نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقي جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أي خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم عارون أي غافلون حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة الخوف صلاها * قال وفي رواية كانت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم بأصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هي أحب اليهم من أبنائهم أي وهي صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف انتهى * أقول سيأتي هذا كله بعينه في غزوة الحديبية التي هي صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك و يحتمل أنه من الاشتباه على بعض الرواة والله أعلم وكان العدو في غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت في وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت في وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التي كانت في وجه العدو واقتدت به في ثانيته فصلى بها ركعة ثم قامت وهو في جلوس التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته في جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية في ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية أي و في كلام بعضهم فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين و بالاخرى أخريين وسيأتي أن هذه صلاته صلى الله عليه وسلم ببطن نخل * وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فلم تشرع لاحد من الامم قبلنا وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال أي وفي هذه الغزوة نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح وكان نزوله صلى الله عليه وسلم في شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا أي يحفظنا الليلة فقام عباد بن بشر رضي الله عنه وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا نحن يارسول الله نكلؤكم فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أنا أكفيك أول الليل وتكفيني آخره فنام عمار رضي الله عنه وقام عباد رضي الله عنه يصلي وكان زوج بعض النسوة التي أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف لا ينتهي حتى يصيب محمدا أو يهريق في أصحاب محمد دما * فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما

دوسنه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فقد أتيت فلما رأى ذلك الرجل عمارا جالسا علم أنه قد بذر به فهرب فقال عمار أي أخي ما منعك أن توقظني له في أول سهم رمى به فقال كنت أقرأ في سورة أي في سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفي لفظ جعل صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال هما عباد بن بشر من الانصار وعمار ابن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدو ورمى أحدهما بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلي ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى في صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلاته أي وهو عباد بن بشر كما تقدم * وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه لولا اني خشيت أن أضيع ثغرا أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسي * أقول وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على أن النجاسة الحادثة من غير السبيلين لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع الدم فلعل ما أصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافي ذلك ما تقدم في الرواية قبل هذه فلما غلبه الدم اذ يجوز مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه ولا بدنه الا القليل منه والله أعلم * ويقال ان رجلا من القوم أي وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل غويرث بالتصغير والمهملة ابن الحارث قال لهم الا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به أي أجيء اليه على غفلة فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وسيفه في حجره فقال يا محمد أرني أنظر الى سيفك هذا فأخذه من حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله أي يخزيه ثم قال يا محمد ما تخافني قال لا بل يمنعني الله تعالى منك ثم دفع السيف اليه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فقال تشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله قال أعاهدك على اني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وأسلم هذا بعد وكانت له صحبة * وفي رواية جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال يا محمد أنظر الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال يا محمد أما تخافني قال لا وما أخاف منك قال وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله تعالى منك ثم غمد سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه * وهذه واقعة غير واقعة دعثور المتقدمة في غزوة ذي أمر فهما واقعتان احداهما مع دعثور والثانية مع غورث فقول أصله والظاهر ان الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتأمل * قال وفي رواية لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا

الى المدينة أدركته القافلة يوما بواد كثير العضاه أى الاشجار العظيمة التى لها شوك وتفرق الناس فى العضاه أى الأشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة أى ظليلة قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى صلى الله عليه وسلم فعلق صلى الله عليه وسلم سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده أعرابيا جالسا فقال ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا أى مسلولا فقال لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الرواية مع ماقبلها يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لا واقعة واحدة ويبعد أن يكون ذلك الاعرابى هو غورث صاحب الواقعة الاولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين أى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وتقدم أن سبب نزولها ارادة القاء الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله وتقدم أنه لا مانع من تعدد النزول لتعدد الاسباب * وفى الشفاء قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى أى وفيه ان هذا لا يحسن الا عند نزول آية والله يعصمك من الناس الا أن يقال هو صلى الله عليه وسلم علم من ذلك ان الله مانع له ممن يريده بسوء وان كان يجوز أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل وانما لم يعاقب صلى الله عليه وسلم ذلك الاعرابى حرصا على استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة وبعث صلى الله عليه وسلم جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين أى وكان رضى الله عنه من أهل الصفة وهو الذى تمثل به ابليس لعنه الله يوم أحد حين نادى ان محمدا قد قتل كما تقدم وابطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أنه حثه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب * وفى رواية فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لا يسبقه أى وهو يناز عنى خطامه مع انى كنت أرجو أن يستاق معنا * ثم قال له صلى الله عليه وسلم أتبيعنيه فابتاعه منه أى بأوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد ان أعطاه فيه أولا درهما زحاله فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يا رسول الله وفى رواية لازال صلى الله عليه وسلم يزيده درهما درهما فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفر لك يا رسول الله قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم *

قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له * وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية وشرط لى ظهره الى المدينة أى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة وقيل سبعين مرة فلما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل * أى وقيل ان هذه القصة أى ابطاء جمل جابر رضى الله عنه انما كانت فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة * وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك أى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكنت على جمل ثقال انما هو فى آخر القوم فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت جابر بن عبد الله قال فمالك قلت انى على جمل ثقال قال أمعك قضيب قلت نعم قال أعطنيه فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يا رسول الله قال بل بعنيه فقد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة قال يا بلال اقضه وزده فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا * قال جابر رضى الله عنه وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم * وفى لفظ عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه وعقلت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يا رسول الله هذا جملك فخرج صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف بالجمل قال الثمن والجمل لك * وفى لفظ انما باعه لمبوقية أى ذهب وأنه استثنى حملانه الى أهله فلما قدم المدينة وأنقده الثمن وانصرف أرسل على اثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك * وعن جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم اشتراه بطريق تبوك بأربع أواق وفى لفظ بعشرين دينارا وليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد يبعد هنا بعد * قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع أولانهم رقعوا راياتهم أولانهم لفوا على أقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم أولان الصلاة رقعت فيها أولان الجبل الذى نزلوا به كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقع فيه بقع حمر وسود وبيض واستغربه الحافظ ابن حجر قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل أنها سميت بالجميع * قال وفى هذه الغزوة جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة بدوية بابن لها فقالت يا رسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه وبزق فيه * وقال اخسأ عدو الله انا رسول الله ثم قال صلى الله عليه وسلم شأنك بابنك لن يعود اليه شىء مما كان يصيبه أى فكان كذلك وفيها أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه فعجب

الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه وفيها أيضا جيء له صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام فقال لجابر دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات قال جابر رضي الله عنه نعملتهن ثم جئت بهن في قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته أي الى الشبع والبيض في القصعة كما هو وفيها أيضا جاء جمل يرفل أي حتى وقف عنده صلى الله عليه وسلم وارغى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما قال هذا الجمل هذا جمل يستعذى على سيده يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين وانه أراد أن ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قال جابر رضي الله عنه فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه قال جابر فخرج بين يدي حتى وقف على صاحبه فجئته به فكلمه صلى الله عليه وسلم في شأن الجمل انتهى * وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال الا تتقي الله عز وجل في هذه البهيمة التي ملكك الله فانه شكى الى أنك تجيعه وتدئبه * وفي رواية كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعير أقبل حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أيها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك ان الله تعالى قد أمن عائذنا ولن يخيب لائذنا فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير قال يريد أهله نحره وأكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد الى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها فقالوا يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نجده الا بين يديك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه يشكو فقالوا يا رسول الله ما يقول قال يقول انه ربي فيكم سنين وكنتم تحملون عليه في الصيف الى موضع الكلا فاذا كان الشتاء حملتم عليه الى موضع الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا سليمة فلما أدركته هذه السنة الجديبة هممتم بنحره وأكل لحمه فقالوا والله يا رسول الله قد كان ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نتعبه ولا ننحره فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لان الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين فاشتراه صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق حيث شئت فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له آمين ثم رغا الثانية فقال له آمين ثم رغا الثالثة فقال له آمين ثم رغا الرابعة فبكى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير فقال قال جزاك الله خيرا أيها النبى عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك كما سكنت قلبى قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمى قلت آمين قال لا جعل الله بأسهم بينهم شديدا فبكيت لانى سألت ربى فيها أى فى هذه الرابعة بمعنى أعطاها * وقوله صلى الله عليه وسلم للجمل اذهب كيف شئت لا يناسب ما عليه أئمتنا من عدم جواز ارسال الدواب تقربا الى الله تعالى لانه فى معنى سوائب الجاهلية * الا أن يقال المراد بقوله صلى الله عليه وسلم له اذهب كيف شئت أى أنت آمن فى سائر أحوالك مما شكوت منه * ورأيت فى كلام ابن الجوزى رحمه الله ما يزيد ذلك وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه بميسم نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لا اشكال والى قصة الجمل أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله * فأذهبت عنه كل كل وقلة

* وفى هذه أعنى السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضى الله عنها بعد موت أبى سلمة بن عبد الاسد رضى الله عنه وما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال تزوجها سنة اثنين ليس بشىء قبل وفيها شرع التيمم

(غزوة بدر الآخرة)

ويقال لها بدر الموعد أى لموعد أبى سفيان رضى الله عنه حيث قال حين منصرفه من أحد موعد ما بيننا وبينكم بدر أى موسمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم * لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الاولى الى آخر رجب * ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان وعليه اقتصر الاصل * وقيل خرج فى شوال وقيل فى مستهل ذى القعدة كل ذلك فى سنة أربع * ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله انها كانت فى شعبان سنة ثلاث * لما علمت انها بعد أحد واحد كانت فى شوال سنة ثلاث * والحافظ الدمياطى قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامى وصاحب الامتاع * وكان وصوله صلى الله

عليه وسلم الى بدر هلال ذى القعدة وهذا لايناسب الا القول بأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى شوال وكان ذلك موسم البدر فى كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية أيام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف عليها عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول رضى الله تعالى عنه * وقيل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وخرج فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس وعند تهيء المسلمين للخروج * قدم نعيم بن مسعود الاشجعى أى وكان ذلك قبل اسلامه رضى الله تعالى عنه وأخبر قريشا ان المسلمين تهيؤا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع الى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا وفى لفظ عشرة من الابل وحمله على بعير أى وقال له أبو سفيان انه بدا لى أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندى من الابل كذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو فقال له يا أبا يزيد تضمن لى هذه الابل وأنطلق الى محمد وأثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان أى وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية فى الخروج واستبشر المنافقون أى واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع * فجاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك * ثم قال والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم يخرج معى أحد فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه * وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج * ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج وبلغه أنا خرجنا فرجعنا لانه ان لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فخرج أبو سفيان فى قريش أى وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة أى بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم الا عام خصب ترعون

فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا
فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربون
السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة
الموسم التي هي ثمانية أيام أي فانه صلى الله عليه وسلم انتهى الى بدر هلال ذي القعدة
كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة * أي وصار
المسلمون كلما سألوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم
الوكيل حتى قيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان
يرعبونهم ويرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا
وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد فأنزل الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد
بالناس الاول نعيم نزل منزلة الجماعة * وعن امامنا الشافعي رضي الله عنه ان
القائلين ذلك كانوا أربعة ولا مانع أن يكون هؤلاء الاربعة من المنافقين لعنهم الله
وافقوا نعيما على ما قال حتى ان قائلهم قال للمسلمين انما أنتم لهم أكلة رأس وان ذهبتم
اليهم لا يرجع منكم أحد * وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا
قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل أبعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين
وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا * وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن
الجمهور ان هذه الآية والواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الاسد عند انصرافه
من أحد فليتأمل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة أي وبلغ قريشا خروج
المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا أصحاب الموسم أي والمخبر لهم بذلك معبد بن أبي معبد
الخزاعي فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك فقال صفوان
ابن أمية لابي سفيان قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا أنا
أخلفناهم وانما خلفنا الضعف

(غزوة دومة الجندل)

بضم الدال ويجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطي على الاول أي وأما دومة بالفتح
لا غير فموضع آخر ومن ثم قال الجوهري الصواب الضم وأخطأ المحدثون في الفتح
سميت بدومى بن اسماعيل عليه السلام لانه كان نزلها وهي بلدة بينها وبين دمشق
خمس ليال وهي أقرب بلاد الشام الى المدينة وبينها وبين المدينة خمس أو ست
عشرة ليلة أي وهي بقرب تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا
كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله

عليه وسلم الناس لذلك * فخرج في ألف من المسلمين أي وذلك في أواخر السنة الرابعة * وذكر بعضهم انها كانت في ربيع الاول من السنة الخامسة ويوافقه قول الحافظ الدمياطي انها كانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم * أي واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة أي يقال له مذكور رضي الله عنه فلما دنا منهم جاءهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا وبعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا أي ورجعت كل سرية بابل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفي رجوعه وادع أي صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزاري أن يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا أي لان أرضه كانت أجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى أرضه غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة كما سيأتي * وقيل له بئس ما جزيت به محمدا صلى الله عليه وسلم أحلك أرضه حتى سمن حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافري وقيل له عيينة لانه أصابته لقوة فجحظت عيناه فسمي عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة كما سيأتي * وكان يقال له الاحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف قناة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأساء الادب فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه * وقيل ان ذلك انما قيل في مخرمة بن نوفل أي ولا مانع من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك في زمن الصديق رضي الله عنه فانه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسر أسره خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرسل به الى الصديق في وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون أي عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت آمنت فمن عليه الصديق فأسلم ولم يزل مظهرا للاسلام وفي سنة أربع نزلت آية الحجاب لازواجه صلى الله عليه وسلم وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضي الله عنه * ووقع انه لما ولد سماه علي كرم الله وجهه حربا فلما جاء صلى الله عليه وسلم قال أروني ابني ما سميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين أي كما فعل ذلك بالحسن كما مر

فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ماسميتموه قال على كرم الله وجهه سميته حربا فقال بل هو محسن ثم قال صلى الله عليه وسلم انى سميتهم باسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر * ومن المستظرف ماحكاه بعضهم قال وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن على الحسين وأكب على رأسه يقبله فقال الحسين ان الذى منعنى من ابتدائك بهذا انك أحق بالفضل منى فكرهت ان أنازعك ما أنت أحق به ورجع اليه ودين الراثين وفرض الحج وقيل فرض فى الخامسة وقيل فى السادسة وقيل فى السابعة * وقيل فى الثامنة وقيل فى العاشرة قيل وفيها اى الرابعة شرع التيمم أى كما تقدم وقيل شرع فى الغزوة التى تلى هذه وهى غزوة بنى المصطلق * وقيل كان فى غزوة أخرى أى وفى غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة وكان ابنها رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يارسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أى الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضى الله عنها

(غزوة بنى المصطلق)

يقال لها غزوة المريسيع ويقال غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة أى كما قيل بذلك كذلك فى غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو اجذيمة وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم أى من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد وذلك الماء فى ناحية قديد وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كما سيأتى جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم بريدة بالتصغير بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فى آخره موحدة كما تقدم ليعلم علم ذلك *قال واستأذن بريدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما يتخلص به من شرهم أى وان كان خلاف الواقع فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل قال رجل منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل فأسير فى قومى ومن أطاعنى فنكون يدا واحدة حتى نستأصله فقال له الحارث فنحن على ذلك فعجل علينا قال بريدة أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومى فسروا بذلك منه * ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر

القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اليهم فأسرعوا الخروج
* وكان في شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل أربع كما في البخاري
نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووي في الروضة * قال الحافظ ابن حجر
وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع لان الذي في مغازي
ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس * وقيل سنة ست وان عليه أكثر المحدثين
وقادوا الخيل وهي ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين أي منها فرسان له صلى الله وسلم
اللزاز والظرب وعشرون للانصار رضى الله عنهم واستخلف صلى الله عليه وسلم
على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنهما * وقيل أبا ذر الغفاري رضى الله عنه
* وقيل نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثي رضى الله عنه وخرج معه صلى الله عليه
وسلم من نسائه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما * أي وخرج معه صلى الله عليه
وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها منهم عبد الله بن أبي
ابن سلول وزيد بن الاصيت ليس لهم رغبة في الجهاد وانما غرضهم أن يصيبوا من
عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فأتى
برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين أهلك
قال بالروحاء قال أين تريد قال اياك جئت لاومن بك وأشهد أن ما جئت به حق
وأقاتل معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك
للاسلام وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلاة لاول وقتها وأصاب صلى الله عليه وسلم عينا
للمشركين كان وجهه الحارث ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فأبى
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضرب عنقه
فضرب عنقه * فلما بلغ الحارث مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
قتل عينه سيء بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنه جمع كثير ممن
كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع فضربت له صلى
الله عليه وسلم قبة من أدم وكان معه فيها عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما فتهيأ
المسلمون للقتال ودفع صلى الله عليه وسلم راية المهاجرين الى أبي بكر رضى الله عنه
وقيل لعمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة رضى الله عنه أي وأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يقول لهم قولوا لا اله الا الله
تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ففعل عمر ذلك فأبوا فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول

الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فجعلوا إذ رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم الرجال والنساء والذرية واستاق ابلهم وشياههم فكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل صلى الله عليه وسلم على ذلك مولاه شقران أى بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان رضى الله عنه حبشيا وكان السبي مائتي أهل بيت * وفى كلام بعضهم كانوا أكثر من سبعمائة وكانت برة بنت الحارث الذى هو سيد بنى المصطلق فى السبي وقيل أغار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبي سبيهم أى وهذا القول هو الذى فى صحيح البخارى أى ومسلم * والاول هو الذى فى السيرة الهشامية وجمع بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم أى وقتل منهم من قاتل ولم يستأسر وكان شعار المسلمين أى علامتهم التى يعرفون بها فى ظلمة الليل أو عند الاختلاط يامنصور أمت تفاؤلا بأن يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضى الله عنهم * ثم فرق صلى الله عليه وسلم السبي فصار فى أيدى الناس * أى وفى هذا دليل لقول امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد بجواز استرقاق العرب لان بنى المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله فى القديم أنهم لا يسترقون لشرفهم * وقد قال فى الام لولا أنا نأثم بالتمنى لتمنينا أن يكون هكذا أى لا يجرى الرق على عربى * وبعث صلى الله عليه وسلم أبا ثعلبة الطائى الى المدينة بشيرا من المريسيع * أى وجمع صلى الله عليه وسلم المتاع الذى وجده فى رحالهم والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحارث فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة فى حصته من برة * وكاتبها أى على تسع أواق من ذهب * فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله انى امرأة مسلمة أى أسلمت لانى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وانى برة بنت الحارث سيد قومه أصابنا من الامر ما قد علمت ووقعت فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات فى المدينة وكاتبنى على ما لا طاقة لى به وانى رجوتك فأعنى فى مكاتبتى * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك قالت ما هو قال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يارسول الله قد فعلت * فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضى الله عنه هى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوجها أى وهى ابنة عشرين سنة

وسماها جويرية أي وكان اسمها برة وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب ويذكر أن عليا كرم الله وجهه هو الذي أسرها ✽ أقول ولا مانع أن يكون على كرم الله وجهه أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه رضي الله عنهما عند القسمة لانه لم يثبت في هذه الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن أسرهم كما وقع في بدر الا ما يأتي من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ورغبنا في الفداء وقد يقال رغبوا في الفداء بعد القسمة والله أعلم ✽ قال وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد الا أخذت بنفسه فبينما النبي صلى الله عليه وسلم عندي ونحن على الماء أي الذي هو المريسيع اذ دخلت جويرية تسأله في كتابتها فوالله ماهو الا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم وعرفت انه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يارسول الله اني امرأة مسلمة الحديث انتهى ✽ وانما كرهت ذلك لما جبلت عليه النساء من الغيرة ومن ثم جاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فأرسل عائشة رضي الله عنها لتنظر اليها فلما رجعت اليه قالت ما رأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا في خدها فاقشعرت منه كل شعرة في جسدك أي ✽ وفي لفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها فما هو الا أن وقفت جويرية بباب الخباء لتستعين رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتابتها فنظرت اليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فأيقنت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآها أعجبته علما منها بوقع الجمال منه صلى الله عليه وسلم فما هو الا أن كلمته صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم خير من ذلك أنا أؤدي كتابتك وأتزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها ✽ والملاح أبلغ من المليح والمليح مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه الملح بمقدار ما يصلحه قال الاصمعي رحمه الله الحسن في العينين والجمال في الانف والملاحة في الفم وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع ✽ ويؤيده ما يأتي عنها رضي الله عنها ✽ قال الشمس الشامي رحمه الله ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لجويرية حتى عرف من حسنها ما دعاه لتزوجها لانها كانت أمة مملوكة أي لانها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أي حرة ما ملأ صلى الله عليه وسلم عينيه منها أو أنه صلى الله عليه وسلم نوى نكاحها أو أن ذلك كان قبل آية الحجاب ✽ أقول تبع في هذا السهيلي رحمه الله وقد قدمنا أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نظر الاجنبية والخلوة بها لامنه صلى الله عليه وسلم من الفتنة فلا

يحسن قوله ولو كانت حرة ما ملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم حرمة نكاح الامة فلا يحسن قوله أو انه نوى نكاحها وأن نزول آية الحجاب كان فى سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشمس الشامى حرمة نظر سائر بدن الامة الاجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامى فلا يحسن قوله لانها كانت أمة مملوكة والله أعلم * وروى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بنى المصطلق فسبينا كرائم العرب اى واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا فى الفداء فأردنا نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك * وفى لفظ فأصبنا سبايا وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة واحببنا الفداء وأردنا أن نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فسألناه عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أى نفسا قدرها هى كائنة الى يوم القيمة الا ستكون * وفى لفظ ما عليكم أن لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيمة * وفى رواية لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر وفى رواية ما من كل الماء يكون الولد واذا أراد الله خلق شئ لم يمنعه أى ما عليكم حرج فى عدم فعل العزل وهو الانزال فى الفرج لان العزل الانزال خارج الفرج ما من نسمة كائنة الى يوم القيمة الا وهى كائنة أى عزلتم أم لا فلا فائدة فى عزلكم لان الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجئ الولد وقد ينزل فى الفرج ولا يجئ الولد وكون ذلك كان فى بنى المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى ان ذلك كان فى غزوة أوطاس وقول أبى سعيد رضى الله عنه قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء * أى لعل أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه ومن تكلم على لسانه كان فى المدينة أعزب والا فأيام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما * قال أبو سعيد رضى الله عنه فقدم علينا وفدهم أى بالمدينة * فى الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبى فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا الى بلادهم * قال أبو موسى رضى الله عنه وخرجت بجارية أبيعها فى السوق أى قبل أن يقدم وفدهم فى فدائهم فقال لى يهودى يا أبا سعيد تريد بيعها وفى بطنها منك سخلة هى فى الاصل ولد الغنم فقلت كلا انى كنت أعزل عنها فقال تلك الوأدة الصغرى أى المرة من الوأد وهو أن يدفن الرجل بنته حية فالموؤدة البنت تدفن فى القبر وهى حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال

كذبت يهود كذبت يهود زاد فى رواية لو أراد الله عز وجل أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفى الحرج استدل أئمتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة فى كل امرأة سرية أو حرة فى كل حال سواء رضيت أم لا ❊ وقال جمع بحرمته قالوا لانه طريق الى قطع النسل ❊ وفى مسلم ما يوافق ما قالته يهود فى مسلم سألوه صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفى أى بمثابة دفن البنت حية الذى كانت تفعله الجاهلية خوف الاملاق أو خوف حصول العار ❊ الا أن يقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما فى مسلم أيضا عن جابر رضى الله عنه كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل فلم ينهنا ❊ وفى رواية ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا فى النخل وأنا أكره ان تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد أخبرتكم أنه سيأتيها ما قدر لها فقد أرشده صلى الله عليه وسلم الى العزل الذى لا يكون معه الولد وأخبر بأن ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد وعن عبد الله بن زياد رضى الله عنه قال أثاء أى غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق جويرية بنت الحارث وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها فى فدائها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التى يفتدى بها ابنته فرغب فى بعيرين منها كانا من أفضلها فعقلهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى ❊ وفى رواية قال يا رسول الله كريمة لا تسبى وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحارث أشهد أنك رسول الله ما اطلع على ذلك الا الله وأسلم ولعله دخل بالامان الى المدينة ❊ وفى رواية أنه أسلم قبل ذلك وأسلم معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله فأسلم أى أظهر اسلامه وعند ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بأن يخيرها فقال أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحى قومك قالت اخترت الله ورسوله وفيه كيف يأمره صلى الله عليه وسلم بتخييرها بعد ان تزوجها كما تقدم ان مقتضى السياق انه تزوجها وهم على الماء ثم رأيت الامام أبا العباس ابن تيمية أنكر مجىء أبيها وتخييرها ❊ وفى الاستيعاب ان عبد الله بن الحارث أخا جويرية بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى فدا

سارى بنى المصطلق وغيب فى الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما جئت به قال ماجئت بشىء قال فأين الذود والجارية السوداء الذى غيبت فى موضع كذا قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله والله ما كان معى أحد ولا سبقنى اليك أحد فأسلم فيه ماتقدم فى ابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى تبلغ برك الغماد هذا كلامه ✽ والذود من الابل مابين الثلاث الى العشر والمتبادر من هذا السياق أنه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فعن له أن يسأل فى الفداء من غير شىء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا فى أنه صلى الله عليه وسلم يجيبه لذلك لما كان أخبره عنده ✽ ويحتمل أن العبارة فيها اختصار وحينئذ يكون الاصل فى قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به المال الزائد على هذا الذى جئت به فيكون الذود والجارية بعض ماجاء به للفداء فقال ماجئت بشىء أى زائد على هذا الذى جئت به لانه بعد أن يطلب الفداء من غير شىء فليتأمل ✽ وفى لفظ انه لما جاء أبوها فى فدائها دعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها أربعمائة درهم ✽ وفى الامتاع يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ولا يخفى ان مجىء أبيها فى فدائها وتزويجها للنبى صلى الله عليه وسلم مخالف لسياق ماتقدم أنه تزوجها وهم على الماء ويحتاج للجمع بين ماذكر وبين ماروى انه لما رأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم فقالوا أصهار النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى ✽ وعن جويرية رضى الله عنها قالت لما أعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وماشعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى ✽ أقول وذكر بعضهم أن لذة دخوله صلى الله عليه وسلم ما طلبتهم منه فوهبهم لها و يحتاج للجمع و يقال فى الجمع بين ماتقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بأنه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أطلق بعضهم الآخر الباقى فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فان السبى كان لاهل مائتى بيت

* ويزيد ذلك قول بعضهم كان السبي منهم من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ومنهم من افتدى ويزيد ذلك ما يأتي في كلام عائشة رضي الله عنها ان الاعتاق كان لاهل مائة بيت أي فيكون الفداء لاهل مائة بيت ولا اطلاق في الفداء لاهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية رضي الله عنها بقولها ما كلمته في قومي أي فيمن بقي منهم ثم لايخفى ان مجيء أبيها أو أخيها ومجيء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من أنه أسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم أحد وبعد غياب هؤلاء خصوصا أباها الذي كان يجمع القوم فعليك أن تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله أعلم * ثم بعد ان أسلم بنو المصطلق وبعد بدامين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ الصدقة أي وكان بينهم وبينه شحنة في الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم أنهم خرجوا لقتاله ففر راجعا وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ارتدوا وانهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم أي وأكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم وأخبروا بأنهم خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم من الصدقة * أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم خالد بن الوليد فأخبروه الخبر وعند ارساله قال له صلى الله عليه وسلم أرمقهم عند الصلوات فان كان القوم تركوا الصلوات فشأنك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم أقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق أذن مؤذنهم ثم أقام الصلاة فصلوا العشاء ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر أذن مؤذنهم وأقام الصلاة فصلوا فلما انصرفوا وأضاء النهار فاذا هم بنواصي الخيل في ديارهم فقالوا ما هذا قيل هذا خالد بن الوليد فقالوا يا خالد ما شأنك * قال أنتم والله شأني أوتي النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا وبينه شحناء في الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية ان يكافينا بالذي كان بيننا وبينه فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة الآيتين * قال ابن عبد البر رحمه الله لاخلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق لاخذ صدقاتهم * أي ونزل فيه وفي علي بن أبي طالب كرم الله

وجهه أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * أى فكان يدعى الفاسق وبعثه لاخذ صدقات بنى المصطلق يرد قول من قال انه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم * أى ويرد ما روى بعضهم عنه أنه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم ويدعو لهم بالبركة فأتى بى اليه وأنا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسى ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق ويرد ذلك أيضا ما سيأتى أنه خرج هو وأخوه عمارة ليردا أختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى المدينة هدنة الحديبية والوليد هذا كان أخا عثمان ابن عفان لامه وولاه الكوفة أى وعزل عنها سعد بن أبى وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضى الله عنه قال له والله ما أدرى أصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن أبا اسحاق وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم ستجعلونها والله بنى أمية ستجعلونها بنى الخلافة ملكا وعند ذلك قال الناس بئس ما فعل عثمان رضى الله عنه عزل سعد الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الفاسق ثم تقدم ولى الوليد بن مسعود رضى الله عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أميرا فقال له ابن مسعود ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس * وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أول الليل الى الفجر فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول فى ركوعه وسجوده اشرب واسقنى ثم قاء فى المحراب ثم سلم وقال هل أزيدكم فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا وأخذ فردة نعله وضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أزيدكم سكرا وما يدرى

* ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان ابن عفان رضى الله عنه استقدمه وأمر به فجلد أى أمر عليا كرم الله وجهه أن يقيم عليه الحد فجلده * وقيل فقال على كرم الله وجهه لابن أخيه عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أقم عليه الحد أى بعد أن أمر ابنه الحسن رضى الله عنه بذلك فامتنع فأخذ عبد الله رضى الله عنه السوط وجلده وعلى كرم الله وجهه يعد عليه حتى بلغ أربعين فقال لعبد الله أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر أربعين وجلد أبو بكر رضى الله عنه أربعين وجلد عمر رضى الله عنه ثمانين وكل سنة * وهذا أى ما فعله من

جلده أربعين أحب الى من جلد عمر ثمانين هذا وفي البخاري أن عبد الله جلده ثمانين * وأجيب عنه بأن السوط كان له رأسان وحينئذ يكون قوله وكل سنة أي طريقة فاربعون طريقته صلى الله عليه وسلم وطريقة الصديق رضي الله عنه والثمانون طريقة عمر رضي الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة في ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر وبعد ان جلده عزله عن الكوفة وأعاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ولما أراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد ابن عقبة لبني المصطلق كان ينبغي أن يذكر في السرايا وكذا ارسال خالد رضي الله عنه لهم * قالت عائشة رضي الله عنها لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية أعتق بتزويجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت أي ومن المعلوم أن هذا كان قبل سبايا أوطاس الذين أطلقوا بسبب أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على ما سيأتي في بعض الروايات * وقيل في حقها ما عرفت امرأة هي أيمن على قومها منها وذكرت جويرية رضي الله عنها أنها قبل قدومه صلى الله عليه وسلم عليهم بثلاث ليال رأت كان القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرها * أي وعنها رضي الله عنها قالت فكرهت ان أخبرها أحدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا * قال وعنها رضي عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فأسمع أبي يقول أتانا مالا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح مالا أصف من الكثرة * فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله تعالى يلقيه في قلوب المشركين * أي وهذا مما يؤيد ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع وكان رجل منهم ممن أسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد انتهى وهو يدل على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مددا لهم في هذه الغزوة ولم يقتل في غزوة بني المصطلق من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة رضي الله عنه * أقول وهذا محمل قول الحافظ الدمياطي رحمه الله في سيرته انه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدى عليه بأن هذا وهم لانهم لم يكن بينهم قتال ليس في محله لانه فهم أن الرجل قتله الكفار * وقد علمت أنه انما قتله شخص من الانصار يظنه من العدو والله أعلم

* وقدم أخو هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر الاسلام وقال جئت أطلب دية أخي نامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه فأخذها مائة من الابل وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله * ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم فتح مكة أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل في ذلك اليوم كما سيأتي * وما هنا هو الصحيح خلافا لما يأتي عن الاصل في فتح مكة ان قتل أخيه كان في غزوة ذي قرد * ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أي كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضي الله عنه مع رجل من حلفاء الخزرج قيل حليف عمرو بن عمرو وقيل حليف عبد الله بن أبي بن سلول وهو سنان بن فروة رضي الله عنه أي فضرب أجير عمر رضي الله عنه حليف الخزرج فسال الدم وفي لفظ كسعه أي دفعه فنادى حليف الخزرج يا معشر الانصار أي وقيل قال يا للخزرج ونادى أجير عمر يا معشر المهاجرين وقيل قال يا للكنانة يا لقريش فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فأخبر بالحال أي فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الانصار فقال صلى الله عليه وسلم دعوها أي تلك الكلمة التي هي يا للان فانها منتنة أي مذمومة لانها من دعوى الجاهلية وجاء من دعا دعوى الجاهلية كان من جثى جهنم أي مما يرمى به فيها قيل يا رسول الله وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم * وقال صلى الله عليه وسلم لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أي له وان كان مظلوما فلينصره أي يزيل ظلامته ثم كلم ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت نائرة الحرب وجهجاه هذا روى عنه عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد وهو المراد بهذا الحديث في كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل أن يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة أي وسيأتي نظير ذلك لثمامة الحنفي * ونقل أبو عبيد أن الرجل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو أبو بصرة الغفاري أي ولا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك في حق الرجل المذكور أيضا * فقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم في الكفر أكثر ما أكل في الاسلام * قال ابن عبد البر رحمه الله وجهجاه هذا هو الذي تناول عصا رسول الله صلى

الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فأخذته أكلة في ركبته فمات منها هذا كلامه * وفي كلام السهيلي رحمه الله انه انتزع تلك العصا من عثمان حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو أحد المعينين عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين كونه أخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه أخذها حين أخرج من المسجد لانه يجوز أن يكون أخرج من المسجد في أثناء الخطبة وأخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن أبي بن سلول * وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي لعنه الله والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا أي وأنكرونا ملتنا والله ما أعدنا أي أظننا يعني معاشر الانصار وقريش * وفي رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعني معاشر المهاجرين الا كما قال الاول أي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك أي ويقولون أجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل النبي صلى الله عليه وسلم * وفي الاستيعاب ان عبد الله بن أبي قال ذلك في غزوة تبوك هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جلبيب ما يجلب من بلد الى غيره يعني أغراب * وقيل شبهوا بالجلابيب التي هي الازر الغلاظ القليلة القيمة ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم أي ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم فسمع ذلك زيد بن أرقم رضي الله عنه على ما هو الصحيح * وقيل سفيان ابن تيم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي ونفر من المهاجرين والانصار وفي البخاري عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعته منه قال لعله أخطأ سمعك ولامه من حضر من الانصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل أي وفي البخاري فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست

فى البيت أى الخباء فقال لى عمى ما أردت الا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لارجو أن ينزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يصدق حديثى أى وقيل ان زيد بن أرقم رضى الله عنه قال لابن أبى لما قال أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل أنت والله الذليل المقص فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له بن أبى لعنه الله اسكت فانما كنت ألعب فعند تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأذنه عمر رضى الله عنه فى أن يقتل ابن أبى والتمس منه أن يأمر غيره بقتله اذا لم يأذن له فى ذلك * أى فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فى شجرة أى ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أى يكبسه فقلت يا رسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة أى ألقتنى الليلة فقلت يا رسول الله ائذن لى أن أضرب عنق بن أبى أو مر محمد بن مسلمة يقتله * أى وفى رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه * وفى لفظ أن عمر رضى الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا فقال ترعد له آنف كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته صلى الله عليه وسلم لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز وبعد أن يكون ذلك كان قبل النهى عن ذلك ولكن أذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم تكن ترتحل فيها * أى وفى رواية لما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث فى ذلك اليوم أى الوقت الا ذلك أذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها أى لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أسيد بن حضير رضى الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وقال يا نبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها أى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرحل الا ان برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبكم فقال أى صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن أبى بن سلول قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز * ثم قال يا رسول الله ارفق به والله لقد جاء الله بك وفى رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز

ليتوجوه مابقيت عليهم الاخرزة واحدة عند يوشيع اليهودي فانه ليرى أنك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك في غير ما مرة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا أي صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما * وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي بن سلول قال * وذهب بعض الانصار والذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن أبي لعنه الله فقال له يا أبا الحباب ان كنت قلت مانقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك مايكذبك وان كنت لم تقله فائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ماقلته فحلف بالله العظيم ماقال من ذلك شيأ * ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه يا ابن أبي ان كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ماقلت ما قال زيد وما تكلمت به انتهى * أي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى ابن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني عنك فقال والذي أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا الكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل أي وفي لفظ انهم قالوا يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام * ثم ان عبد الله رضي الله عنه ولد عبد الله بن أبي بن سلول أي وكان اسمه الحباب فسماه صلى الله عليه وسلم يوم موت أبيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني ان أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني اني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا * قال وفي رواية فمرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لاخشى يا رسول الله أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار فعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال عبد الله

يارسول الله ان أبى كانت أهل هذه البحيرة أى المدينة اتفقوا على أن يتوجوه عليهم فجاء الله عزوجل بك فوضعه ورفعنا بك أى زاد فى رواية ومعه قوم أى من المنافقين يطيفون به ويذكرونه أمورا قد غلب الله عليها وتقدم انه وقع لعبد الله رضى الله عنه مثل ذلك مع أبيه * روى الدارقطنى مسندا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عثا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن برأباك * ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب أى خافوا أن يكون لامر حدث بالمدينة على أهلهم فان مدة الموادعة التى كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه يعنى من عيينة ابن حصن بأس ما بالمدينة من نقب أى باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن تعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار وفى رواية لموت منافق وفى لفظ مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بنى قينقاع * وكان ممن أسلم ظاهرا والى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرته بأنها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

* قال وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بموته فقد جاء ان عبادة بن الصامت قال لابن أبى يا أبا خباب مات خليلك قال أى خليل قال من موته فتح للاسلام وأهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من أخبرك يا أبا الوليد بموته قال قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا انه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى * وذكر أهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة وانه المنافق عدو الله سكنت * أقول لكن فى كلام ابن الجوزى رفاعة بن زيد ابن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان قد ذكر عنه قتادة رضى الله عنه مايدل على صحة اسلامه * أى وقد يقال جاز أن يكون أظهر ذلك لقتادة ليظن به ما ظنه من صحة اسلامه * قال ابن الجوزى ولهم رفاعة بن التابوت معدود فى الصحابة ذكره فى الاصابة قال جاء ذكره فى حديث مرسل كانوا فى الجاهلية اذا أحرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تأتى البيوت

من أبوابها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقال يارسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت قال تبعتك ولم تكن من الحمس قال فان ديننا واحد فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وسيأتي نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما ✱ وأما الحديث الذي أخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر رافع بن التابوت أي فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة ✱ وذكر في الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضي الله عنه لم يوصف بأنه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزي أي فوصفه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة فليتأمل والله أعلم ✱ وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا ناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يعين جابر السفرة ✱ فيحتمل أن تكون هي هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها ويحتمل أن تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصوى من بين الابل أي ليلا فجعل المسلمون يطلبونها من كل وجه فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا كما علمت من بني قينقاع وكان بمجمع من الانصار أين يذهب هؤلاء في كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها أي وفي لفظ كيف يدعي أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذي يأتيه بالوحي فانكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله ياعدو الله نافقت وأرادوا قتله فعمد هاربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألا يخبره الله بمكانها والله قد أخبرني بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها في الشعب مقابلكم قد هلك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال صلى الله عليه وسلم فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه فقالوا له حين دنا لا تدن منا فقال لهم أنشدكم الله هل أتى أحد منكم محمدا فأخبره خبري قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا فقال اني وجدت ما تكلمت به عنده فاشهد أن محمدا رسول الله كأني لم أسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له ✱ قال ويقال انه لم

برك فشلا أي جبانا حتى مات ووقع مثل هذا أي هبوب الريح واضلال ناقته صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وأوقع صلى الله عليه وسلم السباق بين الابل فسابق بلال رضي الله عنه على ناقته صلى الله عليه وسلم القصوى فسبقت غيرها من الابل وسابق أبو سعد الساعدي رضي الله عنه على فرسه صلى الله عليه وسلم الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اه * أي وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه اه * أقول في الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة تسابق مع عائشة رضي الله عنها فحزمت بقباثها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك التي كنت سبقتني بشير صلى الله عليه وسلم الى انه جاء الى بيت أبي بكر رضي الله عنه فوجد مع عائشة شيأ فطلبه منها فأبت وسعت وسعى صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا وفي كلام ابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم وخرجت معه في سفرة أخرى فقال للناس تقدموا فتقدموا * ثم قال لي تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتأمل * قال ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادي العقيق تقدم عبد الله رضي الله عنه بن عبد الله بن أبي بن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فأناخ به ثم وطئ على يد راحلته فقال أبوه ما تريد يا لكع فقال والله لا تدخل حتى تقر أنك الذليل وان رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم أينا الاعز من الاذل أنت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقول أنا أذل من الصبيان لا أنا أذل من النساء حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خل عن أبيك فخلا عنه أي * وفي لفظ انه لما جاء قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز من الاذل * وفي لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنت الاذل فقال له أنت من بين الناس فقال نعم أنا من بين الناس وانصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا له ما صنع ابنه رضي الله عنه فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه وفي لفظ قال له ابنه رضي الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله

بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم * ولما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله تعالى سورة المنافقين * قال زيد بن أرقم رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورجوت أن ينزل الله تصديقي فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ باذني وأنا على راحلتي يرفعها الى السماء حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول وعت اذنك يا غلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين * وفي رواية هذا الذي أوفى الله باذنه ونزل وتعيها أذن واعية * فكان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه ذو الاذن الواعية * وذكر بعض الرافضة ان قوله تعالى وتعيها أذن واعية جاء في الحديث أنها نزلت في علي كرم الله وجهه * قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم أي وعلى تقدير صحته لامانع من التعدد * وصار قوم عبد الله بن أبي عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه ويعنفونه * ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أي بعض قومه له ومعاتبتهم له قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه كيف ترى يا عمر اني والله لو قتلته يوم قلت لا رعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضي الله عنه قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري اه * وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أبي قال له أصحابه اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني ان أومن فآمنت وأمرتموني ان أعطي زكاة أموالي فأعطيت فما بقي الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية * وفي تفسير القرطبي عند قوله تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر قال السدي نزلت في عبد الله ابن أبي جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بالله يا رسول الله ما أبقيت فضلة من شرابك أسقها أبي لعل الله يطهر بها قلبه فأفضل له فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا فقال هي فضلة من شراب النبي صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها فقال له أبوه فهلا جئتني ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله بالله أما أذنت لي في قتل أبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه * وقد جاء ان ابنه رضي الله عنه قال يا رسول الله ذرني أن أسقي والذي

من وضوئك اهل قابه أن يلين فتوضأ صلى الله عليه وسلم وأعطاه مذهب به ابن أبيه فسقاه فقال له هل تدري ماسقيتك قال نعم سقيتني بول جمل قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين له * قال وفي هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يارسول الله هذا ابني غلبني عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم فم الولد وبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثا ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود اليه شيء مما كان يصيبه * وفي هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له صلى الله عليه وسلم من بيض النعام فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو * وفي هذه الغزوة جاء جمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقل أي يختال في مشيه وصوت فقال صلى الله عليه وسلم تدرون مايقول هذا الجمل هذا يستعديني على سيده يقول انه كان يحرث عليه وانه أراد أن ينحره اذهب ياجابر الى صاحبه فأتني به فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه فخرج بين يدي حتى وقف على صاحبه فجئت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في شأن الجمل انتهى * أقول قد تقدمت هذه الامور الثلاثة التي هي قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل في ذات الرقاع والتعدد فيه ماجيء لاجل هذه الامور وسميت كل منهما بغزوة الاعاجيب بعيد والذي أراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل * وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك أي الكذب على عائشة الصديقة البرأة المطهرة رضي الله عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين أي راجعين أذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لاقضي حاجتي حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فاذا عقد لي من جزع أظفار كذا بالالف عند البخاري * وفي رواية ظفار بغير ألف قال القرطبي ومن قيده بالالف فقد أخطأ أي ولعل المراد خالف الرواية وفي لفظ ظفاري أي بياء النسبة وفي لفظ الجزع الظفري وقد يقال لا مانع من وقوع هذه الالفاظ من الصديقة في أوقات مختلفة * قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاي وآخره عين مهملة خرز وظفار بالظاء المهملة كو بار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا وفي كلام بعضهم كان يساوي اثني عشر درهما قد انقطع فالتمست عقدي أي ذهبت الى التماسه في المحل الذي قضيت فيه حاجتي وحبسني التماسه وأقبل الرهط الذين

كانوا يرحلون لي هو بتخفيف الحاء أي يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذذاك خفافا قلة أكلهن أي لان السمن وكثرة اللحم غالبا ينشأ عن كثرة الاكل وساروا أي وعن عائشة رضي الله عنها أن الذي كان يرحل هودجها ويقود بعيرها أبو موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره وقولها في بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لانه يجوز ان جماعة كانوا يعاونون أبا موهبة في ذلك فوجدت عقدي فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأقمت بمنزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الى فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان السلمي خلف الجيش أي لانه كان على ساقة الجيش عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع * وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس * وقد جاء ان زوجته شكته الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلي الصبح فقال يا رسول الله اني امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل * أي وفي رواية شكته الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه يضربها فقال انها تصوم بغير اذني فقال لها لا تصومي الا باذنه قالت انه ينام عن الصلاة أي صلاة الصبح قال انه شيء ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل * وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعني أقرأ يضربني فقال ان معي سورة ليس معي غيرها هي تقرأها قال لا تضربها فان هذه السورة لو قسمت في الناس لوسعتهم أي وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن ان امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته في ثوابها فاباتها ثم ادلج أي سار ليلا فأصبح عند منزلي أي على خلاف عادته فرأى سوادا أي شخص انسان نائم فأتاني فعرفني فاستيقظت باسترجاعه أي بقوله انا لله وانا اليه راجعون أي لان تخلف أم المؤمنين عن الرفقة في مضيعة مصيبة أي مصيبة * قالت فخمرت وجهي بجلبابي وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطي بها المرأة رأسها أي لان ذلك كان بعد نزول آية الحجاب أي يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية أي لانه تقدم أن ذلك كان في سنة ثلاث على الراجح عند الاصل * وفي الامتاع وذكر بعض علماء الاخبار ان تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب التي نزلت آية الحجاب بسببها كان في ذي القعدة سنة خمس * ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما يأتي عن عائشة رضي الله عنها من قولها ان زينب

هى التى كانت تساميني من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اذ هو صريح فى أنها كانت زوجة له صلى الله عليه وسلم قبل هذه الغزوة بناء على ان هذه الغزوة كانت سنة ست * قالت والله ما كلمنى و فى لفظ والله ما يكلمنى كلمة وما سمعت منه كلمة أى فلا كلمها ولا كلم نفسه قيل استعمل الصمت أدبا لطول هذا الامر الذى هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته ووطئ على يدها فركبتها * وفى رواية ثم قرب البعير فقال اركبى أى وفى لفظ قال أمه قومى فاركبى وأخذ برأس البعير جاءانها ما ركبت قالت حسبى الله ونعم الوكيل * وفى سيرة ابن هشام أنه قال لها ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته أى ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث وما قبلها على تقدير صحتها * وقد يقال معنى انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم أى قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها يا أمه قومى فاركبى لان اناخة البعير وتقريبه ليس صريحا فى الاذن لها فى الركوب فأتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها * وبعض الرواة اقتصر على قوله اركبى وبعد أن ركبت أى وحصلت الطمأنينة واندفعت الريبة قال لها متعجبا لا مستفهما ما خلفك قالت فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا وذلك فى نحر الظهيرة أى وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع و بهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على أنه يجوز الخلوة بالمرأة الاجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها بل يجب استصحابها اذا خاف عليها لو تركها * هذا وفى الخصائص الصغرى وفى معانى الآثار للطحاوى رحمه الله قال أبو حنيفة كان الناس لعائشة رضى الله عنها محرما فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك * أى وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ يتأمل الفرق بينها و بين بقية أمهات المؤمنين فيما ذكر وفيما سيأتى عن بعضهم أن من قذف عائشة يقتل و يحد فى غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم حدين * قالت عائشة رضى الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذى تولى كبره أى معظمه عبد الله بن أبى بن سلول أى فانه كان أول من أشاعه فى العسكر أى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجربها ورب الكعبة * وفى لفظ ما برئت منه وما برئ منها * وفى لفظ والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله

عليه وسلم * أي والذي في البخاري كان يتحدث به عنده فيقره ويستمعه
ويستوشيه أي يستخرجه بالبحث عنه * وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون
هو أول من أشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته
* قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أي مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون
في قول أصحاب الافك أي ووصل الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم والى أبوي
ولا أشعر بشيء من ذلك وكان يريبني أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي أي حين أمرض واللطف بضم اللام
وسكون الطاء وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما
يدخل علي فيسلم أي وعندي أمي تمرضني ثم يقول كيف تيكم أي لا يزيد على ذلك
ثم ينصرف فذاك الذي يريبني حتى خرجت بعد ما نقهت بكسر القاف وفتحها أي أول
ما أفقت من المرض فخرجت معي أم مسطح وهي بنت خالة أبي بكر أي وما في لفظ
وكان مسطح بن خالة أبي بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة وكان مسطح يتيما
في حجر أبي بكر وكان فقيرا ينفق عليه أبو بكر قالت وخروجنا كان الى المحل الذي
تخرج اليه النساء ليلا أي لقضاء حاجة الانسان وذلك قبل أن تتخذ الكنف أي فان
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المصنع وهو محل
متسع * قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلت عثرت أم مسطح في مرطها أي ازارها
فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها اهلك مسطح تعني ولدها ومسطح في الاصل
عمود الخيمة * قلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت ياهنتاه بفتح
الهاء الاولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أي ياهذه أولم تسمعي ما قال قلت وما
قال فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي أي عاود لي المرض
وازددت عليه * أي وفي لفظ فخررت مغشيا عليها وفي رواية خرجت لبعض حاجتي
وهي أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس
مسطح فقلت أي أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح
فقلت أي أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله
ما أسبه الا فيك فقلت في أي شأني فبقرت أي كشفت لي الحديث فقلت وقد كان
هذا قالت نعم فأخذتني حمى نافضة ورجعت الى بيتي فلما رجعت الى بيتي مكثت
تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقى لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد ان سلم كيف تيكم فقلت أتأذن لي أن آتي
بيت أبوي وأنا أريد أن أتثبت الخبر من قبلهما أي لان أمها فارقتها لما نقهت

من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافي ماسبق من قولها وعندي أمي تمرضني قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث أبوي اي وأرسل معي الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفل وأبا بكر فوق يقرأ فقالت أمي ماجاء بك فأخبرتها فذهابها الى أبويها كما علمت كان بعد أن صحت من المرض وبعد اخبار ام مسطح لها بالقصة ❊ والذي في السيرة الهشامية مايفيد أنه كان قبل ذلك وهو أنها رضي الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم كلما يدخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدته في نفسي فقلت يارسول الله حين رأيت مارأيت من جفائه لو أذنت لي فانتقلت الى أمي تمرضني قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم أي بيوت الاخلية نعافها ونكرهها انما كنا نذهب في فسح المدينة فخرجت ليلة ومعي أم مسطح بنت خالة أبي بكر اذ عثرت في مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين ❊ وقد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يا ابنة أبي بكر قلت وما الخبر فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الافك قلت أوقد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله ماقدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت فوالله مازلت أبكي حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدي فليتأمل الجمع بين ما في السيرة الهشامية ومافي غيرها على تقدير صحتهما قالت وقلت لامي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به لا تذكرين لي من ذلك شيأ الحديث ❊ وفي رواية فقلت لامي ياأماه يتحدث الناس وفي لفظ قلت لامي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا الا تذكرين لي من ذلك شيأ قالت يابنية هوني عليك ❊ وفي لفظ خففي عليك الشان فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة أي جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها أي القول في تنقيصها وفيه ان ضرائرها أمهات المؤمنين لم يكن السبب في اشاعة ذلك ولم ينقصنها به الا أن يقال ظنت أمها ذلك على ماهو العادة في ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا أي وقلت قد علم به أبي قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي فنزل فقال لامي ماشأنها فقالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقى لي دمع أي لا يرتفع ولا اكتحل بنوم في الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح أبواي عندي يظنان ان البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي أي وهما يبكيان وأهل الدار يبكون فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ❊ وسمعت من بعض

الشيوخ ان هرة كانت بالبيت جالسة تبكي أيضا فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل * وقد لبث صلى الله عليه وسلم شهرا لا يوحى اليه في شأني فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه قد بلغني عنك كذا و كذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله و توبي فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه * قال بعضهم دعاها الى الاعتراف ولم يأمرها بالستر أي مع أنه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه * وفي لفظ قال يا عائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله فان كنت قارفت أي اكتسبت سوء مما يقول الناس فتوبي الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده * قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي أي ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لابي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال فوالله لا أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ قلت لابوي الا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والله لا ندري بماذا نجيبه فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقوني والله لا أجد لكم * وفي لفظ لا أجد لي مثلا الا قول أبي يوسف عليهما السلام أي والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه اذ يقول فصبر جميل والله المستعان أي وفي رواية كما في البخاري مثلي ومثلكم كيعقوب و بنيه والله المستعان على ما تصفون وفي لفظ انما أشكو بثي وحزني الى الله و بذلك استدل على جواز ضرب المثل من القرآن أيضا ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وما كنت أظن ان الله ينزل في شأني وحيا يتلى وفي لفظ قرآنا يقرأ به في المسجد ونصلي به ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في النوم يبرئني الله بها أي وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل علي والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يأخذه عند نزول الوحي أي من شدة الكرب فسجي أي غطي بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه * وفي لفظ قالت عائشة رضي الله عنها فأما انا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت لاني قد عرفت أني بريئة وان الله

غير ظالمي * وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ماسري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي وأخبر بما أخبر حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أي خوفا من أن
يأتي من الله تحقيق ما قال الناس فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سري عنه وهو يضحك وإنه ليتحدر منه العرق كالجمان وهي حبوب مدحرجة
تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكان أول
كلمة تكلم بها ياعائشة أما ان الله قد برأك فقالت أمي قومي اليه صلى الله عليه وسلم
فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله * وفي لفظ قال أبشري ياعائشة لقد أنزل
الله تعالى براءتك قلت نحمد الله لا نحمد أحدا قالت عائشة رضي الله عنها نزلت
تلك الآيات في يوم شات قالت وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم درعي فقلت
بيده هكذا أي أدفع يده عن درعي فأخذ أبو بكر النعل ليعلوني بها فمنعته فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أقسمت عليك لا تفعل * وفي رواية لما
أنزل الله براءتها قام اليها أبو بكر رضي الله عنه فقبل رأسها فقالت له هلا كنت
عذرتني فقال أي بنية أي سماء تظلني وأي ارض تقلني ان قلت بما لا أعلم ولا مخالفة
بين هذه الرواية وما قبلها لجواز أن يكون ما قبلها بعدها * وأنزل الله تعالى ان
الذين جاؤا بالافك الآيات العشر أي وفي تفسير البيضاوي الثمانية عشر قال
السهيلي وكان نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة أي من الغزوة
المذكورة بسبع وثلاثين ليلة في قول بعض المفسرين فمن نسبها رضي الله عنها الى
الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان في ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها
كافر وفي حياة الحيوان عن عائشة رضي الله عنها لما تكلم الناس في الافك رأيت
في منامي فتى فقال لي مالك قلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادعي يفرج الله عنك
قلت وما هي قال قولي ياسابغ النعم ويادافع النقم ويافارج الغمم وياكاشف
الظلم ويا أعدل من حكم وياحسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية
اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد أنزل الله فرجي
* قال بعضهم برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهل زليخة وبرأ موسى
عليه السلام من قول اليهود فيه ان له أدرة بالحجر الذي فر بثوبه وبرأ مريم بانطاق
ولدها وبرأ عائشة بهذه الآيات * وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه
أي كما تقدم ولفقره فحلف لا ينفق عليه أي فانه قال والله لا أنفق على مسطح أبدا
ولا أنفعه بنفع أبدا بعد ما قال لعائشة وأدخل علينا * وفي لفظ أخرجه من منزله
وقال له لا وصلتك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا فأنزل الله تعالى ولا يأتل

أولو الفضل أى الفضيلة والافضال منكم والسعة أى فى الرزق أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم * وعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه أما تحب أن يغفر الله لك قال أبو بكر رضى الله عنه والله انى لأحب أن يغفر لى فرجع الى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه وقال والله انى لا أنزعها عنه أبدا وفى معجم الطبرانى الكبير * وفى معجم النساءى أنه أضعف له النفقة التى كان يعطيه اياها قبل القذف أى أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أى وكفر عن يمينه * وبهذا وبما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها أن يأتى الذى هو خير ويكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على أن الافضل فى حق من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه أن يحنث ويكفر عن يمينه وهنا لطيفة وهى أن ابن المقرى رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله هذه الابيات

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرا * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

ووصف الله تعالى للصديق بأولى الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك فقد جاء أن عليا كرم الله وجهه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرم الله وجهه بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أولوا الفضل * وعنها رضى الله عنها أنها قالت لما استلبث الوحى عنه صلى الله عليه وسلم أى أبطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر رضى الله عنه من زوجها لك يا رسول الله قال الله تعالى قال أفتظن أن الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت ودعا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأسامة ابن زيد رضى الله عنهما ليستأمرهما فى فراق أهله أى تعنى نفسها فأما أسامة بن زيد

فقال أهلك أى الزم أهلك يارسول الله ولانعلم الاخيرا * وأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لقدران تستخلف وفى لفظ قد أحل الله لك فطلقها وانكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها أى لانها كانت تخدم عائشة اماقبل شرائها لها أو بعده وقبل عتقها لها فان عتقها لها كان بعد الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت بريرة والذى بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا أغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة أى أعيبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولاتخرج للمرعى وهى هنا الشاة فتأكله * وفى لفظ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فسألها فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول والله ما أعلم الا خيرا وماكنت أعيب على عائشة شيأ الا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام فتأتى الشاة فتأكله أى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها الا انه اتهمها فى أنها خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه هذا كلامه * والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة فقال أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ماعلمت عليها الا مايعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر * وفى الامتاع جاء صلى الله عليه وسلم لبريرة وسألها فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الاخيرا والله يارسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك * أى وبريرة هذه روى عنها عبد الملك ابن مروان فقد ذكر أنه قال كنت أجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل ان آتى الى هذا الامر يعنى الخلافة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق ان تلى هذا الامر يعنى الخلافة فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق * قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت فتقول يارسول الله أحمى سمعى وبصرى أى أصون سمعى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من أن أقول أبصرت ولم أبصر ماعلمت الا خيرا * أى وفى رواية حاشا سمعى وبصرى ماعلمت الا خيرا والله ما أكلمها وانى لمهاجرتها وما

كنت أقول الا الحق قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ تساميني أي تعادلني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المنزلة والمحبة عنده صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى * أي ولهذا جعلوا في النور أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وخديجة حيث قال والذي يظهر أن أفضلهن أي زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة رضي الله عنها في وصفها لم أر امرأة قط خيرا من زينب في الدين وأتقى لله واصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة أشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتقرب به الى الله ما عدا سورة أي حدة تسرع فيها الفئة أي ترجع عنها سريعا * قالت عائشة رضي الله عنها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عند استلباث الوحي وتأخره في الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق * وفي رواية فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرني أي ينصفني من رجل قد بلغني اذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان ما علمت عليه الا خيرا أي وزاد في رواية ولا يدخل بيتي * وفي لفظ بيتا من بيوتي الا وأنا حاضر ولا غبت في سفر الا غاب معي يقولون عليه غير الحق فقام سعد بن معاذ أي سيد الاوس فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية * وفي لفظ أجهلته الحمية وكان قبل ذلك رجلا صالحا أي لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة لاجلهم وحملته الحمية لهم على أن يجهل أي قال قول الجهل فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانفك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين أي والمراد بكونه منافقا أنه يفعل فعل المنافقين * ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك ان كان سمعه فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا الانه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا أعلم بشيء من ذلك * أقول فيه ان سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحسن رد سعد بن عبادة عليه بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر ان الاظهر عندي

أن ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه وانما أراد الانكار على ابن معاذ فى كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الاوس مع انه يظهر الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لاتقل مالاتفعل ولاتقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وانما انتصر أسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه الحالة العظيمة التى طلب صلى الله عليه وسلم فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار لظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان فى الباطن له مخلص هذا كلامه * ثم رأيت فى السيرة الشامية ان المتكلم أسيد بن حضير وأنه قال يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لاهل لان تضرب أعناقهم فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ماتضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الالانك قدعرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعنى الاوس ماقلت هذا أى لان عبد الله بن أبى بن سلول من الخزرج وكذا حسان بن ثابت رضى الله عنه بناء على انه كان من أصحاب الافك * وفى البخارى ان سعد بن معاذ قال ائذن لى يارسول الله أن أضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل أى من الخزرج فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ماأحببت أن تضرب أعناقهم وعلى هذه الرواية فلااشكال وقول البخارى وكانت أم حسان الى آخره يشعر بأن حسان لم يكن من الخزرج * وهو يخالف ماتقدم وماسيأتى من أنه من الخزرج الا أن يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون أمه منهم فليتأمل ولايخفى ان ذكر المنبر يخالف مافى الاصل من ان اتخاذ المنبر كان فى السنة الثامنة وقصة الافك كانت فى السنة الخامسة أو السادسة * وفى النور المراد بالمنبر شىء مرتفع قال والافالمنبر انما اتخذ فى السنة الثامنة أى فيكون المراد المنبر الذى اتخذ فى السنة الثانية كان من الطين والذى كان من خشب انما اتخذ فى السنة الثامنة وقدبينا ذلك مبسوطا والله أعلم ثم بعد نزول آيات الافك أى وهى ان الذين جاؤا بالافك عصبة الى قوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم * خرج صلى الله عليه وسلم الى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وأمر بجلد أصحاب الافك أى وهم عبد الله بن أبى ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وأخوها عبيد الله بالتصغير بن جحش ويقال له أبو أحمد كان ضريرا * أى وكان يدور مكة أعلاها وأدناها فى أى محل من غير قائد وكان

شاعرا وهو ابن عمة أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأما أخوها عبدالله مكبرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد بن رفاعة وفيه أنه تقدم انهم لما قدموا المدينة وجد وه قد مات الا أن يقال ان لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز أن يكون هو ذلك ويقال وحسان بن ثابت فجلدوا الحد وثمانون ❊وقال بعضهم وذكر سعد بن معاذ في هذه الرواية أي انه القائل أنا أعذرك وهم من بعض الرواة وانما التكلم بذلك أسيد بن حضير أي كما تقدم عن السيرة الهشامية لان سعد بن معاذ مات بعد بني قريظة ❊قال في الاصل لو اتفق أهل المغازى على أن غزوة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني المصطلق لكان الوهم لازما ولكنهم مختلفون ❊أقول أي فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التي هي غزوة بني المصطلق متأخرة عن بني قريظة ويذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم لما قال ابن اسحاق بأنها بعد بني قريظة روى عن عائشة بدل سعد بن معاذ أسيد ابن حضير ❊ قال في الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بني آدم وفيه ان مما يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم في شيء ما ذكره في الكتاب المذكور الذي هو الامتاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عبادة فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه ثم انصرفوا فمكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن عبادة في نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فأصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان وان ذكر سعد بن معاذ وقع في الصحيحين وغيرهما والله أعلم وذكر ان صفوان بن المعطل رضي الله عنه الذي كان الافك بسببه ظهر انه كان حصورا لا يأتي النساء أي لان معه مثل الهدبة أي عنين وقد قال الشيخ محيي الدين الحصور عندنا العنين أي ويدل له ما في البخاري أنه رضي الله عنه ما كشف كنف امرأة قط أي سترها لان الكنف الساتر وقد جاء في تفسير وصف يحيى بن زكريا بالحصور أنه صلى الله عليه وسلم أهوى الى الارض وأخذ قذاة وقال كان ذكره يعني يحيى عليه السلام مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه في الارتخاء وعدم الشدة ❊فلا يخالف ما قبله لكن في النهر الحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على ذلك أي وربما يؤيد ذلك ما جاء أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وامنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله انثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذي يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام

فالحصور وصف مذموم الا في يحيى عليه السلام خصوصية له دون غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية * قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من أثر دعاء والده زكريا عليهما السلام وهو انه لما شهد مريم منقطعة عن الازواج احب ان يرزقه الله ولدا مثلها أي منقطعا عن الزوجات فجاء يحيى عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما في انسان الجليل وكان يحيى عليه السلام لا يأتي النساء لانه لم يكن له ما للرجال كذا قيل وهو غير مرضي * وقد تكلم القاضي عياض رحمه الله في الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذي قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب لا يأتيها فكأنه حصر عنها وانه حصر نفسه عن الشهوات فمالها هذا كلامه فليتأمل أي وعلى الاول لا ينافي ذلك كون صفوان كان متزوجا لما تقدم ان زوجته شكته للنبي صلى الله عليه وسلم أي على ان ابن الجوزي نقل عن شيخه بن ناصر الدين رحمه الله ان صفوان رضي الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك * ومما دل على ان حسان رضي الله عنه لم يكن من أصحاب الافك تبرئه مما نسب اليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها منها

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذي قد زعمتم * فلا رفعت سوطي الى أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل

* ومن ثم قال بن عبد البر وقد أنكر قوم كون حسان رضي الله عنه خاض في الافك وانه جلد وجاء ان عائشة رضي الله عنها برأته من ذلك أي فقد ذكر الزبير بن بكار انه قيل لعائشة رضي الله عنها وقد قالت في حق حسان رضي الله عنه اني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هو ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه القائل

فان كان ما قد قيل عني قلته * فلا رفعت سوطي الى أناملي

وقد قال مثل هذا البيت أنس بن زنيم وقد بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لما بلغه صلى الله عليه وسلم انه هجاه فجاء اليه صلى الله عليه وسلم معتذرا وأنشده أبياتا منها

ونبي رسول الله أن قد هجوته * فلا رفعت سوطي الى أذن يدي

* لكن في رواية انها كانت تأذن لحسان بن ثابت وتلقي له الوسادة وتقول لا تقولوا

لحسان الاخير فانه كان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه وقد قال تعالى والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمى والعمى عذاب عظيم والله قادر على أن يجعل ذلك و يغفر لحسان ويدخله الجنة * وفيه انه سيأتى عن عائشة وغيرها ان الذى تولى كبره عبدالله بن أبى بن سلول كما تقدم الا أن يقال كبره مقول بالتشكيك والذى بلغ فيه الغاية عبدالله بن أبى بن سلول فليتأمل * وعن الزهرى قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالى وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذى تولى كبره جلس ثم قال يا أبا بكر من تولى كبره أليس على بن أبى طالب قال الزهرى فقلت فى نفسى ماذا أقول ان قلت لا لا آمن أن ألقى منه شرا وان قلت نعم جئت بأمر عظيم ثم قلت لنفسى لقد عودنى الله على الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير قال فمن يكرر ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن أبى بن سلول * ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك نحو ذلك فان سليمان بن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبد الملك فقال له يا أبا سليمان الذى تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبى قال كذبت هو على قال أنا أكذب لا أبا لك لو نادى مناد من السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت حدثنى عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة رحمهم الله عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت الذى تولى كبره عبد الله بن أبى وعن عائشة رضى الله عنها انه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وفى البخارى كانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فبهذا البيت يغفر الله تعالى له به وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركى قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن عمه صلى الله عليه وسلم وعمرو بن العاصى وضرار بن الحارث ولما أراد حسان رضى الله عنه أن يهجوهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان بن عمى فقال له والله لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له صلى الله عليه وسلم ائت أبا بكر فانه أعلم بانساب القوم منك فكان يجىء الى أبى بكر ليوقفه على أنسابهم فجعل حسان يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبى قحافة وعاش حسان رضى الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وعاش والده أيضا مائة وعشرين سنة وكذا جده ووالد جده * قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم

غيرهم ولم يشهد حسان مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا لانه كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن * ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذرارى فى الآطام وماوقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم فى أمر اليهودى الذى قتلته فى ذلك المكان وما قاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن ورد انكار بعض العلماء كونه جبانا قال اذلو مع ذلك لهجى به فانه كان يهاجى الشعراء وكانوا يردون عليه شاعره أحد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الذرارى فى الآطام ومنعته من شهود القتال هذا كلامه * وقد يقال على تسليم أنه لم يهج بالجبن يجوز أن يكون لكونه كان لايتأثر بوصفه بذلك * وذكر بعضهم ان حسان رضى الله عنه شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان أى وأظهرا تغايظ على صفوان بسبب اظهاره السلاح على حسان وضربه به فقال صفوان يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان احسن فيما أصابك قال هى لك * وفى رواية قال كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال له صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقد قبلت ذلك منك وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها حديقة له يقال لها بيرحا بفتح الراء فى الاحوال الثلاثة مع قصر ماقيل لها ذلك لان الابل يقال لها اذا وردت وزجرت عن الماء حاحا وفيه انه كان القياس أن يقال بيرحا بضم الراء فى حالة الرفع ومدها الا أن يقال المجموع اسم مركب وكانت هذه البئر لابى طلحة رضى الله عنه فتصدق بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعها حيث شاء ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم * أقول الذى فى البخارى كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر أنصارى بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وهى حديقة وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل بها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الى بيرحا وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث شئت فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح قد سمعت ماقلت فيها فقد قبلناها منك ورددناها عليك ورأى أن تجعلها فى الاقربين قال افعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه * وفى لفظ آخر فى البخارى قال صلى الله عليه وسلم لابى طلحة

اجعلها لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبي بن كعب * وفيه ان أبي بن كعب كان غنيا وبين في البخاري وجه قرابتهما من أبي طلحة فذكر ان حسان يجتمع مع أبي طلحة في الاب الثالث وأبي يجتمع معه في الاب السادس * وذكر بعضهم ان أبي بن كعب كان ابن عمه أبي طلحة * وفي الامتاع انه صلى الله عليه وسلم أعطى حسان تلك الحديقة وأعطاه سيرين جاريته أخت مارية أم ولده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم * وقد رويت سيرين هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا في قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه وأعطاه سعد بن عبادة رضي الله عنه بستانا كان يحصل منه مال كثير * وحاصل ما في الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان ان حسان رضي الله عنه لما قال

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كبروا * وابن القريعة أمسى بيضة البلد

* قال صفوان ما أراه الاعناني أي بالجلابيب وتقدم ان ابن سلول قد قالها في حق المهاجرين والقريعة بالقاف جدة حسان رضي الله عنه وقيل أمه وقريعة الشيء خياره وقريعة القبيلة سيدها واستعمل بيضة البلد في الذم بقرينة المقام والافكا تستعمل في الذم تستعمل في المدح يقال فلان بيضة البلد أي واحد في قومه عظيم فيهم فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو في نادي قومه الخزرج وضربه فلقي بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم انه حل وجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان رضي الله عنه يا رسول الله شهر على السيف في نادي قومي ثم ضربني ولا أراني الاميتا من جراحتي فقال صلى الله عليه وسلم لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ما تقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فاقبل على قومه ولامهم على حبسه فقالوا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله ان أحب الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عنه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالحق والله لا أبرح حتى يطلق فاستحى القوم وأطلقوه وأخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يا رسول الله قال من كساه قالوا سعد بن عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم حسان

رضى الله عنه فى العفو عن صفوان فقال يا رسول الله كل حق لى قبل صفوان فهو
لك فقال صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك ثم أعطاه صلى الله عليه وسلم
أرضا له وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم وأعطاه أيضا سعد بن عبادة
رضى الله عنه حائطا كان يحصل منه مال كبير عوضا عن حقه * وقيل انما أعطاه
سيرين لذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره فقد قال ابن عبد البر رحمه الله
أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين أخت مارية لحسان بن ثابت يروى
من وجوه وأكثرها ان ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم * قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته والى نحره وكذلك ابوه
وجده وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته على شعر لحلقه
أو شعر لحلقه وقد حد مسطح أيضا أى وقد روى أصحاب السنن الاربعة عن عائشة
رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم قال الترمذى
حسن غريب أى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان آخرهما عبد الله أبو أحمد بن
جحش ومسطح ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبى بن سلول لان الحد كفارة وليس من
أهلها * وقيل لانه لم تقم عليه البينة بذلك بخلاف اولئك * وقيل لانه كان لا يأتى
بذلك على أنه من عنده بل على لسان غيره وفى الطبرانى ومعجم النساءى عن عائشة
رضى الله عنها أن عبد الله بن أبى بن سلول جلد مائة وستين أى حد حدين * قال
عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبى أى ولعل المراد
انه يجوز أن يفعل به ذلك فلا ينافى ما تقدم من ان الحد كان ثمانين جلدة * وعن ابن
عباس رضى الله عنهما ما زنت وفى لفظ لم تبغ امرأة نبى قط * وأما قوله تعالى فى
امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه
انه لمجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على أضيافه قيل انما جاز أن تكون امرأة
النبى كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون فاجرة أى زانية
لان النبى مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منفر منفرهم
عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الفجور فمن أعظم النقصان وفى
الخصائص الصغرى ومن قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له ألبتة
كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص
القتل بمن قذف عائشة ويحد فى غيرها حدين وقد وقع أن الحسن بن يزيد
الداعى من أهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف و يأمر بالمعروف
وكان يرسل فى كل سنة الى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة

فحضر عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضي الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه يا غلام اضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه وعن كتاب الاشارات للفخر الرازي أنه صلى الله عليه وسلم في تلك الايام التي تكلم فيها بالافك كان أكثر أوقاته في البيت فدخل عليه عمر رضي الله عنه فاستشاره صلى الله عليه وسلم في تلك الواقعة فقال يا رسول الله أنا اقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة رضي الله عنها من الذباب لان الذباب لا يقرب بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف أهلك ودخل عليه صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه فاستشاره فقال له عثمان يا رسول الله أخذت براءة عائشة رضي الله عنها من ظلك اني رأيت الله تعالى صان ظلك ان يقع على الارض أي لان ظل شخصه الشريف كان لا يظهر في شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف بأهلك أي وقد أشار الى ذلك الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى * على الارض ملقى فانطوى لمزية

* وهنا لطيفة لا بأس بها وهي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودي فلما أراد المفارقة قال عبد الله رضي الله عنه لليهودي بلغني انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شيء من ذلك معي وأقسم عليه فقال ان أمنتني أخبرتك فأمنه فقال لم أقدر عليك في شيء أكثر من اني كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمي وفاء بأمر ديننا * ودخل عليه صلى الله عليه وسلم علي كرم الله وجهه فاستشاره فقال له علي كرم الله وجهه أخذت براءة عائشة من شيء هو أنا صلينا خلفك وأنت تصلي بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا قلت لا لان جبريل عليه السلام أخبرني أن في تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون بأهلك فسر صلى الله عليه وسلم بذلك * أي ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن خلع احدى نعليه في اثناء الصلاة لنجاسة بها واستمر في الصلاة وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه أنه قال لزوجته أم أيوب الا ترين ما يقال أي من الافك فقالت له لو كنت بدل صفوان

أكنت تهمسهم بسوء لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك * وفي السيرة الشامية ان أبا أيوب رضي الله عنه قالت له زوجته أم أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك * وجاء ان ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة رضي الله عنها في مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها لا تخافي فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم فغشي عليها من الفرح بذلك * لانها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه في حجري ولقد قبر في بيتي وان الوحي ينزل عليه في أهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحاف واحد وأبي رضي الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتي من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما * قيل وفي هذه الغزوة فقدت عائشة رضي الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أي فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه رجلين من المسلمين أي أحدهما أسيد ابن حضير فحضرت الصلاة أي صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد في رواية وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم * وهذا القيل نقله امامنا الشافعي رضي الله عنه عن عدة من أهل المغازي أي وعليه يكون سقط عقدها في تلك الغزوة مرتين لاختلاف القصتين باختلاف سياقهما والصحيح أن ذلك كان في غزوة أخرى أي متأخرة عن هذه الغزوة فعن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الافك ما قالوا خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي حتى احتبس التماسه الناس أي فانه صلى الله عليه وسلم بعث رجالا في طلبه * وهو لا يخالف ما سبق أنه صلى الله عليه وسلم أرسل في طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من أبي بكر رضي الله عنه ما شاء الله أي لأن الناس جاؤا لأبي بكر رضي الله عنه وشكوا اليه ما نزل بهم فجاء اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه الشريف على فخذها قد نام فقال لها حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجعل يطعن بيده في خاصرتها ويقول يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء قالت فلا يمنعني من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي أي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام

لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانهم لا يدرون ما يحدث له في نومه فقام حين أصبح * وفي لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى آية التيمم أي التي في المائدة ففي بعض الروايات فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية وقيل المراد بالآية آية النساء لان آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لاذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم وكلام الواحدي رحمه الله في أسباب النزول يدل عليه فقال أبو بكر عند ذلك والله يا بنية انك كما علمت مباركة أي وقال لها صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال أسيد ابن حضير ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر أي وفي رواية أنه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا * أي وهذا ربما يفيد تكرر وقوع ما تكرهه وأن في ذلك خيرا للمسلمين فليتأمل وفي لفظ قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم الا بركة لهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وانما قال أسيد بن حضير ما قال دون غيره لانه كان رأس من بعث في طلب العقد أي بل تقدم في بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير فوجدنا العقد تحته * أقول في النور اعلم أن العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لاختها أسماء استعارته وبهذا يجمع بين الاحاديث التي في المسألة هذا كلامه فليتأمل وينظر تلك الاحاديث ما هي أي وكون هذا العقد لاسماء اختها لا يخالف ذلك قولها عقدي لان الاضافة تأتي لادنى ملابسة أي فعقد اسماء كان في المرة الثانية وفي البخاري أيضا أن آية التيمم نزلت بعد ان صلوا بلا وضوء فعن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء رضي الله عنها قلادة فهلكت أي ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى آية التيمم وقد ترجم البخاري عن ذلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها يجوز أن يكون هذا الرجل هو الذي أقام البعير أو من جملة من أقامه فلا يخالف ما سبق مما يدل على ان الذين بعثهم في طلبه لم يجدوه ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات ان أسيدا كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمي في بعض الروايات دون غيره ولذا أسند الفعل الى واحد منهم وكأنهم لم يجدوا العقد أولا فلما رجعوا ونزلت آية التيمم وأرادوا الرحيل وأثاروا البعير وجده أسيد رضي الله عنه هذا كلامه * قيل وفي هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وأدركهم الليل بقرب واد وعر فهبط جبريل عليه السلام وأخبره صلى الله عليه وسلم أن طائفة

من كفار الجن بهذا الوادي يريدون كيده صلى الله عليه وسلم وايقاع الشر بأصحابه فدعا صلى الله عليه وسلم بعلي كرم الله وجهه وعوذه وأمره بنزول الوادي فقتلهم ❊ قال الامام ابن تيمية وهذا من الاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي كرم الله وجهه قال ابن تيمية ❊ ومن هذا ما روى في عام الحديبية أنه قاتل الجن في بئر ذات العلم وهي بئر في الجحفة وهو حديث موضوع عند أهل المغازي ❊ أي وجاء في سبب مشروعية التيمم غير ما ذكر في الطبراني عن أسلع قال كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحل له ناقته فقال لي ذات يوم يا أسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله أصابتني جنابة أي ولا ماء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بآية الصعيد أي التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسلع فتيمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ثم رحلت له حتى مر بماء فقال يا أسلع أمس هذا جلدك ❊ وفي الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالارض ثم مسحوا بأيديهم الى المناكب أي ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن هذه الرواية ❊ وفي هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب بالطاسات ويقولون سحر القمر

❊(غزوة الخندق)❊

ويقال لها غزوة الاحزاب أي وهي الغزوة التي ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان في قلوب أوليائه المتقين أي وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها أنه لما وقع اجلاء بني النضير من أماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيي بن أخطب أبو صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عامر الفاسق الى ان قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله أي ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد زاد في رواية فقال لهم لكن لا نأمنكم الا ان سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا ❊فقالت قريش لاولئك اليهود يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أديننا خير أم دين محمد فقالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ❊وفي رواية أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقالوا أنتم أهدى سبيلا لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية

وتعرون الله وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم أي فانتم أولى بالحق منه * فأنزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآيات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا * وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها أن لا يخذل بعضهم بعضا ويكونون كلهم يدا واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم رجل * وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله بأبيات ذم فيها اليهود ولعنهم الله بأمور بقوله

لا تكذب أن اليهود وقد زاغوا * عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا * غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ * ـل الا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ * ـوى وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون * فهي نار طباقها الامعاء
لو أريدوا في حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصـ * ـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات في تركهن ابتلاء

* أي لا تكذب أن اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤماء واللئيم الدنيء الاصل الشحيح النفس ومن عظيم لؤمهم أنهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش وورد أن اليهود قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا العجل الها يعبدونه ومن يفعل ذلك لا سفيه غيره ومن أرضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلوى والسلوى نوع من الطير سفيه بلا شك ملئت بالحرام كالربا بطون منهم فبطونهم نار لاشتمالها على ما يؤدي الى تلك النار طباق تلك النار المصارين ولو أراد الله لليهود في حال سبتهم الذي اختاروا تعظيمه على ما تقدم خيرا لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم خلق فيه النور فاختيار يوم السبت دون يوم الاربعاء لسبتهم أي سكونهم عما عدا العبادة دليل على أنه تعالى لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق العالم خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك أي ابتداء الخلق كان يوم الاحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله لا يقضي يوم السبت شيأ من خلق ولا رزق ولا رحمة ولا عذاب ولا أحياء ولا أماتة

ومن مات يوم السبت يكون محى اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو فى شان فكان فيه منهم ظلم وعدوان لاجل التصريف فيه بغير العبادة فسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتهم طيبات كانت حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم فكان فى ذلك ابتلاء لهم * وقال ابن حجر الهيتمى رحمه الله انه يجب استصحاب صوم يوم الاربعاء لما ذكر من أنه خلق فيه النور فليتأمل * ثم جاء أولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انا سنكون معكم وان قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش أى واتباعها من القبائل وغطفان أى واتباعها وقائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف ومعهم ثلثمائة فرس أى وألف أو خمسمائة بعير وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبى طلحة المقتول والده الذى هو طلحة يوم أحد كذا عمه أى عما عثمان بن طلحة وهما عثمان ابن أبى طلحة وأبو سعيد بن أبى طلحة وعثمان بن أبى طلحة هو أبو شيبة كما تقدم فشيبة ابن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم أحد أخوه عثمان بن طلحة الاربعة وهم مسافع بن طلحة والحارث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا أى الحامل لواء قريش أسلم بعد ذلك ويقال له الحجبى لانه كان من بنى عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنو عبد الدار كان لهم ولابيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة بن حصن الفزارى فى بنى فزارة أى وهم ألف * وتقدم ان عيينة أسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد اسلامه * وأخذ أسيرا فى زمن خلافة الصديق رضى الله عنه ثم أسلم * وكان قبل اسلامه يتبعه عشرة آلاف قناة وكان عنده جفوة وغلظة * ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى حقه انه الاحمق المطاع وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بنى مرة أى وهم أربعمائة الحارث بن عوف المرى وأسلم بعد ذلك أى وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بنى أشجع أبو مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة وأسلم بعد ذلك أى وقائد بنى سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم اسلامه أى وقائد بنى أسد طليحة بن خويلد الاسدى وأسلم بعد ذلك أى بعد أن كان ارتد بعد اسلامه ثم حسن اسلامه وكانت أشجع وبنى أسد تتمة العشرة آلاف * فقد قال بعضهم كانت الاحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك أمرها لابى سفيان أى المدبر لامرها والقائم بشأنها * ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى

الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس أى دعاهم وأخبرهم خبر عدوّهم وشاورهم فى أمرهم أى قال لهم هل نبرز من المدينة أونكون فيها فأشير عليه بالخندق * أى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوّفنا الخيل خندقنا علينا أى فان ذلك كان من مكائد الفرس * وأوّل من فعله من ملوك الفرس ملك كان فى زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فأعجبهم ذلك فضرب على المدينة الخندق أى وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساله ومعه عدة من المهاجرين والانصار فارتاد موضعا ينزله وجعل سلعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين أى وحمل التراب على ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدوّ قال واستعاروا من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل وكان من جملة من يعمل فى الخندق جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة وهو الذى تمثل به الشيطان يوم أحد وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى أى وسياق أسد الغابة يدل على ان هذا الذى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع لانه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة * ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه

اللهم لاعيش الاعيش الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

* قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير ألف ولام فقد غيره صلى الله عليه وسلم على ماهو عادته كما تقدم وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الاخره * فبارك فى الانصار والمهاجره

* وفى لفظ فأكرم الانصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم ان الاجر أجر الاخره * فارحم الانصار والمهاجره

زاد فى الامتاع

اللهم العن عضلا والقاره * هم كلفونى انقل الحجاره

* وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن الهى عضلا

والقاره أى والتغيير منه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الاخره * فارحم المهاجرين والانصره

وفى لفظ فانصر الانصار والمهاجره وأجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مابقينا أبدا

وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار جلدة بطنه الشريف

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام اذ لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

يمد بها صوته مكررا لها أبينا أبينا ولما بدأ صلى الله عليه وسلم بالحفر فى الخندق قال بسم الاله وبه بدينا بكسر الدال

ولو عبدنا غيره شقينا * ياحبذا ربا وحب دينا

وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال ماتقدم عنه فى بناء المسجد وهو هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر * وتقدم الكلام عليه وعلى انشاده الشعر فى الكلام على بناء المسجد أى ورأيت ان عمار بن ياسر رضى الله عنه حين كان يحفر فى الخندق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية أى كما تقدم له فى بناء المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتباطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل الى أهله من غير استئذان له صلى الله عليه وسلم * أى وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه أما انه نعم الغلام وغلبته عينه فنام فى الخندق فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه فقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عمارة أنا يارسول الله وهو عندى فقال رده عليه ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا واليه استند أئمتنا فى تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك واشتد على الصحابة رضى الله عنهم فى حفر الخندق كدية أى محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل أو أهيم أى رملا سائلا * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء ثم تفل عليه

ثم دعا بما شاء الله ان يدعو به ثم نضح ذلك الماء أى رشه على تلك الكدية ✽ قال بعض الحاضرين فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب أى الرمل ماترد فأسا ولا مسحاة وهى المجرفة من الحديد أى وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ينقلان التراب فى ثيابهما اذ لم يجدا مكاتل من العجلة وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منى فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى فقلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ما هذا الذى رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك ياسلمان قال قلت نعم قال اما الاولى فان الله تعالى فتح على بها اليمن واما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب واما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق ✽ قال وقد ذكران سلمان الفارسى رضى الله عنه تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله

لقد رقى سلمان بعد رقه ✽ منزلة شامخة البنيان

وكيف لا والمصطفى قد عده ✽ من أهل بيته العظيم الشان

✽ وانما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع حتى أصيب بالعين أصابه بالعين قيس بن صعصعة ثم لبط به أى بلام مضمومة فموحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجئة وتعطل عن العمل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل ويكفأ الاناء خلفه ففعل فكأنما نشط أى حل من عقال ✽ وفى لفظ فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوءه فى ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفأ الاناء خلف ظهره وذكر انه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان أخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح اليمن انى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها أى زاد فى رواية الحمر ثم ضرب الثالثة

فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فى مكانى هذا * أى وفى رواية انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل صلى الله عليه وسلم يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يارسول الله هذه صفتها أشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدى ياسلمان اه * أى وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا فأنزل الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الآية * وقيل فى سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب احد وكان المسلمون ثلاثة آلاف * أى وقال ابن اسحاق سبعمائة ووهم فى ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لاشك فيه ولا وهم وعسكرهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة أى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم أى وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم قال وكان صلى الله عليه وسلم يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما أى فانه مكث فى عمل الخندق بضعة عشر ليلة وقيل أربعا وعشرين ليلة أى وقيل عشرين ليلة وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الاقاويل وقيل أثبت الاقاويل انها كانت خمسة عشر يوما وبه جزم النووى رحمه الله فى الروضة وسائر نسائه صلى الله عليه وسلم فى بنى حارثة وجعل النساء والذرارى فى الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا أجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فممن أجازه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والبراء بن عازب رضى الله عنهم اه وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن * وفى كلام بعضهم كان أحد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف

صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأرسل سليطا وسفيان ابن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما فاأتي بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما في قبر واحد فهما الشهيدان القرينان وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الانصار لسعد بن عبادة وبعث مسلمة بن أسلم في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاث مائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذراري من بني قريظة أي لما بلغه صلى الله عليه وسلم انهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد كما سيأتي أي وأنهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيي بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة * وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على الذراري أشد من الخوف على أهل الخندق * ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها * وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما ويغدو عكرمة ابن أبي جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويتفرقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم يرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا وفي تلك المدة أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله أي اندقت عنقه * أي وفي لفظ واما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا * وقيل رمي بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه علي كرم الله وجهه فقتله أي ضربه بالسيف فقطعه نصفين وكبر ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية على أن تدفعه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب أي غرض لنا في ديته * وقيل اعطوا في جثته عشرة آلاف أي وفي رواية أنهم أرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم أن ارسل الينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في جثته ولا في ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية وفي لفظ انما هي جيفة حمار ثم ان عدو الله حيي بن أخطب سيد بني النضير كان يقول لقريش في مسيره معهم ان قومي بني قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون

مقالاً فقال له أبو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك خرج حيي لعنه الله حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فأبى أن يفتح له وألح عليه فى ذلك فقال له ويحك يا حيي انك امرؤ مشوم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال له ويحك افتح لى أكلمك فقال ما أنا بفاعل فغاظه فقال له والله ما أغلقت دونى الا تحوفا على جشيشك أى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش أن آكل معك منها ففتح له وقال له ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى فانى لم أر فى محمد الا صدقا ووفاء * وفى لفظ جئتنى بجهام أى سحاب قد هراق ماءه أى لا ماء فيه يرعد ويبرق وليس فيه شىء ويحك يا حيي دعنى وما أنا عليه فلم يزل حيي بكعب حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت الى قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه ويصيبه ما أصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن باطا وشاس بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلجم الامر لما أراد الله من هلاكهم وكان حيي بن أخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش * فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك وأرسل سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وأرسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير وأسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه دون القوم أى ورّوا وكنوا فى كلامكم بما لا يفهمه القوم أى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والافاجهروا بذلك بين الناس فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما ان اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير

الحديث ماكان لخنافخرجوا حتى أتوابني قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه أي وقيل سعد بن عبادة أي وكان فيه حدة وشاتموه أي ولا مانع من وجود الامرين وقال سعد ابن معاذ لسعد بن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى أي أقوى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنوا له عن نقضهم العهد أي قالوا عضل والقارة أي غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع وسيأتي خبر ذلك في السرايا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أي وقال ابشروا يا معاشر المسلمين بنصرة الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم اضطجع ثم رفع رأسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره * أي ولعل هذا أي ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتي بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للامر فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمرو بن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان بن ثابت * أي وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب * واتفق أن يهود جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان يا حسان لا آمن هذا اليهودي أن يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله فقال حسان رضي الله عنه يا بنت عبد المطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل فقال يا ابنة عبد المطلب مالي بسلبه حاجة * أي وهذا يدل على ما قيل ان حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف الى بني قريظة قال رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبي وأمي أخرجه الشيخان * أي وفي كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضي الله عنه أنه قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين يوم أحد ويوم بني قريظة فقال ارم فداك أبي وأمي وقال ولعل ذلك كان في أحد ان لكل نبي حواري وان حواري

الزبير * وقال الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي ويذكر أن الزبير رضي الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يا رسول الله أي نعيم نسأل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة وصيا على أولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أي خبر نقض بني قريظة العهد ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لانهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وأنزل الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فأنزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحارث بن عوف المري في أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفيين من أبي سفيان فوافقا على ذلك أي بعدان طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة أي وفي رواية أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوقع الصلح على ذلك بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أمرا تحبه فتصنعه أم شيأ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيأ تصنعه لنا أي وفي لفظ ان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأي فما لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا لاني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم أي غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة الا قرى أو بيعا أي وان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا

له وأعزنا بك وبه نعطعهم أموالنا * أى وفى لفظ نعطى الدنية ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة أى وهذا انما يناسب الرواية الاولى وكذا ما جاء فى لفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحارث ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته ثم قال لسعد ليجهدوا علينا ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا * أى وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به وفيهم عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبى وهب أى وهو زوج أم هانىء أخت على كرم الله وجهه رضى الله عنها وأبو أولاد ها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن ود * أى قيل ونوفل بن عبد الله وكان عمرو بن ود عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام على كرم الله وجهه وقال انا له يا نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو بن ود * ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزن لى رجلا وأنشد أبياتا منها

لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ان الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

* فقام على كرم الله وجهه فقال انا له يا رسول فقال اجلس انه عمرو بن ود ثم نادى الثالثة فقام على كرم الله وجهه فقال انا له يا رسول الله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد سيدنا على أبياتا منها

لا تعجلن فقد أتاك مجيب قولك غير عاجز * ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز

* وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه * أى وفى لفظ اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين زاد فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى الحديث فمشى اليه على كرم الله وجهه فقال له يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أى خصلتين الا أخذتها منه قال له أجل أى نعم فقال على كرم الله وجهه فأنا أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك قال له على فانى أدعوك الى البراز * قال وفى رواية انك كنت تقول لا يدعونى أحد الى واحدة من ثلاث

الا قلتها قال أجل فقال علي فاني أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي اخرعني هذه قال وأخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صلى الله عليه وسلم صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي فانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم * قال فالثالثة ماهي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن ان أحدا من العرب يروعني بها اه ثم قال له عند طلب المبارزة لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي كرم الله وجهه ولكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك أي أخذته الحمية * وفي رواية أن عمرا قال له من أنت أي لان عليا كرم الله وجهه كان مقنعا بالحديد قال علي قال ابن عبد مناف قال أنا علي بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فاني أكره أن أهريق أي أسيل دمك وزاد في رواية فان أباك كان لي صديقا أي وفي لفظ كنت له نديما فقال علي وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب فقال له علي كرم الله وجهه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأقبل على علي كرم الله وجهه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي كرم الله وجهه على حبل عاتقه أي وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا كرم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله أي وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال قتل علي لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين * قال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا من الاحاديث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء قال بل ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة * أقول ويرد قوله ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة قول الاصل وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه أي ويرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلاله بقوله وكيف يكون الى آخره فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفي تفسير الفخر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله

وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا علي قال وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم وفي كلام السهيلي رحمه الله ولما أقبل علي كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله وهو متهلل قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها قال اني حين ضربته استقبلني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي ان أسلبه هذا كلامه وعندي أن هذا اشتباه من بعض الرواة لان هذه الواقعة لعلي كرم الله وجهه انما كانت في يوم أحد مع طلحة بن أبي طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد أحدا كما تقدم عن الاصل فليتأمل * قال وذكر ابن اسحاق أن المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو ورجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضي الله عنه وضرب نوفل ابن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد أي وفيه أنه تقدم ان نوفل بن عبد الله وقع في الخندق اندقت عنقه الى آخر ما تقدم * لكني رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل في الخندق ورميه بالحجارة وقتل علي كرم الله وجهه له في الخندق غريب من وجهين فليتأمل * وحمل الزبير رضي الله عنه على هبيرة بن أبي وهب وهو زوج أم هانىء أخت علي بن أبي طالب كما تقدم فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس أي جعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه وهو منهزم انتهى * أي وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن أبي وهب على علي كرم الله وجهه فأقبل علي عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها * وذكر ان ضرار ابن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد في أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر رضي الله عنه بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لي عندك غير مجزي بها فاحفظها أي ووقع له مع عمر رضي الله عنه مثل ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر رضي الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار فأسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون أي ولعل المراد بالمسلمين الانصار * فلا يخالف ما في الامتاع وكان شعار المهاجرين يا خيل الله وفيه خرجت طائفتان للمسلمين

ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يعقلون الا انهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف بعضهم عن بعض * وقد يقال يجوز ان تكون الطائفتان كانتا من الانصار وجاؤا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم في سبيل الله ومن قتل فهو شهيد * وبهذا استدل أئمتنا على ان من قتله مسلم خطاء في الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذي يقال له المشترك * أي ويقال لهذا العرق عرق الحياة أي رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب عرقها او قال خذها وأنا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال عرق الله وجهه في النار وقيل قائل ذلك سعد رضي الله عنه وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعني قريشا فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني * وفي لفظ حتى تشفيني من بني قريظة * وفي لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لا قوم أحب الي ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه * وفي يوم استمرت المقاتلة قيل من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا احد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أي وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته وأمر بلالا فأذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو وأصحابه مافاتهم من الصلوات وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء * أقول في الرواية الاولى ما يشهد لقول امامنا الشافعي يندب أن يؤذن للاولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذا قضاها متوالية وكونه يؤذن للاولى من الفوائت هو ماذهب اليه في القديم وهو المفتى به * وفي الرواية الثانية دليل على انه يؤذن لكل من الفوائت اذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه مرسلا لانه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه * وروى امامنا الشافعي رضي الله عنه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى أي طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام الظهر فصلاها كما كان يصلي ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك

أي وفي لفظ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها رهو دليل لعد مذهب الاذان للفائتة وهو ماذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه في الجديد وهو مرجوح وجمع الامام النووي في شرح المهذب بين رواية الى الليل ورواية حتى ذهب هوى من الليل بأنهما قضيتان جرتا في أيام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما أي على ماتقدم وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لاخفاء فيه لان في الاولى وفي يوم استمرت المقاتلة الى الليل وفي الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن انهما قضية واحدة حتى يحتاج الى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الاربع صلوات بوضوء واحد وبه صرح البغوي في تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين مايأتي في فتح مكة وروى الطحاوي واستدل به مكحول والاوزاعي على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ان الشمس ردت له صلى الله عليه وسلم بعدماغربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر * وذكر الامام النووي في شرح مسلم أن رواته ثقات وفي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ماصليتها يعني العصر فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ماغربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضي انه لم يفته الا العصر وانه صلاها بعد الغروب * قال الامام النووي رحمه الله وطريق الجمع أن هذا كان في بعض أيام الخندق وكون صلاة العصر هي الوسطى قد جاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم * وفي لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذي في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وكون الوسطى هي صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطي في مؤلف له سماه كشف الغطاء عن الصلاة الوسطى وفي الينبوع أن كون الصلاة الوسطى هي العصر هو الذي أعتقده والله أعلم * قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال أحد منكم علم أني صليت العصر قالوا يارسول الله ماصليناها أي لانحن ولا أنت فأمر المؤذن فأقام الصلاة فصلى العصر ثم أعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا انتهى * أقول يحتاج الى الجواب عن أعادة المغرب وقد يقال أعادها مع الجماعة وأن قوله فان خفتم فرجالا أو ركبانا يرشد الى ان المراد بصلاة الخوف شدته لاصلاة ذات الرقاع التي

نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية كما تقدم فلا ينافي ما تقدم في صلاته في ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التي هي غزوة الخندق وحينئذ يدفع الاستدلال على ان ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أي صلاة ذات الرقاع والا لصلاها في الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها الساعات أن المراد بصلاة الخوف التي لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول بأن الآية التي نزلت في صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة في الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا انهم لا يأمنون هجوم العدو عليهم فلو صلاها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها أمن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف اما ان يلتحم فيها القتال أو يخافوا هجوم العدو ✽ وقول بعضهم ان ابن اسحاق وهو امام أهل المغازي ذكر انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعسفان وذكر انها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لان صلاة عسفان انما كانت في الحديبية كما سيأتي وعلى تسليم أن صلاة عسفان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الامن من هجوم العدو والله أعلم ✽ قال ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا وتمرا وتبنا حملها اذ ذاك حيي بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم قطع بنا ما نجد ما نحمل عليه اذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشوهم أي تقاربوا منهم ساعة وكان في أولئك المشركين وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة أي الاغارة فأقام المسلمون في شدة من الخوف أي وفي الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أي وقام في الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أي السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله تعالى ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي وقال له المسلمون رضي الله عنهم

هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا فأتاه جبريل عليه السلام فبشره أن الله يرسل عليهم ريحا وجنودا واعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا وجاء أن دعاءه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور في وجهه صلى الله عليه وسلم أي ومن ثم كان جابر رضي الله عنه يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ويتحرى ذلك والاحاديث والآثار التي جاءت بذم يوم الاربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذي أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة في الخندق والثلمة الخلل في الحائط ❊ فعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته في حضني فاذا دفىء خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى ان تؤتى الناس الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضني صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه سعد يا رسول الله أتيتك أحرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم في قبته يصلي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ❊ ومن ثم لما نعي لابن عباس أخوه قثم وهو في سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما بالجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى صلى الله عليه وسلم يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا في نفر حول قبتك يا رسول الله وكان ألزم الناس بقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ليلا فقال يا رسول الله اني أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت ❊ قال وفي رواية ان نعيما لما صارت الاحزاب سار مع قومه أي غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به
حق فأسلم انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد
فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة أي
ينقضي أمرها بالمخادعة فقال له نعيم يا رسول الله اني أقول أي ما يقتضيه الحال
وان كان خلاف الواقع قال قل ما بدا لك فأنت في حل فخرج نعيم رضي الله عنه
حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما فقال فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا علي الطعام
والشراب فقلت اني لم آت لشيء من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم
برأي يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست
عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عني قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع وبني
النضير من اجلائهم * وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد
بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لا تقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره
وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أي عاونتموهم
عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة أي فرصة أصابوها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولا طاقة
لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم الى سبعين
رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أي يقاتلوه قالوا له
لقد أشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا
عني قالوا نفعل * ثم خرج رضي الله عنه حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان
ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وانه قد بلغني أمر
قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود بني
قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد أي من نقض عهده وقد أرسلوا
اليه أي وانا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين
قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أي سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب أعناقهم أي
وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارهم يعنون بني النضير ثم نكون معك على من بقي
منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يطلبون منكم رهنا من
رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا
عني ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج رضي الله عنه حتى أتى غطفان
فقال يا معشر غطفان انكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس الي ولا أراكم تتهموني

قالوا صدقت ما أنت عندنا بتهم قال نا كتموا على قالوانم فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم * فلما كان ليلة السبت أرسل أبوسفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز أي نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم أي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت * وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا أي سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم * وفي رواية ان بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والرأى أن تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنهم لا يخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردلهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا مني عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم أي وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة فلم يجدمنهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وبعث الله تعالى ريحا عاصفا أي وهي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فنقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم * وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم * أي وأرسل الله اليهم الملائكة زلزلتهم قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب وقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه اختلاف كلمتهم * وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح في أصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتي أنها لم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة * أي من العدو لانها مما يلي المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا أن نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الا ثلاث مائة وقال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير رضي الله عنه انا قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بما ذكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير أي وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر

بنى قريظة هل نقضوا العهد أولا كما تقدم * وسيأتى قول ذلك له أيضا فى خيبر
و فى الحديث حوارى الزبير من الرجال وحوارى من النساء عائشة وفى رواية
انه صلى الله عليه وسلم قال أى من الرجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع
أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة * و فى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ
يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع
والبرد فدعا صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان قال فلم أجد بدا من القيام حيث
نوه باسمى فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت
لا والذى بعثك بالحق ان قدرت أى ماقدرت على مابى من الجوع والبرد والخوف
فقال اذهب حفظك الله من امامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى
ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى وقال يا حذيفة اذهب
فادخل فى القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى
احتملت احتمالا وذهب عنى ما كنت أجده من الخوف والبرد وعهد لى الله عليه
وسلم الى أن لا أحدث حدثا وفى رواية أما سمعت صوتى قلت نعم قال فما منعك
أن تجيبنى قلت البرد قال لا برد عليك حتى ترجع كما دل على ذلك الرواية الآتية
فقال ان فى القوم خبرا فأتنى بخبر القوم قال * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما
كرر قوله الا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر
رضى الله عنه يارسول الله حذيفة قال حذيفة فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما على جنة من العدو والبرد الا مرطا الامرأتى ما يجاوز ركبتى وأنا جاث على ركبتى
فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة
رضى الله عنه فتقاصرت بالارض قلت بلى يارسول الله قال قم فقمت فقال انه كائن
فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم فقلت والذى بعثك بالحق ماقمت الاحياء منك من
البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى فقلت والله مابى أن أقتل
ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمضيت كأنى أمشى فى حمام مأخوذ من
الحميم وهو الماء الحار ووعر بى قال حذيفة فلما وليت دعانى فقال لا تحدثن شيأ
* وفى رواية لا ترمى بسهم ولا بحجر ولا تضربن بسيف حتى تأتينى فجئت اليهم
ودخلت فى غمارهم فسمعت أبا سفيان يقول يامعشر قريش ليتعرف كل امرىء منكم
جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيد جليسى على يمينى وقلت من
أنت فقال معاوية بن أبى سفيان وقبضت بيد من على يسارى وقلت من أنت قال

عمرو بن العاصي فعلت ذلك خشية ان يفطن بي * فقال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فحل عقاله بيده الا وهو قائم أي فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله نقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن ان نطلب فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر * قال حذيفة رضي الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حين بعثني أن لا أحدث شيأ لقتلته يعني أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستداروا راجعين الى بلادهم وفي رواية فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا يجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم * قال حذيفة ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلي فخبرته فحمد الله تعالى وأثنى عليه أي وفي رواية فأخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد فجعلت أقرقف فأومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أي طلوع الفجر فلما ان أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أي يا كثير النوم لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من برد حتى ترجع الى أي ومن هذا أي ارسال حذيفة رضي الله عنه وما تقدم أي من ارسال الزبير رضي الله عنه تعلم ان ذلك كان في الخندق ولا مانع منه لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده صلى الله عليه وسلم من جملة ذلك كون الزبير رضي الله عنه كان عنده حدة وشدة لا يملك نفسه ان يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة رضي الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا لا لكشف أمر قريش وحذيفة رضي الله عنه ذهب لكشف أمر قريش هل ارتحلوا أولا وقد اشتبه الامر على بعض

الناس فانهما قضية واحدة فليتأمل ذلك وكان يقال لحذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يعلمه غيره * فقد قال حذيفة رضى الله عنه لقد حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة أى وتقدم ان ابن مسعود رضى الله عنه كان يقال له ايضا صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد ذكر ابن ظفر فى ينبوع الحياة فى تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها هبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا وسمع فى ارجاء أى نواحى معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أى من الملائكة فصار سيد كل حى يقول لقومه يا بنى فلان هلموا الى فاذا اجتمعوا قال النجا النجا فارتحلوا هرابا فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم أى والصبا هى الريح الشرقية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قالت الصبا للشمال اذهبى بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهى الريح الغربية وحين انجلاء الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا وانصرف صلى الله عليه وسلم لسبع ليال من ذى القعدة أى بناء على انها كانت فى القعدة وهو قول ابن سعد * وقيل كانت فى شوال وكان ذلك سنة خمس أى كما قاله الجمهور قال الذهبى وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد وقيل سنة أربع وصححه الامام النووى فى الروضة * قال بعضهم وهو عجيب فانه صح ان غزوة بنى قريظة كانت فى الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق أى وفيه انه يجوز ان تكون بنو قريظة أوائل الخامسة والخندق أواخر الرابعة وتكون فى ذى الحجة واستدل من قال ان الخندق كانت سنة أربع بما صح عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه فيكون بينهما سنة واحدة أى وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع * وقال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ابن عمر رضى الله عنهما فى أحد كان أول ما طعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه الى ذلك البيهقى وحينئذ يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات فى هذه الغزوة فى مدة حفر الخندق غير ما تقدم

ان بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها أي عبد الله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغذيا بها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسطت له ثم قال لانسان عنده اصرخ في أهل الخندق أن هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب أي فان أهل الخندق أصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لانذوق زادا وربط صلى الله عليه وسلم الحجر على بطنه من الجوع ❊ أقول أورد ابن حبان في صحيحه لما أورد الحديث الذي فيه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا مالك تواصل يارسول الله قال اني لست مثلكم اني أبيت يطعمني ربي و يسقيني قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ماورد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لانه كان يطعم و يسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج الى شد الحجر على بطنه ❊ قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاي وهو طرف الازار فصحفوا وزادوا لفظ من الجوع ❊ وأجيب بأنه لا منافاة كان صلى الله عليه وسلم يطعم ويسقى اذا واصل في الصوم أي يصير كالطاعم والساقي مكرمة له ولا يحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع في بعض الاحايين على وجه الابتلاء الذي يحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم وان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لما علم مابه صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر فقلت انا لله وانا اليه راجعون فأقبل الناس معه أي بعضهم فجلس صلى الله عليه وسلم فأخرجناها اليه فبرك ثم سمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا أي وذهبوا الى الخندق و جاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وقال ❊ وفي رواية أن جابرا رضي الله عنه لما رأى مابه صلى الله عليه وسلم من الجوع استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف الى بيته فأذن له قال جابر فجئت لامرأتي وقلت لها اني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا أفعندك شيء فقالت عندي صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم في برمة فلما أمسينا جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته وقلت له طعيم لي فقم أنت يارسول

الله ورجل أو رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه في أصابعي وقال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا أي ضيافة فحيهلا بكم أي سيروا مسرعين وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس قال جابر رضي الله عنه فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله والله انها الفضيحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة عشرة أي بعد ان أخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد صلى الله عليه وسلم الى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث أي ومجيء القوم كان على الوجه المتقدم وان أم عامر الاشهلية أرسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في القبة عنده أم سلمة رضي الله عنها فأكلت أم سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا منها وهي كما هي ※ وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لاربعة عشر رجلا من الملاحير رغيفا واحدا فأكلوا منه كلهم وشبعوا ※ قال وقدمت مرة الطاجن الذي نعمله في الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا ※ وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوي رحمه الله ونفعنا ببركاته وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروي فتسامع مجاورو الجامع الازهر بمجيئه وأتوا زيارته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر في الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذي أفعله لي ولزوجتي فقال له لا تعرف شيأ حتى أحضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى أن كفى من في الزاوية ومن في الزقاق وهذا شيء رأيته بعيني هذا كلامه ولا بدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الاولياء معجزات للانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الولي انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به هذا كلامه ※ قال وأرسل أبو سفيان كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فاني أحلف باللات والعزى أي واساف ونائلة وهبل كما في لفظ لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود اليك أبدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق ※ أي وفي لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد فأرسل له صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب كذا

في كلام سبط ابن الجوزي فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ما ذكرت أنك سرت الينا وأنت لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب انتهى

(غزوة بني قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله عنه كما تقدم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة * أي وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها وقيل زينب بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل أي غسل شق رأسه الشريف * وفي رواية بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه * أي وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة أي سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مرخ منها بين كتفيه * وفي رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة أي شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أي أحمر * وفي رواية جاءه على فرس أبلق فقال أو قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل عليه السلام ما وضعت السلاح * وفي رواية ما وضعت ملائكة الله السلاح بعد * قال وفي رواية أنه قال يا رسول الله ما أسرع ما حللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك أي من يعذرك * وفي لفظ غفر الله لك أو قد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فوالله ما وضعناه * وفي لفظ ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعني الاحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى أي حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم زاد في رواية بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون زاد في رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصحابي جهدا فلو انظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الانصار * وفي البخاري عن أنس قال كأني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم * موكب جبريل عليه السلام حين سار لبني قريظة والموكب

بكسر الكاف اسم لنوع من السير وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بيناهو عندي ادق الباب * اي وفي رواية نادى منادأي في موضع الجنائز عذيرك من محارب (٥) أي من يعذرك فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت في أثره فاذا رجل على دابة والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبي قال ذاك بكسر الكاف جبريل عليه السلام أمرني أن أمضي الى بني قريظة * أي وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا أي وهو بلال كما في سيرة الحافظ الدمياطي فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر * أي وفي رواية الظهر الابني قريظة قال في النور والجمع بينهما أن الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم دون بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا في بني قريظة وقال للذين صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وفي رواية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ منادياياخيل الله أي يافرسان خيل الله اركبي ثم ساراليهم قال وقد لبس صلى الله عليه وسلم السلاح الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالمهمل وقيل ركب حمارا وهواليعفور عريانا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه برايته الى بني قريظة أي وفي رواية دفع اليه لواء وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مرعلى بغلة بيضاء أي وفي رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم أي وحق أزواجه أي فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى

على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته * قال وفى رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أى وهو ما عبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون ويقولون ماقلنا انتهى ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا * أى وفى لفظ ما كنت فاحشا * وفى رواية تقدمه صلى الله عليه وسلم الى يهود أسيد بن حضير رضى الله عنه فقال لهم يا أعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وحاروا أى خافوا قال لا عهد بينى وبينكم وتقدم أسيد الى بنى قريظة يجوز أن يكون قبل مقدم على لهم ويجوز أن يكون بعده وانما قال لهم يا اخوان القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيدا لسمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وقد أمرهم أن يتفرغوا لعبادة ربهم فى ذلك اليوم وكان ذلك فى زمن داود عليه السلام فلما مسخوا خرجوا من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمشوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون ثم ماتوا وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد ولا تناسل * وفى الكشاف قيل ان أهل أيلة أى وهى قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم للناس آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى هذا كلامه فليتأمل فمكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون فماتوا ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبنى قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد عشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة أى وبعضهم قال نصلى ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها

فى أماكنهم ثم سار وا (ه) فاعابهم الله فى كتابه ولاعنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان كلا من الفريقين تأول * قال فى الهدى كل من الفريقين مأجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الامر وهو دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب * وادعى ابن التين رحمه الله ان الذين صلوا العصر صلوها على ظهور دوابهم قال لانهم لوصلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع تقرب أفهامهم * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر لانه لم يأمرهم بترك النزول ولم أر انهم صلوا ركبانا فى شىء من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضى أنهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل شهرا * وكان طعام الصحابة التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه أى يجاء به من عنده * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر (ه) حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه أى كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أى يقاتلهم قال كبيرهم كعب ابن أسد يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم * قال وزاد فى لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بنى اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشوم الا من هذا الجالس يعنى حيى ابن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الاول والآخر أى التوراة والقرآن أى وكان يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم ذلك قالوا لانفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك

و راء نا نسلا أى ولدا نخشى عليه وان نظفر فلعمرى لنجدن النساء والابناء قالوا
نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة
السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد
وأصحابه غرة أى غفلة فقالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا
من قد علمت وأصابه مالم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم
محمدا فيما خالفتموه أى عاهدتموه عليه ولم أشرككم فى غدركم فان أبيتم ان تدخلوا معه
فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدرى يقبلها أم لا قالوا ونحن لا نقر
للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك قال فانى برئ منكم وخرج
فى تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد
ابن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام
وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو وقيل وجدت رمته وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبره فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وفى لفظ انه قال لهم قبل ان يقدم
النبى صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بنى قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا
بنى النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأى الفاضل والعقل قد
تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا
على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع ببنى قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فلم
يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم
قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبى وقد
بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسبى والجلاء ثم أقبل على كعب
ابن أسد وقال والتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز
والشرف فى الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة النبى صلى الله عليه وسلم قد
حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم أى وبعد الحصار قيل ارسلوا نباش بن
قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من ان
لهم ما حملت الابل الا الحلقة فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يحقن دماءهم
ويسلم لهم نساءهم والذرية فارسلوه ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من
الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش اليهم بذلك اه ثم انهم بعثوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة أى وهو رفاعة بن المنذر لنستشيره
فى أمرنا أى لانه كان من حلفاء الاوس وبنو قريظة منهم وفى لفظ وكان أبو لبابة

مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم
اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش أى أسرع اليه النساء والصبيان يبكون
فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة ترى أن ننزل على
حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى
أن لا ننزل الا على حكمه * قال فانزلوا وأومأ الى حلقه ويروى انهم قالوا له ما ترى
أننزل على حكم سعد بن معاذ فأومأ أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا
قال أبو لبابة رضى الله عنه فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت
الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم
أنزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية أى وقيل نزل وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم الآية وهذا
أثبت من الاول وقد يقال كلاهما نزل فيه تلك الآية فى توجه اللوم عليه وهذه
فى توبته لا يقال هى ليست نصا فى توبة الله عليه لانا نقول الترجى فى حقه تعالى
أمر محقق وعن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسألوه ان يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب الى حلفائك فانهم أرسلوا
اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسيد فقال يا أبا بشير قد عرفت
ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه
فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا
ما ترى قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى
حلقه بالذبح فندمت واسترجعت فقال لى كعب ما لك يا أبا لبابة فقلت خنت الله
ورسوله فنزلت وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده أى وهى السارية
ويقال لها الاسطوانة وهى التى كانت عند باب أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه
وسلم فى حر شديد * وقيل الاسطوانة المخلقة التى يقال لها اسطوانة التوبة والاول
أثبت وكانت تلك الاسطوانة أكثر تنفله صلى الله عليه وسلم عندها * وكان
ينصرف اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن لا بيت له
الا المسجد فيجىء اليهم صلى الله عليه وسلم ويتلو عليهم ما أنزل من ليلته ويحدثهم
ويحدثونه وكان ارتباطه بسلسلة ربوض أى ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما
ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة
أبدا * ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا * فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه

وسلم خبره * وكان قد استبطأه قال اما وبجاءني لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفي كلام البيهقي وأورده في الدرآن ارتباطه انما كان لتخلفه عن تبوك فقد ذكر انه لما أشار بيده الى حلقه وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسبت ان الله غفل عن يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك كان أبولبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجع جاءه أبولبابة يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع أبولبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك بعضهم فقال وأغرب من ادعى ان أبالبابة انما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة * وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن أخطب ولا يخالف هذا ما قيل انهم كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة * وقيل كانوا أربعمائة مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون ما زاد على ذلك كانوا أتباعا لا يعدون وأخرج النساء والذرارى من الحصون وجعلوا ناحية أي وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الاوس وقالوا يارسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج من الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول * وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله ابن أبي بن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أي فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى أن يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يامعشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد بن معاذ أي وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ أي وهو رضي الله عنه سيد الاوس حينئذ كما تقدم * وقيل انهم قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم * أي وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد في خيمة رفيدة رضي الله عنها * وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب أي لان رفيدة رضي الله عنها كان لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم

عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه وهو ساكت * فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه * فلما انتهى سعد رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم أي زاد في رواية فأنزلوه فقال عمر رضي الله عنه السيد هو الله * وفي رواية الى خيركم أي معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار أو معاشر الانصار فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم * وفي رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم بهم كما حكمت قالوا نعم وعلى من ههنا مثل ذلك * وأشار الى الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أي * وفي لفظ فقال سعد لبني قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال * وفي لفظ ان يقتل كل من جرت عليه الموسى وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخوتنا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال اني أحببت ان يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أي السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجاء في الصحيح من فوق سبع سموات والمراد شأن هذا الحكم العلو والرفعة قد طرقني بذلك الملك سحرا * ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجمع ما وجد في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألفا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع والفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاثا كثيرا وآنية كثيرة وأجمالا نواضح أي يستقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك أي مع النخل والسبي حتى الرثة وهو السقط من أمتعة البيت خمسة أجزاء فخص أربعة أسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة أسهم أي سهم له وسهمان

لفرسه وللراجل سهما * قال بعضهم وهو أول فئ وقعت فيه السهام ورضخ للنساء اللاتى حضرن القتال وهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم عمارة وأم سليط وأم العلا والسميراء بنت قيس وأم سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن وأخذ هو صلى الله عليه وسلم جزءا وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو أول فئ وقعت فيه السهمان وخمس أى جزأ خمسة أجزاء وكتب فى سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم وفى كون هذا أول فئ جرت فيه السهمان نظر لانما كان ذلك فى بنى قينقاع فان الفئ الحاصل منهم خمس خمسة أخماس أخذ صلى الله عليه وسلم واحدا والاربعة لاصحابه أى ووجد جرار خمر فاهريق ولم يخمس وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار أسامة بن زيد رضى الله عنهما والذرية فى دار ابنة الحارث النجارية أى لان تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب * وقيل فى دار كبشة بنت الحارث ابن كريز كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهذه انما نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما سيأتى و بالمتاع أن يحمل وترك المواشى هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أى حفر فيها حفائر ثم أمر بقتل كل من أنبت فبعث اليهم فجاؤا اليه أرسالا تضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق * وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسد يا كعب ما ترى يصنع بنا قال فى كل موطن لا تعقلون أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وذلك ليلا على شعل السعف ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا * وكان من جملة من أتى معهم عدو الله حيى بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى أما والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل * وفى كلام السهيلى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم لما قال له ألم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقلت كل مقلقل ولكنه من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت ولكنه من يخذل الله يخذل لانه انما نظم فى البيت كلام حيى * ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة أى

فقال آتبع على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه * قال ولما أتى بكعب ابن اسد سيد بنى قريظة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وان رأيتمونى تقرونى منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا ان تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنى على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك * أى وكان المتولى لقتلهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه * أقول فى الامتاع وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهوا قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه ما كرهه أحد من الاوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله فقام أسيد بن حضير فقال يا رسول الله لا تبقى دارا من دور الاوس الا فرقتهم فيها ففرقهم فى دور الانصار فقتلوهم هذا كلامه والضمير فى قتلوهم ظاهر فى رجوعه للاوس وانهم المراد بالانصار وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون المراد بالاوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم وان تلك الطائفة قتلوا من بعث به الى دورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير والله أعلم ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء يقال لها شباتة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى فيتزوجها غيره وقد أسهم صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لم يقتل من نسائهم يعنى بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تتحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا أى وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق أى لانها دخلت على عائشة وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها اين شباتة قالت أنا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته * أى وفى لفظ قتلنى زوجى فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك قالت أمرنى أن ألقى رحى على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئه فأدركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به * وفى لفظ آخر انى كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد أمر المحاصرة قلت لزوجى يا حسرتى أيام الوصال كادت أن تنقضى وتتبدل بليالى الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجى انك صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من

المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فالق عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول والله ما ألتى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وهو جد الزبير بن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاى وكسر الموحده كاسم جده وقيل بضم الزاى وفتح المثناة وهو قول البخاري في التاريخ وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج آخرا كما تقدم أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت رضي الله عنه للزبير فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال فهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت اليك اليوم وعبد الرحمن هذا هو الذي تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الذي معه كهدبة الثوب وأحبت طلاقه لها * ثم أتى ثابت رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي امرأته وولده فقال هم لك قال فأتيته فقلت قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أي ثابت أما أنت فقد كافيتني وقد قضيت الذي عليك ما فعل بالذي كان وجهه مرآة مضيئة تترا آمنها عذارى الحي كعب بن أسد أي سيد بني قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادي أي من يحملهم في الجدب ويطعمهم في المحل حيي بن أخطب قلت قتل قال فما فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى بن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قلت قتلا وفي لفظ قتلوا قال فاني أسألك يا ثابت بيدك عندي الا ألحقتني بالقوم

فوالله ما العيش بعد هؤلاء من خير أأرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها أأخلد فيها بعدهم لا حاجة لي فيها أنا بصابر لله افراغة دلو ناضح اى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو * وفى رواية تلد دلو ناضح بالفاء والتاء المثناة فوق وقيل بالقاف والباء الموحدة أى مقدار ما يتداول المستقى للدلو حتى ألقى الاحبة * قال ثابت فقدمته فضرب عنقه أى وقيل ان ثابتا رضى الله عنه قال له ما كنت لا قتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه مقالته التى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا * قال فى الاصل وذكر أبو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك أهله وماله ان أسلم أى ولم يسلم فكان أهله وماله من جملة الفىء وكان القتل لكل من أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبى * قال عطية القرظى رضى الله عنه كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى أى عن القتل وكان رفاعة قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله هب لى رفاعة فوهبه لها أى وأسلم وقرت عين سعد بن معاذ رضى الله عنه بقتل بنى قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم فى الخندق * وقال ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة كما تقدم * أى وفى بعض الروايات أن دعاءه رضى الله عنه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها أنزلت بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم عن بعض الروايات * أى ويجوز أن يكون رضى الله عنه دعا بذلك مرتين * وفى لفظ ودعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سبى بنى قريظة له ونهب بعض أشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذى سببه حيى بن أخطب لعنه الله واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم أولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ * صار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر أن السم فى مواضع باء

كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أوهو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء

* أي ولما انقضى شأن بني قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ أي الذي في يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم صلى الله عليه وسلم بموته فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا العبد الصالح * وفي لفظ من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفي رواية عرش الرحمن أي فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش أي تحرك فرحا بذلك * وقال النووي اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه ان هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد مات وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في البيت أحد الا سعد مسجى فرأيته يتخطى وأومأ صلى الله عليه وسلم الي قف فوقفت ورددت من ورائي وجلس صلى الله عليه وسلم ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحدا ورأيتك تتخطى فقال ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه * أقول قد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصاري رضي الله عنه فانه صار يمشي على أطراف أنامله فلما دفن قيل يا رسول الله رأيناك تمشي على أطراف أناملك قال والذي بعثني بالحق ما قدرت ان أضع قدمي من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه وقصته مذكورة في السيرة الشامية * ولما حملوا نعش سعد رضي الله عنه وكان جسيما وجدوا له خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم أي من الملائكة لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدا أي جنازته ومنهم جملة ما وطئوا الارض الا يومهم هذا * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد رضي الله عنه قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب * وجاء لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد رضي الله عنه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه

فقالوا يارسول الله لم سبحت أى وكبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه * وجاء ان بعض أهل سعد رضي الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد اليه جوابهم بقولهم فقالوا ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير * وهذا قد يخالف ما فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بأنه لا يضغط فى قبره * وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم * وكذا ما فى التذكرة للقرطبي الا فاطمة بنت أسد ببركته صلى الله عليه وسلم أى حيث اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها * ويحتاج للجمع بينه وبين ما فى الخصائص * وجاء عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يارسول الله ما انتفعت بشىء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال ياعائشة ان ضغطة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يدها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل فى العين ولكن ياعائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطا يقبض على الصخر * أى وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذى هذا شأنه الذى لم يحصل منه تقصير فلا ينافى ما تقدم عن سعد فليتأمل * وقد روى البيهقى رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه بين العمودين وبه استدل أئمتنا على ان ذلك افضل من حمل الجنازة بالتربيع الذى اعتاده الناس الآن ومشى صلى الله عليه وسلم أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه رضي الله عنها ونظرت اليه فى اللحد وقالت أحتسبك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف صلى الله عليه وسلم ودعا ثم انصرف وناحت عليه أمه فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه * أى فانه رضي الله عنه موصوف بكل ما يقال فيه من الاوصاف الحسنة بخلاف غيره * وبعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من سندس كما سيأتى فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن يعنى من هذا ومن المعلوم ان المنديل أدنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه رضي الله عنه فى الجنة أعلى وأغلى * وقد وهب صلى الله عليه وسلم تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه * ونزلت توبة أبى

لبابة رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها ٭ قيل وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم فى قصة الافك فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده الشريفة ٭ وقيل المبشر له عائشة رضى الله عنها فلما مر صلى الله عليه وسلم على أبى لبابة خارجا الى صلاة الصبح أطلقه وجاء أن فاطمة رضى الله عنها أرادت اطلاقه فأبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى ٭ أى وظاهر هذا انه رضى الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضى الله عنها له فليتأمل وقد أقام مربوطا ست ليال أى أو سبع ليال وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر فى الامتاع وكانت تأتيه امرأته أو بنته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا أراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه وبصره ولا مانع ان امرأته وبنته كانتا تتناوبان فى ذلك ٭ أى وجاء انه رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من تمام توبتى ان أهجر دار قوم أصبت فيها الذنب ٭ وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال وان أنخلع من مالى فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به ٭ أى ولم يأمره صلى الله عليه وسلم أن يهجر تلك الدار والجمع بينه وبين ما تقدم من انه عاهد الله أن لا يطأ تلك الدار ممكن ٭ ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا ٭ قال وفى لفظ بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم ويشترى بها سلاحا وخيلا أى فاشترى بذلك خيلا كثيرا قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما جملة من السبايا فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الشواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن بن عوف عثمان فأخذ العجائز وأخذ عبد الرحمن الشواب وجعل عثمان على كل واحدة منهن شيأ ان أتت به عتقت فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا ٭ أقول ويحتاج الى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا فى قضية سعد بن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بنى قريظة فيكون

قسم والثلاثة أقسام قسم أعطى لسعد بن زيد وقسم أعطى لسعد بن عبادة وقسم اشترى عثمان وعبد الرحمن ووقع الفداء في سبايا بني قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل وبعث سعد بن زيد بسبايا بني قريظة أي بجملة منهم وبعث سعد بن عبادة بسبايا أي بسبايا بني قريظة أي بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا في قصة سعد بن عبادة غير سبايا بني قريظة فالامر ظاهر ويدل لهذا الثاني اسقاط بني قريظة منه ثم رأيته في الامتاع أسقط قضية سعد بن زيد الانصاري واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة الى الشام مع سعد بن عبادة رضي الله عنه يبيعهم ويشتري سلاحا هذا كلامه والله أعلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الام وولدها أي في السبايا الاعم من بني قريظة وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ * قيل يا رسول وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين أي مشركي العرب ولا من يهود * وانما يباع من المسلمين أي وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هي وولدها من العرب ومن يهود المدينة (٥) قال في الامتاع وكان يفرق بين الاختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا لا يفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفرقة بين الاصول والفروع اذا لم يميز واوحمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ولعله لم تصح تلك الرواية عند امامنا الشافعي رضي الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني النضير وكانت متزوجة في بني قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بني قريظة أي وكانت جميلة وأسلمت بعد ان أبت الاسلام ووجد صلى الله عليه وسلم في نفسه أي غضب بسبب ذلك أي بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم لما أسلمت سر صلى الله عليه وسلم بذلك فقد جاء لما أبت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك وأرسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بني قريظة في الليلة التي صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أي على ما في بعض الروايات وأسلم هو واخوته أسيد وأسيد وأسد وابن عمه وأحرزوا دماءهم وأموالهم وليسوا من بني قريظة وانما هم من بني هديل فذكر له صلى الله عليه وسلم ذلك فقال فداك أبي وأمي هي مسلمة أي ظننا منه انها ستسلم فخرج حتى جاءها ولا زال بها يقول لها اسلمي يصطفك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأجابت الى ذلك وأسلمت فبينما هو

صلى الله عليه وسلم في مجلس من أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشري بأسلام ريحانة فكان كذلك وأخبره أنها أسلمت فسر صلى الله عليه وسلم بذلك واستمرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في ملكه اختارت بقاءها في ملكه على العتق والنكاح أي فقد خيرها صلى الله عليه وسلم أيعتقها ويتزوجها أو تكون في ملكه يطأها بالملك فاختارت أن تكون في ملكه * قال بعضهم والاثبت عند أهل العلم انه أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا وأعرس بها في المحرم سنة ست بعد أن حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده صلى الله عليه وسلم حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشرة فدفنها بالبقيع ووجوب استبرائها بحيضة * يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك أمة وطئها غيره وطئا غير محترم لا يحل له تزوجها قبل استبرائها وان أعتقها وتقدم أن قريظة والنضير اخوان من أولاد هارون على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام

(غزوة بني لحيان)

بناحية عسفان ولحيان بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل لا يخفى ان بعد مضى ستة أشهر من غزوة بني قريظة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع أي وهم خبيب وأصحابه رضي الله عنهم الذين قتلوا ببئر معونة كما سيأتي ذكر ذلك في السرايا * أي لانه صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن وجدا شديدا على أصحابه المقتولين بالرجيع وأراد أن ينتقم من هذيل فأمر أصحابه بالتهيء وأظهر أنه يريد الشام أي ليدرك من القوم غرة أي غفلة * واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وخرج في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى المحل الذي قتل فيه أهل الرجيع ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا الى رؤس الجبال أي وأرسل السرايا في كل ناحية فلم يجدوا أحدا أي وأقام على ذلك يومين فلما رأى صلى الله عليه وسلم انه فاته ما أراده من غرتهم قال لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان * وهذا يدل على أن أصحابه كانوا أكثر من مائتين وهو يخالف ما تقدم انه خرج في مائتي رجل الا أن يقال زادوا على المائتين بعد خروجه ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا راجعين * وفي لفظ آخر فبعث أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس القصة أي وقد يقال لا منافاة بين اللفظين ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

* قال جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه أي توجه الى المدينة آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون * أي وفي رواية لربنا عابدون أعوذ بالله من وعثاء السفر أي مشقة السفر وكآبة أي حزن المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال * قال وزاد بعضهم اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانا * قيل ولم يسمع هذا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة اه * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من بني لحيان وقف على الابواء فنظر يمينا وشمالا فرأى قبر أمه آمنة فتوضأ ثم صلى ركعتين فبكى وبكى الناس لبكائه ثم قام فصلى ركعتين ثم انصرف الى الناس وقال لهم صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاكم قالوا بكيت فبكينا يا رسول الله * قال ما ظننتم قالوا ظننا أن العذاب نازل علينا قال لم يكن من ذلك شيء قالوا ظننا ان أمتك كلفت من الاعمال ما لا تطيق قال لم يكن من ذلك شيء ولكني مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي عز وجل ان أستغفر لها فزجرت زجرا أي منعت عن ذلك منعا شديدا فأبكاني * وفي لفظ فعلى بكاءي هذا أي فعلى هذا بكاءي والذي في الوفاء انه صلى الله عليه وسلم وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فأبصر قبر أمه فورد الماء فتوضأ ثم صلى ركعتين * قال بريدة فلم يفجأنا الا بكائه فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فقال ما الذي أبكاكم الحديث ثم دعا براحلته فركبها فسار يسيرا فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم الى آخر الآيتين فلما سرى عنه الوحي قال أشهدكم اني بريء من آمنة كما تبرأ ابراهيم من أبيه * أي وهذا السياق يدل على ان هاتين الآيتين غير ما زجر به عن الاستغفار لها المتقدم في قوله فزجرت زجرا فليتأمل * وفي مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزورها أي بعد فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وسيأتي عن عائشة رضي الله عنها ان في حجة الوداع مر صلى الله عليه وسلم على عقبة الحجون فنزل وقال لها وقفت على قبر أمي يسيأتي ان ذلك يدل على ان قبر أمه بمكة لا بالابواء وتقدم الجمع بين كونه بالابواء وكونه بمكة وسيأتي في الحديبية انه صلى الله عليه وسلم زار قبرها وفي فتح مكة أيضا وسيأتي الكلام على ذلك وان ذلك كان قبل احيائها له وايمانها به صلى الله عليه وسلم

(غزوة ذی قرد)

بفتح القاف والراء وقیل بضمهما أی وقیل بضم الاول وفتح الثانی اسم ماء والقرد فی الاصل الصوف الردیء ویقال لها غزوة الغابة والغابة الشجر الملتف لما قدم رسول الله صلى الله علیه وسلم المدینة من غزوة بنی لحیان لم یقم بها الا لیالی قلائل حتی أغار عیینة بن حصن فی خیل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله علیه وسلم بالغابة أی وكانت اللقاح عشرین لقحة وهی ذات اللبن القریبة من الولادة أی لما ثلاثة أشهر ثم هی لبون وفیها رجل من بنی غفار هو ولد لأبی ذر الغفاری وزوجة لابی ذر وولده وامرأة له أی لابی ذر رضی الله عنه لا لولده كما یعلم مما یأتی وكان راعیها یؤوب أی یرجع بلبنها كل لیلة عند المغرب الى المدینة أی فان المسافة بینها وبین المدینة یوم أو نحو یوم فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع اللقاح * وعند ابن سعد كان فیها أبو ذر وولده أی وزوجة أبی ذر فقتلوا ولده أی واحتملوا المرأة * قال جاء أن أبا ذر الغفاری رضی الله عنه استأذن رسول الله صلى الله علیه وسلم أن یكون فی اللقاح فقال له رسول الله صلى الله علیه وسلم لا تأمن عیینة بن حصن وذویه ان یغیر علیك فألح علیه فقال له رسول الله صلى الله علیه وسلم لكأنی بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك فكان أبو ذر رضی الله عنه یقول عجبا لی ورسول الله صلى الله علیه وسلم یقول لكأنی بك وأنا ألح علیه فكان والله ما قال رسول الله صلى الله علیه وسلم فانی والله لفی منزلنا ولقاح رسول الله صلى الله علیه وسلم قد روحت وحلبت عتمتها ونمنا فلما كان اللیل أحدق بنا عیینة بن حصن فی أربعین فارسا فصاحوا بنا وهم قیام على رؤسنا فأشرف لهم ابنی فقتلوه وكان معه ثلاثة نفر فنجوا وتنحیت عنهم وشغلهم عنی اطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا فی أدبارها فكان آخر العهد بها ولما قدمت المدینة على رسول الله صلى الله علیه وسلم وأخبرته تبسم انتهى أی وروی بدل عیینة بن حصن ابنه عبد الرحمن بن عیینة بن حصن * قال بعضهم ولا منافاة لان كلا من عیینة بن حصن وعبد الرحمن ابن عیینة كان فی القوم * وكان أول من علم بهم سلمة بن الاكوع رضی الله عنه فانه غدا یرید الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبید الله معه فرس له أی لطلحة یقوده فلقی غلاما لعبد الرحمن بن عوف فأخبره ان عیینة بن حصن قد أغار على لقاح رسول الله صلى الله علیه وسلم فی أربعین فارسا من غطفان * قال سلمة فقلت یا رباح اقعد على هذا الفرس فأخبر رسول الله صلى الله علیه وسلم أن قد أغیر على سرحه أی وهذا السیاق یدل على ان رباحا غلامه صلى الله علیه وسلم كان مع سلمة

أسقط الراوى ذكره ولم ينقل ومعه رباح غلامه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان رباحا هذا هو غلام عبد الرحمن الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون رباح غلامه صلى الله عليه وسلم وغلام عبد الرحمن لجواز ان يكون لعبد الرحمن ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فهو غلام عبد الرحمن بحسب ما كان * ثم رأيت ما يؤيد الأول وهو ما فى بعض الروايات عن سلمة قال خرجت أنا ورباح عبد النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤذن بالاولى يعنى لصلاة الصبح نحو الغابة وأنا راكب على فرس أبى طلحة الانصارى فلقينى عبد لعبد الرحمن بن عوف قال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة * وقد طوى فى هذه الرواية ذكر غلام طلحة * ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر أنه لم يقف على اسم غلام عبد الرحمن بن عوف هذا أى الذى أخبر سلمة بأمر اللقاح * قال ويحتمل ان يكون هو رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك أحدهما وكان يخدم الآخر فنسب تارة الى هذا وتارة الى هذا هذا كلامه ولا يخفى بعده للتصريح بأن رباحا غير غلام عبد الرحمن وان رباحا كان مع سلمة وان غلام عبد الرحمن هو الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون الفرس لطلحة ولا بين كونها لأبى طلحة ولا بين كون عبد طلحة كان قائدها وبين كون سلمة راكبها لانه يجوز أن يكون ركبها أثناء الطريق فليتأمل * وفى تسمية غلامه صلى الله عليه وسلم رباحا مع نهيه صلى الله عليه وسلم ان الشخص يسمى رقيقه بأحد أربعة أسماء أفلح ورباح ويسار ونافع * وزاد فى رواية خامسا وهو نجيح فهلا غير صلى الله عليه وسلم اسمه ان كانت وقعت التسمية من غيره صلى الله عليه وسلم * أو يقال لم يغير صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم اشارة الى ان النهى للتنزيه ثم ان سلمة رجع الى المدينة وعلا ثنية الوداع فنظر الى بعض خيولهم فصرخ بأعلى صوته واصباحاه أى قال ذلك ثلاث مرات * أى وقيل نادى الفزع الفزع ثلاثا ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك * وفى لفظ وقفت على تل من ناحية سلع أى وفى لفظ على أكمة وفى لفظ آخر فصعدت فى سلع ولا مخالفة كما لا يخفى فجعلت وجهى من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات ياصباحاه اسمع ما بين لابتيها أى اسمعه صوته أو ان ذلك وقع خرقا للعادة وياصباحاه كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه ولانهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح * ثم خرج يشتد فى أثر القوم كالسبع وقد كان يسبق الفرس جريا حتى لحقهم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع أى يوم هلاك اللئام فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وهكذا يفعل قال

كنت ألحق الرجل منهم فأرميه بسهم في رجله فيعقره فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم أرميه فأعقره فيولي عني فاذا دخلت الخيل في بعض مضائق الجبل علوت الجبل ورميتهم بالحجارة * قال ولم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ولا يلقون شيأ من ذلك الا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم * أي ومازلت كذلك أتبعهم حتى ماخلق الله تعالى من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهري وخلوا بينهم وبينه ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع الفزع ياخيل الله اركبي قيل وكان أول مانودي بها وفيه كما في الاصل انه نودي بها في بني قريظة كما تقدم * وأول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن عمرو ويقال له ابن الاسود وتقدم أنه قيل له ذلك لانه كان في حجر الاسود بن عبد يغوث وتبناه فنسب اليه ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد ثم تلاحقت به الفرسان وأمر عليهم سعد بن زيد وقيل المقداد وجزم به الدمياطي رحمه الله * أي ويدل له قول حسان رضي الله عنه في وصف هذه الغزوة * غداة فوارس المقداد * لكن في السيرة الشامية ان سعد ابن زيد رضي الله عنه غضب على حسان وحلف لايكلمه أبدا * وقال انطلق الى خيلي فجعلها للمقداد وان حسان رضي الله عنه اعتذر الى سعد بأن الروي وافق اسم المقداد وذكر أبياتا يرضي بها سعد بن زيد فلم يقبل منه سعد ذلك وهذا يدل للاول * وعقد صلى الله عليه وسلم لذلك الامير لواء في رمحه ثم قال له اخرج في طلب القوم حتى ألحقك بالناس فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا بهم وكان شعارهم يومئذ أمت أمت * وأول فارس لحق بهم محرز بن نضلة ويقال له الاخرم الاسدي ووقف لهم بين أيديهم * وقال لهم يامعشر بني اللكيعة أي اللئيمة قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والانصار فحمل عليه شخص من المشركين فقتله * وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه أنه قال ثم ان القوم جلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن جبل فقال لهم رجل أتاهم من هذا قالوا لقينا من هذا البرح حتى انتزع كل شيء في أيدينا قال فليقم اليه منكم أربعة فتوجهوا الى فهددتهم أي فقد جاء عنه رضي الله عنه أنه قال لهم هل تعرفوني قالوا لا ومن أنت قلت أنا سلمة بن الاكوع والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا أطلب رجلا منكم الا أدركته ولا يطلبني فيدركني * قال بعضهم انا نظن ذلك فرجعوا قال فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمهم الاخرم

الاسدى فلما رأيت الاخرم الاسدى أول الفرسان نزلت من الجبل وأخذت بعنان فرسه وقلت له احذر القوم لا يقتطفوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم ان الجنة حق وان النار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة فخليت عنه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه فلحق عبد الرحمن أبو قتادة رضى الله عنه فعقر عبد الرحمن فرس أبى قتادة فقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة رضى الله عنه الى الفرس * أقول ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة بن عيينة فانى لم أقف على ذكر عبد الرحمن هذا فيمن قتل من المشركين فى هذه الغزوة وان أبا قتادة رضى الله عنه قتل حبيبا وغشاه ببرده كما سيأتى الان يقال جاز ان يكون له اسمان عبد الرحمن وحبيب ثم رأيت الحافظ ابن حجر أشار الى ذلك * وقيل قاتل محرز مسعدة الفزارى وبه جزم الحافظ الدمياطى وذكر ان قاتل حبيب المقداد بن عمرو فقال وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه * وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن والله أعلم * ولم يقتل من المسلمين الا محرز بن فضلة الذى هو الاخرم الاسدى وكان رأى قبل ذلك بيوم ان سماء الدنيا فرجت ومابعدها حتى انتهى الى السماء السابعة ثم انتهى الى سدرة المنتهى فقيل له هذا منزلك فعرضها على أبى بكر رضى الله عنه وكان من أعلم الناس بالتعبير كما تقدم فقال له أبشر بالشهادة * وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين وقد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه أى واستعمل على حرس المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه فى ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة فاذا حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة مسجى أى مغطى ببرد أبى قتادة * فاسترجع المسلمون أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لابى قتادة وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه أى القاتل له * قال وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال والذى أكرمنى بما أكرمنى به ان أبا قتادة على آثار القوم يرتجز فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى كشف البرد عن وجه المسجى فاذا وجه حبيب فقال الله أكبر صدق الله ورسوله يارسول الله غير أبى قتادة * وفى لفظ فخرج أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حتى كشفا البرد الحديث * وقيل الذى قتله أبو قتادة وغشاه ببرده هو مسعدة قاتل محرز رضى الله عنه لاحبيب على ماتقدم فى رواية أن أبا قتادة رضى الله عنه اشترى فرسا

تيه مسعدة الفزارى فتفاوض معه فقال له أبو قتادة أما انى أسأل الله ان ألقاك
ناعليها قال آمين فلما أخذت اللقاح ركب تلك الفرس وسار فلحق النبى صلى الله
عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم امض يا أبا قتادة صحبك الله قال فسرت
حتى هجمت على القوم فرميت بسهم فى جبهتى فنزعت قدحه وأنا أظن أنى نزعت
الحديدة فطلع على فارس * وقال لقد ألقانيك الله يا أبا قتادة وكشف عن وجهه
فاذا هو مسعدة الفزارى فقال أيما أحب اليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة فقلت
ذلك اليك فقال صراع فنزل وعلق سيفه فى شجرة ونزلت وعلقت سيفى فى شجرة
ثم تواثبنا فرزقنى الله الظفر عليه فاذا أنا على صدره واذا شئ يمس رأسى فاذا سيف
مسعدة قد وصلت اليه فى المعالجة فضربت بيدى الى سيفه وجردت السيف فلما
رأى ان السيف وقع بيدى فقال يا أبا قتادة استحينى قلت لا والله قال فمن للصبية قلت
النار ثم قتلته وأدرجته فى بردى ثم أخذت ثيابه فلبستها ثم استويت على فرسه فان
فرسى نفرت حيث تعالجنا وذهبت للقوم فعرقبوها * ثم ذهبت خلف القوم فجعلت
على ابن أخيه فدققت صلبه فانكشف من معه عن اللقاح فحبست اللقاح برمحى
وجئت أحوشها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح وجهك يا أبا قتادة أى فقلت
ووجهك يا رسول الله * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو قتادة سيد الفرسان
بارك الله فيك يا أبا قتادة وفى ولدك وولد ولدك * وفى لفظ وفى ولد ولدك اه أى
وقال له صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى بوجهك قلت سهم أصابنى فقال ادن منى
فنزع السهم نزعا رفيقا ثم بزق فيه ووضع راحته عليه فوالذى أكرمه بالنبوة
ما ضرب على ساعة قط ولا قرح على * وفى رواية ولا قاح وفى لفظ قال لى قتلت
مسعدة قلت نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم يدعو لأبى قتادة اللهم بارك له فى شعره
وبشره فمات أبو قتادة رضى الله عنه وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة
سنة * أى وأعطاه صلى الله عليه وسلم فرس مسعدة وسلاحه أى كما تقدم
* وقال بارك الله لك فيه وهذا السياق يدل على ان أبا قتادة رضى الله عنه انفرد عن
الصحابة وتقدمهم وتخلف مسعدة عن قومه مدة مصارعة أبى قتادة له وقتله
ولا مانع من ذلك * وقيل استنقذوا نصف اللقاح أى عشرة وفيها جمل أبى جهل
الذى غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر * وأفلت القوم بالعشرة الأخرى أى
ولا ينافيه ما تقدم من قول أبى قتادة فانكشفوا عن اللقاح وجئت أحوشها لان
المراد جملة من اللقاح لكنه مخالف لما تقدم عن سلمة رضى الله عنه من قوله
ما زلت أرشقهم يعنى القوم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله

عليه وسلم الاخلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه فليتأمل * وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد بناحية خيبر وتلاحق به الناس اى وقال له سلمة بن الاكوع يارسول الله ان القوم عطاش فلو بعثنى فى مائة رجل استنقذت مابقى فى أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم * أى وقد يقال لايخالف هذا ماتقدم من قوله حتى ماخلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه لجواز ان يكون صدر عنه ماتقدم لظنه ان ذلك هوجميع اللقاح التى أخذت ثم تحقق ان الذى استنقذه هووأبو قتادة جلها * ومافى البخارى من قوله واستنقذوا اللقاح كلها يجوز ان يكون قائل ذلك ظن ان الذى استنقذ من أيدى القوم هوجميع ماأخذوه من اللقاح كما ان سلمة رضى الله عنه اعتقد أن جميع اللقاح الذى أخذت هى التى جعلها خلف ظهره كما تقدم فكل من سلمة وأبى قتادة خلف نصف اللقاح التى هى العشرة التى خلصت من أيدى القوم * وفى رواية عن سلمة قال قلت يارسول الله ابعث معى فوارس لندرك القوم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدان ضحك صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح أى فارفق والمعنى قدرت فاعف وانما كانوا عطاشا لان سلمة رضى الله عنه ذكرانه تبعهم الى قبيل غروب الشمس الى ان عدلوا الى شعب فيه ماء يقال له ذوقرد فنفاهم أى طردهم عنه ومنعوهم الشرب منه وتركوا فرسين وجاء بهما سلمة رضى الله عنه يسوقهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل هذا كان من سلمة رضى الله عنه بعد ان رجعت الصحابة عنهم واستمر يتبعهم وقال له صلى الله عليه وسلم شخص يارسول الله القوم الآن يغبقون بأرض غطفان أى يشربون اللبن بالعشى الذى هو الغبوق فجاء رجل من غطفان فقال مر واعلى فلان الغطفانى فنحر لهم جز ورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبيره فتركوها وخرجوا هرابا ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالجبل المذكور ولم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث يوما وليلة أى وعن سلمة رضى الله عنه وأتانى عمى عامر بن الاكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو صلى الله عليه وسلم قد أخذ كل شىء استنقذته منهم ونحر لهم بلال رضى الله عنه ناقته ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم ذهب الى الماء بعدان كان مكثه بالجبل المذكور وصلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف أى لخوف أن العدو يجىء اليهم * ولعل هذه هى صلاة بطن نخل وهى على

ما رواه الشيخان انه جعل القوم فرقتين * وصلاها مرتين كل مرة بفرقة والاخرى تحرس أى تكون فى وجه العدو أى فى المحل الذى يظن مجيئهم منه وذلك كان لغير جهة القبلة والافالعدو لم يكن بمرأى منهم وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن * أقول لكن رأيت فى الامتاع وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة الخوف فقسام الى القبلة وصف طائفة خلفه وطائفة مواجهة العدو وصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين وسلم * فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل رجل من الطائفتين ركعة ولا يخفى أن هذه الكيفية هى صلاة عسفان والله أعلم * ولما أصبح صلى الله عليه وسلم قال خير فرساننا أبوقتادة وخير رجالتنا سلمة رضى الله عنهما وعند خروجه صلى الله عليه وسلم وتلاحق بعض الفرسان به قال لابى عياش لوأعطيت هذا الفرس رجلا هوأفرس منك فلحق بالناس قال أبوعياش فقلت يارسول الله انى أفرس الناس قال أبوعياش فوالله ماجرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى فعجبت لذلك وقسم صلى الله عليه وسلم فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة وبعث سعد بن عبادة رضى الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد أى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد ابن عبادة فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون فى المحل ويحملون الكل ويحملون عن العشيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الناس فى الاسلام خيارهم فى الجاهلية اذا فقهوا فى الدين * وأقبلت امرأة أبى ذر رضى الله عنهما على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من جملة اللقاح وهى القصوى أفلتت من القوم فطلبوها فأعجزتهم * وفى لفظ وانفلتت المرأة من الوثاق ليلا فأتت الابل فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ونذرت ان نجاها الله عز وجل لتنحرنها فلما أخبرت النبى صلى الله عليه وسلم الخبر قالت يارسول الله قد نذرت ان أنحرها ان نجانى الله عليها أى وآكل من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بئسما جزيتيها ان حملك أى لاجل أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحريها لانذر فى معصية الله ولا فيما لاتملكين * وفى لفظ لاوفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لايملك ابن آدم انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله تعالى ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى

وهذا السياق يدل على ان المرأة قدمت عليه صلى الله عليه وسلم ثالث الناقة قبل قدومه المدينة ❊ وفى السيرة الشامية أنها قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأخبرته الخبر ثم قالت يارسول الله انى نذرت لله الحديث وهو يخالف ما يأتى من قوله ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء ❊ أى ولعل ما فى الاوسط للطبرانى بسند ضعيف عن النواس بن سمعان رضى الله عنه أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرقت ❊ فقال لئن ردها الله على لاشكرن ربى وقد وقعت فى حى من أحياء العرب فيهم امرأة مسلمة فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها فأصبحت المدينة الى آخره لا ينافى ما هنا لجواز تعدد الواقعة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء مردفا سلمة بن الاكوع رضى الله عنه ❊ وقد غاب عنها خمس ليال وأعطى صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع سهم الراجل والفارس جميعا أى مع كونه كان راجلا ❊ وهذا استدل به من يقول ان للامام ان يفاضل فى الغنيمة وهو مذهب أبى حنيفة واحدى الروايتين عن أحمد وعند مالك واماما الشافعى رضى الله عنهم لا يجوز ❊ ولعله لعدم صحة ذلك عندهما ❊ وتبعت فى تقديم هذه الغزوة على غزوة الحديبية الاصل وهو الموافق لقول بعضهم أجمع أهل السير على ان غزوة الغابة قبل الحديبية ولقول أبى العباس شيخ القرطبى صاحب التذكرة والتفسير لا يختلف أهل السير ان غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية والشمس الشامى ذكرها بعد الحديبية تبعا لما فى صحيح البخارى أنها بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاثة أيام ❊ وفى مسلم نحوه ففيه عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فرجعنا أى من غزوة ذى قرد الى المدينة فلم نلبث الاثلاث ليالى حتى خرجنا الى خيبر ❊ ويؤيده قول الحافظ شمس الدين ابن امام الجوزية قد وهم جماعة من أصحاب المغازى والسير فذكروا غزوة الغابة قبل الحديبية ❊ قال الحافظ ابن حجر ما فى البخارى أصح مما ذكره أهل السير قال ويحتمل فى طريق الجمع ان تكون اغارة عيينة بن حصن على اللقاح أى فى الغابة وقعت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الحديبية قبل الخروج الى خيبر أى ويلزم أن يكون فى كل كان خروجه صلى الله عليه وسلم وأن أول من علم بالاقاح سلمة بن الاكوع ووقع له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ما تقدم هذا حقيقة التكرار والافهل الذى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع فيها لسلمة ولغيره من الصحابة ما وقع كانت أولا وثانيا فليتأمل ثم رأيت عن الحاكم رحمه الله تعالى أنه ذكر فى الاكليل ان الخروج الى ذى قرد تكرر أى ثلاث مرات ففى الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل أحد وفى الثانية

خرج اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمس والثانية من المختلف فيها أى ومعلوم أن هذه المختلف فيها اخرج اليها صلى الله عليه وسلم فليتأمل

(غزوة الحديبية)

بالتخفيف تصغير حدباء وعلى التشديد عامة الفقهاء والمحدثين وأشار بعضهم الى أنه لم يسمع من فصيح * ومن ثم قال النحاس سألت كل من كنت أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا فى أنها بالتخفيف * وفى كلام بعضهم أهل الحديث يشددون وأهل العربية يخففون وفى كلام بعض آخر أهل العراق يشددون وأهل الحجاز يخففون وهى بئر وقيل شجرة سمى المكان باسمها * وقيل قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم قال وسببها أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين أى بعضهم محلق وبعضهم مقصر وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين اه أى وطاف هو وأصحابه واعتمر وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ثم أخبر أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر فخرج صلى الله عليه وسلم معتمرا ليأمن الناس أى أهل مكة ومن حولهم من حربه وليعلموا أنه صلى الله عليه وسلم انما خرج زائرا البيت ومعظما له وكان احرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة من ذى الحليفة أى بعد أن صلى بالمسجد الذى بها ركعتين وركب من باب المسجد وانبعثت به راحلته مستقبل القبلة أحرم وأحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة * أى وكان خروجه فى ذى القعدة وقيل كان خروجه فى رمضان وهو غريب ولفظ تلبيته صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك * واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة الشريفة نميلة بن عبد الله الليثى * أى وقيل ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين أى وقيل استخلف أبا رهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبو رهم حافظا للمدينة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بعد أن استنفر العرب ومن حوله من البوادى من الاعراب من أسلم غفار ومزينة وجهينة وأسلم القبيلة المعروفة خشية من قريش أن يحاربوه أو أن يصدوه عن البيت كما صنعوا فتثاقل كثير منهم وقالوا أنذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بذلك فأنزل الله تعالى تكذيبهم فى اعتذارهم بقوله يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم وخرج صلى الله عليه وسلم بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه أم سلمة وأم عمارة وأم منيع

وأم عامر الاشهلية رضي الله عنهن ومعه المهاجرون والانصار ومن لحق بهم من العرب وابطأ عليه كثير منهم كما تقدم وساق معه الهدى سبعين بدنة أي وقد حلاها أي في ذي الحليفة بعد أن صلى بها الظهر * ثم أشعر منها عدة وهي موجهات للقبلة في الشق الايمن أي من سنامها ثم أمر صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب * وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه ناجية لما انه نجا من قريش فأشعر ما بقي وقلدهن نعلا نعلا وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها والاشعار جرح بصفحة سنامها والتقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية ليعلم انه هدى فيكف الناس عنه وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وقيل كانوا أربع عشرة مائة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة وقيل كانوا ألفا وثلثمائة * وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة وخمسة وعشرين أي وقيل ألف وسبعمائة أي وليس معهم سلاح الا السيوف في القرب وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتخشى يارسول الله من أبي سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها فقال لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا وكان معهم مائتا فرس فأقبلوا نحوه صلى الله عليه وسلم أي في بعض الحال * وكان بين يديه صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نشربه ولا ماء نتوضأ منه الا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون * أي وفي لفظ فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة وفي لفظ آخر فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه وفي لفظ آخر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه واستدل به بعضهم على ان الماء خرج من نفس بشرته الشريفة صلى الله عليه وسلم * قال أبو نعيم في الحلية وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه الصلاة والسلام من الحجر فان نبعه من الحجر متعارف معهود * واما من بين اللحم والدم لم يعهد * قال بعضهم وانما لم يخرجه صلى الله عليه وسلم بغير ملابسة ماء تأدبا مع الله تعالى لانه المتفرد بابتداع المعدومات من غير أصل * قال جابر رضي الله عنه فشربنا وتوضأنا ولو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمسة عشر مائة فلما كانوا بعسفان جاء اليه صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان الكعبي * أي وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسله الى مكة عينا له فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من أطاعهم من الاحابيش وأجلبت ثقيف معهم وهم النساء والصبيان وفي لفظ فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل أي النياق ذوات اللبن التي معها أولادها ليتزودوا بذلك ولا يرجعون

شدة الجوع * قال السهيلي والعوذ جمع عائذ وهي الناقة التي معها ولدها وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذي يعوذ بها لانها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لانها في معنى نامية وزاكية هذا كلامه او العوذ المطافيل النساء معهن أطفالهن أي أنهم خرجوا بنسائهم معهن أولادهن ليكون أدعى لعدم الفرار أي ويجوز أن يكونوا خرجوا بذلك جميعه قد لبسوا جلود النمر أي اظهروا العداوة والحقد وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا يدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد ابن الوليد أي رضي الله عنه لانه أسلم بعد ذلك في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم أي وكانت مائتي فرس أي وقدمت الى جهة القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر رضي الله عنه فتقدم في خيله فقام بازاء خالد وصف أصحابه رضي الله عنهم أي وحانت صلاة الظهر فأذن بلال رضي الله عنه وأقام فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصف الناس خلفه فركع بهم وسجد ثم سلم فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم وفي لفظ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن تأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم أي التي هي صلاة العصر وبهذا استدل على انها الصلاة الوسطى واستدل له أيضا بأنه كان في أول ما أنزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم نسخ ذلك أي تلاوته بقوله تعالى والصلاة الوسطى فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم الآيات وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم جميعا حتى عباد بن بشر وأصحابه جميعا الذين قاموا بازاء خالد رضي الله عنهم وحانت صلاة العصر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف أي على ما ذكره الله تعالى فلما حمل المسلمون يسجد بعضهم وبعضهم قائم ينظر اليهم قال المشركون لقد أخبروا بما أردناه بهم ولعل هذه الصلاة هي صلاة عسفان لان كراع الغميم بالقرب منه كما تقدم وهي على ما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صفهم صفين وأنه أحرم بهم وركع واعتدل بهم جميعا ثم لما سجد سجد معه الصف الاول سجدتيه وتخلف الصف الثاني في اعتداله للحراسة فلما قام وقام معه من سجد سجد الصف الثاني ولحقه في القيام وتقدم الصف الثاني وتأخر الصف الاول ثم ركع واعتدل بهم جميعا ثم سجد وسجد معه الصف الثاني الذي تقدم واستمر الصف الاول الذي تأخر على الحراسة في اعتداله فلما جلس للتشهد أتموا بقية صلاتهم

وجلسوا معه للتشهد فتشهد وسلم بهم جميعا * وعلى هذه الصلاة حمل أئمتنا ما جاء
فرضت الصلاة فى الخوف ركعة أى انها ركعة على الامام ويضم اليها أخرى * ثم
رأيت فى الدر المنثور التصريح بأن هذه الصلاة هى صلاة عسفان عن ابن عياش
الزرقى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم
خالد بن الوليد رضى الله عنه وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبى صلى الله عليه
وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال غرة الحديث المتقدم واشترط أئمتنا فى هذه
الصلاة وهى اذا كان العدو فى جهة القبلة ولا ساتر ان يكون كل صف مقاوما
للعدو وان كان كل واحد لاثنين والا لم تصح الصلاة لما فيه من التغرير بالمسلمين
* ولعل صلاته صلى الله عليه وسلم بالصفين كانت كذلك * وهذه الصلاة لم ينزل
بها القرآن كصلاة بطن نخل فعلم ان القرآن لم ينزل الا بصلاة ذات الرقاع وبصلاة
شدة الخوف ولم أقف على انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة شدة الخوف وهى ان
يلتحم القتال أو لم يأمنوا هجوم العدو ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن
قريشا تريد صده عن البيت قال أشيروا على أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت
فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد
قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه * أى وفى الامتاع فقال المقداد
رضى الله عنه يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون * ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا
انا معكم مقاتلون * والله يارسول الله لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ما بقى
منا رجل فقال صلى الله عليه وسلم فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال ياويح قريش
نهكتهم الحرب أى أضعفتهم * وفى لفظ أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى
وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم
دخلوا فى الاسلام وافرين أى كاملين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش
فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة أى
وهى صفحة العنق فهو كناية عن القتل * ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من
رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم انا
يارسول الله أى يقال له ناجية بن جندب رضى الله عنه فسلك بهم طريقا وعرا
فلما خرجوا منه وقد شق عليهم ذلك وأفضوا الى أرض سهلة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها أى قول
أستغفر الله للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها ثم ان خالدا رضى الله

عنه لم يشعرهم الا وقد نزلوا بذلك المحل فانطلق نذيرا لقريش * وقد جاء في تفسير الحطة انها المغفرة أي طلب المغفرة أي اللهم حط عنا ذنوبنا * وهذا هو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم قولوا نستغفر الله الى آخره * وجاء في تفسيرها أيضا انها لا اله الا الله فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة سوداء استهزاء وجراءة على الله * وفي البخاري فقيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم أي أطيازهم وقالوا حبة في شعير وقد جاء أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخل غفر له الذنوب أي المذكورة في قوله تعالى وادخلوا الباب أي باب اريحا بلد الجبارين سجدا أي خاضعين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا * قال بعضهم فكما جعل الله لبني اسرائيل دخولهم الباب على الوجه المذكور سببا للغفران فكذا حب أهل البيت سبب للغفران * ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يسلكوا طريقا تخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق * فلما كانوا به أي بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت ناقته صلى الله عليه وسلم أي القصوى فقال الناس حل حل فالحت أي تمادت واستمرت على عدم القيام فقالوا خلأت القصوى أي حرنت يقال خلأت الناقة وألح الجمل بالحاء المهملة فيهما وحرن الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما هو لها بخلق * وفي لفظ ماذاك لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة أي منعها الله عن دخول مكة أي علم صلى الله عليه وسلم أن ذلك صد له من الله عن مكة ان يدخلها قهرا والذي نفس محمد بيده لا تدعني قريش اليوم الى حطة أي خصلة يسألون فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها * أي وفي رواية فيها تعظيم حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها أي من ترك القتال في الحرم والكف عن اراقة الدم ثم زجرها صلى الله عليه وسلم فقامت فولى راجعا عوده على بدئه ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه فأخرج صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فأعطاه ناجية بن جندب رضي الله عنه سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو البراء بن عازب رضي الله عنه أو خالد بن عبادة الغفاري فنزل في قليب فغرزه في جوفه فجاش أي علا وارتفع بالرواء أي الماء العذب حتى ضرب الناس عليه بعطن * وفي لفظ حتى صدروا عنها بعطن أي حتى رووا ورويت أبلهم حتى بركت حول الماء لان عطن الابل مباركها قال ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باقصى الحديبية على غدوة وحفرة فيها ماء من ثمادها قليل الماء يتبرضه الناس

تربضا اى يأخذونه قليلا قليلا * ثم لم يلبث الناس حتى نزحوه واشتكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الماء وفى لفظ العطش أى وكان الحر شديدا فنزع صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ودفعه للبراء فقال اغرز هذا السهم فى بعض قلب الحديبية ففعل والقليب جاف فجاش الماء * وقيل دفعه لناجية بن الاعجم فعنه رضى الله عنه * قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شكى اليه قلة الماء فاخرج سهما من كنانته ودفعه الى ودعا بدلو من ماء البئر فجئت به فتوضأ فمضمض ثم مج الماء فى الدلو ثم قال انزل بالدلو فى البئر واثر ماءها بالسهم ففعلت والذى بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرنى الماء وفارت كما يفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها يغترفون من جانبها حتى نهلوا عن آخرهم وعلى البئر نفر من المنافقين منهم عبد الله بن أبى بن سلول فقال له أوس بن خولة رضى الله عنه ويحك يا أبا الحباب ما آن لك تبصر ما أنت عليه أبعد هذا شئ فقال انى رأيت مثل هذا فقال له أوس رضى الله عنه قبحك الله وقبح رأيك * ثم أقبل أى عبد الله المذكور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب أنى رأيت أى كيف رأيت مثل ما رأيت اليوم قال ما رأيت مثله قط قال فلم قلت ما قلت فقال يا رسول الله استغفر لى وقال ابنه عبد الله يا رسول الله استغفر له فاستغفر له * وفى لفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر نتربصها من البرض وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا وركابنا * وفى لفظ فرفعت اليه الدلو فغمس يده فيها فقال ما شاء الله ان يقول ثم صب الدلو فيها فلقد لقيت آخرنا اخرج بثوب خشية الغرق ثم ساحت نهرا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد يقال لا مانع من وقوع جميع ذلك لكن يبعد ان يكون ذلك فى قليب واحد قال بعضهم فلما ارتحلوا أخذ البراء رضى الله عنه السهم فجف الماء كأن لم يكن هناك شئ * وفى كلام هذا البعض أن أبا سفيان قال لسهيل بن عمرو رضى الله عنهما قد بلغنا انه ظهر بالحديبية قليب فيه ماء فقم بنا ننظر الى ما فعل محمد فأشرفا على القليب والعين تنبع تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل وفيه ان أبا سفيان رضى الله عنه لم يكن حاضرا فى الحديبية ويحمل ذلك على ان ذلك كان من أبى سفيان بعد ارتحاله صلى الله عليه وسلم من الحديبية

* ينافيه ماتقدمه هذا البعض أن عند ارتحالهم من الحديبية وقع السهم وخف القليب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح فكان من كبار مسلمة الفتح في رجال من خزاعة وكانت خزاعة مسلمها ومشركها لايخفون عليه صلى الله عليه وسلم شيأ كان بمكة بل يخبرونه به وهو بالمدينة وكانت قريش ربما تفطن لذلك فسألوه ما الذي جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته * وفي المواهب أنه صلى الله عليه وسلم قال لبديل ماتقدم من قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب الى آخره وأن بديلا رضي الله عنه قال له سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوالرأي منهم هات ماسمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال * هذا كلامه والرواية المشهورة أن بديلا ومن معه من خزاعة لما رجعوا الى قريش فقالوا يامعشر قريش انكم تعجلون على محمد وان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم أي قابلوهم بمايكرهون فقالوا ان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لايدخلها علينا عنوة أي قهرا أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب مابيننا والله لا كان هذا أبدا ومنا عين تطرف * ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص أخا بني عامر فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا * قال هذا الرجل غادر أي وفي رواية فاجر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل فرجع الى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم الحليس ابن علقمة وكان سيد الاحابيش يومئذ وتقدم عن الاصل ان الاحابيش هم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق بن خزيمة أي وأنه قيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبشي هم وقريش على أنهم يد واحدة على من عاداهم ماسجى ليل ووضح نهار ومارسى حبشي فسموا أحابيش قريش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون أي يتعبدون ويعظمون أمر الاله * وفي لفظ يعظمون البدن * وفي لفظ يعظمون الهدي ابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه * فلما رأى الهدي يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي بضم المهملة أي ناحيته * وامامذ الطول فبفتح المهملة قدأ كل

أو باره من طول الحبس عن محله بكسر الحاء المهملة وضعه الذي ينحر فيه من الحرم
أي يرجع فيه الحنين واستقبله الناس بأنون قد شعثوا أصاح وقال سبحان الله
ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت أبى الله أن يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع
ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب الكعبة انما القوم أتوا عمارا أي معتمرين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة * وقيل انه بمجرد أن رأى
هذا الأمر رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى
أي فقال لهم في ذلك أي قال اني رأيت ما لا يحل منعه رأيت الهدى في قلائده قد أكل
أوباره أي معكوفا عن محله والرجال قد شعثوا وقملوا فقالوا له اجلس فانما أنت
اعرابي ولا علم لك أي فما رأيت من محمد مكيدة فعند ذلك غضب الحليس وقال
يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت
الله من جاءه معظما والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن
بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه أي كف يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا
ما نرضى به * ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي
رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وهذا هو الذي شبهه صلى الله عليه وسلم بعيسى
ابن مريم عليه السلام ولما قتله قومه قال صلى الله عليه وسلم مثله في قومه
كصاحب يس كما سيأتي ذلك * فقال يا معشر قريش اني رأيت ما يلقى منكم من
بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد واني ولد
فقالوا صدقت وهذا يدل على ان ذهاب عروة بن مسعود رضي الله عنه * انما
كان بعد تكرر الرسل من قريش اليه صلى الله عليه وسلم وبه يعلم ما في المواهب أن
عروة لما سمع قريشا توبخ بديلا ومن معه من خزاعة قال أي قوم ألستم بالوالد
الى آخره * وفي لفظ ألستم كالوالد أي كل واحد منكم كالوالد لي وأنا كالولد له
* وقيل أنتم حي قد ولدني لأن أمه سبيعة بنت عبد شمس قالوا بلى * قال أولست
بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال يا محمد جمعت أوباش أي اخلاط الناس
ثم جئت بهم الى بيضتك أي أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت
معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة
أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك أي انهزموا غدا وفي لفظ والله
لا أرى وجوها أي عظماء واني أرى أسرابا من الناس خليقا أي حقيقا ان يفروا
ويدعوك وأبو بكر رضي الله عنه جالس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال له أعضض ببظر اللات والبظر قطعة تبقى فى فرج المرأة بعد الختان وقيل التى تقطعها الخاتنة أتحن تنكشف عنه قال من هذا يا محمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبى قحافة فقال اما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها أى على هذه الكلمة التى خاطبتنى بها ولكن هذه بها * وفى رواية والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها لا جبتك وتلك اليد التى كانت لابى بكر رضى الله عنه عند عروة وهى أن عروة استعان فى حمل دية فاعانه الرجل بالواحد من الابل والرجل بالاثنين وأعانه أبو بكر رضى الله عنه بعشرة ابل شواب * ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله وهو يكلمه أى وهذه عادة العرب أن الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفى الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كأنه صلى الله عليه وسلم انما لم يمنعه من ذلك استمالة وتأليفا له والمغيرة بضم الميم وكسرها ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد وعليه المغفر فجعل يقرع يد عروة اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بنصل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها ويقول اكفف يدك عن وجه * وفى رواية عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل اليك فانه لا ينبغى لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة رضى الله عنه اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فيقول للمغيرة ويحك ما أفظك وما أغلظك أى ما أشد قولك * وفى رواية فلما أكثر عليه غضب عروة * وقال ويحك ما أفظك وما أغلظك ليت شعرى من هذا الذى آذانى من بين أصحابك والله انى لا احسب فيكم الأم منه ولا أشر منه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة أى لان عروة كان عم والد المغيرة فالمغيرة يقول له يا عم لان كل قريب من جهة الاب يقال له عم وليس فى الصحيح لفظ بن أخيك فقال أى غدر أى يا غادر وهل غسلت غدرتك * وفى لفظ سوأتك وفى لفظ ألست أسعى فى غدرتك الا بالامس وفى لفظ يا غدر والله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ الا بالامس ولقد أورثتنا العداوة من ثقيف الى آخر الدهر قيل أراد عروة بذلك انه الذى ستر غدر المغيرة بالامس لان المغيرة رضى الله عنه قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر رجالا من بنى مالك من ثقيف وفدهو واياهم مصر على المقوقس بهدايا قال وكنا سدنة اللات أى خدامها واستشرت عمى عروة فى مرافقتهم فأشار على بعدم ذلك * قال فلم أطع رأيه فأنزلنا المقوقس فى كنيسة للضيافة ثم أدخلنا عليه فقدموا الهدية له فاستخبر كبير القوم عنى فقال ليس منا بل من الاحلاف فكنت

أهون القوم عليه فأكرمهم وقصر في حقي * فلما خرجوا لم يعرض على أحد منهم مواساة فكرهت ان يخبروا أهلنا باكرامهم وازدراء الملك بي فأجمعت قتلهم ونزلنا علا فعصبت رأسي فعرضوا على الخمر فقلت رأسي تصدع * ولكن أسقيكم فسقيتهم وأكثرت لهم بغير مزج حتى همدوا فوثبت عليهم فقتلتهم جميعا وأخذت كما معهم وقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده فسلمت عليه وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام يا مغيرة فقال أبو بكر رضي الله عنه من مصر قدمت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك لأنهم من بني مالك فقلت كان بيني وبينهم ما يكون بين العرب وقتلتهم وجئت بأسلابهم ليخمسها النبي صلى الله عليه وسلم أو يرى فيها رأيه * فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إسلامك فقبلته ولا آخذ من أموالهم شيأ ولا أخمسه فإنه غدر والغدر لا خير فيه فقلت يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله قال وبلغ ذلك ثقيفا فتداعوا للقتال واصطلحوا على أن يحمل عمي عروة ثلاث عشرة دية وفي رواية لما وردوا على المقوقس أعطى كل واحد منهم جائزة ولم يعط المغيرة شيأ فحقد عليهم فلما رجعوا ونزلوا منزلا وشربوا الخمر وسكروا وناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم وأخذ أموالهم وجاء وأسلم فاختصم بنو مالك مع رهط المغيرة وشرعوا في المحاربة فسعى عروة في اطفاء نائرة الحرب وصالح بني مالك على ثلاث عشرة دية ودفعها عروة * ولما أسلم المغيرة قال له النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء * وفيه ان هذا مال حربي قصد أخذه والتغلب عليهم إلا أن يقال هؤلاء مؤمنون منه لأنهم اطمأنوا اليه أي ويذكر ان المغيرة ابن شعبة هذا رضي الله عنه كان من دهاة العرب وأحصن في الاسلام ثمانين امرأة * ويقال ثلاثمائة امرأة وقيل ألف امرأة قيل لاحدى نساء المغيرة انه لذميم أعور فقالت هو والله عسيلة يمانية في ظرف سوء * ولما ولي رضي الله عنه الكوفة أرسل يخطب بنت النعمان بن المنذر فقالت لرسوله قل له ما قصدت إلا أن يقال تزوج المغيرة الثقفي بنت النعمان بن المنذر وإلا فأي حظ لشيخ أعور في عجوز عمياء وهذه هي القائلة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما وفدت عليه وهو والي الكوفة وأكرمها في دعائها له ملكتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ولا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا أزال عن كريم نعمة إلا جعلك السبب في عودها اليه إنما يكرم الكريم الكريم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه أول من

حتى سيدنا عمر رضى الله عنه بأمير المؤمنين وعند مجىء عروة أخبر صلى الله عليه
وسلم عروة بما أخبر به من تقدم من أنه لم يأت لحرب فقام من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ أى يغسل يديه الا ابتدروا
وضوءه أى كادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه أى يدلك به من وقع
فى يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شىء الا أخذوه أى واذا تكلم خفضوا
أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر
قريش انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله ما رأيت
ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبدا فروا
رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ما عرض عليكم فانى لكم ناصح مع أنى أخاف
أن لا تنصروا عليه فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا
هذا ويرجع الى قابل فقال ما أراكم الا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه
الى الطائف وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفى وهو عظيم القريتين الذى عنته
قريش بقولها لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * وقيل المعنى
بذلك الوليد بن المغيرة * ويقال ان عروة هذا كان جد الحجاج لامه ويدل لذلك
كما يدل للاول ما حكى عن الشعبى أنه سأل الحجاج وهو والى العراق حاجة فاعتل
عليه فيها فكتب اليه والله لا أعذرك وأنت والى العراقين وابن عظيم القريتين
* ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه
الى قريش وحمله صلى الله عليه وسلم على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه
ما جاء له فعقر وا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عقره عكرمة بن أبى جهل
وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالذى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول
الله انى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد
عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها * ولكن أدلك على رجل أعز بها منى
عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم
أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته * أى ولعل ذكر أبى
سفيان من غلط بعض الرواة لما تقدم أنه لم يكن حاضرا بالحديبية أى صلحها وأمر
صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم

ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله وشيك أي قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان * وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم بعث عثمان رضي الله عنه بكتاب لقريش أي قيل فيه انه ماجاء لحرب أحد وانما جاء معتمرا لدليل ما يأتي في ردهم عليه * وقيل فيه ماوقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو ليقع الصلح بينهم على أن يرجع في هذه السنة الحديث وانهم انما احتبسوه أمسك صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو عنده كذا في شرح الهمزية لابن حجر وقدمه على الاول فليتأمل فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه الى مكة ودخل مكة من الصحابة عشرة أيضا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم لم أقف على أسمائهم ولم أقف على انهم هل دخلوا مع عثمان أم لا * فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قبل خيبر فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى أبي سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به أي وهم يردون عليه ان محمدا لا يدخل علينا أبدا * فلما فرغ عثمان من تبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف (ه) وفي رواية قال له أبان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال وقال المسلمون قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قال وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف به حتى أطوف * فلما رجع عثمان وقالوا له في ذلك أي قالوا له طفت بالبيت * قال بئسما ظننتم بي دعتني قريش الى أن أطوف بالبيت فأبيت والذي نفسي بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم اه * وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضي الله عنه قد قتل أي وكذا قتل معه العشرة رجال الذين دخلوا مكة أيضا فقال صلى الله عليه وسلم عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة أي بعد أن قال لهم أن الله أمرني بالبيعة * فعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بينما نحن جلوس قائلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهو عمر بن الخطاب أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم

الله نثرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه * أى وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة * وهذا هو المراد بما جاء فى بعض الروايات فبايعناه على الموت ولم يتخلف منا أحد الا الجد بن قيس فقال لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس وقد قيل انه كان يرمى بالنفاق وقد نزل فى حقه فى غزوة أى غزوة تبوك من الآيات ما يدل على ذلك كما سيأتى وهو ابن عم البراء بن معرور رضى الله عنه وكان سيد بنى مسلمة بكسر اللام فى الجاهلية وقد قال صلى الله عليه وسلم لبنى مسلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس أى على بخل فيه * قال وأى داء أدوأ من البخل ثم قال صلى الله عليه وسلم بل سيدكم عمرو بن الجموح وقيل قالوا يا رسول الله من سيدنا قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وهذا قال ابن عبد البر ان النفس اليه أميل * ومما يدل للاول ما أنشده شاعر الانصار رضى الله عنهم من قوله

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تسمون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التى * نبخله فيها وان كان أسودا
فتى ما يخطى خطوة لدنيئة * ولا مد يوما ما الى سوءة يدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندا أن يسودا
اذا جاءه السؤال أنهب ماله * وقال خذوه انه عائد غدا
ولو كنت يا جد بن قيس على التى * على مثلها عمرو لكنت المسودا

* أى وبايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان فوضع يده على يده أى وضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك * أى وفى لفظ قال اللهم ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا انه صلى الله عليه وسلم علم بعدم صحة القول بأن عثمان قد قتل أو أن ذلك كان بعد مجىء الخبر له صلى الله عليه وسلم بأن القول بقتل عثمان رضى الله عنه باطل * وفيه أنه حيث علم صلى الله عليه وسلم أن عثمان لم يقتل لا معنى للبيعة لان سببها كما علمت بلوغه الخبر أن عثمان قد قتل * الا أن يقال سببها ما ذكر وقتل العشرة من الصحابة ويدل لذلك ما يأتى قريبا أن عثمان رضى الله عنه بايع بعد مجيئه من مكة فليتأمل أى وبهذا يرد ما تمسك به بعض الشيعة فى تفضيل على كرم الله وجهه على عثمان رضى الله عنه لان عليا كان من جملة من بايع تحت الشجرة وقد خوطبوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض فانه صريح فى تفضيل اهل الشجرة على غيرهم وأيضا على حضر بدرا دون عثمان * وقد جاء

مرفوعا لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية * وحاصل الرد أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع عن عثمان مع الاعتذار عنه بأنه في حاجة الله وحاجة رسوله صلى الله عليه وسلم وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه عن بدر لتمريض بنته صلى الله عليه وسلم وأسهم له كما تقدم فهو في حكم من حضرها على انه سيأتي انه رضي الله عنه بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة * واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض على عدم حياة الخضر عليه الصلاة والسلام حينئذ لانه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه وقد قامت الادلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى * وقد أشار الى امتناع عثمان رضي الله عنه من الطواف والى عدم صحة القول بأن عثمان قتل والى مبايعته صلى الله عليه وسلم عنه صاحب الهمزية بقوله رحمه الله

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبي فناء
فجزته عنها ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادباء

* أي وامتنع رضي الله عنه أن يطوف بالبيت لاجل انه لم يقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من البيت جانب فجزته عن تلك الفعلة وهي ذهابه اليهم وامتناعه من الطواف يد من نبيه عليه الصلاة والسلام تلك اليد البالغة في الكرم وذلك في بيعة رضوان وذلك أدب عظيم عند عثمان رضي الله عنه حصل منه أمر عظيم مستغرب وهو تضاعف ثواب الاعمال التي تركها بسبب تركها وهي الطواف * وذكر ان قريشا بعثت الى أبي بن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله رضي الله عنه يا أبت أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ قال ان لي في رسول الله أسوة حسنة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم امتناعه بذلك رضي عنه وأثنى عليه بذلك * وكانت البيعة تحت شجرة هناك أي من أشجار السمر أي ولما جاء عثمان رضي الله عنه بايع تحت تلك الشجرة * وقيل لها بيعة الرضوان أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة رواه مسلم وكانوا ألفا وأربعمائة على الصحيح وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وتقدم ان الواو بمعنى أو في حديث لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية بدليل رواية مسلم هذه * ومن ثم قال ابن عبد البر رحمه الله ليس

في غزواته صلى الله عليه وسلم مابعد بدرا بدرا أو يقرب منها الاغزوة الحديبية والرابع تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية وأنها التي تلي بدرا في الفضيلة * وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن أبي سنان الاسدي كذا في الاصل أنه الصواب بعد ان حكى أن أول من بايع أبوسنان أي وهو ماذهب اليه في الاستيعاب حيث قال الاكثر الاشهر أن أباسنان أول من بايع بيعة الرضوان أي لا ابنه سنان وأبوسنان هذا هو أخو عكاشة بن محصن رضي الله عنه وكان أكبر من أخيه عكاشة بعشرين سنة وضعفه في الاصل بأن أباسنان رضي الله عنه مات في حصار بني قريظة ودفن بمقبرتهم أي كما تقدم * ولما بايعه سنان قال النبي صلى الله عليه وسلم أبايعك على ما في نفسك قال وما في نفسي قال اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون له صلى الله عليه وسلم نبايعك على ما بايعك عليه سنان * وقيل أول من بايع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره له صلى الله عليه وسلم في الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له في ذلك فضيلة أي لانه صلى الله عليه وسلم أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وغنائه في الاسلام وشهرته في الثبات * أي بدليل ماوقع له رضي الله عنه في غزوة ذي قرد بناء على تقدمها على ماهنا أو تفرس فيه صلى الله عليه وسلم ذلك بناء على تأخرها وبايع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرتين أي وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله الآية ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله تعالى الآية أي لا تصدوا هؤلاء العمار أن صدكم أصحابهم * قال وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص أي وهو الذي بعثته قريش له صلى الله عليه وسلم ليسأله فجاء وقال صلى الله عليه وسلم ليلا في حقه هذا رجل غادر * وفي لفظ رجل فاجر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجاء ان يصيبوا منهم أحدا و يجدوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه الا مكرز فانه أفلت أوصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم انه رجل فاجر أو غادر كما تقدم وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا و بلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة * وقتل من المسلمين ابن زنيم رمي بسهم

فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا * وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة فيهم سهيل بن عمرو فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه سهيل أمركم فقال سهيل يا محمد ان الذى كان من حبس أصحابك أى عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا فابعث الينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابى فقالوا ننفعل فبعث سهيل ومن معه الى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم وهو عثمان والعشرة رجال * فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابهم انتهى ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا * وأشار أهل الرأى بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثوا سهيل بن عمرو أى ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول صلى الله عليه وسلم ليصالحه على أن يرجع فى عامه هذا لئلا تتحدث العرب بانه دخل عنوة أى وانه يعود من قابل فأتاه سهيل بن عمرو * فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل أى ثانيا فلما انتهى سهيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جثا على ركبتيه بين يديه صلى الله عليه وسلم والمسلمون حوله جلوس وتكلم فأطال ثم تراجعا * أى ومن جملة ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة بالضم أى بالشدة والاكراه * ولكن ذلك من العام القابل ثم التأم الامر بينهما على الصلح على ترك القتال الى آخر ما يأتى ولم يبق الا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأتى أبا بكر رضى الله عنه فقال له يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلى م نعطى الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء المنقيصة والخصلة المذمومة فى ديننا فقال له أبو بكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه * وفى رواية أنه قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت فانى أشهد أنه رسول الله قال عمر رضى الله عنه وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابى بكر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ولقى عمر رضى الله عنه من ذلك الشروط الآتى ذكرها

أمراً عظيماً وجعل يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام حتى قال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم * حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر إني رضيت وتأبى فكان عمر رضي الله عنه يقول مازلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون هذا خيرا هذا والذي في الامتاع عكس ما هنا * أي أنه قال ما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ثم لأبي بكر ثانياً ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أي بعد أن كان أمر أوس بن خولة أن يكتب فقال له سهيل لا يكتب إلا ابن عمك علي أو عثمان بن عفان فأمر علياً كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ابن عمرو لا أعرف هذا أي الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لأن قريشاً كانت تقولها * وأول من كتبها أمية بن أبي الصلت ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن في خبر ذكره المسعودي أي وإنما كتبها بعد أن قال المسلمون والله لا يكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فضج المسلمون وعن الشعبي رحمه الله كان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فكتب النبي أول ما كتب باسمك اللهم * وتقدم أنه كتب ذلك في أربع كتب حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم أي فكتبها * وهذا السياق يدل على تأخر نزول الفاتحة عن هذه الآيات لأن البسملة نزلت أولها وتقدم الخلاف في وقت نزولها فليتأمل ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو * فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك * أي وفي لفظ لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك واتبعتك أترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه امحه * وفي لفظ امح رسول الله فقال علي كرم الله وجهه ما أنا بالذي أمحاه وفي لفظ لا أمحوك وفي لفظ والله لا أمحوك أبداً فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو وقال أنا والله رسول الله وإن كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله وفي لفظ فجعل علي يتلكأ ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب

ذلك منها ما تعطيها وأنت مضطهد أى مقهور وهو اشارة منه صلى الله عليه وسلم لما سيقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما انهما لما في حرب صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال الى رأس الحول وكان القتال فى صفر دام مائة يوم وعشرة أيام قتل فيه سبعون ألفا خمسة وعشرون ألفا من جيش على كرم الله وجهه من جملة تسعين ألفا وخمسة وأربعون ألفا من جيش معاوية من جملة مائة وعشرين ألفا * فلما كتب الكاتب فى الصلح هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقال عمرو بن العاص رضى الله عنهما الذى هو أحد الحكمين اكتب اسمه واسم أبيه وأرسل معاوية يقول له بئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله * ولكن اكتب على ابن أبى طالب وامح أمير المؤمنين فقيل له يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك * فلما سمع على كرم الله وجهه ذلك وأمره بمحوها وقال الله أكبر مثلا بمثل والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أتشبه بالكفار فقال له على كرم الله وجهه يا ابن النابغة أى العاهرة ومتى كنت عدوا للمسلمين هل تشبه لأمك التى وقعت بك فقال عمرو لا يجمع بينى وبينك مجلس أبدا فقال على كرم الله وجهه انى لأرجو الله أن يطهر مجلسى منك ومن أشباهك وذكر أن أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما أخذا بيد على كرم الله وجهه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بيننا وبينهم وضجت المسلمون وارتفعت الأصوات وجعلوا يقولون لم نعط هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومئ بيده اليهم أن اسكتوا ثم ذكر بقية الحديث وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين * وقيل سنتين وقيل أربع سنين أى وصححه الحاكم تأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض * أى ويقال لهذا العقد هدنة ومهادنة وموادعة ومسالمة وقال زيادة على اشتراط الكف عن الحرب على أنه من أتى محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده اليه ذكرا كان أو أنثى قال السهيلى رحمه وفى رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله

هذا كلامه * ومن أتى قريشا ممن كان مع محمد أى مرتدا ذكرا كان أو انثى لم نرده اليه * وهذا الثانى يوافق قول أئمتنا معاشر الشافعية يجوز شرط أن لا يردوا من جاءهم مرتدا . * والاول يخالف قولهم لا يجوز شرط رد مسلمة تأتينا منهم فان شرط فسد الشرط والعقد * الا أن يقال هذا ما وقع عليه الامر أولا ثم نسخ كما سيأتى وشرطوا أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا و بينكم غيبة مكفوفة أى صدورا منطوية على ما فيها الا تبدى عداوة وقيل صدور ا نقية من الغل والخداع منطوية على الوفاء بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة * قال سهيل وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وأنه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فتدخلها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة أى ثلاثة أيام معك سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس لا تدخلها بغيرها * ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذى كتب الكتاب بيده الشريفة وهو ما وقع فى البخارى أى أطلق الله يده صلى الله عليه وسلم بالكتابة فى تلك الساعة خاصة وعد معجزة له * قال بعضهم لم يعتبره أى القول بذلك أهل العلم ومعنى كتب أمر بالكتابة * وفى النور وفى كون هذا أى انه كتب بيده فى البخارى فيه نظر والذى فى البخارى وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ليكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد الحديث أى فلفظة بيده ليست فى البخارى ومع اسقاطها التأويل ممكن * وتمسك بظاهر قوله فكتب أبو الوليد الباجى المالكى رحمه الله على انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه بأن هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لان هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن * وبعد ان تحققت أميته صلى الله عليه وسلم وتقررت بذلك معجزته لا مانع من ان يعرف الكتابة من غير معلم فتكون معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا * أى و يقال ان الذى كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة رضى الله عنه وعده الحافظ بن حجر رحمه الله من الاوهام * وجمع بأن أصل هذا الكتاب كتبه على كرم الله وجهه ونسخ مثله محمد بن مسلمة رضى الله عنه لسهيل بن عمرو أى فان سهيلا قال يكون هذا الكتاب عندى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عندى فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب لسهيل نسخة أخذها عنده * وعند كتابته اشتراط ان نرد اليهم من جاء مسلما قال المسلمون سبحان الله كيف نرد للمشركين من جاء مسلما وعسر عليهم شرط ذلك وقالوا يا رسول الله

أن نكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا وفي لفظ قال عمر يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ومن أعرض عنا وذهب اليهم فليس منا ومنه في شيء وليس ممابل هو أولى بهم ✻ فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف في الحديد أي يمشي في قيوده متوشحا سيفه قد أفلت الى ان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى نفسه بين أظهر المسلمين ✻ فجعل المسلمون يرحبون به ويهنونه ✻ فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وفي لفظ أخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه أبي جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وأخذ بتلبيبه وقال يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه ان ترده الى لقد لجت القضية بيني وبينك أي وجبت وتمت قبل أن يأتيك هذا ✻ قال صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل أبو جندل رضي الله عنه يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنوني عن ديني ألا ترون مالقيت فانه رضي الله عنه كان عذب عذابا شديدا على ان يرجع عن الاسلام وزاد الناس ذلك الى ما بهم أي فانهم كانوا لا يشكون في دخولهم مكة وطوافهم بالبيت للرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا الصلح وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصا من اشتراط ان يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم ✻ أي ورد أبي جندل اليهم بعد ضربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم وبهذا استدل أئمتنا على أنه يجوز شرط رد من جاءنا منهم مسلما اليهم ولا نرده اليهم الا اذا كان حرا ذكرا غير صبي ومجنون وطلبته عشيرته ✻ وفي لفظ آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسهيل انا لم نقض الكتاب بعد فقال بلى لقد لجت القضية بيني وبينك أي تم العقد فرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي فقال ما أنا بمجير ذلك لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد أجرناه لك لا نعذبه ✻ أي وهذا وما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمي رحمه الله ان مجيء أبي جندل كان قبل عقد الهدنة معهم رواه البخاري وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رأيت قوما قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد أما اني أقول لك

لا تأخذ من محمد نصفا أبدا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة فقال مكرز وأنا أرى ذلك * وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومشى الى جنب أبي جندل أي وأبوه سهيل بجنبه يدفعه وصار عمر رضي الله عنه يقول لابي جندل اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم كلب أي ومعه السيف يعرض له بقتل أبيه * أي وفي رواية أن دم الكافر عند الله كدم الكلب ويدني قائم السيف منه * أي وفي لفظ وجعل يقول يا أبا جندل ان الرجل يقتل أباه في الله والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل رضي الله عنه ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني قال عمر رضي الله عنه ووددت أن يأخذ السيف فيضرب أباه فضن الرجل بأبيه وفيه كيف يظن عمر حينئذ جواز قتله لابيه حتى يعرض له به الا أن يقال ظن ذلك لكونه يريد أن يفتنه عن دينه ويرجع الى الكفر وان كان صلى الله قال له يا أبا جندل اصبر واحتسب ورجع أبو جندل الى مكة في جوار مكرز بن حفص أي وحويطب فادخلاه مكانا وكف عنه أبوه وأبو جندل اسمه العاص وهو أخو عبد الله بن سهيل بن عمرو واسلام عبد الله سابق على اسلام أبي جندل لان عبد الله شهد بدرا أي فانه خرج مع المشركين لبدر ثم انحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا والمشاهد كلها وأبو جندل رضي الله عنه أول مشاهده الفتح ودخلت خزاعة في عقده صلى الله عليه وسلم وعهده * أي وفي لفظ ووثب من هناك من خزاعة فقالوا نحن ندخل في عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا من قومنا ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ويذكر أن حويطبا قال لسهيل بادأن اخوالك يعني خزاعة بالعداوة وكانوا يستترون منا فدخلوا في عهد محمد وعقده فقال له سهيل ما هم الا كغيرهم هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد قوم اختار والانفسهم أمرا فما نصنع بهم قال حويطب نصنع بهم ان ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر * قال سهيل اياك ان تسمع هذا منك بنو بكر فانهم أهل شؤم فيبيتوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه فينتقض العهد بيننا وبينه * ومن هذا التقرير يعلم أن بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه * ووقع في المواهب ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذي وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو فحبست قريش عثمان فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا ولا يخفى عليك ما فيه ولما فرغ رسول الله

صلى الله عليه وسلم بن الصلح وأشهد عليه رجالا من المسلمين أى أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة أى ورجالا من قريش حويطب ومكرز قام الى هديه فنحره * ومن جملته جمل لابى جهل * وكان نجيبا مهريا وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم فى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب ليغيظ به المشركين غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كما تقدم * قال وقد كان ند من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو بن غنمة الانصارى فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة ثياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا انتهى * وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو أن تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فأمسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له أى فعرضوا عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأبى وقال لولم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة * وفرق صلى الله عليه وسلم لحم الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية حتى نحرت بالمروة وقسم لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه * وكان الحالق لرأسه خراش بن أمية الخزاعى الذى بعثه الى قريش فعقروا جمله وأرادوا قتله كما تقدم * فلما رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبى قتادة * وفى كلام بعضهم أى وهو السهيلى انه لم يقصر غيرهما * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة فقال اللهم ارحم المحلقين وفى لفظ يرحم الله المحلقين * وفى لفظ اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين أى قال اللهم ارحم المحلقين أو اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين والمقصرين * وفى رواية قال والمقصرين فى الرابعة * وقد قالوا له يا رسول الله لم ظاهرت أى أظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا أى لم يرجوا ان يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين أى لان الظاهر من حالهم أنهم أخروا وابقية شعورهم رجاء أن يحلقوها بعد دخولهم بالبيت * وأرسل الله سبحانه وتعالى ريحا عاصفة احتملت شعورهم فألقتها فى الحرم وفيه أنه تقدم أن الحديبية أكثرها فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق قال ذلك ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أى

فأخبر وه بما دعاهم اليه وانه زعم أنه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذ أمن أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ماذكر ✽ وفى رواية أنه لما سألهم قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا و بينك من الفرس حربا فاذا فرغنا عما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا أى نصروا بذكرهم اسمى ولازال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ويقول لا أكره أحدا على شيء من رضى الذى أدعوه اليه فذاك ومن كره لم أكرهه انما أريد منعى من القتل حتى أبلغ رسالات ربى فلم يقبله أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ✽ وعن ابن اسحاق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم ✽ وفى سيرة مغلطاى ومستدرك الحاكم أن ذلك كان فى شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة أى وهى عند يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى بها رهطا من الخزرج أى لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب أى والاوس فى الاصل أى اللغة العطية و يقال للذئب ويقال لرجل اللهو واللعب والخزرج فى الاصل الريح الباردة قيل هى الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة فى الاصل و بين الناس اختلاف فى ذكرهم فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج فقال أمن موالى يهود أى من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وأن يأمن بعضهم من بعض وهذا كان فى أول أمرهم قبل أن تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم ✽ وفى لفظ وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام أى ورأوا امارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبى الذى يوعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع بينهم و بينهم شيء من الشر قالوا لهم سيبعث نبى قد ظل أى قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وارم أى كما تقدم فى أخبار الاحبار والمراد نستأصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا له

انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم أى فان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب ومكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة أى مائة وعشرين كما فى الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك * أقول وفى رواية فلوابا رسول الله انما كانت بعاث أى بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفى آخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف * نعم ابن دريد صحف الخليل بن أحمد يوم بغاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفى القاموس بالمهملة والمعجمة عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بنى قريظة ويقال انه حصن للاوس كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد أسيد وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر فيهم أولا للخزرج ثم صار للاوس * وسبب القتال انه كان من قاعدتهم أن الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس أى وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج أى وهو ذياد والد المجذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمجذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فأرادوا أن يقتلوا به وبداه فأبى عليه الاوس ذلك لان سويدا هذا كان تسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان أمه أخت سلمى أم عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج * وفى كلام بعضهم انه آمن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا

بإيمانه فقتلته الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر ولمذياد الذى قتله سويد لان سويدا كان قد شرب الخمر وجلس ببول وهو ممتلئ سكرا فضربه انسان من الخزرج فخرج حتى أتى للمجذر بن ذياد فقال هل لك فى الغنيمة الباردة قال ما هى قال سويد أعزل لا سلاح معه فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما أبصر سويدا قال له قد أمكن الله منك قال ما تريد منى قال قتلك فقتله وكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج ببعاث * فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحارث بن سويد والمجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب مجذرا يقتله بأبيه فلم يقدر عليه حتى كان وقعة أحد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتى وممن قتل فى هذه الحرب التى يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص يقال له أبو الحيسر أنس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم به قالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله بعثنى للعباد وأدعوهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا أى قوم والله خير مما جئنا اليه فأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله أعلم ثم انصرف أولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم * قال وفى رواية أنهم لما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك أن تمكث على رسلك أى على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أى فلم يقع لهؤلاء الستة أو الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء اسلام الانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الأوس والخزرج اثنا عشر رجلا أى عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا أحد عشر رجلا منهم خمسة من الستة أو الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا فبايعهم أى عاهدهم صلى الله عليه وسلم أى وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم آية النساء أى الآية التى نزلت بعد ذلك فى شأن النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء * فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أى كبيعة النساء أى كبايعته للنساء التى كانت يوم فتح مكة وهى على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا أى لان قتل الاولاد كان سابقا فيهم وهو وأد البنات قيل والبنين خوف الاملاق * وفى النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدونهن وهو دفنهن أحياء بعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبى قال ولا يأتى ببهتان أى الكذب الذى يبهت سامعه نفتريه بين أيدينا وأرجلنا أى فى الحال والاستقبال قيل وغير ذلك ولا نعصيه فى معروف أى ما عرف من الشارع حسنه نهيا وأمرا * قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة فى حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحاق وغيره عن أهل المغازى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار أبايعكم على أن تمنعونى ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال هذه أدلة صريحة فى أن هذه البيعة بعد نزول الآية بعد فتح مكة * أقول ليس فى كلام عبادة أن هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن أن يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلا علينا آية النساء ولا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على أن هذه المبايعة متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله أعلم * زاد بعضهم والسمع والطاعة فى اليسر والعسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم * ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد أى ثبت على العهد فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به فى الدنيا فهو أى العقاب طهرة له أو قال كفارة له * واستشكل بأن أبا هريرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا أدرى الحدود كفارة لاهلها أولا واسلام أبى هريرة تأخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما سيأتى فانه كان عام خيبر سنة سبع * ويجاب بأن هذه البيعة التى ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه أى ان الحدود كفارة * قال صلى الله عليه وسلم ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فأمره الى الله عز وجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه أى وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر أن يشرك به * وفى رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك

يردوهن الى مكة * فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاستحلف صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فأعطى صلى الله عليه وسلم زوجها مسافرا ما أنفق عليها فتزوجها عمر رضي الله عنه وهذا السياق يدل على أن الآية الكريمة نزلت بالحديبية وما قبله يدل على أنها نزلت بالمدينة * وقد يقال لا مانع من تكرر نزول الآية وأما في غير مدة هذا العهد أي بعد نسخه بفتح مكة فلم تستحلف امرأة جاءت الى المدينة ولا يرد صداقها الى بعلها * ومن ثم ذهب أئمتنا الى أنه اذا شرط رد المسلمة اليهم فسدت الهدنة كما تقدم ولا يجب دفع المهر للزوج لو جاءت مسلمة * وقوله تعالى وآتوهم أي الازواج ما أنفقوا أي من المهر محمول على الندب والصارف له عن الوجوب كون الاصل براءة الذمة لان البضع ليس بمال الكافر وفيه ان طلب رد المهر للازواج كان واجبا في مدة العهد خاصة كما علمت * وأنزل الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر أي نهى المؤمنين عن البقاء على نكاح المشركات فطلق الصحابة رضي الله عنهم كل امرأة كافرة في نكاحهم حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له امرأتان فطلقهما يومئذ فتزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية فكان صلى الله عليه وسلم في مدة العهد يرد الرجال ولا يرد النساء أي بعد امتحانهن * فقد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أبو بصير رضي الله عنه وكان ممن حبس بمكة وكتب في رده أزهر بن عوف رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو من الطلقاء وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس ابن شريف رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كتابا وبعثا به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يا رسول الله أتردني الى المشركين يفتنوني عن ديني قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما * أي وصار المسلمون رضي الله عنهم يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يغرونه بالذين معه حتى اذا كان بذي الحليفة جلس رضي الله عنه الى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير رضي الله عنه لاحد صاحبيه ومعه سيفه

أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر قال نعم انظر اليه ان شئت فاستله أبو بصير رضي الله عنه ثم علاه به حتى قتله وفي لفظ ان الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال لاضربن بسيفي هذا في الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير أوصارم سيفك هذا قال نعم فقال ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد *وقيل تناوله بفيه وصاحبه نائم فقطع أساره أي كتافه ثم ضربه به حتى برد فطلب المولى فخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد * فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصا يطير تحت قدميه *وفي لفظ والحصا يطير من تحت قدميه من شدة عدوه أي وأبو بصير في أثره حتى أرعجه قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا * وفي لفظ قد لقي هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد وانى لمقتوله* واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير رضي الله عنه أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحا السيف ووثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله وفت ذمتك وادى الله عنك اسلمتني بيد القوم *وقد امتنعت بديني أن افتن فيه أو يفتن بي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا سلب العامري أي الذي قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال له صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك سلب صاحبك *ومن ثم قال فقهاؤنا يجوز رد المسلم الى الطالب له من غير عشيرته اذا قدر على قهر الطالب والهرب منه وعند ذلك ذهب أبو بصير رضي الله عنه الى محل من طريق الشام تمر به عيران قريش واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة أي لانهم لما بلغهم خبره رضي الله عنه أي وأنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال صار رواية يتسللون اليه وأنفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنهما الذي رده يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين فارسا أسلموا فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة التي هي زمن الهدنة أي خوف أن يردهم الى أهليهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطع واماذة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم * وفي رواية ان قريشا أرسلت أباسفيان بن حرب رضي الله

عنه فى ذلك وأن قريشا قالوا انا اسقطنا هذا الشرط من الشروط من جاء منهم اليك فأمسكه فى غير حرج * أى وفى لفظ من أتاه فهو آمن فانا أسقطنا هذا الشرط فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى جندل والى أبى بصير رضى الله عنهما أن يقدما عليه أى وأن من معهما من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرانهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير رضى الله عنه يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل رضى الله عنه مكانه وجعل عند قبره مسجدا * وقدم أبو جندل رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيرانهم * وعلمت أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الذين عسر عليهم رد أبى جندل الى قريش مع أبيه سهيل بن عمرو وان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه صلى الله عليه وسلم أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت أولى لانها كانت سببا لكثرة المسلمين فان الكفار لما أمنوا القتال اختلطوا بالمسلمين فأثر فيهم الاسلام فأسلم كثير منهم * وقد ذكر بعض المفسرين أن الذين أسلموا فى سنتى الفتح بناء على أن المدة كانت سنتين أو المعنى سنتين من الصلح أى من مدته يعدلون الذين أسلموا قبلهما * قال وعن بعضهم أى وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول ما كان فتح فى الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد * لقد رأيت سهيل بن عمرو رضى الله عنه بعد اسلامه فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده * ودعا الحلاق لحلق رأسه فأنظر الى سهيل كلما يلفظ من شعره صلى الله عليه وسلم يضعه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أى وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمدت الله وشكرته الذى هداه للاسلام وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون قد حصرنا المشركون وكان لى وفرة فجعلت الهوام أى القمل تتساقط على وجهى فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى رواية مات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى * وفى رواية أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال أدن فدنوت يقول ذلك

مرتين أو ثلاثا * وفي رواية أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وأنا أوقد تحت برمة وفي لفظ قدر لى فقال كأنك تؤذيك هوام رأسك قال أجل قال احلق واهد هديا فقال ما أجد هديا فقال صم ثلاثة أيام * وفي لفظ فقال أيؤذيك هوام رأسك وفي لفظ لعلك أذاك هوام رأسك * قلت نعم يا رسول الله قال ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا فأمرني أن أحلق أي وفي رواية أصابتني هوام في رأسي وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى تخوفت على بصري * وأنزل الله تعالى هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه أي فحلق ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق * أي زاد في رواية من زبيب بين ستة مساكين والفرق بفتح الفاء والراء ثلاثة آصع * أي زاد في رواية من تمر لكل مسكين نصف صاع أو انسك أي اذبح ما تيسر لك انتهى * زاد في رواية أي ذلك فعلت أجزأ عنك فحلقت ثم نسكت * أي وفي رواية الشيخين أنسك شاة أو صم ثلاثة أيام أو أطعم فرقا من الطعام على ستة مساكين * قال ابن عبد البر عامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القرآن وعليه عمل العلماء في كل الأمصار وفتواهم وما ورد من الترتيب في بعض الأحاديث لو صح معناه الاختيار أولا فأولا * قال في سفر السعادة أمر صلى الله عليه وسلم في علاج القمل بحلق الرأس لتنفتح المسام وتتصاعد الأبخرة وتضعف المادة الفاسدة التي يتولد القمل منها * وذكر في الهدى أن أصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة والاستفراغ فإلى الأول شرع التيمم خوفا من استعمال الماء وإلى الثاني شرع الفطر في رمضان في السفر لئلا تتوالى مشقة السفر ومشقة الصوم وإلى الثالث بحلق رأس المحرم إذا كان به أذى من قمل ليستفرغ المادة الفاسدة والأبخرة الرديئة * وعند أئمتنا لابد أن يكون ما يذبحه مجزيا في الأضحية وبعد الحديبية قبل خيبر وقيل بعد خيبر نزلت آية الظهار قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وسبب ذلك أن أوس بن الصامت لأخ عبادة بن الصامت كما قيل أي وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه * وفي لفظ كان به لمم أي نوع من الجنون وكان فاقد البصر قال لزوجته خولة بنت ثعلبة وفي لفظ بنت خويلد وكانت بنت عمه وقد راجعته في شيء فغضب فقال لها أنت على كظهر أمي * وكان ذلك في زمن الجاهلية طلاقا أي كالطلاق في تحريم النساء ثم راودها عن نفسها فقالت كلا لا تصل إلي وقد قلت ما قلت حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي لفظ انه لما قال لها أنت على كظهر

أمى اسقط فى يده وقال ماأراك الاقدحرمت على انطلقى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأليه فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو يمشط رأسه الشريف أى عنده ماشطة أى وهى عائشة رضى الله عنها تمشط رأسه وفى لفظ كان الظهار أشد الطلاق وأحرم الحرام اذا ظاهر الرجل من امرأته لم ترجع اليه أبدا فأخبرته فقال لها صلى الله عليه وسلم ماأمرنا بشىء من أمرك ماأراك الاقدحرمت عليه فقالت يارسول الله والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه أبو ولدى وأحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى وتركى الى غير أحد وقد كبرسنى ودق عظمى * وفى لفظ انها قالت اللهم انى أشكو اليك شدة وحدتى وماشق على من فراقه ومنزل بى ومصيبتى * قالت عائشة رضى الله عنها فلقد بكيت وبكى من كان فى البيت رحمة لها ورقة عليها * وفى لفظ قالت يارسول الله ان زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأناذات مال وأهل فلما أكل مالى وذهب شبابى ونفضت بطنى وتفرق أهلى ظاهر منى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأراك الاقدحرمت عليه فبكت وصاحت وقالت أشكو الى الله فقرى ووحدتى وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا وصارت ترفع رأسها الى السماء * فبينما هو صلى الله عليه وسلم قدفرغ من شق رأسه وأخذ فى الشق الآخر أنزل الله الآية فسرى عنه وهو يتبسم فقال صلى الله عليه وسلم مريه فليحرر رقبة فقالت والله ماله خادم غيرى قال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والله انه لشيخ كبيرانه ان لم يأكل فى اليوم مرتين يسدر بصره أى لوكان مبصرا فلا ينافى ماتقدم أنه كان فاقد البصر قال فليطعم ستين مسكينا فقالت والله مالنا اليوم وقية فقال مريه فلينطلق الى فلان بن فلان شخصا من الانصار اخبرنى ان عنده شطر وسق من تمر يريد أن يتصدق به فليأخذه منه وفى رواية مريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينا وليراجعنك ثم أتته فقصت عليه القصة فانطلق ففعل * أى وفى لفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا سنعينه بفرق من تمر فبكت وقالت وأنا يارسول الله سنعينه بفرق آخر قال قد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا * وفى رواية لما قال لها صلى الله عليه وسلم ماأعلم الاقدحرمت عليه قالت لها عائشة رضى الله عنها وراءك فتنحت فلما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحى وسرى عنه قال ياعائشة أين المرأة قالت هاهى هذه قال ادعيها فدعوتها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم اذهبى فجيئى بزوجك فذهبت فجاءت به فأدخلته

على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو ضرير البصر فتبرمني الخلق فقال له صلى الله عليه وسلم أتجد رقبة قال لا * وفي لفظ قال مالي بهذا من قدرة قال أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل في اليوم مرتين كل بصري أي لو كان موجودا قال أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا قال لا الا أن تعينني بها فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر عنه * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أعطاه مكتلا يأخذ خمسة عشر صاعا فقال أطعمه ستين مسكينا * قال بعضهم وكانوا يرون أن عند أوس رضي الله عنه مثلها حتى يكون لكل مسكين نصف صاع وفيه انه خلاف الروايات أنه لا يملك شيأ فقال على أفقر مني فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج اليه مني فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذهب به الى أهلك * وهذا أول ظهار وقع في الاسلام ومر عمر رضي الله عنه بخولة هذه في أيام خلافته فقالت له قف يا عمر فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها وأطالت الوقوف وأغلظت له القول أي قالت له هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا وأنت في سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية * واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت * فقال لها الجارود قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعها * وفي رواية فقال له قائل حبست الناس لاجل هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت حتى تنقضي حاجتها قيل وفي هذه السنة التي هي سنة ست حرمت الخمر * وبه جزم الحافظ الدمياطي وقيل حرمت سنة أربع * أي ويدل له ما تقدم من اراقة الخمر وكسر جرارها في بني قريظة * وقيل في السنة الثالثة وقيل انما حرمت في عام الفتح * قال بعضهم حرمت ثلاث مرات أي نزل تحريمها ثلاث مرات كان المسلمون يشربونها حلالا أي لغيره صلى الله عليه وسلم أما هو فحرمت عليه قبل البعثة بعشرين سنة فلم تبح له قط وقد جاء أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاصنام شرب الخمر * وتقدم ان جماعة حرموها على أنفسهم وامتنعوا من شربها ولا زالت حلالا للناس حتى نزل قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فعند ذلك اجتنبها قوم لوجود الاثم وتعاطاها آخرون لوجود النفع * أي وكانوا ربما شربوها وصلوا فلما نزل قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى امتنع من كان يشربها

لاحل النفع من شربها في أوقات الصلاة ✽ ورجع قوم منهم عن شربها حتى في غير أوقات الصلاة وقالوا الاخير في شيء يحول بيننا و بين الصلاة وسبب نزول هذه الآية ماجاء عن علي كرم الله وجهه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما أي وشرابا من الخمر فأكلنا وشربنا فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة أي الجهرية وقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون الى أن قلت وليس لي دين وليس لكم دين ثم نزلت الآية الاخرى الدالة على تحريمها مطلقا وهي انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل أنتم منتهون أي ولعل هذه الآية الاخيرة هي التي عناها أنس رضي الله عنه بقوله كما في البخاري كنت ساقي القوم الخمر بمنزل أبي طلحة أي وهو زوج أمه رضي الله عنهم ونزل تحريم الخمر فرمناد ينادي الاان الخمر قد حرمت ✽ فقال أبو طلحة أخرج فانظر ما هذا الصوت قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادي الاان الخمر قد حرمت فقال لي اذهب فأهرقها فقال بعض القوم قتل قوم أي في أحد وهي في بطونهم ✽ وفي رواية قالوا يا رسول الله كيف بمن مات من أصحابنا وكان شربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لان ذلك كان قبل تحريمها مطلقا ✽ وقد جيء لعمر رضي الله عنه بشخص من المهاجرين الاولين قد سكر فأراد عمر جلده فاستدل على عمر بهذه الآية فقال عمر لمن حضره ألا تردون عليه فقال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين ثم استشار عمر رضي الله عنه عليا كرم الله وجهه فأشار عليه أن يجلده ثمانين جلدة ✽ ولعل هذا الشخص هو قدامة بن مظعون وتقدمت قصته في بدر وتقدم في ذلك ان الذي رد عليه بذلك عمر لا ابن عباس رضي الله عنهم وكذا وقع لابي جندل رضي الله عنه مثل ذلك وأنه أشفق أي خاف من ذلك فلما بلغ عمر رضي الله عنه كتب اليه ان الذي زين اليك الخطيئة هو الذي حظر أي منع عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم

✽(غزوة خيبر)

✽ على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب أي الذي سميت باسمه المدينة كما تقدم ✽ وفي كلام بعضهم الخيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد كما في سيرة الحافظ الدمياطي ومعلوم أن البريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال ✽ ولما رجع

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية أقام شهرا وبعض شهر أي ذي الحجة تمام سنة ست وأيام من المحرم افتتاح سنة سبع أياما قيل عشرين يوما أو قريبا من ذلك ثم خرج الى خيبر أي وهذا ما ذهب اليه الجمهور * ونقل عن الامام مالك رضي الله عنه ان خيبر كانت سنة ست واليه ذهب الامام بن حزم * وفي التعليقة للشيخ أبي حامد انها كانت سنة خمس * قال الحافظ بن حجر وهو وهم ولعله انتقل من الخندق الى خيبر * قال وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا أي لا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادي بذلك فنادى به * قال أنس رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة وهو زوج أم أنس كما تقدم حين أراد الخروج الى خيبر التمس الى غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة مردفي وانا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال انتهى * أقول وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس رضي الله عنه حينئذ وهو يخالف ما سبق ان عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين في مسلم عن أنس قال جاءت بي أمي أم أنس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني نصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده * وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ما ذكر رجاء أن يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس ومن ثم لم يخرجه صلى الله عليه وسلم معه ويرده أنه خرج معه في بدر فقد جاء أنه قيل لانس رضي الله عنه أشهدت بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أم لك وأين غبت عن بدر * وقد يقال جاز أن يكون عرض لانس رضي الله عنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ما يقتضي الشفقة عليه في عدم اخراجه معه والله أعلم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة وقيل سباع بن عرفطة أي وصح وكان الله وعده وهو بالحديبية أي عند منصرفه منها في سورة الفتح بمغانم بقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في مسيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضي الله

عنهم ما انزل فحدثنا من هناتك وفي رواية من هنيهاتك و في لفظ من هنياتك بقلب الها الثانية ياء أي من أراجيزك وأشعارك ✽ وفي لفظ انزل فحرك بنا الركاب فقال يارسول الله قد تولى قولي أي الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز بقوله رضي الله عنه

والله لولا الله ما اهتدينا ✽ ولا تصدقنا ولا صلينا

الابيات وفي مسلم ✽ اللهم لولا أنت ما اهتدينا

قيل وصوابه في الوزن لاهم أو بالله أو والله لكن في تلك الابيات فاغفر فداك ما اقتفينا أي اغفر ما اكتسبنا وأصل الاقتفاء الاتباع وفي خطاب الباري عزوجل بفداك ما لا ينبغي لانه لا يقال للباري عزوجل فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه متوقع حلوله بالمفدى بالفتح فيجعل المفدي بالكسر نفسه فداء له من ذلك فيبذل نفسه عن نفسه ✽ وأجيب عن ذلك بأن الشاعر لم يرد ذلك بل أراد أن يبذل نفسه في رضاه سبحانه وتعالى وعند انشاد الابيات المذكورة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه والله وجبت أي الشهادة يارسول الله لولا أي هلا أمتعتنا به أي أبقيته لنا لنتمتع به ومنه أمتعني الله ببقائك أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر لانه صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا واستشهد ✽ وفي لفظ أن القائل له أسمعنا رجل من القوم قال الحافظ بن حجر لم أقف على اسمه صريحا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعه قال من هذا السائق قالوا عامر قال صلى الله عليه وسلم يرحمه الله فقتل في هذه الغزاة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك رضي الله عنه فقال الناس قتله سلاحه ✽ وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه صلى الله عليه وسلم والمسلمون ✽ وفي رواية قال سلمة بن الاكوع يارسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن أخي عامرا حبط عمله ✽ وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا حبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه ✽ وفي رواية انه لشهيد وفي لفظ انه لجاهد مجاهد وفي لفظ مات جاهدا مجاهدا والجاهد الجاد في أمره فلما قام بوصفين كان له أجران ✽ وقيل هو من باب جاد يجد وشعر شاعر فهو تأكيد وكون عامر اخا سلمة هو خلاف ما تقدم انه عمه وهو الصحيح المشهور ✽ قال في النور ويمكن الجمع بأن

يكون عمه من النسب واخاه من الرضاعة أى وحينئذ يكون هـ داخل قول بن الجوزى رحمه الله من الاخوة الذين حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر وسلمة ابنا الاكوع وفى فتح البارى عن بعض الصحابة فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر رضى الله عنه يقول

قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

* فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر رضى الله عنه فذهب عامر يسفل لمرحب أى يضربه من أسفل فعاد سيفه على نفسه أى أصاب عين ركبة عامر فمات من ذلك الحديث وكون عامر ارتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى حدا به لا ينافى ماجاء أن البراء بن مالك كان حسن الصوت وكان يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسفاره لان المراد فى غالب أو فى بعض أسفاره كما صرحت به بعض الروايات * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له أى البراء اياك والقوارير وهو يدل على أنه كان يرتجز لنسائه صلى الله عليه وسلم وهو يخالف أن البراء كان حادى الرجال وانجشة حادى النساء الا أن يقال جاز أن يكون البراء حدا للنساء فى بعض الاسفار أو فى بعض الاحيان وانجشة كان فى الغالب * قال بعضهم كان انجشة رضى الله عنه عبدا أسود وكان حسن الصوت بالحدا اذا حدا أعنقت الابل أى سارت العنق وأسرعت فلما حدا بامهات المؤمنين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك رفقا بالقوارير * ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر وكان وقت الصبح قال لاصحابه رضى الله عنهم قفوا ثم قال أى فى لفظ قال لهم قولوا اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله أى وفى لفظ ادخلوا على بركة الله وكان صلى الله عليه وسلم يقولها لكل قرية دخلها * أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا فى رفع أصواتكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم * قال عبد الله بن قيس رضى

الله عنه وكنت خلف دابته صلى الله عليه وسلم فسمعنى أقول لاحول ولاقو
الا بالله العلى العظيم فقال يا عبد الله بن قيس قلت لبيك يارسول الله قال ألا أدلك
على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يارسول الله فداك أبى وأمى قال لاحول ولاقو
الا بالله ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين أمره صلى الله عليه وسلم بأن أصحابه يرفعو
أصواتهم بالتلبية * وقد يقال المنهى عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذى ربما
آذى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بها كما تقد
فلا منافاة ولما أبصر صلى الله عليه وسلم عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم
قالوا محمد والخميس أى الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة أقسام المقدمة
والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وادبروا هرابا * قال وذكر أنه كان
بها عشرة آلاف مقاتل وأنهم كانوا لا يظنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغزوهم يخرجون ويصطفون صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات * وذكر
أن عبد الله بن أبى بن سلول أرسل اليهم يخبرهم بأن محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم
وادخلوا أموالكم حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه أن عددكم كثير
وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل فلما كانت الليلة التى نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحتها بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم
ديك حتى طلعت الشمس فأصبحوا أى قاموا من نومهم وأفئدتهم تخفق وفتحوا
حصونهم وغدوا الى أعمالهم معهم الفوس * ويقال لها الكرازين والمساحى ومعهم
المكاتل أى وهى القفف الكثيرة فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا
هاربين الى حصونهم انتهى * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر
خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * أى وبذلك استدل على
جواز الاقتباس من القرآن وانما قال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر لانه لما رأى
آلة الهدم التى هى الفوس والمساحى فقال صلى الله عليه وسلم بأن حصونهم ستخرب
أو أخذ ذلك من اسمها أو أن ذلك دعا بلفظ الخبر * قال الامام النووى رحمه الله
والاصح أنه أعلمه الله بذلك ويوافقه ما فى فتح البارى * ويحتمل أن يكون قال ذلك
بطريق الوحى * ويؤيده قوله انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أى لانه
نزل بساحتهم وهى فى الاصل الفضاء بين الابنية * وابتدأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حصونهم بحصون النطاة قبل حصون الشق وقيل بحصون الكتيبة وجمعوا
المقاتلة فى حصون النطاة فجاءه صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر رضى الله عنه
فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان من أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان

الرأى تكلمنا فقال يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد سهم منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمرة النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد رضى الله عنه وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى * وأمر الناس بالتحول * أى وفى لفظ أن راحلته صلى الله عليه وسلم قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وفى الامتاع نزل بذلك ليحول بين أهل خيبر وبين غطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد يقال لا مخالفة بين هذه الروايات الثلاثة فليتأمل وابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر أى وأمر صلى الله عليه وسلم بقطع نخل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها * قال قيل وقاتل صلى الله عليه وسلم يومئذ أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس * وما قيل انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف أى فنى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على حمار وهو متوجه الى خيبر جاز أن يكون ركب ذلك الحمار فى الطريق وحال القتال ركب ذلك الفرس انتهى * أقول يرشد الى هذا الجمع قوله متوجه الى خيبر * وظاهر هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم باشر القتال بنفسه وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال بنفسه الا فى أحد ويبعد أن يكون باشر القتال بنفسه ولم يقتل أحدا اذ لو قتل أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعى الى نقله * وقد يكون المراد بقولهم وقاتل صلى الله عليه وسلم أى قاتل حسبة ويدل لذلك ما فى الامتاع وألح على حصن ناعم أى وهو من حصون النطاة بالرمى ويهود تقاتل ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال له الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة وفى يده قناة وترس وقد دفع صلى الله عليه وسلم لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائب اليهود يتقدمهم ياسر فكشف الانصار حتى

انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما والله أعلم وفى ذلك قتل محمود بن مسلمة أخو محمد ابن مسلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب وقيل كنانة بن الربيع وقد يجمع بأنهما اجتمعا على ذلك وسيأتى ما يدل على أن قاتله غيرهما * وقد يقال لا مانع من أن يكونوا أى الثلاثة تجمعوا على قتله أى فان محمود بن مسلمة رضى الله عنه كان قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحا فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه أى وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات رضى الله عنه من شدة الجراحة وجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخى محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا لقيتموه فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا * أى وفى سياق بعضهم ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مكث سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة رضى الله عنه للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان فاذا أمسى رجع صلى الله عليه وسلم الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان صلى الله عليه وسلم يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت تلك الليلة السادسة من السبع استعمل صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر به عمر رضى الله عنه أن يضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع صلى الله عليه وسلم عمر فسلم وأدخله عليه فدخل باليهودى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك فقال تؤمنى يا أبا القاسم فقال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال ولعل المراد ما بقوه من ذراريهم فلا ينافى ما تقدم من أنهم أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة أو أن ذلك المخبر أخبر بحسب ما فهم أنهم يجعلون ذراريهم فى الشق والحال أنهم انما ذهبوا ليجعلوا ذراريهم فى حصون الكتيبة فليتأمل * وفى هذا الحصن الذى هو حصن

الصعب من حصون النطاة في بيت فيه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري وأخرى قيل ماهي قال يستخرج المنجنيق وينصب على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال ياأبا القاسم احقن دمي قال أنت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال أنظرني أياما ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه لاعطين الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه * وفي لفظ فقال صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن من الصحابة رضي الله عنهم لهم منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم الا يرجو ان يعطاها * وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ولعل ذلك لا ينافي ماجاء أن وفد ثقيف لما جاؤه صلى الله عليه وسلم قال لهم تسلمن أو أبعثن اليكم رجلا مني * وفي رواية مثل نفسي فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم * قال عمر رضي الله عنه فوالله ماتمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت أنصب صدري له صلى الله عليه وسلم وجاء أن يقول هو هذا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى علي كرم الله وجهه فأخذ بيده وقال هو هذا هو هذا * وقد يقال لا يلزم من محبة الشيء تمنيه بخلاف العكس ففي هذه الغزاة أحب الامارة وما تمناها لان الوصف في ذلك أبلغ من الوصف هنا فليتأمل * ويروى أن عليا كرم الله وجهه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم أي في خيبر قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى علي كرم الله وجهه وكان أرمد شديد الرمد أي وكان قد تخلف في المدينة ثم لحق بالقوم أي فقيل له انه يشتكي عينيه فقال صلى الله عليه وسلم من يأتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم قد عصب عينيه فعقد له صلى الله عليه وسلم اللواء أي لواءه الابيض * فعن ابن اسحاق وابن سعد لم تكن الرايات الا يوم خيبر أي فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم * وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها تدعى العقاب * وفي كلام المقريزي لما ذكر رتب الرياسة في الجاهلية ذكر أن

العقاب كان في الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب * فجاء الاسلام وهي عند أبي سفيان وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار * وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله وكانت له صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكان له راية صفراء ولواؤه أبيض دفعه الى علي كرم الله وجهه وفيه أن ذلك اللواء يقال له العقاب وفي سيرة الدمياطي رحمه الله وكانت رايته صلى الله عليه وسلم بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك العلم ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعنى بما جاء في بعض الروايات كان له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله أي بالسواد ولعله محمل قول بعضهم كان له صلى الله عليه وسلم لواء أغبر وربما كان من خمر بعض نسائه فقال علي كرم الله وجهه يا رسول الله اني أرمد كما ترى لا ابصر موضع قدمي فتفل صلى الله عليه وسلم وفي لفظ بصق في عينه أي بعد أن وضع رأسه في حجره وفي لفظ فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأتا كأن لم يكن بهما وجع * قال علي رضي الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفي لفظ فما رمدت ولا صدعت وفي لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفي هذا السياق لطيفة وهي أن من طلب شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشيء ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه * وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله في ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه حلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر * وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع على رأس من يريدها زاد في رواية عن علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم اكفه الحر والبرد * قال علي كرم الله وجهه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا أي فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين * وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على علي كرم الله وجهه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أي قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأ كم من مالكم وانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة * وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون رعدته رضي الله عنه ليست من البرد خلاف ما ظنه السائل لجواز أن تكون لحمى اصابته في ذلك الوقت وقد أشار الى التفل صاحب

المعز به رضى الله تعالى عنه بقوله

وعـــلى لما تفلت لعينيـــه وكلاهمـــا معا ارمداه

نغـدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لهـا العقاب لواء

* وفى قوله صلى الله عليه وسلم لادفعن الرايه اطلاق الراية على اللواء ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه خذ هذه الراية وتقدم أن الراية يطلق عليها اللواء هذا وفى كلام بعضهم أن أباسفيان رضى الله عنه كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التى كان لايحبسها الا رئيس اذا حميت الحرب هذا كلامه فلعل تسمية رايته صلى الله عليه وسلم بالعقاب لكونها كذلك * فقال على كرم الله وجهه على م أقاتلهم يارسول الله قال ان يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم * وفى رواية لما أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله على م أقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى أى حساب بواطنهم وسرائرهم على الله لانه المطلع وحده على ما فيها من ايمان خالص أو نفاق وكفر زاد فى رواية وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم أى تتصدق بها فى سبيل الله فقد جعل صلى الله عليه وسلم عصمة الدم بالنطق بالشهادتين لكنه لايقر من نطق بهما على ترك الصلاة ولا على ترك الزكاة ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما يجب عليهم * وفى لفظ قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك * أى وعن حذيفة رضى الله عنه لما تهيأ على كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى والذى نفسى بيده ان معك من لايخذلك هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة ياعلى انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبابكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغداة برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفار وفى لفظ كرارا غير فرار فدعا عليا كرم الله وجهه وهو ارمد فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى

يفتح الله عليك أي ودعا له ولمن معه بالنصر * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار أي الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي كرم الله وجهه بها يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم وما أنزل على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج منهم اليه الحارث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت علي كرم الله وجهه فقتله علي وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب فحمل مرحب عليه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي كرم الله وجهه بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده أي وراء ظهره ثمانين شبرا قال الراوي فجهدت أنا وسبعة نفر على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر قال بعضهم في هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر قال وقيل ولم يقدر على حمله أربعون رجلا وقيل سبعون وفي رواية أن عليا كرم الله وجهه لما انتهى الى باب الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوه مكانه وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن * قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية * وفي بعضها قال الذهبي انه منكر * وفي الامتاع وزعم بعضهم أن حمل علي كرم الله وجهه الباب لا أصل له وانما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ وجاء أن مرحبا لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن في سلاحه * أي وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز ويقول من أبيات

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

* ومعنى شاكي السلاح تام السلاح ومعنى مجرب أي معروف بالشجاعة وقهر الفرسان ثم يقول هل من مبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا قال محمد ابن مسلمة رضي الله عنه أنا له يارسول الله أنا الموتور أي الذي قتل له قتيل فلم يؤخذ بثاره الثائر قتل أخي بالامس قال صلى الله عليه وسلم فقم اليه اللهم أعنه عليه فقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه أي فان مرحبا حمل على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت به وأمسكته فضربه محمد رضي الله عنه فقتله * ويدل لذلك قول الامام المزني رحمه الله في المختصر ان النبي صلى الله عليه وسلم

يوم خيبر نفل محمد بن مسلمة سلب مرحب سيفه ودرعه ومغفره وبيضته ووجد على سيفه مكتوب هذا سيف مرحب من يذقه يعطب * وقيل القاتل له علي كرم الله وجهه وبه جزم مسلم رحمه الله في صحيحه * قال بعضهم والاخبار متواترة به وقال ابن الاثير الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث أن عليا كرم الله وجهه قاتله * وفي الاستيعاب والصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن عليا قاتله * ويروى ان عليا كرم الله وجهه ورضي عنه لما خرج اليه ارتجز بقوله

أنا الذي سمتني أمي حيدره * ضرغام آجام وليث قسوره

* وقيل بدله كليث غابات كريه المنظرة أي فان أم علي كرم الله وجهه سمته أسدا باسم أبيها وكان أبوه أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك وسماه عليا أي ومن أسماء الاسد حيدرة والحيدرة الغليظ القوي * وقيل لقب بذلك في صغره لانه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ومن كان كذلك يقال له حيدرة ويقال ان ذلك كان كشفا من علي كرم الله وجهه فان مرحبا كان رأى في تلك الليلة في المنام أن أسدا افترسه فذكره علي كرم الله وجهه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه * ويروى أن عليا كرم الله وجهه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف في الاضراس والى ذلك يشير بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدي به مرحبا
قد قد فؤادي في الهوى قده * قد علي في الوغى مرحبا

أي وقد يجمع بين كون القاتل لمرحب عليا كرم الله وجهه وكون القاتل له محمد بن مسلمة بأن محمد بن مسلمة أثبته أي بعد ان شق علي كرم الله وجهه هامته لجواز أن يكون شق هامته ولم يثبته فأثبته محمد بن مسلمة ثم ان عليا كرم الله وجهه وقف عليه أي ويدل لذلك ما في بعض السير عن الواقدي رحمه الله لما قطع محمد ابن مسلمة ساقي مرحب قال له مرحب اجهز علي فقال لا ذق الموت كما ذاقه أخي ومر به علي كرم الله وجهه فضرب عنقه وأخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلبه فقال محمد يارسول الله ماقطعت رجليه وتركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا ان أجهز عليه فقال علي كرم الله وجهه صدق فأعطى سلبه لمحمد ابن مسلمة رضي الله عنه ولعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الاكوع لمرحب لاينافي ما مر عن فتح الباري ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر أي وهو يرتجز بقوله

قد علمت خيبر أني ياسر * شاكي السلاح بطل مغاور

* وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يقتل ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير رضي الله عنه * أي وعند ذلك قال له صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال ولكل نبي حواري وحواريي الزبير * وذكر الزمخشري أن هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة حيث قال انه يعني الزبير رضي الله عنه أول من استحق السلب وكان ذلك في بني قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب واحدي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه فقتله فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه فليتأمل فاني لم أقف في كلام أحد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة * وفي رواية ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أي ويمكن الجمع بمثل ما تقدم وكان شعار المسلمين أمت أمت * وفي رواية يا منصور أمت أمت ومن جملة من قتل من المسلمين الاسود الراعي كان أجير الرجل من اليهود وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم * أي وفي الامتاع اسمه يسار فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام فعرضه عليه فأسلم وفي رواية انه قال ان أسلمت فاذا لي قال الجنة فأسلم فلما أسلم قال يا رسول الله اني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفي لفظ انها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم له اضرب في وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فأخذ حفنة من حصباء فرمى بها في وجهها وقال ارجعي الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم رضي الله عنه الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر * وفي رواية سهم غرب بفتح الراء والاضافة وبتسكين الراء بلا اضافة وهو من لا يعرف راميه فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقال يا رسول الله لم أعرضت عنه فقال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك * زاد في لفظ لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا وفتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم * وهو أول حصن فتح من حصون

الوطاة على يد على كرم الله وجهه أى * وعن عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دارقتة أى وهى أول دار فتحت بخيبر وهى بالوطاة وهى منزل ياسر أخى مرحب * وظاهر السياق أنها حصن ناعم * وروى أن عليا كرم الله وجهه لما فتح الحصن أخذ الرجل الذى قتل أخا محمد بن مسلمة وسلمه اليه فقتله وتقدم أن محمد بن مسلمة رضى الله عنه قتل مرحبا لكونه قاتل أخيه على ماتقدم وسيأتى أنه صلى الله عليه وسلم دفع كنانة لمحمد ليقتله بأخيه وهذا يؤيد ماتقدم من أن الثلاثة أى مرحب وكنانة وذلك الرجل الذى سلمه على له اشتركوا فى قتل أخى محمد بن مسلمة قال وأصاب المسلمون رضى الله عنهم مجاعة وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول له صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤك السلام ويقولون أجهدنا الجوع والضعف فقال رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله انى أرجو أن يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه صلى الله عليه وسلم أسماء وبلغه ماقالت أسلم فدعى لهم فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدى شىء أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب ابن المنذر رضى الله عنه وندب الناس وكان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل الى حصن الصعب من حصون الوطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ماغابت الشمس من ذلك اليوم بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر حصن أكثر طعاما منه أى من شعير وتمر وودك أى من سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع منه * ولا يخالف هذا ماتقدم عن عائشة فى وصف حصن ناعم من قولها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخره وماتقدم من أنهم ادخلوا أموالهم حصون الكتيبة لانه يجوز أن يكون المراد بأموالهم النقود ونحوها دون ماذكر هنا وكان فى هذا الحصن الذى هو حصن الصعب خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقتله وخرج آخر مبارزا يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى رضى الله عنه فضربه على هامته فقتله فقال له خذها وانا الغلام الغفارى فقال الناس حبط جهاده فقال له صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد أى وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضى الله عنه فحرض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب رضى الله عنهم فانهزمت يهود وأغلقت

الحصون عليهم ﴿ ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيأ كثيرا ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أى لا تخرجوا به الى بلادكم ﴿ وهذا دليل لما ذهب اليه امامنا رضى الله عنه من ان للغانمين أخذ ماتتم الحاجة اليه من الطعام ومايؤكل غالبا من الفواكه وعلف الدواب من الغنيمة بدار الحرب اذا كان الجهاد بدار الحرب مما يباع ذلك فيه وليس لهم أخذ ماتندر الحاجة اليه كالفانيد والسكر ولا ينافي ذلك ماذكر هنا لانه يجوز أن يكون الاذن في أكل مجموع ماذكر ﴿ وفى السيرة الهشامية عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال أصبت من فيء خيبر أى من غنيمتها جراب شعير فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها أى وهو أبو اليسر كعب بن عمرو ابن زيد الانصارى رضى الله عنه فأخذ بناصيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت والله لا أعطيكه فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا أبالك خل بينه وبينه فأرسله فانطلقت به الى رحلى واصحابى فأكلناه وفى الامتاع أنهم وجدوا لهذا الحصن الذى هو حصن الصعب آلة حرب ذبابات ومنجنيقا ﴿ أى وذلك موافق لما تقدم عن ذلك الخبر له صلى الله عليه وسلم بان فى حصن فى بيت منه تحت الارض منجنيق وذبابات ودروع وسيوف ولعل وجود ذلك كان بدلالة ذلك الرجل عليه ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم من أهله الى حصن قلة وهو حصن بقلة جبل أى ويعبر عن هذا بقلة الزبير رضى الله عنه أى الذى صار فى سهم الزبير بعد ذلك وهو آخر حصون النطاة أى فحصون النطاة ثلاثة ناعم وحصن الصعب وحصن قلة فأقام المسلمون على حصار هذا الحصن الذى هو حصن قلة ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود وقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا القاسم تؤمنى أن أدلك على ماتستريح به فانك لو مكثت شهرا لاتقدر على فتح هذا الحصن فان به ديولا وهى الانهر الصغيرة تحت الارض يخرجون ليلا فيشربون منها فان قطعت عنهم شربهم أهلكتهم فأمنه صلى الله عليه وسلم وسار الى ديولهم فقطعها فعند ذلك خرجوا وقاتلوا أشد القتال وفتح ذلك الحصن ثم سار المسلمون الى حصار الشق بفتح الشين المعجمة وكسرها والفتح أعرف عند أهل اللغة فكان أول حصن بدأ به من حصنى الشق حصن أبى فقاتل أهله قتالا شديدا وخرج رجل منهم يقال له غزوال يدعو الى البراز فبرز له الحباب رضى الله عنه وحمل عليه فقطع يده اليمين ونصف الذراع

وبادر راجعا منهزما الى الحصن فتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فذفف عليه فخرج آخر مبارزا فخرج له رجل من المسلمين فقتل ذلك الرجل وقام مكانه يدعو للبراز فخرج له أبودجانة رضي الله عنه فضربه أبودجانة رضي الله عنه فقطع رجله ثم ذفف عليه * وعند ذلك أحجمت يهود عن البراز فكبر المسلمون وتحاملوا على الحصن ودخلوه يقدمهم أبودجانة رضي الله عنه فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البراء وهو الحصن الثاني من حصني الشق فتمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد رميا للمسلمين بالنبل والحجارة حتى أصاب النبل بثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به فأخذها صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء فحصب به ذلك الحصن فرجف بهم ثم ساخ في الارض وأخذ المسلمون من فيه أخذا أي فحصون الشق اثنان حصن أبي وحصن البراء وحينئذ يتأمل في قول الحافظ الدمياطي في سيرته والشق وبه حصون منها حصن أبي وحصن البراء * أقول وفي الامتاع انهم وجدوا في حصن الصعب الذي هو أحد حصون النطاة منجنيقا أي كما أخبر بذلك اليهودي الذي جاء به عمر رضي الله عنه وأدخله عليه صلى الله عليه وسلم وأمنه كما تقدم وانهم نصبوا المنجنيق الذي وجدوه في حصن الصعب على هذا الحصن الذي هو حصن البراء من حصون الشق * أي وهو يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا في غزوة الطائف * الا أن يقال يجوز أن يكون المراد بعدم نصبه ثم لم يرم به الا في غزوة الطائف * وأما هنا فنصب ولم يرم به فلا مخالفة ووجدوا في هذا الحصن آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب فقال صلى الله عليه وسلم اغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا وحكمة تسخين الماء لا تخفى وهي أن الماء الحار أقوى في النظافة واخراج الدسومة والله أعلم ثم ان المسلمين لما أخذوا حصون النطاة وحصون الشق انهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة وهي ثلاثة حصون القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة * وكان أعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي كرم الله وجهه ومنه سبيت صفية رضي الله عنها كما قاله الحافظ ابن حجر * قال وقيل كان اسمها قبل أن تسبى زينب فلما صارت من الصفي سميت صفية والصفي ما كان يصطفيه صلى الله عليه وسلم لنفسه من الغنيمة قبل أن تقسم على ما تقدم وكان في الجاهلية لامير الجيش ربع الغنيمة * ومن ثم قيل له المرباع * قال السهيلي رحمه الله كانت أموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه من الصفي والهدية

وخمس الخمس هذا كلامه ولايخفى أنه يزاد على ذلك الفيء وانتهى المسلمون الى حصار الوطيح بالحاء المهملة مأخوذ من الوطح وهو فى الاصل ماتعلق بمخالب الطير من الطين سمى الوطيح باسم الوطيح بن مازن رجل من ثمود وحصن سلالم * ويقال له السلاليم وهو حصن بنى الحقيق آخر حصون خيبر ومكثوا على احصارهما أربعة عشر يومافلم يخرج أحدمنهما ماهم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم أى على من فيهما المنجنيق أى ينصبه عليهم ولم يرم به * فلما أيقنوابالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لايصحب واحدامنهم الاثوب واحد على ظهره * وفى لفظ وتركوا مالهم من مال وأرض من الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة والبزالاثوبا واحدافصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله ورسوله بريئةمنهم إن يكتموه شيأمن متاعهم يسألهم عنه * فعلم ان حصون خيبر فتحت عنوة الا الحصنين المذكورين وهما الوطيح وسلالم فانهما لم يفتحاعنوة بل صلحافكانا فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهودليل على أنهم لم يقاتلوا فى حال حصارهم لان الفيء ماجلوا عنه من غير مقاتلة كذا قيل وظاهر اطلاق قول الروضة من الفيء ماصولح عليه أهل بلد من الكفار انه وان كان بعد محاصرتهم ومقاتلتهم للمسلمين فى حال حصارهم برمى الحجارة أوالنبل * وفى فتح البارى نقلا عن ابن عبدالبر أنه جزم بأن حصون خيبر فتحت عنوة وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين أسلمما أهلهما لحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الابحصار وقتال هذا كلامه فليتأمل فان بالقتال يخرج عن كونه فيأولعل المراد قتال بالنبل ورمى بالحجارة والافقد تقدم أنه لم يخرج منهما أحد للمقاتلة فليتأمل فان كلامه يقتضى ان بالحصار وبالقتال بنحو النبل يخرج ذلك عن كونه فيأله صلى الله عليه وسلم ويكون غنيمة ولعله مذهب المالكية الذى هو مذهب بن عبدالبر رحمه الله تعالى * وفى الاصل عن ابن شهاب رحمه الله أنه قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها على الجلاء بعد القتال فى حال حصارهم * وسيأتى مايصرح بأن ماجلوا عنه فىء لاغنيمة ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها * أى ووجدوا فى اثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم وهو يخالف ماقاله أئمتنا ان كتبهم التى يحرم الانتفاع بها لكونها

مدلة تمحى أن أمكن أو تحرق وتجعل فى الغنيمة فتباع * الا أن يدعى أن تلك الصحف لم تكن مبدلة أو غير ا الجلد الذى كان فيه حلى بنى النضير أى وعقود الدر والجوهر الذى جلوا به لانهم لما جلوا كان سلام بن مشكم أبى الحقيق رافعاله ليراه الناس وهو يقول بأعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها كما تقدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعية بن عمرو أى وهو عم حيى بن أخطب * وفى لفظ سعية بن سلام بن أبى الحقيق وفى الامتاع وسأل صلى الله عليه وسلم كنانة بن أبى الحقيق أى مسك أى جلد حيى بن أخطب أى وانما نسب اليه الجلد المذكور فقيل كنز حيى لان حيى كان عظيم بنى النضير والا فهو لا يكون الا عند بنى الحقيق فقال اذهبته الحروب والنفقات فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية للزبير رضى الله عنه فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف فى خربة ههنا فذهبوا الى الخربة ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد * قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وهو زوج صفية تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم وبالربيع أخيه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين آنيتكما التى كنتم تعيرونها أهل مكة أى لان أعيان مكة اذا كان لاحدهم عرس يرسلون فيستعيرون من ذلك الحلى انتهى * أى والآنية والكنز عبارة عن حلى كان أولا فى جلد شاة ثم كان لكثرته فى جلد ثور ثم كان لكثرته فى جلد بعير كما تقدم فقالا اذهبته النفقات والحروب فقال صلى الله عليه وسلم العهد قريب والمال أكثر من ذلك انكما ان كتمتمانى شيأ فاطلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما فقالا نعم فأخبره الله بموضع ذلك الحلى أى فانه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار اذهب الى محل كذا وكذا ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو قال عن يسارك مرفوعة فائتنى بما فيها فانطلق فجاء بالآنية ويمكن الجمع بين هذا وما تقدم وما يأتى أنهم فتشوا عليه فى خربة حتى وجدوه بأن التفتيش كان فى أول الامر واعلام الله تعالى بذلك كان بعد فجئ به فقوم بعشرة آلاف دينار * أى لانه وجد فيه أساور ودمالج وخلاخيل واقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجوهر والزمرد وعقود أظفار مجزع بالذهب فضرب أعناقهما وسبى أهلهما * أى وفى لفظ آخر لما فتحت خيبر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن أبى الربيع * وفى لفظ ابن ربيعة بن أبى الحقيق وكان عنده كنز بنى النضير فسأله صلى الله عليه وسلم عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة * أى فان كنانة

حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم فتح حصين النطاة وتيقن ظهوره عليهم دفنه في خربة ✱ أي وفيه أن هذا لا يناسب ما سبق من ان حييا كان يطيف بتلك الخربة الا أن يقال جاز أن يكون دفنه في تلك الخربة في محل آخر غير الذي دفنه فيه حيي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدته عندك أقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به الزبير رضي الله عنه فقال عذبه حتى نستأصل ما عنده فكان الزبير رضي الله عنه يقدح بزند أي بالزناد الذي يستخرج به النار على صدره حتى أشرف على نفسه وأخذ منه جواز العقوبة لمتهم ليقر بالحق فهو من السياسة الشرعية ثم دفعه صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه فضرب عنقه بأخيه محمود ✱ أي ولا مانع أن يكون السؤال وتعذيب الزبير وقع لسعية كنانة أيضا ✱ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم أي التي غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منها صفية رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب من سبط هارون بن عمران أخي موسى عليهم الصلاة والسلام فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وجعلها عند أم سليم التي هي أم أنس خادمه صلى الله عليه وسلم حتى اعتدت وأسلمت ثم أعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وجعل عتقها صداقها أي أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا في المآل أي لم يجعل لها شيأ غير العتق ✱ وقد سئل أنس رضي الله عنه عن صفية فقيل له يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها ✱ وهذا يرد ما استدل به فقهاؤنا على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم عدم جواز نكاح الامة وجواز وطئها بملك اليمين من أنه صلى الله عليه وسلم كان يطأ صفية قبل اسلامها بملك اليمين ✱ ويرد أيضا على من استدل من فقهائنا على استحباب الوليمة للسرية بأنه صلى الله عليه وسلم أولم على صفية كما علمت انها زوجة لا سرية ✱ أي لكن ذكر بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم لما أولم على صفية رضي الله عنها قالوا ان لم يحجبها فهي أم ولد وان حجبها فهي امرأته وذلك دليل على استحباب الوليمة للسرية اذ لو اختصت بالزوجة لم يترددوا في كونها زوجة أو سرية وذلك بعد أن خيرها صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجع الى من بقي من أهلها أو يسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله ✱ وذكر في الاصل ان جعل عتق الامة صداقها من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وذهب الامام أحمد رحمه الله الى عدم

الخصوصية * وقال ابن حبان لم ينقل دليل على انه خاص به صلى الله عليه وسلم دون أمته * وقيل ان دحية الكلبي رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فوهبها له وقيل وقعت في سهمه رضي الله عنه ثم ابتاعها صلى الله عليه وسلم منه بتسعة أرؤس * أي واطلاق الشراء في ذلك على سبيل المجاز على انه يخالف ما تقدم أنها من صفيه صلى الله عليه وسلم قبل القسمة وفي البخاري فجمع السبي فجاء دحية رضي الله عنه فقال يا نبي الله أعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها أي فأخذ غيرها * أي والذي أخذها غيرها هي أخت كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق زوج صفية كما في الام للامام الشافعي عن سير الواقدي وقول الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله أعطيت دحية صفية يدل على انه اسمها وحينئذ يخالف ما قيل ان اسمها زينب فسماها صلى الله عليه وسلم صفية كما تقدم * وفي رواية ان صفية سبيت هي وبنت عم لها وان بلالا جاء بهما فمر على قتلى يهود فلما رأتهم بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عني هذه الشيطانة * وقال صلى الله عليه وسلم لبلال أنزعت منك الرحمة تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ثم دفع صلى الله عليه وسلم بنت عمها لدحية الكلبي رضي الله عنه * وفي رواية واعطى دحية بنتي عمها عوضا عنها * أي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل بصفية رأى بأعلى عينها خضرة فقال ما هذه الخضرة قالت كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق تعني زوجها أي وهي عروس وأنا نائمة فرأيت كأن القمر وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال تتمنى ملك العرب * وفي لفظ حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانت عروسا رأت كأن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصت ذلك على زوجها قال والله ما تمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا فلطم وجهها اللطمة اخضرت عينها منها * ولا مانع من تعدد الرؤية أو انها رأت الشمس والقمر في وقت واحد * وسيأتي في الكلام على زوجاته صلى الله عليه وسلم أنها قصت ذلك على أبيها ففعل بها ذلك وتقدم ان جويرية رضي الله عنها رأت القمر أيضا وقع في حجرها وكون صفية رضي الله عنها كانت عروسا عند مجيئه صلى الله عليه وسلم خيبر ربما دل على ان سلام بن مشكم طلقها قبل الدخول بها فقد

تقدم ان كنانة تزوج بها بعدان طلقها اسلام بن مشكم فليتأمل وعن صفية رضى الله عنها انها قالت انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من الناس أحد أكره الى منه قتل أبى وزوجى وقومى فقال صلى الله عليه وسلم يا صفية اما انى أعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا لى كذا وكذا وقالوا فى كذا * وفى رواية ان قومك صنعوا كذا وكذا ومازال صلى الله عليه وسلم يعتذر الى حتى ذهب ذلك من نفسى فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب الى منه صلى الله عليه وسلم * وأعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدان طهرت من الحيض فى قبة بعدان دفعها صلى الله عليه وسلم لام سليم لتصلح من شأنها * وبات تلك الليلة أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه متوشحا سيفه يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى مكان أبى أيوب فقال مالك يا أبا أيوب قال يارسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت ابنها وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فبت أحفظك فقال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى * قال السهيلى رحمه الله فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستشفعون به فيستصحون أى ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب رضى الله عنه هنالك فأوصى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مكانا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبرهم أنه كبير من أكابر المسلمين الصحابة فقالت الروم ليزيد ما أحمقك وأحمق من أرسلك أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه فحلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بارض العرب وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا * أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قطع ستة أميال من خيبر وأراد أن يعرس بها أبت فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه * فلما ساروا ووصل الصهباء مال الى دومة هناك فطاوعته فقال لها ما حملك على اباءك حين أردت المنزل الاول قالت يارسول الله خشيت عليك قرب يهود وهذا المحل الذى هو الصهباء هو الذى ردت فيه الشمس لعلى بعد ما غربت كما تقدم وأقام صلى الله عليه وسلم بذلك المحل ثلاثة أيام وجعل وليمتها حيسا فى نطع صغير والحيس تمر واقط وسمن * أى ففى البخارى فأصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شىء فليجىء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجىء بالتمر وجعل الرجل يجىء بالسمن أى وجعل الرجل يجىء بالاقط * وذكر أيضا السويق ولا يخفى ان الحيس

خلط السمن والتمر والاقط الا انه قد يخلط مع هذه الثلاثة السويق * وهذا يدل على أن الوليمة على صفية رضي الله عنها كانت نهارا وذهب ابن الصلاح من أئمتنا الى أن الافضل فعلها ليلا * قال بعضهم وهو متعقب ان ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعلها ليلا أي لاحد من نسائه * وقد جاء لابد للعرس من وليمة * وقال لانس آذن لمن حولك أي إيذن كانوا من ذلك الحيس وكان صلى الله عليه وسلم يضع المباركبته الشريفة حتى تركب * وفي لفظ لما وضع صلى الله عليه وسلم ركبته لتركب عليها أبت أن تضع قدمها على ركبته الشريفة ووضعت فخذها على ركبته الشريفة * أي ولعل هذا الثاني منها كان في أول الامر فلا مخالفة * وعن صفية رضي الله عنها ما رأيت أحدا قط أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته ركب بي في خيبر وأنا على عجز ناقته ليلا فجعلت أنعس فتضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده ويقول يا هذه مهلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن اتيان الحبالى من النساء اللاتي سبين وأن لا يصيب أحد امرأة من السبي غير حامل حتى يستبرئها أي بحيض * أي وفي لفظ أمر صلى الله عليه وسلم مناديه ينادي ان من آمن بالله واليوم الآخر لا يسق بمائه زرع الغير ولا يطأ امرأة حتى تنقضي عدتها أي حتى تحيض وبلغه صلى الله عليه وسلم عن شخص أنه ألم بامرأة من السبي حبلى فقال لقد هممت ان ألعنه لعنة تدخل معه في قبره ونهى صلى الله عليه وسلم عن أكل الثوم * ورأيت في كلام بعضهم ان غالب اقتياتهم في خيبر كان أكل الثوم والكرات حتى تقرحت اشداقهم أي وذلك قبل النهي * ثم رأيت في الترغيب والترهيب عن أبي ثعلبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدوا في جنانها بصلا وثوما فأكلوا منه وهم جياع فلما راح الناس الى المسجد اذا ريح بصل وثوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنا وليس في ذلك نهي عن أكل الثوم والبصل أي مطلقا انما النهي عن اتيان المسجد لمن أكلهما تأمل * ومن ثم جاء أنه لما قال ذلك صلى الله عليه وسلم قال الناس حرم ذلك فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ما قالوا قال أيها الناس انه ليس بي تحريم ما أحل الله ولكنها شجرة أكره ريحها * وعن فرقد السبخي ما أكل نبي قط ثوما ولا بصلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء ففي مسلم عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر * قال بعضهم والراجح أن النهي عن متعة النساء لم يكن في خيبر فانه شيء لم يعرفه أهل السير ولا رواة الاثر * ويدل لذلك ما قيل أن ثنية الوداع انما سميت بذلك

لانهم فيها ودعوا النساء لا تي تمتعوا بهن في خيبر * أي وانما كان تحريمها عام الفتح أي ولا معارضة لانه أحل بعد ذلك أي بعد خيبر في عام الفتح ثم حرم فيه بعد ثلاثة أيام كما سيأتي * وقيل حرمت في حجة الوداع وقيل في غزوة أوطاس وهذا هو الصحيح وسيأتي في غزوة الفتح الجمع بين هذه الاقوال * قال السهيلي رحمه الله وأغرب ما روى في ذلك رواية من قال ان ذلك كان في غزوة تبوك * وفي حديث خرجه أبوداود أن تحريم نكاح المتعة كان في حجة الوداع * ومن قال من الرواة انه كان في غزوة أوطاس فهو موافق لمن يقول انه كان عام الفتح هذا كلامه * وعن امامنا الشافعي رضي الله عنه لا أعلم شيأ حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة أي فقد حرمت مرتين * ونقل السهيلي رحمه الله وغيره عن بعضهم أنها أبيحت وحرمت ثلاث مرات * وعن بعضهم أبيحت وحرمت أربع مرات ولينظر هذا مع قول بعضهم ان أول من حرم المتعة سيدنا عمر رضي الله عنه * وقيل لم يحرمها صلى الله عليه وسلم مطلقا بل عند الاستغناء عنها وأباحها عند الحاجة اليها أي عند خوف الزنا وبذلك كان يفتي ابن عباس رضي الله عنهما * وفي كلام فقهائنا والنهي عن نكاح المتعة في خبر الصحيحين الذي لو بلغ ابن عباس رضي الله عنهما لم يستمر على القول باباحتها لمن خاف الزنا مخالفا في ذلك لكافة العلماء وقد وقعت مناظرة في المتعة بين القاضي يحيى بن أكثم وأمير المؤمنين المأمون فان المأمون نادى باباحة المتعة فدخل عليه يحيى بن أكثم وهو متغير بسبب ذلك وجلس عنده فقال له المأمون مالي أراك متغيرا قال لما حدث في الاسلام قال وما حدث قال النداء بتحليل الزنا قال المتعة زنا قال نعم المتعة زنا * قال ومن أين لك هذا قال من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الكتاب فقد قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال أفهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين * وأما السنة فقد روى الزهري بسنده الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد ان كان أمر بها فالتفت المأمون للحاضرين وقال أتحفظون هذا من حديث الزهري قالوا نعم يا أمير المؤمنين فقال المأمون استغفر الله نادوا بتحريم المتعة ونهى صلى الله عليه وسلم في خيبر عن لحوم الحمر الاهلية أي فانهم أصابهم جوع فوجدوا الحمر الاهلية أي ثلاثين حمارا خرجت من بعض الحصون * وقيل

لم يدخلوها الحصون فأخذها رهط من المسلمين وذبحوها وجعلوا لحومها في القدور والبرام وجعلوا يطبخونها فلا كان برسم النبي صلى الله عليه وسلم نسلمهما في القدور والبرام قالوا لحوم الحمر الانسية أي المؤالفة للانس فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن أكلها حتى ان القدور أكفيت وانها لتفور * أي وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نيرانا توقد يوم خيبر قال علام توقد هذه النيران قالوا على الحمر الانسية قال اكسروها وأهريقوها قالوا الانهريقها ونغسلها قال اغسلوا * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ما هذه النيران على أي شيء توقد قالوا على لحم قال على أي لحم قالوا على لحم حمر انسية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها فقال أو ذاك وعدوله صلى الله عليه وسلم الى هذا الثاني اما باجتهاد أو وحي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم عند ذلك أمر عبد الله بن عوف أن ينادي في الناس ان لحوم الحمر الاهلية لا تحل لمن يشهد أن محمدا رسول الله وأمر أن تكفأ القدور ولا يأكلوا من لحوم القدور شيئا * وفي مسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طلحة فنادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر فانها رجس أو نجس * وهذا السياق كله يدل على أنهم لم يأكلوا منها شيئا * وفي السيرة الهشامية وأكل المسلمون لحوم الحمر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن أمور سماها لهم * وهذا يرد القول بأنه انما نهى عن أكلها للحاجة اليها أو لانها أخذت قبل القسمة * وروى أبو داود باسناد على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال ولم ينهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيل * وفي رواية ورخص في أكل الخيل أي أباح أكلها * وفي مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه أي وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولم ينكره * وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل * قال السهيلي رحمه الله وحديث الاباحة أصح * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحم الجلالة وعن ركوبها حتى تعلف أربعين يوما والجلالة التي تأكل الجلة وهي الروث والعذرة * وذكر الدميري أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل الدجاج الجلالة حتى تقصر أي تحبس ثلاثة أيام * وذكر فقهاؤنا ان الحمر الاهلية حلت بعد تحريمها ثم حرمت فليتأمل * ونهى صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب من السباع أي وذي مخلب من الطير وعن بيع المغانم حتى تقسم وجعلت له صلى الله

عليه وسلم مائدة فأكل متكئا واطلى بالنورة وكان ينوره الرجل فاذا بلغ عانته تولى ذلك صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة * وروى ابن ماجه بسند جيد كما قاله الحافظ ابن كثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أطلى بدأ بعورته فطلاها وطلى سائر جسده أهله وحينئذ يكون المراد بعانته في الرواية السابقة العورة على أن تلك الرواية مرسلة فلا يحتج بذلك لمن يقول ان العورة ماعدا السوءتين * وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت أطلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنورة فلما فرغ منها قال يامعشر المسلمين عليكم بالنورة فانها طيبة وطهور وان الله تعالى يذهب بها عنكم أوساخكم وأشعاركم أي فهو من نعيم الجنة * ومن ثم كرهه عمر رضي الله عنه * وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قيل له وقد دخل الحمام أتدخل الحمام وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الحمام وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما نعم البيت الحمام * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنور كل شهر ويقلم أظفاره كل خمسة عشر يوما * وماورد أنه صلى الله عليه وسلم لم يتنور فهو ضعيف معارض بما هو أقوى منه وأكثر عددا على ان المثبت مقدم على النافي * أي وفي الينبوع وقول أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايتنور وكان يحلق محمول على الغالب من أمره صلى الله عليه وسلم * وفي الخصائص الصغرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما ماتنور نبي قط وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وقت لقص الشارب وتقليم الاظفار أن لايدع ذلك أربعين يوما * أي وكان صلى الله عليه وسلم يقص اظفاره كل خمسة عشر يوما كما تقدم * وقد استفيد من هذا كما قال بعضهم فائدة نفيسة وهي ذكر التوقيت للتنور وقص الاظفار * قال بعضهم وفيه نظر فان بدنه صلى الله عليه وسلم كان في غاية الاعتدال فلا يقاس به صلى الله عليه وسلم غيره في ذلك نظير ما قالوه فيما صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يوضيه المد ويغسله الصاع ان ذلك خاص ببدن من يكون بدنه كبدنه عليه الصلاة والسلام نعومة واعتدالا والا زيد ونقص المتفاوت فكذلك هنا * ومن ثم قال الأئمة رحمهم الله في نحو حلق العانة ونتف الابط والقلم للظفر وقص الشارب ان ذلك لايتقيد بمدة بل يختلف باختلاف الابدان والحال فيعتبر وقت الحاجة الى ازالة ذلك * وبهذا يرد على من قال يكره التنور في أقل من شهر * وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر الاشعريون أي ومنهم أبو موسى الاشعري رضي الله عنه

والدوسيون ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه فسأل صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا * قال وعن موسى بن عقبة رحمه الله أن أحد الاشعريين ومن ذكر معهم أي وهم الدوسيون من هذين الحصنين الذين فتحا صلحا وتكون مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعطائهم ليست استنزالا لهم عن شيء من حقهم وانما هي المشورة العامة أي الأمور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر انتهى * أقول وهذا صريح في أن ذلك كان في أهل صلى الله عليه وسلم فهما ومافيهما مما أفاء الله عليه صلى الله عليه وسلم لان الفيء ما جاء من غير قتال أي من غير ممانعة للقتال * والحاصل ان أرض خيبر ونخلها غنيمة لانه صلى الله عليه وسلم غلب على النخل والارض وألجأهم الى الحصون وفتح جميع الحصون عنوة الا الوطيح والسلالم فانهما افتتحا صلحا على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم بشرط أن لا يكتموه شيأ من أموالهم وأن من كتم شيأ انتقض ذلك الصلح له بالنسبة لدمه وذراريه وهذان الحصنان هما المراد ان بالكتيبة في قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم يطعم من الكتيبة أهله لما علمت أنهما من حصونها وأنهما ومافيهما مما أفاء الله عليه وكونه صلى الله عليه وسلم كان يطعم أهله مما فيهما واضح * وأما اذا كان المراد يطعم من الارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فقد يتوقف فيه لما تقدم أن أرض خيبر ونخلها غنيمة وذلك شامل للارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فليتأمل والله أعلم * وفي لفظ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من أرض الحبشة ومعه الاشعريون أبو موسى الاشعري وأخواه أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهم وكان أبو موسى أصغرهم وأقوامهم وكان قوم جعفر بالحبشة أي لانهم هاجروا الى الحبشة من اليمن كما تقدم وقبل قدومهم اليه صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون * وذكر انهم عند مجيئهم صاروا يقولون غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه * وفي كلام بعضهم ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقهم أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية * ولما أقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر رضي الله عنه قام صلى الله عليه وسلم الى جعفر وقبله بين عينيه * وفي رواية قبل جبهته * أي وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم جعفر رضي الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وجعل ذلك أصلا لاستحباب المعانقة وقال بعضهم انها مكروهة وحديث جعفر يحتمل أن يكون قبل النهي

عنها فانه نهى عن المعانكة وهى المعانقة وحمل ذلك بعضهم على ما اذا كانت المعانقة من غير حائل * أقول لم يجب بذلك سيدنا مالك رضى الله عنه فانه لما قدم عليه سفيان بن عيينة رضى الله عنه فصافحه مالك وقال لولا أنها بدعة لعانقتك فقال له سفيان قد عانق من هو خير منك ومنا النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك تعنى جعفر بن أبى طالب قال نعم قال ذلك حديث خاص ليس بعام أى فذلك من خصوصياته فقال له سفيان ما عم جعفرا يعمنا وما يخصه يخصنا أى فالاصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان أتأذن لى أن أحدثك بحديث قال نعم فقال حدثنى فلان عن فلان عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكر الحديث المتقدم عنه * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم التزم زيد بن حارثة رضى الله عنه حين قدم عليه من مكة * وأما المصافحة فقد جاء أن أهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام محبتكم المصافحة. وقام صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية لما قدم عليه والى عدى بن حاتم * قال السهيلى وليس هذا معارضا لحديث من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب أن لا يقام له * وكان صلى الله عليه وسلم يقوم لفاطمة رضى الله عنها وكانت تقوم له صلى الله عليه وسلم هذا كلامه والله أعلم * ولما رآه صلى الله عليه وسلم جعفر حجل أى مشى على رجل واحدة اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أشبهت خلقى وخلقى * وفى لفظ جعفر أشبه الناس بى خلقا وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين لانه رضى الله عنه كان يحب المساكين ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه * وذكر بعضهم أنه لما قال له صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقى وخلقى رقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع * ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر رضى الله عنه * وقيل قدم مع جعفر رضى الله عنه سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام * وفى لفظ قدم معه سبعون كافرا أصحاب الصوامع * وقيل كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقيل كانوا ثمانين رجلا أربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام

فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى صلى الله عليه وسلم أي ولعل هؤلاء الذين من الحبشة هم المرادون بقول بعضهم وفد عليه وفد النجاشي فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم * وفي لفظ وقدم عليه أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه وهم رؤس كما تقدم قال أبو هريرة رضي الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من رؤس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري فأخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر الكتيبة فأقمنا حتى فتح الله * أي وكان من جملة من قدم معهم من بلاد الحبشة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما زوج النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها أي عقد عليها وهي بالحبشة فانها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هي على اسلامها كما تقدم وقد أرسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه في المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشي ليزوجها منه صلى الله عليه وسلم قالت أم حبيبة رضي الله عنها رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني قالت فما شعرت الا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لي ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يزوجك منه فقلت بشرك الله بالخير ويقول لك وكلي من يزوجك فأرسلت بالوكالة الى خالد بن سعيد رضي الله عنه * أي وأعطت تلك الجارية سوارين وخدمتين أي خلخالين وخواتيم فضة سرورا بما بشرتها به * فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين فحضروا وخطب النجاشي رضي الله عنه فقال الحمد لله الملك القدوس *أي وفي لفظ بدل ذلك المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقتها أربعمائة دينار * أي وفي لفظ أربعمائة مثقال ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد بن العاصي رضي الله عنه فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أظهره بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون * أما بعد فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم * أي ودفع النجاشي الدنانير لخالد بن سعيد فقبضها منه * وقيل انه أنقدها النجاشي على يد جاريته التي بشرتها فلما جاءتها بتلك الدنانير أعطتها خمسين * وقد يقال يجوز أن يكون النجاشي استردها من خالد ثم دفعها لتلك أو أمر خالد بن سعيد بدفعها للجارية لتدفعها لام حبيبة فلا مخالفة *وهذا السياق يدل على أن النجاشي كان هو الوكيل عنه صلى الله عليه وسلم * وفي كلام بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم وكل عمرو بن أمية في نكاح أم حبيبة * وقد يقال معنى توكيل عمرو ارساله بالوكالة للنجاشي أي ثم لما أرادوا أن يقوموا بعد العقد قال لهم النجاشي اجلسوا فان من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا * قالت أم حبيبة رضي الله عنها فلما كان من الغد جاءتني جارية النجاشي فردّت على جميع ما أعطيتها وقالت ان الملك عزم على أن لا أرزأك شيأ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بكل ما عندهن من العطر فجاءت بورس وعنبر وزباد كثير وقالت حاجتي اليك أن تقرئي رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه * وكانت كلما دخلت على تقول لا تنسي حاجتي اليك ثم أرسل النجاشي أم حبيبة مع شرحبيل بن حسنة * أي قالت أم حبيبة * ولما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت معي جارية النجاشي وأقرأته منها السلام فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وعليها السلام ورحمة الله وبركاته * وجاء أنه لما رجعت اليه صلى الله عليه وسلم مهاجرة الحبشة قال ألا تخبروني بأعجب شيء رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم يا رسول الله بينما نحن جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم وعلى رأسها قلة فيها ماء فمرت بصبي فدفعها فوقعت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت أي قامت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاوّلين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون تعلم أمري وأمرك عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من قويهم وذكر أنه لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر ودنا منها بعث محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ويخوّفهم قال محيصة فجئتهم فجعلوا يتربصون ويقولون ان بخيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث وسيد اليهود

مرحب ماترى أن محمدا يقرب اليهم فكنت عندهم يومين ثم أردت الرجوع فقالوا
نحن نرسل معك رجالا انما يأخذون لنا الصلح كل ذلك وهم يظنون أنه صلى الله عليه
وسلم لا يقدر على فتح خيبر حتى جاءهم أناس من حصن ناعم وأخبروهم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتحه فأرسلوا رجلا من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع
فى نفر يصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه
وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تصالحوا معه على أن
يكون لهم نصف الارض ولرسول الله صلى الله عليه وسلم النصف الآخر فكان ذلك
على الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى كان له نصفها لانها لم تؤخذ
بعنوة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق منها ويعود منها على صغير بنى هاشم ويزوج
منها أيمهم ✻ ولما مات صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة سألته
فاطمة رضى الله عنها أن يجعلها أو نصفها لها فأبى وروى لها أنه صلى الله عليه وسلم قال
انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة أى على المسلمين ✻ ومما يؤيد الثانى ما قيل
انه لما أجلاهم عمر رضى الله عنه مع يهود خيبر كما سيأتى اشترى منهم حصتهم التى
هى النصف بمال بيت المال ✻ فلما صارت الخلافة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
فقيل له ان مروان اقتطعها أى جعلها أقطاعا له فقال أرأيتم أمرا منعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ليس لى
بحق وانى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أى صدقة على المسلمين ✻ وطلب الصلح كان بعد أن أرادت غطفان وسيدهم
عيينة بن حصن أن يعينوا أهل خيبر أى وكانوا أربعة آلاف فان يهود خيبر لما سمعوا
بمجيئه صلى الله عليه وسلم اليهم أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس فى أربعة
عشر رجلا الى غطفان ليستمدوهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين
فجمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر ✻ أى ويقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أرسل اليهم أن لا يعينوهم على أن يعطيهم من خيبر شيأ سماه لهم أى وهو
نصف ثمارها فأبوا وقالوا جيراننا وحلفاؤنا ✻ فلما ساروا قليلا سمعوا خلفهم
فى أموالهم وأهليهم حسا ظنوه القوم أى ظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم أى
فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا على الصعب والذلول أى مسرعين على أعقابهم
فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل
خيبر ✻ أى وفى رواية سمعوا صوتا أيها الناس أهليكم خولفتم اليهم فرجعوا فلم يروا
لذلك نبأ ✻ ويدل للثانى أن غطفان لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم خيبر قال

عيينة بن حصن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وجده صلى الله عليه وسلم فتح حصونها أعطنا الذى وعدتنا * وفى رواية أعطنى مما غنمت من حلفاءى فانى امتنعت عنك وعن قتالك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن الصياح الذى سمعت أنفذك الى أهلك ولكن لك ذوالرقيبة قال عيينة وماذوالرقيبة قال الجبل الذى رأيت فى منامك انك أخذته أى فان عيينة بن حصن لما سمع الصوت ورجع الى أهله ولم يجد شيأ رجع بعد ذلك بمن معه الى خيبر وانهم بالقرب منها عرسوا فى الليل فنام عيينة وانتبه وقال لقومه أبشروا فانى رأيت الليلة فى النوم أنى أعطيت ذاالرقيبة وهو جبل بخيبر لقد والله أخذت برقبة محمد فلما قدم خيبر وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر الحديث * وقدم عليه صلى الله عليه وسلم حينئذ أيضا حجاج بن علاط السلمى وأسلم والعلاط وسم فى العنق وهو أبو نصر بن حجاج الذى نفاه عمر رضى الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفى تهتف به وتقول الابيات التى منها

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير يوما للحجاج ياابن المتمنية يعيره بذلك وكان الحجاج مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فأذن لى ان آتى مكة لآخذ مالى قبل ان يعلموا باسلامى فلا أقدر على أخذ شئ منه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لى ان أقول أى أتقول واذكر ماهو خلاف الواقع أى ما احتال به لما يوصل الى أخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتشممون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أى أهل القوة والمنعة بعد ماوقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فقالوا الحجاج عنده والله الخبر ولم يكونوا علموا باسلامى ياحجاج انه قد بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر مايسركم فاجتمعوا على يقولون ايه ياحجاج فقلت لهم لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير أهل خيابر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لانقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم * وفى لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم * قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرماءى أريد أن أقدم فأصيب

من غنائم محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار الى ماهنالك فجمع الى مالي على
أحسن ما يكون ففشا ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان
بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل
لا يستطيع أن يقوم ثم بعث الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى
وأجل من أن يكون الذي جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبي الفضل السلام
قل له ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عني فأقبل الغلام فقال
ابشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يمسه شيء وأخبره بذلك فأعتقه
العباس رضي الله عنه وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان ظهرا جاءه حجاج
فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام أي وقال اني أخشى الطلب فاذا مضت ثلاث
فاظهر أمرك فوافقه العباس على ذلك فقال اني قد أسلمت وان لي مالا عند امرأتي
ودينا على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الى اني تركت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيي
ابن أخطب وقتل ابن أبي الحقيق فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس تلك
الليالي الثلاث فلما مضى حجاج أي ومضت الثلاث عمد العباس رضي الله عنه الى
حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش
وهم يقولون اذا مر بهم لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة
قال كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني الا خير بحمد الله أخبرني حجاج أن خيبر فتحها
الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله وسهام رسوله الله
واصطفى رسول الله صفية بنت ملكهم حيي بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا
بها * أي وانما قال ذلك لكم ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي
كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون الا يا عباد الله انفلت عدو الله
يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك
هذا وفي الدلائل للبيهقي رحمه الله لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال
حجاج بن علاط يا رسول الله ان لي بمكة مالا وان لي بها أهلا وانا أريد ان آتيهم فأنا
في حل ان أنا نلت منك وقلت شيأ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول
ما شاء فقال لامرأته حين قدم أخفي علي واجمعي ما كان عندك فاني أريد ان أشتري
من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم ففشا ذلك بمكة
فاشتد ذلك على المسلمين وأظهر المشركون فرحا وسرورا * وبلغ العباس رضي الله
عنه الخبر فقعد وجعل لا يستطيع أن يقوم فأرسل العباس رضي الله عنه غلاما له

الى الحجاج ويلك ماتقول فالذى وعد الله خير مما جئت به فقال حجاج ياغلام اقرأ أباالفضل السلام وقل له فليخل بى فى بعض بيوته فآتيه بالخبر على مايسره فلما بلغ العبد باب الدار قال أبشر ياأباالفضل فوثب العباس فرحاحتى قبل مابين عينيه فأخبره بقول حجاج فاعتقه ثم جاء حجاج فأخبره بافتتاح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وغنم أموالهم وأن سهام الله قد جرت فيها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى صفية بنت حيى لنفسه وخيرها بين أن يعتقها وتكون له زوجة أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون له زوجة ولكن جئت لمالى ههنا أن أجمعه وأذهب به ✽ وانى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول فأذن لى ان أقول ماشئت فأخف على يا أبا الفاضل ثلاثا ثم اذكر ماشئت قال فجمعت له امرأته متاعه فلما كان بعد ثلاث أتى العباس رضى الله عنه امرأة حجاج فقال مافعل ز وجك قالت ذهب وقالت لايحزنك الله ياأبا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك فقال أجل لايحزننى الله فلم يكن بحمد الله الا ماأحب فتح الله على يد رسوله خيبر واصطفى رسو ل الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كان لك فى زوجك حاجة فالحقى به قالت أظنك والله صادقا قال فانى والله صادق والامر على ماأقول ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش الحديث ✽ قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر كان التمر أخضر فأكثر الصحابة من أكله فأصابتهم الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بردوا لها الماء فى الشنان أى القرب ثم صبوا عليكم منه بين أذانى الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم ✽ وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أصابتنى ضربة يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة بن الاكوع فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيت منها ساعة ✽ وفى هذه الغزوة أراد صلى الله عليه وسلم أن يتبرز فقال لابن مسعود رضى الله عنه ياعبد الله أنظر هل ترى شيأ فنظرت فاذا شجرة واحدة فأخبرته فقال لى انظر هل ترى شيأ فنظرت شجرة أخرى متباعدة من صاحبتها فأخبرته فقال قل لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ان تجتمعا فقلت له ماذلك فاجتمعا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها ✽ وفى الامتاع عن جابر رضى الله عنه ما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به فاذا بشجرتين بشاطىء الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن

من أغصانها فقال أنقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى كان صلى الله عليه وسلم بالنصف مما بينهما وأثم بينهما وقال التئما على باذن الله تعالى فالتأمتا * قال جابر رضى الله عنه فخلوت أحدث نفسى فحانت منى التفاتة فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان افترقتا وذهبت كل واحدة الى محلها الحديث ولا بعد فى تعدد الواقعة ووقع له صلى الله عليه وسلم مجيء الشجر اليه قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه وقولهم له أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد ومن خضبهم له بالدماء فقال يارب أرنى اليوم آية أطمئن اليها ولا أبالى بمن آذانى بعد وكان ذلك الوادى به شجر فأمر أن يدعو شجرة من تلك الشجر * وفى لفظ غصنا من أغصان شجرة فدعا ذلك فانتزع من مكانه وجاء اليه وسلم عليه ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالعود فعاد الى مكانه فحمد الله وطابت نفسه وعلم أنه على الحق وقال لا أبالى بمن آذانى بعد هذا من قومى * أقول ووقع له صلى الله عليه وسلم اجابة الحجر فعن تفسير الفخر الرازى أنه صلى الله عليه وسلم كان مع عكرمة بن أبى جهل بشط ماء فقال عكرمة للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الحجر كان فى الجانب الآخر ليسبح فى الماء ويجيء اليك ولا يغرق فأشار اليه صلى الله عليه وسلم فانقلع ذلك الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعكرمة يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فأشار اليه صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه ولم يسلم عكرمة فى ذلك الوقت وانما أسلم يوم فتح مكة والله أعلم * وعند خروجه صلى الله عليه وسلم الى هذه الغزوة أمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى من كان مضعفا أى ضعيفا أو مصعبا أى راكبا دابة صعبة فليرجع فرجع ناس * وارتحل مع القوم رجل على بكر صعب أو ناقة صعبة فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فلما جيء به الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما شأن صاحبكم فأخبروه قال يا بلال ما كنت أذنت فى الناس من كان مصعبا أى راكبا دابة صعبة فليرجع قال بلى فأبى صلى الله أن يصلى عليه وأمر صلى الله عليه وسلم بلالا فنادى فى الناس الجنة لا تحل لعاص ثلاثا وفيها مات شخص من الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم وامتنع من الصلاة عليه فتغيرت وجوه

الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجد فاخرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين وفيها أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من المسلمين هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا أشد القتال فارتاب بعض الصحابة أى كيف يكون من أهل النار مع هذه المقاتلة الشديدة * فلما كثرت الجراحات فى ذلك الرجل ووجد ألمها أخرج سهما من كنانته ونحر نفسه فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا بلال فأذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث * وفى رواية ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار * وتقدم فى غزوة أحد مثل ذلك ولا بعد فى التعدد ان لم يكن الاشتباه على الراوى * أقول فى سيرة الحافظ الدمياطى لما فتحت خيبر واطمأن الناس جعلت زينب ابنة الحارث أخى مرحب وهى امرأة سلام بن مشكم تسأل أى الشاة أحب الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون الذراع قيل وانما أحب صلى الله عليه وسلم الذراع لانه هادى الشاة وأبعدها من الاذى فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يلبث أن يقتل من ساعته فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف فلما غابت الشمس وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب بالناس انصرف وهى جالسة عند رحله فسأل عنها فقالت يا أبا القاسم هدية أهديتها لك فأمر بها صلى الله عليه وسلم فأخذت منها فوضعت بين يديه صلى الله عليه وسلم وأصحابه حضور أو من حضر منهم وفيهم بشر بن البراء بن معرور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنوا فقعدوا وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة ازدرد بشر ما فى فيه وأكل القوم منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع أو الكتف تخبرنى أنها مسمومة فقال بشر والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى أى لقمتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها الا أنى أنغص عليك طعامك فلما أكلت لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون أزدرتها فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان أى أسود وماطله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول ثم مات فقال بعضهم فلم يقم بشر من مكانه حتى توفى أى والمتبادر من المكان مكان الاكل وربما يدل له عدم ذكر بشر فى الحجامة وطرح منها الكلب فمات انتهى أى فلم يأكل الا بشر رضى الله عنه وحينئذ يكون المراد بقوله وأكل القوم منها أى أرادوا الاكل أى ووضعوا أيديهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم ويدل له ما يأتى عن الامتناع

* وفي الاصل أنها اهدتها الصفية رضي الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور فقدمت اليه تلك الشاة فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وفي رواية الذراع فانتهش منه قطعة فلاكها ثم ألقاها أي ولم يبتلعها وانتهش من الشاة بشر قطعة فابتلعها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناول شيء منها * وقال ان كتف هذه الشاة تخبرني أني نعيت فيها فقال بشر والذي أكرمك لقد وجدت ذلك فيما أكلته فما منعني من لفظه الا اني أعظمت أن أنغصك طعاما لم يقم بشر رضي الله عنه من مكانه حتى كان لا يتحول الا أن حول والى هذا أشار الامام السبكي في تائيته بقوله رحمه الله

وأحييت عضو الشاة بعد مماتها * فجاء بنطق موضح للنصيحة
وقال رسول الله لا تك آكلي * فزينب سامتني الهوان وسمت

* وهذا يؤيد القول الثاني بأن كلام نحو الجماد يكون بعد أن يخلق الله فيه الحياة * ومذهب الاشعري رحمه الله أن الله يخلق في نحو الجماد حروفا وصوتا يحدث ذلك فيه أي فليس من لازم ذلك وجود الحياة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله أي حجمه أبو طيبة مولى لبني بياضة وقيل أبو هند وهو مولى بني بياضة أيضا أي وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤسهم * أي وهم كما في الامتاع ثلاثة وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيأ * وفيه أنه لا معنى لاحتجام أصحابه ولم يأكلوا شيأ ومن ثم قال في سفر السعادة واحتجم صلى الله عليه وسلم بين الكتفين في ثلاثة مواضع وأمر من أكل معه بذلك الا أن يقال بمجرد وضع اليد بما بسببه سرى السم الى باقي الجسد وقال صلى الله عليه وسلم الحجامة في الرأس هي المغيثة أمرني بها جبريل عليه السلام حين أكلت طعام اليهودية * وقد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير هذه الواقعة مرارا في محال مختلفة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم احتجم على الاخدعين مرتين واحتجم وسط رأسه الشريف وكان يسميها منقذا أي وذلك لما سحر في سفر السعادة لما سحره اليهود ووصل المرض الى الذات المقدسة النبوية أمر صلى الله عليه وسلم بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة * ومن لاحظ له في الدين والايمان يستشكل هذا العلاج هذا كلامه ودخل عليه صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس وهو يحتجم في القمحدوة فقال يا ابن أبي كبشة لم احتجمت وسط رأسك فقال يا ابن حابس ان فيها شفاء من وجع الرأس والاضراس والنعاس والجنون * أي وفي الحديث الحجامة في الرأس شفاء من

سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه * وفي الحديث اجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والاحد * وفي بعض الروايات يوم الاحد شفاء ويحتاج للجمع وجاء النهي عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم * وفي حديث بعض رواته واهي الحديث احتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا في النقرة والكاهل ووسط الرأس وسمى واحدة النافعة والاخرى المعينة والاخرى المنقذة * وقال صلى الله عليه وسلم خير ماتداويتم به الحجامة وما مررت ليلة أسرى بي بملأ من الملائكة لا قالوا يا محمد مر أمتك بالحجامة * قال في الهدي والحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد والاولى أن تكون في الربع الثالث من الشهر لانه وقت هيجان الدم * وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وتكره في الاربعاء والسبت * قيل ويوم الجمعة وفي الحديث من احتجم يوم الاربعاء أو السبت وحصل له برص لا يلومن الا نفسه * وجاء أمر صلى الله عليه وسلم باجتناب الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي أصيب فيه أيوب عليه السلام بالبلاء ومايبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وليلة الاربعاء * ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك اليهودية فقال أسممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه التي في يدي وهي الذراع قالت نعم قال ما حملك على ما صنعت قالت بلغت من قومي مالا يخفى عليك * أي وفي لفظ قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي مانلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمت اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فأذاع الذراع مافيه من سـ * ـر بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم * لم يقاصص بجرحها العجماء

* أي ثم جعلت اليهودية السم القاتل لوقته في الشاة ومرات كثيرة يطلب الشقوة ويتعلق بها الاشقياء الذين لا خلاق لهم فأخبر ذلك الذراع النبي صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من سم اخفاء ذلك النطق عن الحاضرين ابداء واظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ماتحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم تقاصص تلك المرأة بجرحها أي بجرح سمها لان السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد

الناس فلما مات بشر رضى الله عنه أمر بها فقتلت * أى وقيل وصلبت كما فى أبى داود وعبارة السهيلى رحمه الله وقد روى أبو داود أنه قتلها ووقع فى كتاب شرف المصطفى أنه قتلها وصلبها هذا كلامه * وقيل انما تركها لانها أسلمت فالعفو عنها أى عدم مؤاخذتها كان قبل أن يموت بشر رضى الله عنه فلما مات بشر دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر فقتلوها * وفى الامتاع واختلفت الآثار فى قتلها وفى صحيح مسلم أنه لم يقتلها * وقال ابن اسحاق أجمع أهل الحديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها وقد علمت أنه لا مخالفة لكن قتلها مشكل على ما عليه أئمتنا معاشر الشافعية من أن من ضيف بسم ومن يقتل غالبا فمات كان شبه عمد لا قود فيه * وفى كلام بعضهم أنها قالت قد استبان لى الآن أنك صادق وانى أشهدك ومن حضر أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فانصرف عنها حين أسلمت كذا فى جامع معمر عن الزهرى أنها أسلمت قال معمر هكذا قال الزهرى أنها أسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وأمر صلى الله عليه وسلم بتلك الشاة فأحرقت * وفى رواية أنه بعد سؤال اليهودية واعترافها بسط صلى الله عليه وسلم يده الى الشاة وقال لاصحابه كلوا باسم الله فأكلوا وقد سموا الله فلم يضر ذلك أحدا منهم قال ابن كثير وفيه نكارة وغرابة شديدة هذا كلامه ويذكر ان أخت بشر بن البراء دخلت عليه صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فقال لها هذا أوان انقطاع أبهرى من الاكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر والابهر العرق المتعلق بالقلب * وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر وأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء * ومن جملة من أعطاه صلى الله عليه وسلم أبو سبيعة بن المطلب بن عبد مناف واسمه علقمة ولم يقسم صلى الله عليه وسلم لمن غاب من أهل الحديبية الا لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما ورضخ صلى الله عليه وسلم للنساء أى وكن عشرين امرأة فيهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم سليم وأم عطية الانصارية * وعن بعضهم قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقلت يا رسول الله قد أردن الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها فى عنقى فوالله لا تفارقنى أبدا وأوصت أنها تدفن معها زاد فى السيرة الشامية أنها قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فلما كان الصبح وأناخ راحلته ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة

استغيثت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالى قال مالك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فأصلحى من نفسك ثم خذى اناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك قالت فكنت لا أتطهر من حيضة الا جعلت فى طهورى ملحا وأوصت أن يجعل ذلك فى غسلها حين ماتت * ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض لما قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أعلم بها منكم وأعمرها بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع وقال لهم على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم * أى وهذا يخالف ما عليه أئمتنا من أنه لا يجوز فى عقد الجزية أن يقول الامام أو نائبه أقركم ما شئنا بخلاف ما شئتم لانه تصريح بمقتضى العقد لان لهم نبذ العقد ما شاؤا وذكر أئمتنا أنه يجوز زمنه صلى الله عليه وسلم لامنا أن يقول أقركم ما شاء الله لانه يعلم مشيئة الله دوننا والشطر فى هذا ظاهر فى النصف ولم أقف على تعيينه فى رواية * وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الى خيبر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه خارصا قيل وانما خرص عليهم عبد الله عاما واحدا ثم مات * وهذا يخالفه قول بعضهم كان عبد الله بن رواحة رضى عنه يأتيهم كل عام يخرصها يعنى الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولانتم أبغض الى من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى اياه على أن لا أعدل فقالوا بهذا قامت السموات والارض وكان يخرص عليهم بعده جبار بن صخر وكان خارصا لاهل المدينة * أقول أى ساقاهم على النخل وزارعهم على الارض هكذا استدل بذلك أئمتنا على ما ذكر أى على جواز المساقاة و جواز المزارعة تبعا لها ويكون ذلك مخصصا للنهى عن المزارعة أى ما لم تكن تبعا للمساقاة وهو لا يتم الا ان كانت أرض خيبر جميعها بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وأنه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا لان فى المزارعة يجب أن يكون البذر من المالك لا من العامل ولم أقف فى شىء من الطرق على أنه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا بل ظاهر الروايات يدل على ان البذر منهم وصرحت به رواية مسلم و يبعد أن تكون أراضى خيبر كلها كانت بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وحينئذ يكون الواقع فى خيبر انما هى المخابرة وهى المعاملة على الارض ببعض ما يخرج منها والبذر من العامل وهى باطلة عندنا بل قيل عند المذاهب الاربعة ولو تبعا للمساقاة والله أعلم * ثم ان الصديق رضى الله عنه أقرهم بعده صلى الله عليه وسلم ثم أقرهم عمر رضى الله عنه

الى أن مرح ولده عبدالله رضي عنهما في خلافة أبيه الى خيبر فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه فقام عمر رضي الله عنه خطيبا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل أهل خيبر على أموالهم أي أرضهم ونخيلهم وقال لهم نقركم على ما أقركم الله وأن عبدالله بن عمر خرج الى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم * وقد رأيت اجلاءهم أي ووافقه الصحابة على ذلك بأن عمر رضي الله عنه قام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن يهود فعلوا بعبدالله بن عمر ما فعلوا وفعلوا بمظهر ابن رافع ما فعلوا مع عدوتهم على عبدالله بن سهيل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أشك أنهم أصحابه وأنا أريد أن أجلي يهود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقركم ما أقركم الله وقد أذن الله في اجلائهم فقام طلحة بن عبدالله فقال قد والله أحسنت يا أمير المؤمنين ووفقت فيهم أهل سوء * فقال عمر رضي الله عنه من معك على مثل رأيك قال المهاجرون جميعا والانصار فسر بذلك عمر رضي الله عنه * وقوله وفعلوا بمظهر ما فعلوا أي لان مظهر بن رافع قدم خيبر بأعلاج من الشام عشرة عبيد له ليعملوا له بأرضه فأقام بخيبر ثلاثة أيام فقال لهم رجل من يهود أنتم نصارى ونحن يهود وهذا سيدكم من قوم عرب قد قهرونا بالسيف وأنتم عشر رجال ورجل واحد يسوقكم الى الجهد والبؤس وتكونون في رق شديد فاذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه فقالوا ليس معنا سلاح فدست اليهود لهم سكينتين أو ثلاثة فلما خرجوا عن خيبر أقبلوا على مظهر بسكاكينهم فخرج مظهر يعدو الى سيفه وكان في قرابة على راحلته فأدركوه قبل الوصول اليه وبعجوا بطنه ثم انصرفوا سراعا حتى دخلوا خيبر على يهود فآووهم وزودوهم الى الشام وجاء عمر رضي الله عنه الخبر بقتل مظهر وما صنعت به يهود وقوله مع عدوتهم على عبد الله بن سهيل أي فانه وجد قتيلا في خيبر لاهل حصن الشق فسألهم أخوه محيصة فقالوا لا والله ما لنا به من علم قال فجئت أنا وأخي عبد الرحمن وأخي حويصة وهو أكبرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أخي عبد الرحمن يتكلم وهو أصغرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر فسكت فأردت أن أتكلم فقال كبر كبر فسكت فتكلم أخي حويصة وذكر أن اليهود تهمنا وظننا فقال صلى الله عليه وسلم اما أن يدوا صاحبكم واما أن يأذنوا بحرب وكتب صلى الله عليه وسلم اليهم في ذلك وكتبوا اليه ما قتلناه فقال صلى الله عليه وسلم لي ولأخوي تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقلنا يا رسول الله لم نحضر

ولم نشهد قال فتحلف لكم يهود قالنا يا رسول الله ليسوا بمسلمين فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده بمائة ناقة خمس وعشرين جذعة وخمس وعشرين حقة وخمس وعشرين ابنة لبون وخمس وعشرين بنت مخاض * وعن ابن المسيب رحمه الله كانت القسامة في الجاهلية ثم أقرها صلى الله عليه وسلم في الاسلام في الانصاري الذي وجد قتيلا في جب من جباب يهود * فلما أجمع الصحابة على ذلك أي على ما أراده سيدنا عمر رضي الله عنه جاءه أحد بني الحقيق فقال يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على أموالنا وشرط ذلك لنا فقال له عمر رضي الله عنه أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لك كيف بك اذا أخرجت من خيبر يعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال كانت هذه هزيلة من أبي القاسم فقال كذبت يا عدو الله ثم بلغه رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى دينان في جزيرة العرب وقوله لأخرجن اليهود والنصارى وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب * وفي رواية آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أخرجوا اليهود من الحجاز وفي لفظ ان عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز أي وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة والمراد بجزيرة العرب الحجاز المشتملة عليه أي فالمراد بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة لان عمر لما أجلاهم ذهب بعضهم الى تيما وبعضهم الى أريحا وتيما من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز وقيل له حجاز لانه حجز بين نجد وتهامة ففحص عمر رضي الله عنه عن ذلك حتى تيقنه وثلج صدره فأجلى يهود خيبر أي وأعطاهم قيمة ما كان لهم من تمر وغيره وأجلى يهود فدك ونصارى نجران فلا يجوز اقامتهم بذلك أكثر من ثلاثة أيام غير يومي الدخول والخروج * ثم ركب في المهاجرين والانصار وخرج معه جبار ابن صخر ويزيد بن ثابت فقسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها كما قسمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبهم الانبي * وقد كنت أتوقعك لتركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولم يبق من الانبياء غيرك قد كنت لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه

صاحب الدار أوماء اليه ان أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى نفسه فى بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات * قال ابن حبان هذا خبر لا أصل له واسناده ليس بشيء وقال ابن الجوزى لعن الله واضعه فانه لم يقصد الا القدح فى الاسلام والاستهزاء به * وقد قال شيخنا العماد بن كثير هذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف وسألت شيخنا المزى رحمه الله فقال ليس له أصل وهو ضحكة وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضى عياض فى الشفاء والسهيلى فى روضه وكان الاولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمسلمين

(غزوة وادى القرى)

ثم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من خيبر أتى وادى القرى وأهلها يهود فدعاهم صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا أى برز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله عنه فبرز آخر فقتله على كرم الله وجهه ثم برز آخر فقتله أبو دجانة رضى الله عنه فقاتلهم المسلمون الى المساء وقتل منهم أحد عشر رجلا ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموال أهلها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الارض والنخيل فى أيدى أهلها أى من بقى وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر وفى لفظ ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود وترك فى أيديهم أراضى وادى القرى والبساتين والحدائق يعملون فيها ويأخذون الاجرة * وقيل حاصرهم ليالى ثم انصرف راجعا الى المدينة وعلى الاول تضم للغزوات التى وقع فيها القتال * ولما بلغ أهل تيما ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل خيبر وفدك ووادى القرى صالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية فأقاموا ببلادهم وأرضهم فى أيديهم * قال وقتل عبده صلى الله عليه وسلم الاسود الذى كان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يحط رحله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيأ له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها من خيبر من الغنائم قبل أن تقسم تشتعل عليه نارا انتهى * ولما قرب من المدينة سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليلة فلما كان قبيل الصبح نزل وعرس وقال الا رجلا حافظا لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام قال بلال رضى الله عنه أنا يا رسول الله أحفظه عليك * وفى لفظ قال يا بلال اكلأ لنا الليل فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونام بلال رضى الله عنه يصلى ما شاء الله ثم استند الى بعيره واستقبل

الفجر برمقه فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم حتى ضربتهم الشمس * وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماصنعت يابلال قال يارسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك قال صدقت أي وتبسم صلى الله عليه وسلم * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم التفت الى أبي بكر الصديق وقال له ان الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأخبر بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ماأخبر به صلى الله عليه وسلم الصديق فقال أبو بكر رضي الله عنه أشهد انك رسول الله ثم سار صلى الله عليه وسلم بالناس يقود بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس وأمر بلالا فأقام الصلاة * وفي رواية فاقتادوا رواحلهم وفي رواية فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي وقال هذا واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي الحديث فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري * وفي رواية ان الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا فاذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع اليها فليصلها في وقتها * أي وقيل ان ذلك كان في مرجعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقيل في مرجعه من حنين وقيل في مرجعه من تبوك * قال في الامتاع وهذا لا يصح لان الآثار الصحاح على خلافه أي دالة على أن ذلك كان في رجوعه صلى الله عليه وسلم من وادي القرى * وقد يقال لا مانع من التعدد ويدل للقول بأن ذلك كان في مرجعه من الحديبية ماجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه فعنه رضي الله عنه أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية * وفي رواية لما انصرفنا من غزوة الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم من يحرسنا الليلة فقلت أنا يارسول الله قال انك تنام ثم أعاد من يحرسنا الليلة فقلت أنا حتى أعاد ذلك مرارا وأنا أقول أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت قال فحرستهم حتى اذا كان وجه الصبح أدركني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنام فنمت فما أيقظنا الا حر الشمس في ظهورنا وسيأتي في تبوك عن الحافظ بن حجر اختلاف العلماء في التعدد وكان بين الحديبية وعمرة القضاء اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم * وقيل كان بعد عمرة القضاء ويشهد له ماجاء عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال لما أراد الله عز وجل

ما أراد بي من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه
المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده الا انصرف وأنا
أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر * فلما
جاء صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخي الوليد بن
الوليد دخل معه صلى الله عليه وسلم فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك
عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد قد سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابن خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع
المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما فاتك فقد
فاتك مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام
وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة
جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما اجتمعنا للخروج الى المدينة لقيت
صفوان فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمدا صلى الله عليه وسلم ظاهر على العرب والعجم
فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا قال لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا فقلت
هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت
لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره
ثم لقيت عثمان بن طلحة أي الحجبي قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت
من قتل من آبائه أي قتل أبيه طلحة وعمه عثمان أي وقتل اخوته الاربع مسافع
والجلاس والحارث وكلاب كلهم قتلوا يوم أحد كما تقدم فكرهت أن أذكر له ثم
قلت وما علي فقلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج
* ثم قلت له ما قلته لصفوان وعكرمة فأسرع الاجابة فواعدني ان سبقني أقام
في محل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فعدونا حتى انتهينا
الى الهدة اسم محل فنجد عمرو بن العاصي بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال اين
مسيركم قلنا الدخول في الاسلام * قال وذلك الذي أقدمني وفي لفظ قال عمرو
لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام المنسم أي تبين الطريق وظهر الامر
وان هذا الرجل لنبي فاذهب فأسلم فحتى متى قال عمرو وأنا ما جئت الا لاسلم
فاصطحبنا جميعا ثم دخلنا المدينة الشريفة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا أي وقال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها فلبست من
صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني أخي فقال أسرع فان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يتبسم الي حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله أي وتقدم عثمان وعمرو فأسلما وفي رواية عن عمرو بن العاصي * قال قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان ابن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه صلى الله عليه وسلم قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحدا من الصحابة في أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر رضي الله عنه بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر رضي الله عنه بتلك الحالة وكان عمر رضي الله عنه على خالد كالعاتب وتقدم أن عمرا رضي الله عنه أسلم على يد النجاشي رضي الله عنه * قال بعضهم وفي اسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة وهي صحابي أسلم على يد تابعي ولا يعرف مثله ومن حين أسلم خالد رضي الله عنه لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل فيكون في مقدمها والله أعلم

* (عمرة القضاء أي ويقال لها عمرة القضيه) *

أي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها أي صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص * قال السهيلي رحمه الله وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص أي لأنها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة أي وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن البيت منها سنة ست وليست قضاء عن العمرة التي صد عن البيت فيها فانها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم التي اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهي أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التي

قرنها مع حجه في حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من انه كان قارنا وكلها في ذى القعدة الا التى كانت مع حجه وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه انه اعتمر خارجا من مكة الى الحل فى تلك المدة أصلا ولم يفعل هذا على عهده صلى الله عليه وسلم الا عائشة رضى الله عنها كما سيأتى فى حجة الوداع وكون العمرة لا تفسد بالصد انما هو على ما يراه امامنا الشافعى رضى الله عنه اما على من يرى أن العمرة تفسد بالصد عنها وأنه يجب قضاؤها كما هو المنقول عن أبى حنيفة رضى الله عنه فواضح أنها قضاء وهذه العمرة ليست من الغزوات وانما ذكرها البخارى فيها لانه صلى الله عليه وسلم خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر وليس من لازم الغزو وقوع المقاتلة * ومن ثم قيل لها غزوة الامن * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقد عليه قريشا فى الحديبية أى من أنه يدخل مكة فى العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام * وفى أنس الجليل ما يفيد أن اشتراط الثلاثة أيام كان فى عمرة القضاء ففيه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا عمرة القضاء فأبى أهل مكة أن يدعوه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام وأن لا يخرج من أهلها أحدا ان اراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا أن يقيم بها وأصحابه كانوا ألفين * أى وأمر أن لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف أحد الا من استشهد فى خيبر ومن مات وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية واستخلف على المدينة أبا ذر الغفارى * وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها أى جعل فى عنق كل بعير قطعة من جلد أو نعلا بالية ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه ولم يذكر هنا الاشعار أى وجعل عليها ناجية بن جندب * قال وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه أى وعلى السلاح بشير بن سعد وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد * فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه فقيل يا رسول الله حملت السلاح * وقد شرطوا أن لا ندخلها عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر السيوف فى القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح * ولكن يكون قريبا منا فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فمضى بالخيل محمد ابن مسلمة فلما كان بمر الظهران وجد نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله أى وقد رأوا سلاحا كثيرا فخرجوا سراعا

حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذى رأوا من الخيل والسلاح ففزعت قريش وقالوا ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه * ثم ان قريشا بعثت مكرز ابن حفص فى نفر من قريش اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك * وقد شرطت عليهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف فى القرب فقال صلى الله عليه وسلم انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء * ثم رجع مكرز الى مكة سريعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذى شرط لكم انتهى * فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت هو وأصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة أى راكبا ناقته القصواء وأصحابه محدقين به قد توشحوا السيوف يلبون * ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وهى ثنية كداء بالمد أى وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة قال اللهم لا تجعل منايانا بها حتى نخرج منها أى من حين يدخل حتى يخرج منها أى وجعل صلى الله عليه وسلم السلاح فى بطن ناجج موضع قريب من الحرم وتخلف عنده جمع من المسلمين من أصحابه عليهم أوس بن خولى وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم والى أصحابه وهم يطوفون بالبيت * وقد قالوا أى كفار قريش ان المهاجرين أوهنتهم أى أضعفتهم حمى يثرب * وفى لفظ قالوا انه قدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا * ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه أن يرملوا الاشواط الثلاثة أى ليرى المشركين أن لهم قوة أى فعند ذلك قال المشركون أى قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا انهم لينفرون أى يثبون نفر الظبى أى الغزال * وانما لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل فى الاشواط كلها رفقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة رضى الله عنهم كذلك * وهذا أول رمل واضطباع فى الاسلام وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثلاثة أيام فلما تمت الثلاثة التى هى أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة فقالوا انا ننشدك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث * فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه

منها * وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها * أى وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهى أخت أم الفضل زوج العباس رضى الله عنهما وأخت أسماء بنت عميس لامها زوج حمزة رضى الله عنه * وكان تزوجه صلى الله عليه وسلم ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة * وقيل بعد أن أحل منها * وقيل وهو محرم أى وهو مارواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد بعث اليها جعفر رضى الله عنه ليخطبها * ولما انتهت اليها خطبة النبى صلى الله عليه وسلم كانت على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله أى * ومن ثم قيل انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم * وقيل جعلت أمرها الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقيل جعلت أمرها لام الفضل أختها فجعلت أم الفضل أمرها للعباس فزوجها العباس وأصدقها عنه صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ولامانع من نكاحه صلى الله عليه وسلم وهو محرم لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم حل عقد النكاح فى الاحرام * أى وفى كلام السهيلى كان من شيوخنا من يتأول قول ابن عباس تزوجها محرما أى فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام ولم يرد الاحرام بالحج أى كما أراد ذلك الشاعر بقوله فى عثمان بن عفان رضى الله عنه

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... أى فى شهر حرام فانه قتل فى أيام التشريق

هذا كلام السهيلى * قال ابن كثير رحمه الله وفيه نظر لان الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما متظافرة بخلاف ذلك التى منها تزوجها وهو محرم هذا كلامه * وعن ابن المسيب غلط ابن عباس أو قال وهم ابن عباس ماتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم الا وهو حلال * ومن ثم روى الدارقطنى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال قال السهيلى فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره فقف عليها فانها غريبة عن ابن عباس * وذكر بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم وكل أبا رافع رضى الله عنه فى نكاح ميمونة رضى الله عنها * وفى بعض السير عن ابن رافع قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وأنا الرسول بينهما رواه البيهقى والترمذى والنسائى * وأراد صلى الله عليه وسلم ان يبنى بها فى مكة لم يمهلوه يبنى بها * قال وقد قال لهم ماعليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاما فقالوا لاحاجة لنا فى طعامك أخرج

عنامن أرضنا هذه الثلاثة قد مضت * وفي لفظ قال لهم اني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى أدخل بها واصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا * وفي رواية جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم في قبته التي نصبها ابا بطح وذلك وقت * وقيل وقت الصبح ولا مخالفة لجواز مجيئهم له في الوقتين وعند مجيئهم له صلى الله عليه وسلم كان مع الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حو يطب ناشدتك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فغضب سعد بن عبادة رضي الله عنه لما رأى من غلظ كلامهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لذلك القائل كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا أرض آبائك * أي وفي لفظ قال يا عاض بظر أمه أرضك وأرض أمك دونه ليست بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا او أسكت الفريقين ثم انه صلى الله عليه وسلم أمر أبا رافع رضي الله عنه أن ينادي بالرحيل ولا يمسي بها أحد من المسلمين وخلف أبا رافع ليأتي له بميمونة حين يمسي فخرج بها ولقيت ميمونة رضي الله عنها من سفهاء مكة عناء * فعن أبي رافع رضي الله عنه لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من أذى ألسنتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولميمونة فقلت لهم ما شئتم هذه والله الخيل والسلاح ببطن ناجج وأنتم تريدون نقض العهد والمدة فولوا راجعين منكشفين * وأقام صلى الله عليه وسلم بسرف بكسر الراء وهو محل بين مساجد عائشة و بطن مرو وهو أقرب الى مساجد عائشة وفيه دخل صلى الله عليه وسلم بميمونة أي تحت شجرة هناك * وكان محل موتها ودفنها دفنت فيه بعد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم أخبرها بأنها لا تموت بمكة فلما ثقل عليها المرض وهي بمكة قالت أخرجوني من مكة فاني لا أموت بها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر في ذلك فحملوها حتى أتوا بها ذلك الموضع فماتت به ودفنت به أي وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من أزواجه صلى الله عليه وسلم و رضي عنهن وحين دخوله صلى الله عليه وسلم مكة أخذ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بغرزه أي ركابه صلى الله عليه وسلم أي وقيل بزمام الناقة وهو رضي الله عنه وعنا وعن المسلمين يقول من أبيات

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

وفي لفظ

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

وماقيل

ان نحن قتلناكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * أويذهل الخليل عن خليله

* قاله عمار بن ياسر يوم صفين لايمنع أن يكون ذلك من كلام ابن رواحة رضي الله عنه وتمثل به عمار رضي الله عنه أي وأما ماروي أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله فقال الدار قطني رحمه الله تفرد به بعض الرافضة * قال وذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه ياعمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل * وذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال له ايها ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فقالها وقالها الناس * أي وفي الامتاع وكان ابن رواحة يرتجز في طوافه وهو آخذ بزمام الناقة فقال عليه الصلاة والسلام ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فقالها وقالها الناس وطاف صلى الله عليه وسلم على راحلته وأستلم الحجر بمحجنه * وذكر أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت فلم يزل به حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة فقال عكرمة بن أبي جهل لقد أكرم الله تعالى أبا الحكم يعني والده أبا جهل حيث لم يسمع حداء العبد يقول مايقول * وقال صفوان ابن أمية الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا وقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أذهب أبي ولم يشهد هذا اليوم حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة وسهيل بن عمرو لما سمع ذلك غطى وجهه وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم * قال بعضهم وكون ماذكر أي من دخوله صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة وآذان بلال رضي الله عنه فوق ظهرها كان في عمرة القضاء خلاف المشهور واذا المشهور أن ذلك كان في يوم الفتح ويدل لذلك ماقيل لم يدخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وأنه أراد ذلك فأبوا وقالوا لم يكن في شرطك فأمر بلالا فأذن فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها * قال الواقدي في هذا القيل انه أثبت * أقول ويؤيد الأول ماجاء دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمري ما استدبرت مادخلتها اني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي من بعدي أي لاتخاذهم ذلك سنة الا أن يقال يجوز أن يكون ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وينبغي أن يكون هذا من اعلام النبوة

فان الناس يحصل لهم من التعب بسبب دخولها سيما زمن الموسم مالا يعبر عنه من التلاعب والامور الفظيعة والله أعلم ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة أي وأوقف الهدى عند المروة وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عندها وحلق ولم أقف على من حلق رأسه الشريف في هذه العمرة * ثم رأيته في الامتاع قال حلقه معمر بن عبد الله العدوي وفعل كفعله صلى الله عليه وسلم المسلمون أي ومن لم يجد منهم بدنة رخص له في البقرة وكان قدم رجل مكة ببقر فاشتراه الناس منه * وأمر صلى الله عليه وسلم من تحلل أن يذهب الى السلاح ويأتي آخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته عمارة أي وقيل اسمها أم ابها وقيل أمامة وقيل أمة الله * قال ابن عبد البر وابنت أمامة وأمها سلمى بنت عميس بنت عمه حمزة رضي الله عنه تنادي ياعم ياعم أي وفي لفظ ان أبا رافع خرج بها فتناولها على كرم الله وجهه فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فلما وصلوا المدينة اختصم فيها علي وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فقال زيد بن حارثة رضي الله عنه أنا أحق بها لانها بنت أخي أي وأنا وصيه لانه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وزيد أي وجعله حمزة رضي الله عنه وصيه * وقال علي كرم الله وجهه أنا أحق بها لانها ابنة عمي وجئت بها من مكة * وقال جعفر رضي الله عنه أنا أحق بها لانها بنت عمي وخالتها تحتي أي وهي أسماء بنت عميس فقضى بها صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه وقال الخالة بمنزلة الام هذا وفي الامتاع وكلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمارة بنت حمزة رضي الله عنهما وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة فقال علي م نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين وأنه لما قضى بها لجعفر رضي الله عنه حجل جعفر حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا يا جعفر فقال يارسول الله كان النجاشي اذا أرضى أحدا قام فحجل حوله وفيه أنه فعل مثل ذلك بخيبر وما بالعهد من قدم الآن يقال يجوز أن يكون في خيبر فعل ذلك ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وفيه تقديم الخالة في الحضانة على العمة لان عمتها صفية رضي الله عنها كانت موجودة وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه في هذا الموطن أنت أخي وصاحبي * وفي لفظ أنت مني وأنا منك وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي * أي وقد تقدم منه ذلك له في خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه أنت أخي ومولاي وفي لفظ أنت مولى الله ومولى رسوله صلى الله عليه وسلم

(غزوة مؤتة)

بضم الميم وبالهمزة ساكنة وبترك الهمزة موضع معروف عند الكرك وفى كلام السهيلى مؤتة مهموز العاء واما الموتة بلاهمز فضرب من الجنون وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوى الحديث فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة هذا كلامه كانت هذه الغزوة فى جمادى الاولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الازدى بكتاب الى هرقل عظيم الروم بالشام * أى فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى أى وهو من أمراء قيصر على الشام فقال أين تريد لعلك من رسل محمد قال نعم فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد الامر عليه فجهز جمعا من أصحابه وعدتهم ثلاثة آلاف وبعثهم الى مقاتلة ملك الروم* وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس * قال وفى رواية فان أصيب بن رواحة فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم وقد حضر ذلك المجلس رجل من يهود فقال يا أبا القاسم ان كنت نبيا يصاب جميع من ذكرت لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بنى اسرائيل كان الواحد منهم اذا استعمل رجلا على القوم وقال ان أصيب فلان لابد أن يصاب أى ولو عد مائة أصيبوا جميعا ثم صار يقول لزيد اعهد فلن ترجع الى محمد أبدا ان كان نبيا وزيد يقول أشهد انك نبى وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لزيد بن حارثة رضى الله عنه وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم نهاهم أن يأتوا مؤتة فغشيتهم ضبابة فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة انتهى وودعهم الناس وقالوا لهم صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين * قال ويقال ان رسول صلى الله عليه وسلم خرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال أى بعد قوله أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا أغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا بصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء انتهى وقال لهم المسلمون دفع الله عنكم وردكم غانمين فمضوا حتى نزلوا من أرض الشام فبلغهم ان هرقل ملك الروم

فى مائة ألف من الروم وانضم اليه من قبائل العرب أى المتنصرة أى من بنى بكر ولخم وجذام مائة ألف * وفى رواية كانوا مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين وكان المسلمون ثلاثة آلاف كما مر فلما بلغهم ذلك أقاموا فى ذلك المحل ليلتين ينتظرون فى أمرهم هل يبعثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بعدد عدوهم فاما أن يمدهم برجال أو يأمرهم بأمر فيمضوا اليه فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال لهم ياقوم والله ان الذى تكرهون للذى خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن مانقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله تعالى به فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة أى فقال الناس صدق والله ابن رواحة فمضوا للقتال فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم من الروم والعرب فانحاز المسلمون الى مؤتة فالتقى الجمعان عندها واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لواؤه حتى قتل رضى الله عنه فأخذ الراية جعفر رضى الله عنه وقاتل على فرس أشقر ثم نزل عنه وعقره أى وهو أول رجل من المسلمين عقر وفرسه أول فرس عقر فى سبيل الله عقره خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين * ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصحابة وبه استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار ويقاتل عليه المسلمين ثم قاتل رضى الله عنه فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رضى الله عنه فأخذها عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وتقدم بها وهو على فرسه وجعل يتردد فى النزول عن فرسه ثم نزل وقاتل حتى قتل أى وحينئذ اختلط المسلمون والمشركون وأراد بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبة بن عامر رضى الله عنه يقول ياقوم يقتل الانسان مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا فأخذ الراية ثابت ابن أرقم رضى الله عنه وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت فقال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضى الله عنه أى ويقال ان ثابت بن أرقم دفعها الى خالد رضى الله عنه وقال أنت أعلم بالقتال منى أى فقال له خالد أنت أحق به منى لانك ممن شهد بدرا ثم أخذه خالد رضى الله عنه ومانع القوم وثبت ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما * قال وفى رواية قاتلوا المشركين حتى هزموهم فعند ابن سعد أن خالدا رضى الله عنه لما أخذ اللواء حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وأظهر الله المسلمين قيل وسبب ذلك أن خالدا رضى الله عنه

لما أصبح جعل مقدمة الجيش ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة
فظن المشركون مجيء مدد للمسلمين فرعبوا وانهزموا فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم ويجوز
أن يكون ذلك بعد انحياز المسلمين فلا منافاة بين الروايتين وكانت مدة القتال سبعة
أيام * وروى البخاري عن خالد رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة
أسياف وما ثبت في يدي الا صحيفة يمانية انتهى واطلع الله تعالى رسوله صلى الله
عليه وسلم على ذلك فأخبر به أصحابه أي فانه لما اطلع على ذلك نادى في الناس
الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال أيها الناس باب خير باب خير باب
خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد
رضي الله عنه شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر رضي الله عنه فشد على
القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له * ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة رضي الله
عنه وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له * ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد
ولم يكن من الامراء هو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره * وفي
لفظ ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله
سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم * قال وفي رواية
أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمي خالد
سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على
يديه وعن عبد الله بن أبي أوفى * قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد
ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون في فأرد فقال لا تؤذوا خالدا فانه
سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار * قال بعضهم ويكون هذا نصرا
وفتحا واضحا لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا مائتي ألف والصحابة
ثلاثة آلاف أي كما تقدم اذ كان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية * وفي رواية
أصاب خالد رضي الله عنه منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما يأتي
أن طائفة منهم فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة
يقولون لهم أنتم الفرارون الى آخر ما يأتي * وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها
أي زوج جعفر رضي الله عنه قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتيني ببني جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه أي
وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك
أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقمت أصيح واجتمع

على النساء أى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يا أسماء لاتقولى هجرا ولا تضربى خدا وجاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ان النساء عيننا وفتنا قال فارجع اليهن فأسكتهن فذهب ثم رجع فقال له مثل الاول وقال نهيتهن فلم يطعننى فقال اذهب فأسكتهن فان أبين فاحث فى أفواههن التراب وقال صلى الله عليه وسلم اللهم قد قدم يعنى جعفرا الى أحسن الثواب فأخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله وقال لاتغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم انتهى * أى وفى لفظ دخل صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك الباكية * وفى لفظ البواكى ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم * وفى رواية فانهم قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم طبخته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله رضى الله عنه فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى * وفى لفظ أنا وأخى فى بيته ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار فى بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى فعل لآل جعفر رضى الله عنهم قال السهيلى هو أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة * قال عبد الله رضى الله عنه ودعا لى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريت شيأ الا بورك لى فيه * ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بخبر الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرنى وان شئت فأخبرتك قال فأخبرنى يارسول الله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصف له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا ولم تذكره وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم أى وحين رأى ذلك صلى الله عليه وسلم قال قد حمى الوطيس أى حميت الحرب واشتدت وقال صلى الله عليه وسلم مثل لى جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا أى اعراضا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل لى انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن

قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر رضي الله عنه فجاءه الشيطان امنه الله فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد رضي الله عنه * قال وفي رواية رأيتهم أي فيما يرى النائم وفي رواية لقد رفعوا الي أي في الجنة فيما يرى النائم على سرير من ذهب فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازورارا على سريري صاحبيه أي انحرافا فقلت عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبدالله بعض التردد ثم مضى انتهى أي فانه كما تقدم صار يستنزل نفسه ويتردد في النزول بعض التردد * وفي لفظ دخل عبدالله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح * وفي لفظ طعنة ورمية وفي لفظ آخر ضربة ورمية وقد نصفين فوجدوا في احدى شقيه بضعة وثمانين جرحا وفيما أقبل من بدنه اثنين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح أي وقيل أربعا وخمسين ورواية التسعين أثبت * قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال اني صائم ضعه في ترسي عند رأسي فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا وعمره أحد وأربعون سنة * وقيل ثلاث وثلاثون سنة وفيه أنه تقدم أنه كان أسن من علي بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال وعلى ما قيل انه كان أسن من علي بعشر سنين يقتضي أن عمره يوم قتل سبع وثلاثون سنة لان عليا كرم الله وجهه أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره احدى وعشرون سنة ويوم مؤته كان في سنة ثمان من الهجرة وكونه رضي الله عنه مات صائما لا يناسب كونه شق نصفين * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء فقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا قال مر بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم علي ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان ينشدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر فأتي بعبدالله بن جعفر فأخذه

قطع بين يديه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء * وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله تعالى من يديه * وروى جناحان من ياقوت أي وذكر السهيلي رحمه الله أن الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر رضي الله عنه يقتدر بها على الطيران لا أنهما جناحان كجناح الطائر كما يسبق للوهم أي لان الصورة الادمية أشرف الصور وأي ولا يضر في ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مصرحين بالدم * وصار المسلمون يحثون في وجوههم التراب ويقولون لهم يا فرارون فررتم في سبيل الله فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون * وفي لفظ أنهم قالوا يا رسول الله نحن الفارون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون أي الكرارون وهو دليل على أنه كان بينهم محاجزة وترك للقتال * وعن بعض الصحابة لما قتل ابن رواحة رضي الله عنه انهزم المسلمون رضي الله عنهم أسوء هزيمة * ثم تراجعوا ولقد لقوا من أهل المدينة لما رجعوا شرا حتى ان الرجل يجيء الى أهل بيته يدق عليهم بابه فيأبون يفتحون له ويقولون له هلا تقدمت مع أصحابك فقتلت حتى ان كبراء الصحابة رضي الله عنهم جلسوا في بيوتهم استحياء كلما خرج واحد منهم صاحوا به * وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم رجلا رجلا ثم يقول أنتم الكرارون في سبيل الله ويمنون بالفرار انحيازهم مع خالد رضي الله عنه حين انحاز العدو عنهم * وانما انحاز خالد رضي الله عنه لترتيبه العسكر * وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله عنه على ذلك وأثنى عليه وقتل رجل من المسلمين رجلا من الروم فأراد أخذ سلبه فمنعه خالد رضي الله عنه فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه قال استكثرته عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعه له وكان عوف بن مالك رضي الله عنه كلم خالدا في دفع ذلك لذلك الرجل قبل أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مر خالد بعوف بن مالك أطلق لسانه في خالد رضي الله عنه وقال له أما ذكرت لك ذلك ونحوه فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لخالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمرائي وفيه أن القاتل استحق السلب فكيف منعه * وأجيب بأنه يجوز أن يكون دفعه له بعد وانما أخر دفعه تعزيرا لعوف رضي الله عنه حين أطلق لسانه في خالد وانتهك حرمته

وتطيبا لقلب خالد رضي الله عنه لمصلحة في اكرام الامراء وهذا السياق يدل على أن الجيش كله رضي الله عنهم قيل لهم الفرارون وانما كان لطائفة من الجيش فروا الى المدينة لما رأوا من كثرة العدو فليتأمل وعد هذه غزوة تبعت فيه الاصل والحق أنها ليست من الغزوات بل من السرايا الآتي ذكرها لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها

(فتح مكة شرفها الله تعالى)

كان في رمضان سنة ثمان وكان السبب في ذلك * أنه لما كان صلح الحديبية * بين رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبين قريش كان فيه أن من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل * ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش * ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم * وكان قبل ذلك بينهما دماء أي فحجز الاسلام بينهما لتشاغل الناس به وهم على ما هم عليه من العداوة * وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أي يناصرونه على عمه نوفل بن عبد مناف فان المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وأفنية كانت لعبد المطلب واغتصبه اياها فاضطرب فلم ينهض معه أحد منهم وقالوا له لا ندخل بينك وبين عمك وكتب الى أخواله بني النجار فجاءه منهم سبعون راكبا فأتوا نوفلا وقالوا له ورب الثنية لترد على ابن أختنا ما أخذت والا ملأنا منك السيف فرده * ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل ابن أخيه عبد شمس * وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحلف فانهم أوقفوه على كتاب عبد المطلب وقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه أي بالحديبية وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم بخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم غائبهم يقر بما قاضا عليه شاهدهم أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ومالا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء مكانه وما بل بحر صوفة * وفي الامتاع أن نسخة كتابهم باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة ما بل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان وعمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طول الشمس شدا وظلام الليل مدا وأن عبد

المطلب وولده دون من معهم ورجال خزاعة متكاثفون متظاهرون فعلى عبد المطلب النصرة لهم عن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله حميلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف * فلما كانت المدنة وهي ترك القتال التي وقعت في صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر أي طائفة منهم يقال لهم بنو نفاثة * أي وفي الامتاع وسببها أن شخصا من بني بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة فطلب بنو نفاثة من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة أي جاؤا ليلا بغتة وهم آمنون على ماء لهم يقال له الوتير فأصابوا منهم أي قتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين * وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى أي وعكرمة ابن أبي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم فأسلموا بعد ذلك ولا زالوا بهم الى أن أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة أي ولم يشاوروا في ذلك أبا سفيان * وقيل شاوروه فأبى عليهم ذلك وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وجاء الحارث بن هشام الى أبي سفيان وأخبره بما فعل القوم * فقال هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وانه لشر والله ليغزونا محمد ولقد حدثتني هند بنت عتبة يعني زوجته أنها رأت رؤيا كرهتها رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة فكره القوم ذلك * وعند ذلك خرج عمرو * وقيل عمر بضم العين وصححه الذهبي بن سالم الخزاعي أي سيد خزاعة في أربعين راكبا * أي من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * ودخل المسجد ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين الناس رضي الله عنهم وقال من أبيات

يا رب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
أن قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

* فقال النبي صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم أي ودمعت عينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لا نصرني الله وفي لفظ لا نصرت ان لم أنصر بني
كعب يعني خزاعة مما أنصر به نفسي * وفي رواية لامنعنهم مما أمنع منه
نفسي زاد في رواية وأهل بيتي ثم مرت سحابة في السماء وأرعدت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان هذا السحاب يستهل * أي وفي لفظ لينصب بنصر بني
كعب يعني خزاعة أي وعن بشر بن عصمة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول خزاعة مني وأنا منهم * وقبل قدوم عمرو بن سالم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامه بذلك حدثت عائشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الوقعة قال لها لقد حدث في خزاعة حدث
قالت فقلت يا رسول الله اترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذي بينك وبينهم
فقال ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير قال خير * وفي لفظ قالت الخير
أو الشر قال الخير وعن ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات
عندها ليلة فقام ليتوضأ للصلاة قالت فسمعته يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت
نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول لبيك لبيك لبيك
ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد قال هذا
راجز بني كعب يعني خزاعة يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل أي بطنا
منهم وهم بنو نفاثة قالت ميمونة وأقمنا ثلاثا ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصبح فسمعت الراجز يقول يارب اني ناشد محمدا الى آخر ما تقدم انتهى * وعند
ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه فيمن تهمتكم قالوا بنو بكر قال
كلها قالوا لا ولكن بنو نفاثة قال هذا بطن من بكر * ولما ندمت قريش على
نقضهم العهد أرسلوا أبا سفيان ليشد العقد ويزيد في المدة فقالوا ما لها سواك اخرج
الى محمد فكلمه في تجديد العهد وزيادة * فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين
فأسرع السير لانه يرى انه أول من خرج من مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قبل قدوم أبي سفيان كأنكم بأبي
سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة وهو راجع بسخطه * ثم رجع أولئك
الركب من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا أبا سفيان أي ومولى له كل على راحلة
وقد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة وقد
خافوا مما صنعوا فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا فتركوه وذهبوا فجاء الى
مبركهم بعد أن فارقوه فأخذ بعر ناقته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة
الشريفة * قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن سالم وأصحابه

ارجعوا وتفرقوا فى الاودية أى ليخفى مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة الى الساحل أى وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمة الطريق وأن أبا سفيان لقى بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لاعلم لنا بها أى وقالوا انما كنا فى الساحل نصلح بين الناس فى قتل * ثم صبر أبو سفيان حتى ذهب أولئك القوم * وفى لفظ قال من أين أقبلت يابديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فجاء منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى قال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا انتهى فلما قدم أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها * ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يابنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش النبى صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس * قال والله لقد أصابك بعدى شر فقالت بل هدانى الله تعالى للاسلام وأنت تعبد حجرا لايسمع ولا يبصر واعجبا منك ياأبت وأنت سيد قريش وكبيرها فقال أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم أى وقال له انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فامدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول صلى الله عليه وسلم لذلك جئت ياأبا سفيان قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لانغير ولانبدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن على مدتنا وصلحنا فأعاد أبو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ * هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمهما الله أن مجيئه لام حبيبة رضى الله عنها بعد مجيئه للنبى صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل * وفى رواية قال لابى بكر جدد العقد وزدنا فى المدة فقال أبو بكر جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو وجدت الذر تقاتلكم لاعنتها عليكم * ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال أنا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم * وفى رواية أنه قال له ما كان من حلفنا جديدا أخلقه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله نعند ذلك قال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شرا وفى لفظ سوءا

ثم جاء الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال انه ليس في القوم أقرب بي رحما منك فزد في المدة وجدد العقد فان صاحبك لا يرده عليك أبدا فقال عثمان جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعنده فاطمة وحسن رضي الله عنه غلام يدب بين يديهما فقال يا علي انك أمس القوم بي رحما وأني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لي الى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فالتفت الى فاطمة رضي الله عنها فقال يا ابنة محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بني ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي رواية أنه قال لفاطمة أجيري بين الناس فقالت انما أنا امرأة قال قد أجارت أختك يعني زينب أبا العاص بن الربيع تعني زوجها وأجاز ذلك محمد قالت انما ذاك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فأمري أحد ابنيك قالت انهما صبيان ليس مثلهما يجير قال فكلمي عليا فقالت أنت تكلمه فكلم عليا فقال يا أبا سفيان انه ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار * وقول فاطمة رضي الله عنها في حق ابنيها انهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا من أن شرط من يؤمن أن يكون مكلفا * وأما قولها وانما أنا امرأة فلا يوافق ما عليه أئمتنا من أن المرأة والعبد أن يؤمنا لان شرط المؤمن عند أئمتنا أن يكون مسلما مكلفا مختارا * وقد آمنت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاص بن الربيع وقال صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت وقال المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم كما سيأتي في السرايا وقد تقدم ذلك قريبا عن أبي سفيان وسيأتي قريبا أن أم هانىء أجارت وأنه صلى الله عليه وسلم قال لها أجرنا من أجرت يا أم هانىء لكن سيأتي أن هذا كان تأكيدا للامان الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لاهل مكة لا أمان مبتدأ ثم ان أبا سفيان أتى أشراف قريش والانصار وكل يقول جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى علي كرم الله وجهه وقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت على فانصحني قال والله لا أعلم لك شيأ يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عني شيأ قال والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني أجرت بين الناس * زاد في رواية ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد

ولا يرد جواري قال * وفي رواية أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اني أجرت بين الناس أي وقال لا والله ما أظن أحدا يخفرني ويرد جواري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة وفي لفظ يا أبا سفيان انتهى * ثم ركب بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طالت غيبته واتهمته قريش أنه صبأ واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل فلما أخبرها أي وقد دنا منها وجلس منها مجلس الرجل من امرأته فضربت برجلها في صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير * فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رؤسهما بالدم ليدفع عنه التهمة فلما رأته قريش قالوا ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد قال لا والله لقد أبى علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم له * وفي رواية قال جئت الى ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو * أي وفي رواية أعدى العدو ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله لا أدري أيغني عني شيئا أم لا قالوا وبم أمرك قال أمرني أن أجير بين الناس أي قال لم تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا يخفر جواره ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا أي وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة والله لم يزدني قالوا رضيت بغير رضي وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان أخفارك أي ازالة خفارتك عليهم لهين والله اراد الرجل يعنون عليا كرم الله وجهه أن يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه أي قال لعائشة جهزينا وأخفي أمرك فدخل أبو بكر رضي الله عنه على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تجعل قمحا سويقا ودقيقا * وفي لفظ وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أي بنية أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري أي وذلك قبل أن يستشير صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة كما سيأتي * ثم انه صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز * أي وفي الامتاع أن أبا بكر رضي الله عنه لما سأل عائشة رضي الله عنها دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأتجهز قال نعم قال فأين تريد يا رسول الله قال قريشا

وأخف ذلك أبا بكر وأمر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريده وقد قال له أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله أوليس بيننا وبينهم مدة قال انهم غدروا ونقضوا العهد والامر ماذكرت لك * وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بنى الاصفر قال لا قال أتريد أهل نجد قال لا قال فلعل تريد قريشا قال نعم قال يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة قال ألم يبلغك ماصنعوا ببنى كعب يعنى خزاعة * قال وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة * أى وذلك بعد أن تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى المسير الى مكة فذكر له أبو بكر رضى الله عنه مايشير به الى عدم المسير حيث قال له هم قومك وحضه عمر رضى الله عنه حيث قال نعم هم رأس الكفر زعموا أنك ساحر وأنك كذاب * وذكر له كل سوء كانوا يقولون وايم الله لاتذل العرب حتى تذل أهل مكة فعند ذلك ذكر صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر كابراهيم وكان فى الله ألين من اللبن وأن عمر كنوح وكان فى الله أشد من الحجر وأن الامر أمر عمر وتقدم نحو هذا لما استشارهما صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر أى ثم قدمت المدينة من قبائل العرب أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها * أى وفى رواية قال اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الابغتة ولايسمعون بنا الا فجأة وأخذ بالانقاب أى الطرق أى أوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها أى وقال لهم لاتدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الارددتموه * ولما أجمع صلى الله عليه وسلم المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبى بلتعة الى قريش أى الى ثلاثة منهم من كبرائهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ويقال أعطاها عشرة دنانير وكساها بردا أى وقال لها أخفيه مااستطعت ولاتمرى على الطريق فان عليه حرسا فسلكت غير الطريق * قال وتلك المرأة هى سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب بن عبد مناف وكانت مغنية بمكة وكانت قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وطلبت منه البر وشكت الحاجة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان فى غناك مايغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل منهم من قتل

بعد ما تركوا الغناء فوصلها صلى الله عليه وسلم وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى
قريش وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل يلقى عليها هجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتغني به انتهى فجعلت الكتاب في قرون رأسها أي ضفائر رأسها
خوفا أن يطلع عليها أحد ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من
السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد * أي وقيل عليا
وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد أي ولا مانع أن يكون أرسل الكل وبعض
الرواة اقتصر على بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم أدركوا امرأة بمحل كذا قد كتب
معها حاطب بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعناه في أمرهم فخذوه منها
وخلوا سبيلها فان أبت فاضربوا عنقها فخرجا حتى أدركاها في ذلك المحل الذي
ذكره صلى الله عليه وسلم فقالا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب
فاستنزلاها وفتشاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها علي كرم الله وجهه
أني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا كذبنا ولتخرجن
هذا الكتاب أو لنكشفنك أو أضرب عنقك * فلما رأت الجد منه قالت أعرض
فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه وفي البخاري أخرجته من
عقاصها ولا منافاة وفيه في محل آخر أخرجته من حجزتها والحجزة معقد الازار
والسراويل * قال بعضهم ولا مانع أن يكون في ضفائرها وأنها جعلت الضفائر
في حجزتها فدفعته اليه وسيأتي أنها ممن أباح صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ثم
أسلمت وعفا عنها فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وصورة الكتاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم
بالله لو سار اليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم فانه منجز له ما وعده فيكم فان الله
تعالى ناصره ووليه * وقيل فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نفر اما اليكم وأما
الى غيركم فعليكم الحذر وقيل فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن
بالغزو ولا أراه الا يريدكم وقد أحببت أن تكون لي يد بكتابي اليكم * أقول
لا مانع أن يكون جميع ما ذكر في الكتاب بأن يكون فيه أن محمدا صلى الله عليه
وسلم قد آذن أي أعلم بالغزو وقد نفر أي عزم على أن ينفر اما اليكم واما الى غيركم
ولا أراه الا يريدكم * وهذا كان قبل أن نعلم بسيره الى مكة فلما علم ألحق بالكتاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه أي يريد التوجه اليكم بجيش الى آخره
وبعض الرواة اقتصر على ما في بعض الكتاب والله أعلم * فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاطبا فقال له أتعرف هذا الكتاب قال نعم فقال ما حملك على هذا

فقال والله انى لمؤمن بالله ورسوله ماغيرت ولابدلت وفى لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولا عشيرة ولى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم * أى وفى لفظ قال يارسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا أى حليفا فى قريش وفى كلام بعضهم ما يفيد أن الملصق هو الذى لا نسب له ولا دخل فى حلف قال ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم وأهليهم بمكة ولم يكن لى قرابة فأحببت أن أتخذ فيهم يدا أحمى بها أهلى أى أمه وفى بعض الروايات كنت غريبا فى قريش وأمى بين أظهرهم فأردت أن يحفظونى فيها وما فعلت ذلك كفرا بعد اسلام وقد علمت أن الله تعالى منزل بهم بأسه لا يغنى عنهم كتابى شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى لاضرب عنقه فان الرجل قد نافق * وفى لفظ قال له قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم * وفى رواية دعنى أضرب عنقه فانه يعلم أنك يارسول الله أخذت على الطريق وأمرت أن لا ندع أحدا يمر من تنكره الا رددناه انتهى * وأقول مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق أى خالف الامر لا أنه أخفى الكفر لقوله صلى الله عليه وسلم قد صدقكم ورأى أن مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم مقتضية للقتل ولكن رواية البخارى انه قد صدقكم ولا تقولوا له الا خيرا وعليها يشكل قول عمر المذكور ودعاؤه عليه بقوله قاتلك الله الا أن يقال يجوز أن يكون قول عمر بذلك قبل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر وعند قول عمر رضى الله عنه دعنى لاضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم * وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى رواية لا يدخل النار أحد شهد بدرا * فعند ذلك فاضت عينا عمر رضى الله عنه بالبكاء أى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآيات * وفى قوله عدوى وعدوكم منقبة عظيمة لحاطب رضى الله عنه لأن فى ذلك الشهادة له بالايمان * وقوله تلقون اليهم بالمودة أى تبدون لهم وذكر بعضهم أن البلتعة فى اللغة التظارف بالظاء المشالة * يقال تبلتع فى كلامه اذا تظارف فيه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى * وقيل ابن أم مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطى فى سيرته وخرج لعشر وقيل لليلتين وقيل لثنتى عشرة * وقيل ثلاث عشرة وقيل

سبع عشرة وقيل ثمان عشرة وهو في مسند الامام أحمد بسند صحيح قال ابن القيم
انه أصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان أي وصدر به في الامتاع
وقيل خرج لتسع عشرة مضين من شهر رمضان في سنة ثمان * قال في النور لا أعلم
خلافا في الشهر والسنة * ومافي البخاري أن خروجه صلى الله عليه وسلم من
المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة أي فيكون في السنة
التاسعة فيه نظر وكان صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف أي باعتبار من لحقه
في الطريق من القبائل كبني أسد وسليم ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين
والانصار وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الانصار أربعة
آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس وكانت أسلم
أربعمائة معها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرسا * وقيل
كان صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى الابواء
أوقريبا منها لقيه أبوسفيان بن عمه الحارث وكان الحارث أكبر أولاد عبد المطلب
وكان يكنى به كما تقدم وكان أبوسفيان أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على حليمة
كما تقدم ولقيه عبد الله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب أخو
أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها لابيها لان والدة أم سلمة عاتكة بنت جدل
الطعان وكان عند أبيها أمية بن المغيرة زوجتان أيضا كل منهما يسمى عاتكة
* فكان عنده أربع عواتك وكان مجيء الحارث وعبد الله له صلى الله عليه وسلم
يريدان الاسلام وكانا رضي الله عنهما من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن أشد الناس اذاية له صلى الله عليه وسلم أي بعد أن كان الحارث
قبل النبوة آلف الناس له لايفارقه كما تقدم * وقد تقدم ذكر أذيتهما له صلى الله
عليه وسلم فأعرض صلى الله عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما
أي قالت له لا يكون ابن عمك وابن عمتك أي وصهرك أشقى الناس بك فقال صلى الله
عليه وسلم لا حاجة لي بهما أما ابن عمي يعني أباسفيان فهتك عرضي وأما ابن
عمتي وصهري يعني عبد الله أخا أم سلمة فهو الذي قال لي بمكة ما قال أي قال له والله
لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر اليه ثم تأتي بصك
وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله أرسلك الى آخر ما تقدم * فلما خرج الخبر
اليهما قال أبوسفيان ومعه ابن له والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن
في الارض حتى نموت جوعا أوعطشا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
رق لهما ثم أذن لهما فدخلا وأسلما وقبل صلى الله عليه وسلم اسلامهما * وقيل

ان عليا كرم الله وجهه قال لابي سفيان ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولا منه ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * وكان أبو سفيان رضي الله عنه بعد ذلك لا يرفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لانه عاداه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين سنة يهجوه ولا يتخلف عن قتاله * وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ويقول ارجو أن يكون خلفا من حمزة رضي الله عنهما * أي وقال له صلى الله عليه وسلم يوما الصيد كل الصيد في جوف الفرا وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد في جوف الفرا * وفي سفره صلى الله عليه وسلم صام وصام الناس حتى اذا كانوا بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الاولى أي وهو محل بين عسفان وقديد أفطر * أي وقيل أفطر بعسفان وقيل أفطر بقديد وقيل افطر بكراع الغميم ولا منافاة لتقارب الامكنة * وقال بعضهم لا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم كرر الفطر في تلك الاماكن لتتساوى الناس في رؤية ذلك فأخبر كل منهم عن محل رؤيته أيه * قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج ووصل الى محل يقال له الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في مائتين ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر * أي وفي الامتاع لما خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة نادى مناديه من أحب ان يصوم فليصم * وفي بعض الايام صب صلى الله عليه وسلم على رأسه الماء ووجهه من شدة العطش وفي لفظ من شدة الحر وهو صائم * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ الكديد بلغه أن الناس شق عليهم الصيام أي وانهم ينظرون فيما فعلت فاستوى صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد العصر ودعا باناء فيه ماء وقيل لبن فشرب وناوله لرجل بجنبه فشرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس صام فقال أولئك العصاة أي لانهم خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم لهم بالفطر ليقووا على مقاتلة العدو ولانه صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فلم يزل صلى الله عليه وسلم يفطر حتى انسلخ الشهر انتهى أي وفي قديد عقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران أي وهو الذي يقال له الآن بطن مرو عشاء * أي وقد أعمى الله الاخبار عن قريش اجابة

لدعائه صلى الله عليه وسلم فلم يعلموا بوصوله اليهم أي ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره
اليهم فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان العباس رضي الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله
مسلما أي مظهرا للاسلام مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة ※ وقيل
بذي الحليفة فرجع معه الى مكة أي وأرسل أهله وثقله الى المدينة وقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة قال
العباس رضي الله عنه ورقت نفسي لاهل مكة أي وقال واصباح قريش والله
لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه أي
لهلاك قريش الى آخر الدهر قال العباس رضي الله عنه فجلست على بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم البيضاء ※ أي زاد بعضهم التي أهداها له دحية الكلبي فخرجت
عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة
يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه
قبل أن يدخلها عنوة فوالله اني لاسير اذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما
يتراجعان أي وقد خرجا وحكيم بن حزام فلقيا بديلا فاستصحباه وخرجوا يتجسسون
الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به أي لانهم علموا بمسيره صلى الله
عليه وسلم ولم يعلموا الى أي جهة و في سيرة الدمياطي ولم يبلغ قريشا مسيره اليهم
فلا ينافي ما قبله وهم مغتمون يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أبا سفيان بن
حرب يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا ※ أي فلما سمعوا
صهيل الخيل راعهم ذلك وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا
هذه كنيران عرفة وبديل يقول له هذه والله خزاعة حمشتها الحرب وحمشتها بالحاء
المهملة والشين المعجمة أي أحرقتها ※ وقيل بالسين المهملة أي اشتدت عليها
الحماسة وهي الشدة وأبو سفيان يقول خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه
نيرانها وعسكرها أي ※ وفي رواية أن القائل هذه خزاعة غير بديل وأن بديلا
هو القائل هؤلاء أكثر من خزاعة وهو المناسب لان بديلا من خزاعة ※ قال
العباس رضي الله عنه فعرفت صوت أبي سفيان أي وكان أبو سفيان صديقا
للعباس ونديمه قال العباس فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل فقلت
نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به ※ أي وفي رواية قد جاءكم بعشرة آلاف
فقال واصباح قريش والله فالحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن

عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأستأمنه لك فركب خلفي أى ورجع صاحباه فجئت به كلما مررت بنار من نيران
المسلمين قالوا من هذا واذا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فقال من هذا وقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدوّ الله
الحمد لله الذى قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد * ثم خرج يشتد نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة فسبقته فاقتحمته عن البغلة فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فى أثرى فقال يا رسول الله هذا
أبو سفيان أى عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى لأضرب عنقه
قال قلت يا رسول الله انى قد أجرته ولعل العباس وعمر رضى الله عنهما لم يبلغهما
قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه ان صح
قال العباس رضى الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت
برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دونى * فلما أكثر عمر فى شأنه قلت مهلا
يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت مثل هذا أى ولكنك
قد عرفت أنه من رجال عبد مناف قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت
كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ومابى الا انى قد عرفت ان اسلامك كان
أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله
عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحالك فاذا أصبحت فأتى به * وفى البخارى
ان الحرس ظفروا بأبى سفيان ومن معه وجاؤا بهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلموا وجمع بعضهم بأنه يجوز أن يكون العباس أخذهم من الحرس أى
ويؤيده قول ابن عقبة رحمه الله لما دخل الحرس بأبى سفيان وصاحبيه لقيهم العباس
ابن عبد المطلب فأجارهم أى وأتى بأبى سفيان وتأخر صاحباه قال وفى لفظ أخذهم
نفر من الانصار بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيونا فأخذوا بخطم أبعرتهم
فقالوا من أنتم قالوا نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو فقال
أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم فجاؤا بهم
الى عمر رضى الله عنه لانه كان فى تلك الليلة على الحرس كما تقدم فقالوا جئناك بنفر
من أهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بأبى سفيان ما زدتم فقالوا
والله أتيناك بأبى سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى أصبح فغدا به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى وفيه ما لا يخفى فان الجمع بينه وبين ما قبله بعيد * قال

العباس ولما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس الى رحلك فذهبت به فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد ان نودى بالصلاة ونادى الناس ففزع أبو سفيان وقال للعباس ياأبا الفضل ما يريدون قال الصلاة * وفى رواية ما للناس أأمروا فى بشئ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة ورأى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رآهم يركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد فقال للعباس ياعباس ما يأمرهم بشئ الا فعلوه * فقال له العباس لو نهاهم عن الطعام والشراب لاطاعوه * فقال ما رأيت ملكا مثل هذا الملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بنى الاصفر ثم قال للعباس كلمه فى قومك هل عنده من عفو عنهم فانطلق العباس بأبى سفيان حتى أدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله قال بأبى وأمى أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لما أغنى عنى شيأ بعد قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بأبى أنت وأمى أما والله فان فى النفس حتى الآن منها شيأ * قال وفى رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس وأن العباس قال يارسول الله أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم أى عن أهل مكة ودعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد أن لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا أنى رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام فقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيأ فارجئها انتهى أى أخرها الى وقت آخر * وفى أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة فى غزوة الفتح ان بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وارغب بهم فى الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو * أى وهذا يدل على القول بأن جبيرا أسلم يوم الفتح كمن ذكر معه * وذكر بعضهم أنه أسلم يوم الحديبية وقبل الفتح فقال العباس رضى الله عنه لابى سفيان ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد بشهادة الحق فأسلم * وذكر عبد بن حميد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين عرض الاسلام على أبى سفيان قال له كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان ويحك ياعمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم * وكان هذا تصديق أمية بن أبى الصلت فانه كان يقول كنت أرى فى كتبى أن نبيا

يبعث في حرمنا فكنت أظن بل كنت لا أشك أني أنا هو فلما دارست أهل العلم اذا هو من بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر الا عتبة ابن ربيعة فلما جاوز الاربعين سنة ولم يوح اليه علمت أنه غيره قال أبو سفيان فخرجت في ركب أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية بن أبي الصلت فقلت كالمستهزئ به يا أمية قد خرج النبي الذي قد كنت تنعته قال انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني من اتباعه الا الاستحياء من بنيات ثقيف اني كنت أحدثهن اني هو ثم يرينني تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال لابي سفيان كأني بك يا أبا سفيان ان خالفته قد ربطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد رواه الطبراني في معجمه * وذكر بعضهم أن أمية هذا كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوان فمر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو فقال هذا البعير يقول ان في رحله مسلة تصيب ظهره فأنزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل فوجدوا المسلة كما قال * وذكر أن حكيم بن حزام قال يا رسول الله أجئت بأوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أظلم وأغدر قد غدرتم بعقد الحديبية وتجاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه * فقال بديل صدقت يا رسول الله فقد غدروا بنا والله لو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا منا الذي نالوا فقال حكيم قد كنت يا رسول الله حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك لهوازن فانهم أبعد رحما وأشد عداوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن يجمعهما لي ربي فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وأخذ أموالهم وذراريهم * وقال له أبو سفيان يا رسول الله أدع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن * قال العباس فقلت يا رسول الله ان أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن أي فحكيم بن حزام من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقي في الاسلام مثل ذلك كان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام وأعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام وأوقف بعرفة مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة * وعقد صلى الله عليه وسلم لابي رويحة الذي آخا صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال لواء وأمره أن ينادي من دخل

تحت لواء أبي رويحة فهو آمن أي وانما قال ذلك لما قال له أبو سفيان وما تسع داري
وما يسع المسجد * ولما قال صلى الله عليه وسلم ذلك قال أبو سفيان هذه واسعة * ثم
أمر صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام أي
وعليه انما خص أبو سفيان بالذكر في بعض الروايات لشرفه قال احبسه بمضيق
الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها * قال العباس ففعلت فمرت القبائل كلها كلما
مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال يا عباس من هذه فأقول سليم فيقول مالي
ولسليم أي فان أول القبائل من سليم وفيها خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم تمر القبيلة
فيقول يا عباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي والمزينة حتى نفدت بالفاء
والدال المهملة القبائل كلها ما تمر قبيلة الا سألني عنها فاذا قلت له بنو فلان قال مالي
ولبني فلان * أي وقد ذكرها بعضهم مرتبة فقال أول من مر خالد بن الوليد في بني
سليم بهم الذين فقال أبو سفيان يا عباس من هؤلاء قال هذا خالد بن الوليد قال
الغلام قال ومن معه قال بنو سليم قال مالي ولسليم * ثم مر على أثره الزبير بن العوام
رضي الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وفتيان العرب فقال أبو سفيان من هؤلاء
قال الزبير قال ابن أخيك قال نعم * ثم مرت بنو غفار بكسر الغين المعجمة ثم أسلم
ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع * ولما مرت أشجع قال
أبو سفيان للعباس هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس أدخل الله الاسلام
قلوبهم فهذا فضل الله حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء
لابسهم الحديد والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على
الخضرة وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق أي فيها الفا دارع وعمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول رويدا حتى يلحق أولكم آخركم قال سبحان الله
يا عباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فقال
ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة فقال أبو سفيان والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن
أخيك اليوم عظيما فقلت يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن ثم قلت له النجاء
بالفتح والمد الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد
جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت اليه زوجته
هند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنهما فأخذت بشاربه وقالت كلاما معناه
اقتلوا الخبيث الذي لا خير فيه قبح من طليعة قوم * أي وفي رواية أنها أخذت
بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم
أو بلادكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك وقال ويحكم لا تغرنكم هذه من

أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قبحك الله وما تغني عنا دارك * قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن أي ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن أي ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد * أي وبهذا استدل على أن مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال امامنا الشافعي رحمه الله * وقال غيره فتحت عنوة * وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد اسلامهما الى مكة وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت بأسفل مكة ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وكانت بأعلى مكة واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة أمر بقتلهم وهم أحد عشر رجلا * أي وفي الامتاع ستة نفر وأربع نسوة وان وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس بني عامر وكان أحد النجباء الكرام من قريش رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعبد الله بن خطل وقينتاه وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك والحويرث بن نعيل ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو صاحب بانت سعاد والحارث بن هشام رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو أخو أبي جهل لابويه * وزهير بن أمية رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وسارة مولاة لبعض بني المطلب رضي الله عنها فانها أسلمت وعاشت الى خلافة أبي بكر رضي الله عنه * وتقدم أنها كانت حاملة لكتاب حاطب وصفوان بن أمية رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وزهير بن أبي سلمى أي وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ووحشي بن حرب رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وفي رواية أن سعد بن عبادة رضي الله عنه كان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أي على الانصار * ولما مر على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي قال أبو سفيان من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فلما حاذاه سعد قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي الحرب والقتال اليوم تستحل الحرمة * وفي لفظ الكعبة اليوم أذل الله قريشا فلما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال بعضهم ورأيته مع الزبير رضي الله عنه فلما مر بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا نشدتك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف

رضى الله عنهما يارسول الله ماتأمن من سعد أن يكون له فى قريش صولة ✽ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأباسفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمه اليوم أعز الله فيه قريشا ✽ أى وفى رواية اليوم يعظم الله فيه الكعبة اليوم تكسى فيه الكعبة ✽ وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة أى أرسل عليا كرم الله وجهه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس رضى الله عنهما ✽ وقيل أعطاه للزبير وقيل لعلى كرم الله وجهه خشية أن يقع من ابنه قيس مالا يرضاه صلى الله عليه وسلم أى لان قيسا رضى الله عنه كان من دهاة العرب وأهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ماوقع بينه وبين معاوية لماولاه سيدناعلى كرم الله وجهه بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه مصر لرأى العجب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم مالامزيد عليه ووقفت له رضى الله عنه عجوز وقالت له أشكو اليك قلة الجرذان ببيتى والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران فقال ماأحسن هذا السؤال وقال لها لاكثرن الجرذان ببيتك فلأ بيتها طعاما وأدما ✽ وقيل قالت له مشت جرذان بيتى على العصافقال لادعهن يثبون وثبة الاسود ثم ملأ بيتها طعاماولامانع من تعدد الواقعة ومن هذا الوادى ما كتب بعضهم الى عبد الملك بن مروان ياأمير المؤمنين أشكو اليك الشرف فقال له ماأحسن ماأستمنحت وأعطاه عشرة آلاف درهم فقيل له فى ذلك فقال يسأل مالا يقدرعليه ويعتذر فلا يعذر ✽ ولما أشرف أبوه سعد رضى الله عنهماعلى الموت قسم ماله فى أولاده وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد وولد له ذلك الحمل كلمه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى أن ينقض ماصنع أبوه من تلك القسمة فقال نصيبى للمولود ولا أغير ماصنع أبى ولم يكن فى وجه قيس رضى الله عنه شعر ✽ وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار رضى الله عنهم تقول وددنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا وكان له ديون على الناس كثيرة ✽ فلما مرض رضى الله عنه استبطأ عواده فقيل له انهم مستحيون من أجل دينك فأمر مناديا ينادى كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهوله فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها اليه ✽ ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عن سعد اذصار لابنه قيس رضى الله عنهما قال وروى أن سعدا أبى أن يسلم اللواء الا بأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل صلى الله عليه وسلم اليه بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس رضى الله عنهما انتهى ✽ وفى صحيح البخارى أن كتيبة الانصار جاءت مع سعد بن عبادة رضى الله عنه ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت

كتيبة وهى أقل وفى رواية الحميدى وهى أجل الكتائب بالجيم قال فى الاصل وهى أظهر من رواية أقل لانها كانت خاصة المهاجرين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والراية مع الزبير رضى الله عنه * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن تدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة أى وأن يغرز رايته عند ادنى البيوت وقال لا تقاتلوا الا من قاتلكم وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو أى رضى الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك قد جمعوا ناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان من جملتهم رجل كان يعد سلاحا ويصلح من شأنه فتقول له زوجته * أى وقد كانت أسلمت سرا لماذا تعد ما أرى فيقول لمحمد وأصحابه فتقول والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء قال والله انى لأرجو أن أخدمك بعضهم وفى تاريخ مكة للازرقى قال رجل من قريش لامرأته وهى تبرى نبالا له وكانت أسلمت سرا فقالت له لم تبرى هذا النبل * قال بلغنى أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لأخدمنك خادما من بعض من نستأسر فقالت له والله لكأنى بك وقد رجعت تطلب مخبأ أخبيك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح قيل أقبل ذلك الرجل اليها وقال ويحك هل من مخبأ فقالت له فأين الخادم فقال لها دعى عنك وأنشد الابيات الآتية هذا كلامه * وسبب ذلك أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما لقيهم بالمحل المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل وقالوا له لا تدخلها عنوة فصاح خالد فى أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل * وكان من جملة من انهزم ذلك الرجل * وفى رواية أنه لما دخل بيته قال لامرأته أغلقى على بابى قالت وأين ما كنت تقول أين الخادم الذى كنت وعدتنى تسخر به فقال انك لو شهدت يوم الخندمه

عبارة الازرقى وأنت لو أبصرتنا بالخندمه

اذ فر صفوان وفر عكرمه * واستقبلتنا بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لا تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

والغمغمة الصوت الذى لا يفهم والنهيت بالمثناة تحت وفوق الزحير والهمهمة صوت فى الصدر أى واستمر خالد رضى الله عنه يدفعهم الى أن وصل الحزورا الى باب المسجد أى وصعدت طائفة منهم الجبل فتبعهم المسلمون فرأى صلى الله عليه وسلم وهو على العقبة بارقة السيوف فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقيل له لعل خالدا قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل من قاتله وما كان يا رسول الله ليخالف أمرك

فقتل من المشركين أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل * وفي رواية حمل صلى الله عليه وسلم الزبير رضي الله عنه على أحد المجنبتين أي وهما الكتيبتين تأخذ احداهما اليمين والاخرى اليسار والقلب بينهما وخالدا على الاخرى وأبا عبيدة على الرجالة * وفي لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وبشد السين المهملة أي الذي لا دروع لهم * قال في شرح مسلم فهم رجالة لا دروع عليهم * وقد أخذوا بطن الوادي ولعل ذلك كان قبل الدخول الى مكة فلا ينافي ما سيأتي أنه صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير رضي الله عنه راية * وأمره أن يغرزها بالحجون لا يبرح حتى يأتيه في ذلك المحل * وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد الراية * وقد وبشت قريش أوباشا أي جمعوها من قبائل شتى فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباهريرة رضي الله عنه وقال له اهتف أي صح لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا وطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا * أي ودخلوا من أعلى مكة قال أبوهريرة رضي الله عنه فانطلقنا فما شاء أحدمنا أن يقتل منهم ماشاء وما أحد يوجه الينا منهم شيأ * وفي لفظ فما شاء أن يقتل أحدا منهم الا قتلناه أي لا يقدر أن يدفع عن نفسه * فجاء أبوسفيان رضي الله عنه فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش أي لا جماعة لقريش بعد اليوم لان الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الاعظم فيقال السواد الاعظم ويعبر عنها بالخضرة كما هنا فالمراد جماعة قريش * وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن * قال ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال له لم قاتلت وقد نهيت عن القتال قال هم يارسول الله بدؤنا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار عنده يافلان قال لبيك يارسول الله قال ائت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان لا تقتل بمكة أحدا فجاء الانصاري فقال ياخالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال يارسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم قال ولم قال هذا خالد بن الوليد لا يلقى أحدا من الناس الا قتله قال ادع لي خالدا فدعاه له فقال ياخالد ألم أرسل اليك أن لا تقتل أحدا قال بل أرسلت أن أقتل

من قدرت عليه قال صلى الله عليه وسلم أدع لي الانصاري فدعاه له فقال أما أمرتك أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا قال بلى ولكن أردت أمرا وأراد الله غيره فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل للانصاري شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن الطالب قال قد فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى الله ثم قال كفوا السلاح الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم * أي وهذه المقاتلة التي وقعت لخالد رضي الله عنه لا تنافي كون مكة فتحت صلحا كما تقدم أي لانه صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة * وأما قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فهو من زيادة الاحتياط لهم في الامان * وقوله احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال ولم يقع قتال * ومن ثم قتل خالد رضي الله عنه من قاتل من الكفار وارادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين آمنتهما أخته أم هانيء كما سيأتي لعله تأول فيهما شيأ أوجرى منهما قتال له وتأمين أم هانيء لهما من تأكيد الامان الذي وقع للعموم فلا حجة في كل ما ذكر على أن مكة فتحت عنوة كما قاله الجمهور وقيل أعلاها فتح صلحا أي الذي سلكه أبو هريرة والانصار لعدم وجود المقاتلة فيه وأسفلها الذي سلكه خالد رضي الله عنه فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه كما تقدم ودخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته القصواء أي مردفا أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله حين رأى ما رأى من فتح الله مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة * وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المغفر * وقيل وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفيها بين كتفيه بغير احرام ورايته سوداء ولواؤه أسود * وعن جابر رضي الله عنه كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض * وعن عائشة رضي الله عنها كان لواؤه يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب أي وهي التي كانت بخيبر وتقدم أنها كانت من برد عائشة وعنها رضي الله عنها أنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد والتنوين من أعلى مكة * وهذا هو المعروف خلافا لمن قال انه دخل من أسفل مكة وهي ثنية كدا بضم الكاف والقصر والتنوين وسيأتي أنه عند الخروج خرج صلى الله عليه

وسلم من هذه وبهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مكة من الاولى والخروج منها من الثانية * أي واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول مكة كما حكاه امامنا الشافعي في الام وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا أي وسيأتي ذلك عن أم هانئ رضي الله عنها أي وكان شعار المهاجرين يابني عبد الرحمن وشعار الخزرج يابني عبد الله وشعار الاوس يابني عبيد الله أي شعارهم الذي يعرف به بعضهم بعضا في ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب لو وجد ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس قال وذلك بالحجون موضع ماغرز الزبير رضي الله عنه رايته صلى الله عليه وسلم عند شعب أبي طالب الذي حصرت فيه بنو هاشم أي و بنو المطلب قبل الهجرة بقبة من أدم نصبت له هناك ومعه صلى الله عليه وسلم فيها أم سلمة وميمونة زوجتاه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما * فعن جابر رضي الله عنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا * قال جابر رضي الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله تعالى علينا مكة في خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر لان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ماتقدم في قصة الصحيفة انتهى * وفيه أنه سيأتي في حجة الوداع أنهم تحالفوا بالمحصب ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بالمحصب * وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال يارسول الله أين تنزل غدا أتنزل في دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار وتقدم ما يغني عن اعادته هنا فكان صلى الله عليه وسلم يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة أي مهاجرا يوم الاثنين أي ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين * ثم سار صلى الله عليه وسلم والى جانبه أبو بكر رضي الله عنه يحادثه ويقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته أي ومحمد بن مسلمة رضي الله عنه آخذ بزمامها يستلم الحجر بمحجن في يده وعن ابن عباس رضي الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب

منهم قد شد ابليس أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه * وفى لفظ لقفاه وفى لفظ فما أشار لصنم من ناحية وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع على وجهه من غير أن يمسه بما فى يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر عليها كلها * وفى رواية وأقبل صلى الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت وفى يده قوس أخذ بسيته والسية ما انعطف من طرف القوس فأتى صلى الله عليه وسلم فى طوافه على صنم الى جنب البيت أى من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام فجعل يطعن بها فى عينيه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا أى فأمر به صلى الله عليه وسلم فكسر فقال الزبير بن العوام رضى الله عنه لابى سفيان قد كسر هبل أما انك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم فقال أبو سفيان رضى الله عنه دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع اله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان اى وانتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة * قال وعن على كرم الله وجهه قال انطلق بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى أتى الى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال صلى الله عليه وسلم يا على اصعد على منكبى ففعلت * أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه اصعد على منكبى واهدم الصنم فقال يا رسول الله بل اصعد أنت فانى أكرمك أن أعلوك فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد أنت فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فصعد على كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به قال على فلما نهض بى فصعدت فوق ظهر الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وخيل لى حين نهض بى انى لو شئت لملت أفق السماء * أى وفى رواية قيل لعلى كرم الله وجهه كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من حالى أنى لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت * وعند صعوده كرم الله وجهه قال له صلى الله عليه وسلم ألق صنمهم الاكبر وكان من نحاس *أى وقيل من قوارير أى زجاج * وفى رواية لما ألقى الاصنام لم يبق الا صنم خزاعة موتدا بأوتاد من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته وهو يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم أزل أعالجه

حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر * أقول وهذا السياق يدل على أن هذا الصنم غير هبل وأن هبل ليس أكبر أصنامهم بل هذا أكبر منه ولم أقف على اسمه ومما يدل على أن الذى كسر هو هبل قول الزبير رضى الله عنه كما تقدم لابى سفيان أن هبل الذى كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر قال دعنى ولا توبخنى لو كان مع اله محمد اله آخر لكان الامر غير ذلك * وفى الكشاف ألقاها جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة * وكان من قوارير صفر فقال صلى الله عليه وسلم يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون مارأينا أسحر من محمد * وفى خصائص العشرة لصاحب الكشاف زيادة وهى ونزلت من فوق الكعبة وانطلقت أنا والنبى صلى الله عليه وسلم نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش هذا كلامه * وهذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكة فليتأمل * وفى الكشاف أيضا كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى ربه عزوجل فقال يارب الى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فأوحى الله تعالى الى البيت انى سأحدث لك نوبة جديدة فلأ ملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالبيت هذا كلامه * ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة أى بعد أن أرسل بلالا رضى الله عنه الى عثمان بن أبى طلحة يأتى بمفتاح الكعبة الى آخر ماسيأتى وبعد أن محيت منها الصور أى فانه صلى الله عليه وسلم أمر عمر رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر ألم آمرك أن لا تترك فيها صورة قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * هذا فى كلام سبط ابن الجوزى * قال الواقدى رحمه الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما أن يقدما الى البيت * وقال لعمر لا تدع صورة حتى تمحوها الا صورة ابراهيم هذا كلامه فليتأمل * وفى رواية عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فرأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها أى وتلك الصور هى صور الملائكة وصور ابراهيم واسماعيل فى أيديهما الازلام يستقسمان بها واسحاق وبقية الانبياء كما تقدم فى بنيان قريش الكعبة وصورة مريم فقال قاتل الله قوما يصورون

مالا يخلقون فاتلهم الله لقد علموا أنهما استقسما بالازلام قط أى ولامنافاة لانه يجوز أن يكون عمر رضى الله عنه ترك مع صورة ابراهيم صورة اسماعيل ومريم وصور الملائكة * ووجد صورة حمامة من عيدان بفتح العين المهملة وكسرها بيده ثم طرحها ودعا بزعفران فلطخه تلك التماثيل أى بموضعها وصلى بها ركعتين بين اسطوانتين * وفى لفظ بين العمودين اليمانيين * وفى لفظ القدمين و بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع انتهى أى وفى الترمذى دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل * وفى رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو وأسامة بن زيد و بلال وعثمان ابن أبى طلحة زاد فى رواية والفضل بن العباس * قال الحافظ ابن حجر وفى رواية شاذة فأغلقوا عليهم الباب وفى لفظ فأغلقا أى عثمان و بلال فأجاف أى أغلق عليهم عثمان الباب وجمع بأن عثمان هو المباشر لذلك لانه من وظيفته و بلال رضى الله عنه كان مساعداله فى الغلق * أى ولما دخلوا كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة * قال ابن عمر رضى الله عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم * وذهب عنى أن أسأله كم صلى وهذا يدل على أن قول بلال رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى أى بالصلاة المعهودة لا الدعاء كما ادعاه بعضهم * وفى كلام السهيلى فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى فيها ركعتين * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أخبرنى أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين أى بين الباب والحجر الذى هو الملتزم وقال هذه القبلة فبلال رضى الله عنه مثبت للصلاة فى الكعبة وأسامة رضى الله عنه ناف والمثبت مقدم على النافى على أنه جاء أن أسامة رضى الله عنه أخبر أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة * وأجيب بأن أسامة حيث أثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى اعتمد ما عنده * أى وفى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فصلى بين الساريتين ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين * ثم قال هذه القبلة ثم دخل صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن عباس رضى الله عنهما اختلف وسبب الاختلاف تعدد دخوله صلى الله عليه وسلم ففى المرة الاولى دخل وصلى * وفى المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق يدل على أن ذلك كان يوم الفتح وفى كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال رضى الله عنهم صحيحتان لانه صلى الله عليه وسلم دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد

فصلى وذلك في حجة الوداع هذا كلامه فليتأمل أي ثم انه صلى الله عليه وسلم جاء الى مقام ابراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ثم أخره على ما تقدم * ودعا صلى الله عليه وسلم بماء فشرب منه وتوضأ وفي لفظ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب أي يغلبهم الناس على وظيفتهم وهي النزع من زمزم انتزعت منها دلوا أي فان الناس يقتدون به صلى الله عليه وسلم في ذلك مع أن النزع من وظيفة بني عبد المطلب * وانتزع له العباس رضي الله عنه دلوا فشرب منه وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم * وفي لفظ لا تسقط قطرة الا في يد انسان ان كان قدر ما يشربها شربها والا مسح بها جلده والمشركون يقولون ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا * ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أي والناس حوله خرج أبو بكر وجاء بأبيه رضي الله عنهما يقوده * وقد كان كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه * وفي لفظ لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه فأجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال اسلم تسلم فأسلم رضي الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر باسلام أبيه رضي الله عنهما * أي وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من اسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن اسلام أبي طالب كان أقر لعينك كذا في الشفاء وكان رأس أبي قحافة ولحيته بيضاء كالثغامة فقال غيروهما وجنبوهما السواد * أي وفي رواية واجتنبوا السواد وجاء غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى * وفي رواية اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم * وجاء ان أحسن ما غير به هذا الشيب الحناء والكتم * وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب بالحناء والكتم * قال ابن عبد البر رحمه الله والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له وقد اختضب أبو بكر رضي الله عنه بالحناء والكتم واختضب عمر رضي الله عنه بالحناء * وجاء يا معشر الانصار حمروا أو صفروا وخالفوا أهل الكتاب * وكان عثمان رضي الله عنه يصفر وعن أنس رضي الله عنه دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبيض الرأس واللحية قال ألست مؤمنا قال بلى قال فاختضب لكن قيل انه حديث منكر * وجاء من اختضب بالسواد

سوّد الله وجهه يوم القيامة قيل انه حديث منكر وجاء يكون آخر الزمان رجال من امتي يغيرون بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة * قيل هو غريب جدا قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصحابة رضي الله عنهم كسعد بن أبي وقاص والحسن والحسين رضي الله عنهم أي وعقبة بن عامر المدفون بمصر * قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابي متفق عليه الا قبر عقبة بن عامر رضي الله عنه فانه كان يخضب بالسواد وهو القائل في ذلك

تسوّد أعلاها وتأبى أصولها * ولا خير في الاعلى اذا فسد الاصل

* وكان واليا على مصر من جهة معاوية رضي الله عنه فعزله بمسلمة بن مخلد وأمره بالغزو في البحر وكان عقبة رضي الله عنه يقول ما أنصفنا معاوية عزلنا وغربنا ممابلغهم النهي أو وسموا أن النهي للكراهة وقد جاء أوّل من جزع من الشيب ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال عليه الصلاة والسلام يارب ما هذه الشوهة بخليلك فأوحى الله اليه هذا سربال الوقار ونور الاسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا اله الا أنا وحدي الا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يارب زدني فأصبح رأسه مثل الثامة البيضاء * وفي المشكاة قال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد لا يجدون رائحة الجنة رواه أبو داود والنسائي * أي وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أوّل من خضب بالسواد فرعون ومن أهل مكة أي من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضي الله عنه اخضبوا بالسواد فانه أنكى للعدو وأحب للنساء فليتأمل *وكان لابي بكر رضي الله عنه أخت صغيرة في عنقها طوق من فضة اقتلعه انسان من عنقها فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيد أخته وقال أنشدتكم بالله وبالاسلام طوق أختي فما أجابه أحد ثم قال الثانية والثالثة فما أجابه أحد فقال رضي الله عنه احتسبي طوقك فوالله ان الامانة في الناس اليوم لقليل *قال بعضهم ولم يعش لابي قحافة رضي الله عنه ولد ذكر الا أبو بكر ولا يعرف له بنت الا أم فروة التي أنكحها أبو بكر من الاشعث بن قيس * وكانت قبله تحت تميم الداري وهي هذه المذكورة هنا *وقيل كانت له بنت أخرى تسمى قريبة وعليه فيحتمل أن تكون هي المذكورة هنا وتقدم اسلام أبي بكر رضي الله عنهما لما كان المسلمون في دار الارقم وأمه بنت عم أبيه *قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار أسلم هو ووالداه وجميع أبنائه وبناته غير أبي بكر وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أوّل

خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضى الله عنهم ولد محمد فى حجة الوداع وهو المقتول بمصر وبناته ثلاثة أيضا أسماء وهى أكبرهن وهى شقيقة عبد الله وعائشة وهى شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم رضى الله عنهم وعنهن مات أبو بكر رضى الله عنه وهى ببطن أمها ❊ وقد أنزل الله تعالى فى حقه رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى الآيات ❊ قال بعضهم لا يعرف فى الصحابة أربعة أسلموا وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذى بعده الا فى بيت أبى بكر رضى الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ويكنى بأبى عتيق ❊ وقد قيل هل تعرفون أربعة رأوا النبى صلى الله عليه وسلم فى نسق أى من الذكور كل ابن الذى قبله ❊ أجيب بأنهم هؤلاء الاربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد وبقولنا من الذكور لا يرد ما أورد على ذلك أن هذا يصدق على أبى قحافة وابنه أبى بكر وبنته أسماء وابنها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم ❊ نعم يرد على ذلك حارثة أبو زيد فانه أسلم على ما ذكره الحافظ المنذرى ❊ ورأى النبى صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد وجاء أسامة بولد فى حياته صلى الله عليه وسلم أى ويحتاج الى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك المولود الا أن يقال كان من شأنهم اذا ولد لاحدهم مولود جاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن حب الحب ولم أقف على اسم هذا المولود فليراجع فى أسماء الصحابة وحينئذ يقال لاجل عدم ورود من ذكر ليس لنا أربعة ذكور معروفة أسماؤهم وبعد الوقوف على اسم ذلك المولود يقال لاجل عدم الورود ليس لنا أربعة ليسوا من الموالى الا أبو قحافة وابنه أبو بكر وابن أبى بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد أبو عتيق فليتأمل ❊ لا يقال هذا موجود فى غير بيت الصديق ❊ فقد ذكر وافى الصحابة أربعة كذلك أى ذكور كل واحد أب الذى بعده عرفت أسماؤهم وليس فيهم مولى وهم اياس بن سلمة بن عمرو بن لال لانا نقول المراد المتفق على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم ومن الفوائد المستحسنة أنه ليس فى الصحابة قال بعضهم بل ولا فى التابعين من اسمه عبد الرحيم وثلاثة ذكور أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم على نسق وهو السائب والد امامنا الشافعى رضى الله عنه وأبوه عبيد وجده عبد يزيد ❊ ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فعلاه حيث ينظر الى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والانصار تحته ❊ قال بعضهم لبعض

أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ونزل الوحى عليه صلى الله عليه
وسلم بما ذكر القوم فلما انقضى الوحى رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يامعشر
الانصار قلتم أما الرجل فادركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك
يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم فما اسمى اذا أى ان فعلت ذلك كيف
اسمى وأوصف بأنى عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك انى عبد الله ورسوله أى
ومن كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات
مماتكم فأقبلوا اليه صلى الله عليه وسلم يبكون ويقولون والله ماقلنا الذى قلنا
الا الضن أى البخل بالله وبرسوله أى لانسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله
يعذرانكم ويصدقانكم * وفى رواية أن الانصار رضى الله عنهم قالوا فيما
بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله أرضه وبلده يقيم بها
* فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشىء يارسول الله
فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات
مماتكم * أى وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو أن الانصار
قالوا يارسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك
وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم
* وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن أبى سرح لانه كان أسلم قبل الفتح
وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى وكان صلى الله عليه وسلم اذا
أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليه عليما حكيما كتب
غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الجنايات حتى صدر عنه أنه قال ان محمدا لا يعلم
مايقول فلما ظهرت جنايته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب الى مكة * وقيل
انه لما كتب ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر
تعجب من تفصيل خلق الانسان فنطق بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل
املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب ذلك هكذا أنزلت فقال عبد
الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فارتد ولحق بمكة فقال لقريش انى
كنت أصرف محمدا كيف شئت كان يملى على عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب وكلما أقوله يقول اكتب هكذا نزلت * فلما كان يوم الفتح
وعلم باهدار النبى صلى الله عليه وسلم دمه جاء الى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة
فقال له يا أخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه

عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فصار عثمان رضي الله عنه يقول يارسول الله أمنته والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر وكان نذران رأى عبد الله قتله أي وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له صلى الله عليه وسلم انتظرتك أن توفي بنذرك قال يارسول الله خفتك أفلا أومضت الى فقال انه ليس لنبي أن يومض ❊ وفي رواية الايماض خيانة ليس لنبي أن يومي ❊ وفي رواية لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين أي وهذا يدل على أن خائنة الاعين الايماء بالعيون أي ان يومي بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو اللمز هذا ❊ وقيل انه أسلم وبايع والنبي صلى الله عليه وسلم عرالظهران وصار يستحيي من مقابلته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لعثمان أما بايعته وآمنته قال بلى ولكن يذكر جرمه القديم فيستحيي منك قال الاسلام يجب ما قبله وأخبره عثمان رضي الله عنه بذلك ومع ذلك فصار اذا جاء جاء مع الجماعة للنبي صلى الله عليه وسلم يجيء معهم ولا يجيء اليه منفردا ❊ وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل ابن خطل لانه كان ممن أسلم أي قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه ❊ وفي لفظ كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره ❊ وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه ❊ وقد قيل انه ركب فرسه لابسا للحديد وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره خبره فأمر بقتله ❊ وقيل لما طاف صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل معلقا بأستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب أي فقتله سعد بن حريث وأبو برزة ❊ وقيل قتله الزبير رضي الله عنه وقيل سعد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد ❊ قال في النور والظاهر اشتراكهم

فيه جمعا بين الاقوال * وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فأمنها وأسلمت والحويرث بن نقيد * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة و يعظم القول فى أذيته و ينشد الهجاء و كان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنه حمل فاطمة وأم كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى به الارض قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ذلك اليوم * وقد خرج يريد أن يهرب ومقيس بن صبابة انما أمر بقتله لانه كان قد أتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما طالبا لدية أخيه هشام بن صبابة رضى الله عنه قتله رجل من الانصار فى غزوة ذى قرد خطأ يظنه من العدو ودفع له النبى صلى الله عليه وسلم دية أخيه ثم انه عدا على الانصارى قاتل أخيه فقتله بعد أن أخذ دية أخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم قتله ابن عمه نميلة بن عبد الله الليثى أى بعد أن أخبر نميلة بأن مقيس مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر فذهب اليه فقتله وذلك بردم بنى جمح * وقيل قتل وهو معلق بأستار الكعبة وأما هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص الى المدينة فأهوى اليها هبار ونخس بعيرها * وفى رواية ضربها بالرمح فسقطت من على الجمل على صخرة أى وكانت حاملا فألقت ذا بطنها واهراقت الدماء ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم * فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لقيتم هبارا فاحرقوه * ثم قال انما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر أنه لما أسلم وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فانتهوا عنه * وهذا السياق يدل على أنه أسلم قبل أن يذهب الى المدينة وفى لفظ ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال يا محمد انا جئت مقرا بالاسلام وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واعتذر اليه أى قال له صلى الله عليه وسلم بعد أن وقف عليه وقال السلام عليك يا نبى الله لقد هربت منك فى البلاد فأردت اللحوق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك فى صفحك عمن جهل عليك وكنا يا نبى الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا بك من الهلكة فاصفح عن جهلى وعن ما كان عنى فانى

مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عكرمة قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب ما كان قبله * وقوله مهاجرا فيه انه لا هجرة بعد فتح مكة الا ان يقال هي مجاز عن مجرد الانتقال عن محل الى آخر أخذا مما يأتي ان شاء الله في عكرمة وأما عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم انما أمر بقتله لانه كان أشد الناس هو وأبوه أذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدر دمه فر الى اليمن فاتبعته امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد أن أسلمت فوجدته في ساحل البحر يريد ان يركب السفينة * وقيل وجدته في السفينة فردته أي بعد أن قالت له يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك فقد استأمنت لك فجاء معها فأسلم وحسن اسلامه * أي بعد ان قال يا محمد هذه يعني زوجتي أخبرتني أنك آمنتني قال صدقت انك آمن فقال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له صلى الله عليه وسلم يا عكرمة ما تسئلني شيأ أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به أي ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله عليه وسلم اليه قائما فرحا به أي ورمى صلى الله عليه وسلم رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا * وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة * وفي بهجة المجالس في أنس المجالس لابن عبد البر رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه وقال لمن هذا فقيل لابي جهل فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة له والعكرمة الانثى من الحمير واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وانها تكون لغير من ترى له ۞ قال وصار عكرمة قبل اسلامه يطلب امرأته أم حكيم قبل اسلامه يجامعها فتأبى وتقول أنت كافر وأنا مسلمة والاسلام حائل بيني وبينك * فقال ان أمرا منعك عني لامر كبير * أي ولما قتل عكرمة رضي الله عنه في اليرموك في قتال الروم وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد فجعلت تقول له لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعني الروم فقال خالد ان نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمة فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضي الله

عنها نابها وأخذت عمود الخيمة التى دخل بها خالد فيها فقتلت بها سبعة من الروم
* وقال صلى الله عليه وسلم قبل أن يقدم عليه عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه
يأتيكم عكرمة مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى ولا
يلحق الميت انتهى * أى وفى رواية لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا
* وفى أخرى لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفى أخرى أذكروا محاسن موتاكم
وكفوا عن مساويهم * وجاء أنه شكى اليه صلى الله عليه وسلم قولهم عكرمة ابن أبى
جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات
* وقد كان قبل اسلامه بارز رجلا من المسلمين فقتله فضحك النبى صلى الله عليه
وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال
أضحكنى انهما فى درجة واحدة فى الجنة * ومن ثم قتل عكرمة شهيدا فى قتال
الروم فى وقعة اليرموك كما مر * وسارة رضى الله عنها فانها أسلمت وانما أمر صلى
الله عليه وسلم بقتلها لانها هى التى كانت مغنية بمكة وكانت تغنى بهجائه
صلى الله عليه وسلم وهى التى وجد معها كتاب حاطب وقد استؤمن لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمنها وأسلمت كما تقدم * والحارث بن هشام وزهير بن أمية
استجارا بأم هانى بنت أبى طالب أخت على بن أبى طالب كرم الله وجهه شقيقته
ولم تكن أسلمت اذ ذاك فأراد على قتلهما * فعنها رضى الله عنها أنها قالت لما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الى رجلان من أحمائى أى من أقارب
زوجها هبيرة بن أبى وهب مستجيران بى فاجرتهما * وذكر الازرقى بدل زهير بن أمية
عبد الله بن أبى ربيعة فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال والله لاقتلنهما
* أى وقال تجيرى المشركين فحلت بينه وبينهما فخرج فأغلقت عليهما بيتى ثم جئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر
العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت أم هانى بنت
أبى طالب فقال مرحبا بأم هانى * وفى الرواية الاولى فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح
به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى * ثم أقبل على فقال مرحبا وأهلا بأم هانى
ما جاء بك فأخبرته الحديث فقال أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا نقتلهما
* وفى البخارى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل فى بيتها ثم صلى الضحى
ثمانى ركعات * أى ولما ذكر ذلك لابن عباس رضى الله عنهما قال انى كنت أمر
على هذه الآية يسبحن بالعشى والاشراق فأقول أى صلاة صلاة الاشراق فهذه
صلاة الاشراق * وفى لفظ ما عرفت صلاة الاشراق الا الساعة * وهذا يدل

لما أفتى به والد شيخنا الرملي رحمهما الله تعالى أن صلاة الضحى صلاة الاشراق خلافا لما في العباب من أنها غيرها ويحتاج للجمع بين هذه الرواية والتي قبلها على ثبوت صحتهما وهذه الواقعة * قال المحاملي من أئمتنا في كتابه اللباب الذي هو أصل التنقيح الذي هو أصل التحرير * ومن دخل مكة وأراد أن يصلي الضحى أول يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة وبه اغرب فقيل شخص يستحب له الاغتسال لصلاة الضحى في مكان خاص * وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى قط واني لاسبحها أي أصليها وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله ما أخبر في أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا أم هانيء * وهذا ينازع فيه ما يأتي أن صلاة الضحى مما اختص بوجوبها صلى الله عليه وسلم وأسلمت أم هانيء ذلك اليوم الذي هو يوم الفتح * أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل عندك من طعام نأكله فقالت ليس عندي الا كسر يابسة وأنا استحي أن أقدمها اليك فقال هلمي هن فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال هل من أدم فقالت ما عندي يارسول الله الا شيء من خل فقال هلميه فصبه على الكسر وأكل منه ثم حمد الله ثم قال نعم الادم الخل يا أم هانيء لا يفتقر بيت فيه خل * اي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعى به فجعل يأكل به ويقول نعم الادم الخل * وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ان الله يوكل بآكل الخل ملكين يستغفران له حتى يفرغ وجاء نعم الادم الخل اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلي ولم يفتقر بيت فيه خل * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخذني رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لي فدخلت فقال هل من غداء فقالوا نعم فأتي بثلاثة أقرصة فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا فوضعه بين يدي ثم أخذ الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من أدم فقالوا الا شيء من خل قال هاتوه فنعم الادم الخل * وفي رواية قال الخل نعم الادام قال جابر رضي الله عنه فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم ما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر * وصفوان بن أمية استأمن له عمير بن وهب أي قال له يا نبي الله ان صفوان سيد قومي قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك آمنت الاحمر والاسود فقال صلى الله عليه وسلم أدركه ابن عمك فهو آمن فقال أعطني آية يعرف بها أمانك فأعطى صلى الله

على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فلما تعدوا قال له عتبة انا قد جئناك فى أمر وانى قد خبأت لك خباء اختبرك به فانظر ماهو قال ثمرة فى كمره قال أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر * قال صدقت انظر فى أمر هذه النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب كتفها و يقول انهضى حتى دنى من هند فضرب كتفها و قال انهضى غير وصفا ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله لاحرصن على أن يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضى الله عنهم * وقد قال له صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فأحسن * وفى رواية اذا ملكت من أمر أمتى شيأ فاتق الله واعدل و يؤثر عنه رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك * ثم بكى رضى الله عنه حتى علا نحيبه كتب الى عائشة رضى الله عنها اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت من عائشة الى معاوية سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام وكتبت اليه رضى الله عنها مرة أخرى أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيأ والسلام * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان رضى الله عنهما متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم * فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن بايعنى على أن لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن أى وذلك اسقاط الاجنة زاد فى لفظ ولا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم أى ولا تقعدن مع الرجال فى خلاء أى لا تجتمع امرأة مع رجل فى خلوة ولا تأتين ببهتان ولا تفترينه بين أيديكن وأرجلكن * قال ابن عباس رضى الله عنهما البهتان أن تلحق بزوجها ولدا ليس منه أى ولا يغنى عنه الزنا كأن ذلك لا يغنى عن الزنا وقد تحبل ولا تلحقه بأحد ولا تعصين فى معروف * وجاء أن بعض النسوة قالت ماهذا المعروف الذى لا ينبغى لنا أن نعصيك فيه قال لا تنحن * أى وفى لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا * وفى لفظ ولا تحلقن شعرا ولا تخرقن قرنا ولا تشققن جيبا ولا تدعين بالويل * وجاء هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلاب * وجاء تخرج

النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على رأسها تقول ويلاه * وجاء النائحة اذا لم تتب تقوم يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جرب وجاء لا تقبل الملائكة على نائحة * وجاء ليس للنساء في اتباع الجنائز من أجر * وجاء أن هند قالت له صلى الله عليه وسلم انك لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال أي لان الرجال كان صلى الله عليه وسلم يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط * وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن والله انى كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا * اما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك أي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك هند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله * وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين أو تزني الحرة يا رسول الله * ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا * وفي لفظ هل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر وفي لفظ أنت قتلت أباءهم يوم بدر وتوصينا بأولادهم * وفي لفظ ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم * وفي لفظ فضحك صلى الله عليه وسلم * ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفترينه قالت والله أن اتيان البهتان لقبيح * زاد في لفظ وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف * وفي لفظ انها أتته منتقبة بالابطح وقالت اني امرأة مؤمنة أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك قال بعضهم وفي اسلام أبي سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها أي لانها أسلمت بعده بليلة واحدة واقراره صلى الله عليه وسلم على نكاحهما حجة للشافعي رضي الله عنه * ثم أرسلت اليه صلى الله عليه وسلم بهدية وهي جديان مشويان مع مولاة لها فاستأذنت فأذن لها فدخلت عليه وهو صلى الله عليه وسلم بين نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من بني عبد المطلب * وقالت له ان مولاتي تعتذر اليك وتقول ان غنمها اليوم قليلة الوالدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لكم في غنمكم وأكثر والدتها فكثر الله ذلك * تقول تلك المولاة لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها مالم نكن نرى قبل * وجاءت اليه وقالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل ممسك فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا

فقال لها لا علـيك أن تطاسميهم بالمعروف * وفى لفظ ان أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى مايكفيني وولدي الا ما أخذت منه وهو لا يعلم قال خذى مايكفيك وولدك بالمعروف * أى وجاء أن بعض النساء قال هلم نبايعك يارسول الله قال لا أصافح النساء * وانما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة * وفى لفظ قولى لالف امرأة كقولى لامرأة واحدة * وعن عائشة رضى الله عنها لم يصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط وانما كان يبايعهن بالكلام وعن الشعبى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب * وقيل انه غمس يده فى اناء وأمرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة * قال ابن الجوزى والقول الاول أثبت وتقدم ذكر المبايعات له صلى الله عليه وسلم لا فى خصوص يوم الفتح على حروف المعجم فى كتابه التلقيح وتقدم عن أم عطية رضى الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت * ثم أرسل اليهن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ وقرأ الى قوله تعالى فى معروف فقلن نعم فمد يده من خارج ومددن أيديهن من داخل البيت * ثم قال اللهم اشهد ولعل ذلك كان بحائل والعتبة مأمونة وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أين ابنا أخيك يعنى أبا لهب عتبة ومعتبا لا أراهما قال العباس رضى الله عنه قد تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش قال ائتنى بهما فركبت اليهما فأتيت بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهما ودعا لهما ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه صلى الله عليه وسلم فقلت له سرك الله يارسول الله انى أرى السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى وشهدا معه حنينا والطائف ولم يخرجا من مكة ولم يأتيا المدينة وقلعت عين معتب فى حنين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ماوعدنى ربى ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح انتهى * وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رضى الله عنه بقوله

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى * عليهم والغارة الشعواء
فاذا ماتلى كتابا من الله * تلته كتيبة خضراء

* أى أجاب دعوته صلى الله عليه وسلم الرفيع والوضيع وعن الاول كنى بالخضراء التى هى السماء فقد جاء فى حديث سنده واه السماء الدنيا زمردة خضراء وذكر انها أشد بياضا من اللبن وخضرتها من صخرة خضراء تحت الارض وكنى عن الثانى بالغبراء التى هى الارض * وانما كانت غبراء لان جميع طبقاتها من طين مع حصول نصرله صلى الله عليه وسلم على أعاديه وفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذى كان به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وقلتهم وكثرة عدوهم مع التصميم على أذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وتوالت له عليهم الاغارة المحيطة بهم من سائر الجوانب وجاء أنه صلى الله عليه وسلم * لما فرغ من طوافه دعا عثمان بن طلحة رضى الله عنه فانه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاصى قبل الفتح وأسلموا كما تقدم واستمر فى المدينة الى أن جاء معه صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة * وبه يرد ما روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه الى عثمان بن طلحة لاخذ المفتاح فأبى أن يدفعه له * وقال لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه منه ولوى على كرم الله وجهه يده وأخذ المفتاح منه قهرا وفتح الباب وأنه لما نزل قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها * أمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع له المفتاح متلطفا به فجاءه على كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال له أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على كرم الله وجهه لان الله أمرنا برده عليك فأسلم ثم لما دعا صلى الله عليه وسلم عثمان وجاء اليه أخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده * ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام * منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعى واليمين على من أنكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذى محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ولا يوم الفطر * ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية * ثم قال يا معشر قريش ما ترون وفى لفظ ماذا تقولون ماذا تظنون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم * وقد قدرت أى وفى لفظ لما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة يوم الفتح وضع يده على

عضاضد فى الباب * ثم قال ماذا تقولون ماذا تظنون أنى فاعل بكم قالوا خيرا فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم * وفى لفظ فانى أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أى الذين أطلقوا فلم يؤسروا والطليق فى الاصل الاسير اذا أطلق فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام * قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه أرسل بلالا رضى الله عنه الى عثمان بن طلحة يأتى بمفتاح الكعبة فجاء الى عثمان فأخبره فقال انه عند أمى فرجع بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن المفتاح عند أمه فبعث اليها رسولا فقالت لا واللات والعزى لا أدفعه أبدا فقال عثمان يا رسول الله أرسلنى أخلصه لك منها فأرسله فجاء اليها فطلبه منها فقالت لا واللات والعزى لا أوصله اليك أبدا فقال يا أمه ادفعيه الى فانه قد جاء أمر غير ما كنا عليه ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى ويأخذه منك غيرى وأدخلته حجرتها وقالت أى رجل يدخل يده هاهنا أى وقالت له أنشدك الله أن يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ينتظر حتى انه ليحدر منه مثل الجمان من العرق فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر رضى الله عنه رافع صوته وهو يقول يا عثمان أخرج فقالت يا بنى خذ المفتاح فان تأخذه أحب الى من أن تأخذه تيم وعدى أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأخذه عثمان فخرج يمشى حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح * فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المفتاح فحنى عليه وتناوله * أى وفى رواية فاستقبلته ببشر واستقبلنى ببشر واخذه منى وفتح الكعبة وفى رواية أنه قال له هات المفتاح بأمانة الله * وفى لفظ لما أبت أمه أن تعطيه المفتاح قال والله لتعطيه أو لاخرجن هذا السيف من منكبى فلما رأت ذلك أعطته اياه فجاء به ففتح عثمان له الباب يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله الى بعض هذه القصة بقوله

صرعت قومه حبائل بغى * مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافى الـ * طعن منها ما شانها الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء

أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون أعطائه القليل كداء

ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاذواء والاكفاء

فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء

ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها التراد والشحناء

فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء

واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء

وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء

ولوان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

قام لله فى الامور فأرضى الله منه تباين ووفاء

فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

* أى ألفت قومه الذين لم يؤمنوا به بين يديه حبائل نعيهم التى مدها المكر والدهاء حالة كون ذلك منهم فبسبب مكرهم أتتهم من قبله خيل تبعثر بها را كبوها الى الحرب والخيل عليها الشجعان كبر وترفع فى الحرب تصدت فى أبدانهم الرماح فبسبب قصدها بهم كانت الطعنات المشبهة بالقوافى فى تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح ما غابها الايطاء أى لم يعدم وجوده فيها والايطاء فى القافية تكريرها متحدة اللفظ والمعنى وهو معيب على الشاعر لانه يدل على قصوره والطعنات المتوالية فى محل واحد تدل على قصر ساعد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا أظلم الجو حتى ظن ان وقت الغدو من تلك الغبرة وقت العشاء وذلك بأرض مكة عند فتحها أمسكت عند ذلك الغبار لكثرته الحجون وهو كذا بالفتح والمد اعلا مكة لكثرة ما أعطاه صلى الله عليه وسلم فى الناس وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم القليل من الناس كداء بالضم والمد وهو أسفل مكة وهذه لغة فيه قليلة وعند ذلك قل غباره وأهلكت تلك الخيول أوجها من الناس بمكة ممن أباح دمه ومن قاتل وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون اليها مل من تلك البيوت خلوها عن أنس بها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما مضى منهم وجواب الحليم لمن سأله العفو عنه العفو وارخاء الجفون من الحياء وسألوه بالقربى التى وصلت اليه من بطون قريش وهو ولد النضر ابن كنانة التى قطعتها المقاتلة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا صلى الله عليه وسلم عفو قادر لم يكدر ذلك العفو عنهم أغراء سفائهم به حالة كون ذلك الاغراء منهم فيما مضى واذا كان القطع والوصل لله تساوى عنده فاعل ذلك التقريب الاقارب والبعد أو الابعاد للاقارب والبعد أو الذى تقريبه وابعاده لله لا لغيره

ليد خلها أغلقت عليه ونلت منه وحلم على * ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت قد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت كلمته صلى الله عليه وسلم منى موقعا وظننت ان الامر سيصير الى ما قال صلى الله عليه وسلم قال فلما قال لى يوم الفتح ذلك قلت بلى أشهد أنك رسول الله * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دخل يومئذ الكعبة ومعه بلال فأمره ان يؤذن أى للظهر على ظهر الكعبة وأبو سفيان وعتاب بن سعيد * وفى لفظ خالد بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة * فقال عتاب بن أسيد أى وخالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته * أى وفى رواية أنه قال ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ولامانع من وجود الامرين منه أى وتقدم فى عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما أذن بلال رضى الله عنه على ظهر الكعبة أيضا * أى وقال غير هؤلاء من كفار قريش لقد أكرم الله فلانا يعنى أباه اذ قبضه قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة * وفى لفظ والله الحدث العظيم أن يصيح عبد بنى جمح ينهق على بنيه فقال أبو سفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصباء * فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذى قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال أما أنت يا فلان فقد قلت كذا * وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يا رسول الله فما قلت شيأ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك وما أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أبى سفيان وهو فى المسجد فلما نظر اليه أبو سفيان قال فى نفسه ليت شعرى بأى شىء غلبنى فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حتى ضرب بيده بين كتفيه فقال بالله غلبتك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان أشهد أنك رسول الله وصار بعض قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة رضى الله عنه * وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى والله ايمانا ويقينا فعلمت أنه رسول الله فالقى عليه صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وعقبه بعده يتوارثون الاذان بمكة وتقدم أن أذان أبى محذورة وتعليمه

صلى الله عليه وسلم الاذان كان مرجعه من حنين وتقدم طلب تأمل الجمع بينهما
* وفى تاريخ الازرقى أن جويرية بنت أبى جهل قالت عند أذان بلال على ظهر
الكعبة والله لانحب من قتل الأحبة ولقد جاء لابى الذى جاء محمد من النبوة فردها
ولم يرد خلاف قومه * وعن الحارث بن هشام قال لما أجارتنى أم هانىء وأجاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارها فصار لا أحد يتعرض لى وكنت أخشى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فمر على وأنا جالس فلم يتعرض لى وكنت أستحى أن يرانى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياى فى كل موطن مع المشركين
فلقيته وهو داخل المسجد فلقينى بالبشر فوقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت
شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وجاءه صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومى أى * وقيل عبد الله بن السائب
ابن أبى السائب بن عويمر قال فى الاستيعاب وهذا أصح ما قيل فى ذلك ان شاء الله
تعالى وكان شريكا له صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فقال فأخذ عثمان وغيره يثنون
على فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلمونى به كان صاحبى * وفى لفظ لما قبلت
عليه قال مرحبا بأخى وشريكى كان لا يدارى ولا يمارى قد كنت تعمل أعمالا
فى الجاهلية لا تتقبل منك أى لتوقف صحتها على الاسلام وهى الاعمال المتوقفة على
النية التى شرطها الاسلام وهى اليوم تتقبل منك أى لوجود الاسلام * وأرسل
سهيل بن عمرو رضى الله عنه ولده عبد الله ليأخذ له أمانا منه صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أبى تؤمنه فقال صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بالله فليظهر
* ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد اليه
النظر فلعمرى ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه
عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا
صغيرا برا كبيرا فكان سهيل رضى الله عنه يقبل ويدبر وخرج الى حنين مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة وذكر ان فضالة بن عمير
ابن الملوح حدث نفسه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح
قال فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال فضالة نعم يا رسول الله
قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شىء كنت أذكر الله فضحك النبى
صلى الله عليه وسلم ثم قال أستغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه
* فكان فضالة رضى الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله
شيأ أحب الى منه * قال ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل

من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف الى الكعبة * وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة ولم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة أي من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب * فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا ان الله قد أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم * وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل من قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي من بني بكر فانه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به يطعنه منهم خراش بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراش أي والمشقص ما طال من النصال وعرض * قال ابن هشام وبلغني انه أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنه تقدم في خبر أنه ودى قتيلا * وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد الى يوم القيامة * قال العلماء أي على الكفر أي لانهم أتوا على أن يسلموا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره * ولما أسلمت هند رضي الله عنها عمدت الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور * ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التي حول مكة أي لانهم كانوا اتخذوا مع الكعبة أصناما جعلوها بيوتا يعظمونها كتعظيم الكعبة وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم من ذلك كما تقدم * العزى وسواع ومناة وسيأتي الكلام على ذلك في السرايا ان شاء الله تعالى * أي وفي هذا العام الذي هو عام الفتح كانت غزوة أوطاس * وأوطاس في هوازن حلل صلى الله عليه وسلم المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها ففي صحيح مسلم عن بعض الصحابة لما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة خرجت أنا ورجل الى امرأة من بني عامر كأنها بكرة عيطاء

* وفي لفظ مثل البكرة العنطنطة فعرضنا عليها أنفسنا فقالت هل لك ان يستمتع منك أحدنا فقالت ماتدفعان قلنا بردينا * وفي لفظ ردائينا فجعلت تنظر فتراني أجل من صاحبي وترى برد صاحبي أحسن من بردي فاذا نظرت الى أعجبته واذا نظرت الى برد صاحبي أعجبها فقالت أنت و بردك تكفيني فكنت معها ثلاثا * والحاصل ان نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم أبيح يوم الفتح ثم نسخ في أيام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وكان فيه خلاف في الصدر الاول ثم ارتفع وأجمعوا على تحريمه وعدم جوازه * قال بعض الصحابة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بين الركن والباب وهو يقول أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع الا وان الله حرمها الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ أى لكن في مسلم عن جابر رضى الله عنه انه قال استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر * وفي رواية عنه حتى نهى عنه عمر رضى الله عنه وقد تقدم في غزاة خيبر عن امامنا الشافعي رضى الله عنه لا أعلم شيأ حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة وهو يدل على أن اباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به * وهذا عارض ما تقدم أن الصحيح أنها حرمت في حجة الوداع الا أن يقال يجوز أن يكون تحريمها في حجة الوداع تأكيد التحريم عام الفتح فلا يلزم أن تكون أبيحت بعد تحريمها أكثر من مرة كما يدل عليه كلام امامنا لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وقد يقال مراد هذا القائل بعام أوطاس عام الفتح لان غزاة أوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم وما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما من جوازها رجع عنه * فقد قال بعضهم والله ما فارق ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا حتى رجع الى قول الصحابة في تحريم المتعة ونقل عنه رضى الله عنه أنه قام خطيبا يوم عرفة * وقال أيها الناس ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير * والحاصل أن المتعة من الامور الثلاثة التي نسخت مرتين الثاني لحوم الحمر الاهلية الثالث القبلة كذا في حياة الحيوان * قال واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضى الله عنه خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم ففرقها صلى الله عليه وسلم في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء انتهى * أى وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة أى بعد

فتوا اقامة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته * ومن هذا الثاني قال الأئمة من أقام بمحل لحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول والخروج ولعل سبب اقامته المدة المذكورة أنه كان يرجى حصول المال الذي فرقه في أهل الضعف من أصحابه فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة إلى حنين لحرب هوازن * وجاء إليه صلى الله عليه وسلم سعد ابن أبي وقاص وقد أخذ بيد ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد إليه أنه ابنه أي قال إذا قدمت مكة انظر إلى ابن وليدة أبي زمعة فانه مني فاقبضه اليك فقال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي ابن وليدة أبي زمعة ولدته على فراشه أي مع كونها فراشا له فنظر صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الولد فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص فقال لعبد بن زمعة هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراش أبيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة احتجبي منه يا سودة لما رأى عليه من شبه عتبة أي فخشى أن يكون ابن خاله فأمرها بالاحتجاب ندبا واحتياطا فلم يرها حتى لقي الله * وفي بعض الروايات احتجبي منه يا سودة فليس لك بأخ وسرقت امرأة فأراد صلى الله عليه وسلم قطعها ففزع قومها إلى أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم يستشفعون به فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال أتكلمني في حد من حدود الله تعالى فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله * ثم قال أما بعد فانما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها * وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى * وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه وعمره احدى وعشرون سنة أمر مكة وأمره صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه بمكة معه معلما للناس السنن والفقه * وفي الكشاف وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله أي وقال ذلك ثلاثا * فكان رضي الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن * وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت

عنقه فانه لايتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت
على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا * فقال صلى الله عليه وسلم انى
رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب
فقلقلها اقلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام نصرته للمسلمين على
من يريد ظلمهم هذا * وفى تاريخ الازرقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت
أسيدا فى الجنة وأنى أى كيف يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن أسيد فقال صلى
الله عليه وسلم هذا الذى رأيت ادعوه لى فدعى له فاستعمله يومئذ على مكة * ثم قال
يا عتاب أتدرى على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم
خيرا يقولها ثلاثا * فان قيل كيف يقول صلى الله عليه وسلم عن أسيد
انه رآه فى الجنة * ثم يقول عن ولد أسيد انه الذى رآه فى الجنة * قلنا لعل
عتابا كان شديد الشبه بأبيه أسيد فظن صلى الله عليه وسلم عتابا أباه * فلما
رآه عرف أنه عتاب لا أسيد * وفى كلام سبط ابن الجوزى عتاب بن أسيد
استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة لما خرج الى حنين وعمره
ثمانى عشرة سنة * وفى كلام غيره ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم انما استخلف
عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة
الا أن يقال لا مخالفة * ومراده باستخلافه ابقاؤه على ذلك وينبغى أن يكون ما تقدم
عن الكشاف من قول أهل مكة له صلى الله عليه وسلم لقد استخلفت على أهل الله
عتاب بن أسيد الى آخره بعد ابقائه على استخلافه لما لا يخفى * وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن أسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على
الكفر فكانت الرؤيا بالولد كما تقدم مثل ذلك فى أبى جهل وولده عكرمة رضى
الله عنه * ولما ولاه صلى الله عليه وسلم على مكة جعل له فى كل يوم درهما فكان
رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم فى كل يوم ويروى أنه قام
فخطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم أى له درهم فقد
رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما فى كل يوم فليست لى حاجة الى أحد
* وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن
أسيد على مكة * وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة ولعل الدرهم كل يوم يحرز
لقدر المذكور أى أربعين أوقية فى السنة فلا مخالفة وفى السنن الكبرى
البيهقى * وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذى قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر
القاها بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش

(غزوة حنين)

اسم موضع قريب من الطائف وفي كلام بعضهم الى جنب ذي المجاز وهو سوق الجاهلية تقدم ذكره * وفي كلام بعض آخر اسم لماء بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت به الوقعة في آخر الامر * أي وسببها انه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان أهلها كانوا طغاة عتاة مردة قال قال أئمة المغازي لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وأشفقوا أي خافوا أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقالوا قد فرغ لنا فلا ناهية أي لا مانع له دوننا والرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا فحشدوا وبغوا وقالوا والله ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فأجمعت هوازن أمرها انتهى * أي جمعوا وكان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصري أي بالصاد المهملة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضر معهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر * أي لانه بلغ مائة وعشرين سنة * وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين أي وقيل قارب المائتين قاله ابن الجوزي وقد عمي وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب أي لانه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ياليل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وقيل قارب بن الاسود وكان سن مالك بن عوف اذ ذاك ثلاثين سنة فأمر الناس بأخذ أموالهم ونسائهم وأبنائهم معهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فقال دريد للناس بأي واد أنتم قالوا بأوطاس * قال نعم مجال الخيل وفي لفظ مجال الخيل بالجيم لا حزن ضرس والحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاي وبالنون ما غلظ من الارض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الراء وبالسين المهملة ما صلب من الارض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة والهاء وبالسين المهملة اللين كثير التراب مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير بضم النون أي صوتها وبكاء الصغير ويعار الشاء واليعار بضم المثناة تحت وبالعين المهملة المخففة والراء صوت الشاء أي وخوار البقر أي صوتها قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم * قال ابن مالك أي وكان توافق معه على ان لا يخالفه فانه قال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود الحجاز أي غالبهم اما قتلا واما

خروجا عن ذل ومعار فقال له لا نخالفك فى أمر تراه فقيل له هذا مالك فقال يا مالك
أما انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالى أسمع
رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع
الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل
أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به قال أبو ذر أى زجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق
اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول الاصل أى صوت بلسانه فى فيه
ثم قال له راعى * وفى لفظ رويعى ضأن والله ماله وللحرب أى ومن كان هذه صفته
ماله وللحرب * ثم أشار عليه برد الذرية والأموال وقال هل يرد المنهزم شىء ان كانت
لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك
ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد الاول
بفتح الحاء المهملة والثانى بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وبفتحها الحظ لو كان يوم علاء
ورفعة ما غابا * ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا أطيعك انك
قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن قد شرط لى مالك أن لا يخالفنى
فقد خالفنى فأنا أرجع الى أهلى فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنى يا معشر هوازن
أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدريد فيها رأى
أو ذكر قالوا أطعناك أى ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعلوا
الابل صفوفا والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا * وفى لفظ صفت الخيل ثم الرجالة
المقاتلة ثم صفت النساء على الابل ثم صفت الغنم ثم صفت النعم ثم قال للناس اذا
رأيتموهم فشدوا عليهم شدة رجل واحد * وبعث عيونا له أى وهم ثلاثة أنفار أرسلهم
لينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم
ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا
ما ترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن العسكر فلم يرده ذلك
ومضى على ما يريده * ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم أرسل اليهم
رجلا من أصحابه أى وهو عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى وأمره أن يدخل فيهم ويسمع
منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم أى ومكث فيهم يوما أو يومين وسمع * ثم أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر * أى وجاءه رجل فقال يا رسول الله انى
انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم
بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك
غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

السير الى هوازن * وذكر له صلى الله عليه وسلم أن عند صفوان بن أمية ولم يكن أسلم يومئذ بل كان مؤمنا أدرعا وسلاحا فأرسل صلى الله عليه وسلم اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلق به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل عارية وهى مضمونة حتى تؤديها اليك قال ليس بهذا بأس * وفى رواية الامام أحمد قال صفوان عارية مؤداة فقال صلى الله عليه وسلم عارية مؤداة فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح * قيل وسأله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها ففعل وذكر أن بعض تلك الادراع ضاع فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فقال أنا اليوم يا رسول الله فى الاسلام أرغب * قال واستعار صلى الله عليه وسلم من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح فقال له كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين انتهى * أى وتقدم أن نوفلا هذا فدى نفسه وكان فى أسرى بدر بألف رمح * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكة أى على ما تقدم * قال بعضهم وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير دين يرجون الغنائم ولا يكرهون أى من لم يصدق ايمانه أن الصدمة * وفى لفظ أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى فقد خرج معه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو فلما قربوا من محل العدو صفهم * ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا كرم الله وجهه وأعطى سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه راية ولواء الخزرج أعطاه الحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس أعطاه أسيد بن حضير رضى الله عنه * وفى سيرة الدمياطى وفى كل بطن من الاوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم وكذلك قبائل العرب فيها الالوية والرايات يحملها رجال منهم * وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهى درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت * ومر بشجرة سدرة كان المشركون يعظمونها ويتوطون بها أسلحتهم أى يعلقونها بها فقالت الصحابة رضى الله عنهم يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم * فلما كان بحنين وانحدر وافى الوادى أى وذلك عند

غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وذلك
باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك اجعل لك كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم
عليك جاءتهم الكمين من خلفهم وكررت أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت
من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد أي وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنهم
جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم ❊ أي وعن البراء رضي الله عنه وسأله رجل
فقال فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال ولكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يفر ❊ وأما ما روي عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه مررت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فمنهزما حال من سلمة لا من النبي صلى الله
عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم في موطن من المواطن كما تقدم ❊ قال البراء
رضي الله عنه كانت هوازن ناسا رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا
على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوي أحد على
أحد ❊ أي ويقال ان الطلقاء وهم أهل مكة ❊ قال بعضهم لبعض أي من كان
اسلامه مدخولا منهم اخذلوه هذا وقته فانهزموا فهم أول من انهزم وتبعهم
الناس وعند ذلك قال أبو قتادة رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ما شأن الناس
قال أمر الله ❊ وهذا السياق يدل على أنهم انهزموا مرتين الاولى في أول الامر
والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم ❊ والذي في الاصل الاقتصار
على الاولى ❊ وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ❊ ومعه نفر
قليل منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن أخيه الحارث
وربيعة بن الحارث ومعتب بن عمه أبي لهب وفقئت عينه ولم أقف على أيهما كانت
❊ أي وورد في عدد من ثبت معه روايات مختلفة فقيل مائة وقيل ثمانون ❊ وقيل
اثنا عشر وقيل عشرة وقيل كانوا ثلاثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع وصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محمد بن عبد الله اني
عبد الله ورسوله ❊ وعن العباس رضي الله عنه كنت آخذا بحكمة بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي وهي الشهباء التي أهداها له فروة بن عمرو الجذامي أي
صاحب البلقاء وعامل ملك الروم على فلسطين يقال لها فضة ❊ وقيل التي يقال لها
دلدل التي أهداها له المقوقس ❊ وفي البخاري التي أهداها له ملك أيلة ❊ قال بعضهم
والاول أثبت ويدل للثاني ما أخرجه أبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال
انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء ❊ وكان
يسميها دلدل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم دلدل البدي فألزقت بطنها

بالأرض أحديث * وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه صلى الله عليه وسلم وهو يقول حين رأى ما رأى من الناس الى أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء * فقال صلى الله عليه وسلم يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان * وفي لفظ يا عباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا ونصروا وانما أي وانما خص صلى الله عليه وسلم العباس بذلك لانه كان عظيم الصوت كان صوته يسمع من ثمانية أميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية أميال وغارت الخيل يوما على المدينة فنادى واصباحاه فلم تسمعه حامل الا وضعت من عظم صوته * وفي لفظ آخر نادى يا أصحاب الشجرة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة أي وخص سورة البقرة بالذكر لانها أول سورة نزلت في المدينة ولان فيها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفيها وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وفيها ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله * وفي لفظ نادى يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد التعميم لانهم كانوا صبروا في الحرب أي أغلبه فأجابوا لبيك لبيك * وفي لفظ يا لبيك يا لبيك * أي وفي البخاري لما أدبر واعنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداء بن التفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك * ويجوز أن يكون هذا بعد نداء العباس وقربهم منه صلى الله عليه وسلم وصار الرجل يلوي بعيره فلا يقدر على ذلك أي لكثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال بعضهم فما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفي لفظ عطفة البقر على أولادها فلرماحهم أخوف عندي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رماح الكفار حتى اذا انتهى اليه من الناس مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القوم وهم يجتلدون أي وكان شعارهم كيوم فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم اليوم حمي الوطيس وهو حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم والوطيس في الاصل التنور * وهذه من الكلمات التي لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وهي مثل يضرب لشدة الحرب أي وصار يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب * وهذا السياق يدل

على أن المائة انتهت اليه صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بأن الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا المائة * وفي رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحاء المهملة بن النعمان ياحارثة كم ترى الناس الذين ثبتوا فحزرتهم مائة فقلت يارسول الله مائة فلما كان يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد فقال جبريل عليه السلام يامحمد من هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة بن النعمان فقال جبريل عليه السلام هو أحد المائة الصابرة يوم حنين لوسلم لرددت عليه السلام * قال فلما أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له ما كنت أظنه الادحية الكلبي واقفا معك * وفي رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا أربعة ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه وأبو سفيان ابن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل أحد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم الا قتل * وذكر بعضهم أنه رأى سفيان بن الحارث حينئذ آخذا بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ما تقدم أن الآخذ بذلك العباس رضي الله عنه وأن أباسفيان بن الحارث كان آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم لجواز أن يكون أخذ بزمامها بعد أخذه بركابه * وعن أبي سفيان بن الحارث قال لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر الي فقال له العباس يارسول الله أخوك وابن عمك أبوسفيان فارض عنه فقال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت الي وقال يا أخي فقبلت رجله في الركاب * وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبوسفيان بن الحارث من شبان أهل الجنة أو من سيد فتيان أهل الجنة * وليس قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب الى آخره من الشعر لان شرطه كما تقدم في بناء المسجد أن يكون عن قصد وروية بناء على أن مشطور الرجز ومنهوكه شعر وهو الصحيح خلافا للاخفش حيث رد على الخليل في قوله ان الرجز شعر بأنه وقع منه صلى الله عليه وسلم في قوله المذكور * وقد قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ورد بأن ما يقع موزونا لاعن قصد لا يقال له شعر * ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم مع زيادة وانما قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لان العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته كما تقدم وليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك والفواطم * وأخذ من هذا أنه

لا بأس بالانتساب فى موطن الحرب ✽ وذكر الخطابى أنه صلى الله عليه وسلم انما قال أنا ابن عبد المطلب على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم صلى الله عليه وسلم بذلك رؤيا كان رآها عبد المطلب أيام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفوهم بها وذكرهم اياها وهى احدى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ✽ ثم نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولنى من الحصباء فاخفضت به بغلته حتى كادت تمس بطنها الارض ثم قبض قبضة من تراب ✽ قال بعضهم كأن الله أفقه أى فهم البغلة كلامه صلى الله عليه وسلم أى علمت مراده وفى رواية كما تقدم أنه قال لها يا دلدل البدى فلبدت أى انخفضت ✽ وفى رواية قال أربضى دلدل فربضت ✽ وقيل ناوله العباس ذلك وقيل ناوله على وقيل ابن مسعود رضى الله عنهم فعنه حادت به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه أى ✽ وفى رواية قال حم لا ينصرون وفى رواية جمع بينهما فما خلق الله منهم انسانا الا ملئت عينيه وفمه ترابا بتلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد فولوا مدبرين ✽ أى وقال بعضهم ما خيل الينا الا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلبة شاة أن كشفناهم قال فبينما نحن نسوقهم ونحن فى آثارهم اذ صاحب بغلة بيضاء واذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا من قولهم وركبوا أكتافنا فكانت اياها ✽ والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

و رمى بالحصى فأقصد جيشا ✽ ما العصا عنده ولا الالقاء

✽ أى ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصى فأهلك ذلك الجيش العظيم أى شىء عصا موسى عند ذلك العصا وأى شىء القاء موسى عليه السلام لتلك العصا عند القاء ذلك الحصى شتان ما بينهما فلا يقاس هذا بذلك لان هذا أعظم لان انقلاب العصا حية كان مشابها لانقلاب حبالهم وعصيهم حيات ولأن ابتلاعها لحبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شملهم بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى عليه السلام بخلاف هذا الحصى فانه أهلك العدو وشتت شمله أى ذكر أنه عند القتال أنزل الله تعالى قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ الى قوله غفور

رحيم ✽ فقد جاء أن بعض أصحابه أي وهو أبو بكر رضي الله عنه كما في سيرة الحافظ الدمياطي قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأته تلك الكلمة وقيل بل قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المسلمين ✽ وقيل قال ذلك فتى من الانصار أي وهو سلمة بن سلامة بن قيس أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه ✽ وقال اللهم أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا ✽ أي وأخرج البيهقي في الاسماء والصفات عن الضحاك قال دعا موسى عليه الصلاة والسلام حين توجه الى فرعون لعنه الله ✽ ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كنت وتكون وأنت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ياحي ياقيوم وكان أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ اهوى اليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورجل من الانصار يريدانه فأتى علي من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما في نفوسهم من الضغن ومنهم أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه قيل وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام في كنانته فقال لا تنتهي هزيمتهم يعني المسلمين دون البحر أي وقال والله غلبت هوازن فقال له صفوان بفيك الكثيب أي الحجارة والتراب وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم من أهل مكة وأظهروا الشماتة ✽ وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها ✽ أي وقال آخر أي وهو أخو صفوان لامه الا قد بطل السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك أي أسقط أسنانك والله لان يربني من الربوبية أي يملكني ويدبر أمري رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن ✽ وفي رواية مر رجل من قريش على صفوان بن أمية فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان رضي الله عنه وقال أتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب الي من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وكونهم لا يجبرونها أبدا هذا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا فقال له سهيل بن عمرو

والله ان عهدك بخلافة لحديث فقال له أبا بزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لا يضر ولا ينفع * وعن شيبة الحجبي رضي الله عنه أي حاجب البيت ويقال امية بنو شيبة وهم حجبة البيت كما تقدم انه كان يحدث عن سبب اسلامه قال ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات *ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وسار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين عسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها * أي وفي لفظ اليوم ادرك ثأري من محمد أي لأن أباه وعمه قتلا يوم أحد قتلهما حمزة رضي الله عنه كما تقدم * وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا تبع محمدا ما تبعته لا يزداد ذلك الامر مني الا شدة *فلما اختلط الناس ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يهلكني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه * وفي رواية فلما همت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد فدنا في صلى الله عليه وسلم يا شيبة ادن مني فدنوت منه فالتفت الي وتبسم وعرف الذي أريد منه فمسح صدري * ثم قال اللهم أعذه من الشيطان * قال شيبة فوالله لهو كان الساعة اذا أحب الى من سمعي وبصري ونفسي واذهب الله ما كان بي * ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله اعلم اني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت به السيف فجعلت الزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كرة واحدة وقربت اليه صلى الله عليه وسلم بغلته فاستوى عليها فأمها وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه أي لا يلوي أحدهم على أحد * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر عليه وانبعثهم المسلمون يقتلونهم حتى قتلوا الذرية فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه * وفي رواية من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه *وفي الاصل في غزوة بدر أن المشهور ان قول النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه انما كان يوم حنين *وأما ما روي أنه قال ذلك يوم بدر ويوم أحد فأكثر ما يوجد في رواية من لا يحتج به ومن ثم قال الامام مالك رضي الله عنه لم يبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين * وتعقب ما في الاصل بأنه وقع ذلك في غزوة مؤتة كما في مسلم وهي قبل الفتح * وفي كلام بعضهم كون السلب للقاتل أمر مقرر من أول

الامر وانما تجدد يوم حنين الاعلام العام والمناداة لا مشروعيته وحدث أنس رضى الله عنه ان أبا طلحة رضى الله عنه استلب وحده عشرين رجلا وأخذ أسلابهم وقال أبو قتادة رضى الله عنه رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان واذا رجل من المشركين يريد أعانة المشرك على المسلم فأتيته وضربت يده فقطعتها فاعتنقنى بيده الاخرى فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الموت ولولا ان الدم نزفه لقتلنى فسقط وضربته فقتلته وأجهضنى القتال عن استلابه * فلما وضعت الحرب أوزارها قلت يا رسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب وأجهضنى عنه القتال فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يا رسول الله فأرضه عنى من سلبه * فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لا يرضيه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله * وفى لفظ قال أبو بكر رضى الله عنه أى للنبى صلى الله عليه وسلم كلا تعطيه أضيبع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والاضيبع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أردد عليه سلبه * قال أبو قتادة رضى الله عنه فأخذته منه فاشتريت بثمنه أى السلب الذى جمعته بستانا * وأدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد قال أقتلك قال ومن أنت قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له بئس ما سلحتك امك خذ سيفى هذا من مؤخرة الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال * ثم اذا أتيت أمك فأخبرها انك قتلت دريد ابن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله فقالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا وقالت له ألا تكرمت عن قتله لما أخبرك عنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضى الله ورسوله * وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضى الله عنه * وقيل عبد الله بن قبيع وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة رضى الله عنه وهى حازمة وسطها ببردها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله فقال لها زوجها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء فأعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أى وكان يقال لها الغميصاء والرميصاء وهى التى يخرج القذاء من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل لها الرميصاء لرمص كان فى عينها * وعن

ولدها أنس بن مالك رضي الله عنه قدمات أبي مالك عنها مشركا ثم خطبها عمي أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم فقالت له اني أتزوجك ولا آخذ منك صداقا غيره فتزوجها * قال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا فقالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك * وعنه رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل على أحد من النساء الا أزواجه والا أم سليم فانه كان يدخل عليها فقيل له في ذلك فقال اني أرحمها قتل أخوها معي ولعل المراد أنه كان يكثر الدخول عليها كأزواجه ولا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على غيرها من نساء الانصار لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الاختلاء بالاجنبية * فكان يدخل على أخت أم سليم وهي أم حرام بالراء رضي الله عنها وتفلي له رأسه وينام عندها ويدخل على الربيع * ثم رأيته في الامتاع أشار الى ذلك وفي تزيل الخفاء ان أم سليم وأختها خالتا النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الرضاع وعليه فلا دلالة في دخوله صلى الله عليه وسلم عليهما والخلوة بهما على جواز الخلوة بالاجنبية * وعن أنس رضي الله عنه قال مات ابن لابي طلحة من أم سليم أي وهو أبو عمير الذي كان صلى الله عليه وسلم يداعبه ويقول يا أبا عمير ما فعل النغير ذكره السيوطي في كتابه تبريد الاكباد * وفي كلام بعضهم ما يفيد أنه غيره فقالت لاهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقال ما فعل ابني قالت هو أسكن ما كان فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا قال لا قالت فاحتسب ابنك فغضب ثم انطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما في غابر ليلتكما قال فحملت بعبد الله المذكور * قال ولما ولدته حملته وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك تمر فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن صلى الله عليه وسلم في فيه الشريف فلاكهن ثم فغر فاه الصبي فمجه فيه فجعل الصبي يتلمظ به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الانصار التمر وسماه عبد الله أي وجاء لعبد الله هذا الذي جاء من جماع تلك الليلة تسعة أولاد كلهم قد قرؤا القرآن * ولما أخبر أبو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم بما تقدم عن أم سليم قال الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صابرة بني اسرائيل فقيل يا رسول الله ما كان من خبرها قال كان في بني

اسرائيل امرأة وكان لها زوج وكان له منها غلامان وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه لبدعو عليه الناس ففعل واجتمع الناس فى داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا فى بئر كانت فى الدار فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين ابناى قالت هما فى البيت وانها كانت تمسحت بشىء من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال أين ابناى قالت هما فى البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثوابا لصبرى * ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم أباعامر الاشعرى رضى الله عنه وسيأتى فى السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معسكره قال شيبة فدخل خباءه فدخلت عليه مادخل عليه غيرى حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال ياشيبة الذى أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثنى بكل ما أضمرته فى نفسى مما لم أذكره لاحد قط فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم قلت استغفر لى فقال غفر الله لك * أى وقالت له صلى الله عليه وسلم أم سليم رضى الله عنها بأبى أنت وأمى يارسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن * وعن عائذ بن عمرو قال أصابتنى رمية يوم حنين فى جبهتى فسال الدم على وجهى وصدرى فسلت النبى صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهى وصدرى الى ترقوتى * ثم دعا لى فصار أثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سائلة كغرة الفرس * وجرح خالد ابن الوليد رضى الله عنه فتفل النبى صلى الله عليه وسلم فى جرحه فلم يضره أى * فعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشى فى المسلمين ويقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله لانه قد أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم فى جرحه فبرئ * وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيأ أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وفى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله أن سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم * أى وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من

الرعب منهم * ولما وقعت الهزيمة اسلم ناس من كفار مكة وغيرهم لما رأوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم * وعن شيبة الحجبي قال خرجت مع رسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما خرجت إسلاما ولكن خرجت اتقاء أن تظهر هوازن على قريش فوالله اني لم أقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني لأرى خيلا بلقا قال يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده صدري * ثم قال اللهم اهد شيبة بفعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدري الثالثة حتى ما أحد من خلق الله أحب الي منه * ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم على تقدير صحتهما * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنائم أن تجمع فجمع ذلك كله وأحدروه بالجعرانة أي بسكون العين وتخفيف الراء وكثير من أهل الحديث يشددها * وسمي المحل باسم امرأة كانت تلقب بذلك قبل وهي التي نقضت غزلها من بعد قوة فكان بها الى ان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم * أي من غزوة الطائف * وفي هذه الغزوة سمي طلحة ابن عبد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر

(غزوة الطائف)

* ولما علم صلى الله عليه وسلم ان مالك بن عوف وجمعا من أشراف قومه لحقوا بالطائف عمد اليهم * أي والطائف بلد كبير كثير الاعناب والنخيل والفاكهة قيل سمي بذلك لان جبريل عليه السلام طاف بها حين نقلها من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام * أي أن الله يرزقهم أي أهل مكة من الثمرات * أي وقيل انهم بنوا حولها حائطا أطافوا به تحصينا لهم * وقيل هي جنة أصحاب الصريم كانوا بنواحي صنعاء فقلعها جبريل عليه السلام فسار بها الى مكة وطاف بها حول البيت * ثم أنزلها في ذلك المكان أي ويقال له وج سمي ذلك باسم شخص من العماليق أول من نزل به وأن أولئك القوم تحصنوا في حصن به وأدخلوا فيه ما يصلحهم سنة فخرج صلى الله عليه وسلم من حنين وتوجه اليهم وترك السبي بالجعرانة * أي وفي الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسبي والغنائم الى الجعرانة مع بديل بن ورقاء الخزاعي * وفي كلام السهيلي وكان سبي حنين ستة آلاف رأس قد ولى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب أمرهم وجعله أمينا عليهم هذا كلامه * أي ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف لان أبا سفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطائف كما سيأتي فلا معارضة * أي ومر صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن عوف فأمر به فهدم ومر

بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه صلى الله عليه وسلم اما
ان تخرج واما ان نخرب عليك حائطك فأبى أن يخرج فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم باحراقه ومر صلى الله عليه وسلم بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف
* أي وكان من ثمود قوم صالح * أي وقد أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا
المكان ثم دفن فيه أي بعد ان كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة * فلما خرج من الحرم
الى المكان المذكور أصابته النقمة * فعن بعض الصحابة حين خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف * وكان من ثمود وكان بهذا الحرم
يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه
الحديث * وفي العرائس عن مجاهد قيل له هل بقي من قوم لوط أحد قال لا
الا رجل بقي أربعين يوما وكان بالحرم فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة
الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله تعالى فرجع
فوقف خارجا من الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته
وخرج من الحرم الى هذا المحل أصابه الحجر فقتله فدفن فيه وأبو رغال هذا هو الذي
كان دليلا لابرهة ليوصله الى مكة لما مر أبرهة بالطائف وتلقاه أهله وأظهروا له
الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فأرسلوا أبا رغال معه دليلا
كما تقدم * وقال صلى الله عليه وسلم آية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ان أنتم
نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فنبشوه واستخرجوا منه الغصن * وقدم
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقدمته * أي وهي خيل
بني سليم مائة فرس قدمها من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد
فلم يزل كذلك حتى وصل * فلما وصل نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا
المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات * أي وممن
أصيب أبو سفيان بن حرب أصيبت عينه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه
في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان شئت دعوت فردت عينك وان شئت فالجنة * وفي لفظ فعين في الجنة
قال فالجنة ورمى بها من يده * أي وقلعت عينه الثانية في القتال يوم اليرموك عند
مقاتلة الروم فان أبا سفيان رضي الله عنه كان في ذلك اليوم يحرض المسلمين على
قتال الروم والثبات لهم ويقول لهم الله الله عباد الله انصروا الله ينصركم اللهم
هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك * وذلك في آخر خلافة الصديق

فان الصديق رضي الله عنه مات وهم في الاستعداد للقتال باليرموك * وكان الامير على العسكر خالد بن الوليد رضي الله عنه * ولما ولي سيدنا عمر رضي الله عنه أرسل البريد بعزل خالد وولاية أبي عبيدة ابن الجراح على العسكر فجاء البريد * وقد التحم القتال بين المسلمين والروم وأخذته خيول المسلمين وسألوه عن الخبر فلم يخبرهم الا بخير وسلامة وأخبرهم عن امداد تجيء اليهم وأخفى موت أبي بكر رضي الله عنه وتأمير أبي عبيدة فأتوا به الى خالد بن الوليد رضي الله عنه وأسر اليه موت أبي بكر وولاية عمر رضي الله عنهما وأخبره بما أخبر به الجند فاستحسن ذلك منه وأخذ الكتاب فجعله في كنانته وخاف ان هو أظهر ذلك يتخاذل العسكر * ثم لما هزم الله الروم وجمعوا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة آلاف دفع خالد رضي الله عنه الكتاب الى أبي عبيدة رضي الله عنه فولي أبو عبيدة ثم بعث أبو عبيدة أبا جندل رضي الله عنه بشيرا الى سيدنا عمر رضي الله عنه بالفتح على المسلمين * ولما عزل سيدنا عمر رضي الله عنه خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة خطب الناس وقال اني اعتذر اليكم من خالد بن الوليد اني نزعته وأثبت أبا عبيدة بن الجراح فقام اليه عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد بن الوليد وابن عم أم سيدنا عمر فقال والله ما عدلت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم * فقال عمر رضي الله عنه انك قريب القرابة وحديث السن غضبت لابن عمك * ومات ممن جرح بالطائف اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف الآن * وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب رضي الله عنهما ضرب لهما قبتين * وكان يصلي بين القبتين الصلاة مقصورة مدة حصار الطائف وكانت ثمانية عشر يوما أي غير يومي الدخول والخروج * وهذا هو المراد بقول فقهائنا لانه صلى الله عليه وسلم أقامها بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة * وقيل في مدة حصاره غير ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة أم سلمة وعندها أخوها عبد الله ومخنث واذا المخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل هذا عليكن وأراد المخنث بالاربع التي تقبل بهن عكنها الاربع التي في بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهي الثمانية التي تدبر بهن * أي وفي الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته بنت عمرو بن عائذ يقال له ماتع * وكان يدخل بيوته صلى الله عليه

وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان يرى انه لا يفطن لشيء من أمر النساء ولا اربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد بن الوليد ❊ ويقال لعبد الله أخي أم سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف غدا فعليك ببادية أي رضي الله عنها فانها أسلمت وبادية بالباء المثناة تحت لا بالنون بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان اذا قامت تثنت واذا جلست تبنت واذا تكلمت تغنت بين رجليها مثل الاناء المكفو ثم دفر كأنه الاقحوان فقال صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع ❊ وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد أمعنت النظر ما كنت أظن هذا الخبيث يعرف شيأ من أمر النساء وفي الاغاني أن هيتا بكسر الهاء وقيل بفتحها واسكان التحتية بعدها مثناة والهيت الاحمق المخنث قال لعبد الله بن أمية ان فتح الله عليكم الطائف فاسئل النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان فانها رداح شموع نجلاء ان تكلمت تغنت يعني من الغنة واذا قامت تثنت موردة الخد ين مخطة المتنين لفعاء الخد بن مسرولة الساقين كأنها قضيب بان ❊ وفي لفظ كأنها خوط بانة قصفت تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين فخذيها شيء مخبوء كأنه الاناء المكفو فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال لقد غلغلت النظر ياعدو الله ثم نفاه من المدينة الى الحما ❊ وقال لا يدخل على أحد من نسائكم فقيل له صلى الله عليه وسلم انه يموت جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس ❊ وقيل نفى صلى الله عليه وسلم كلا من ماتع وهيت الى الحما فشكيا الحاجة فأذن لهما ان ينزلا كل جمعة يسألان الناس ثم يرجعان الى مكانهما فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلا المدينة فأخرجهما أبو بكر رضي الله عنه ❊ فلما توفي دخلا المدينة فأخرجهما عمر رضي الله عنه فلما مات دخلا وغيلان أبو بادية هو الذي أسلم وعنده عشر نسوة فأمره صلى الله عليه وسلم أن يمسك أربعا ويفارق سائرهن واختلف الفقهاء في ذلك فقال فقهاء الحجاز يختار أربعا وقال فقهاء العراق يمسك التي تزوج أولا ثم الذي تليها الى الاربع واحتج فقهاء الحجاز بترك الاستفصال ❊ وغيلان هذا لما وفد على كسرى قال له أي ولدك أحب اليك فقال الغائب حتى يقدم والمريض حتى يعافى والصغير حتى يكبر ❊ وكان المخنثون في زمانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة هيت وماتع وهدم ❊ وقيل لهم ذلك لانه كان في كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا انهم يأتون الفاحشة الكبرى ❊ ويحتمل ان يكون كل من ماتع وهيت كان معه صلى الله عليه وسلم في ذلك الغزو وقد سمع منهما ما تقدم عنهما ويدل لهذا الاحتمال أنه نفاهما

* وفي النهاية أن القائل لعبد الله ما تقدم هو هيت و يحتمل ان الذي كان معه صلى الله عليه وسلم أحدهما وتكرر منه ذكر ما تقدم وتسميته باسم الآخر خلط من بعض الرواة فليتأمل وقال أقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه * فنادى من يبارز فلم يطلع اليه احد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا انتهى ونصب عليهم المنجنيق * أي ورمى به كما في كلام غير واحد من أئمتنا وهو أول منجنيق رمي به في الاسلام * أي أرشده اليه سلمان الفارسي رضي الله عنه * قال انا كنا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا * أي ويقال ان سلمان رضي الله عنه هو الذي عمله بيده وفيه أنه تقدم في خيبر أنه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه آلة حرب ودبابات ومنجنيقات الا أن يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذي بالطائف لانه يجوز أن يكون الذي وجدوه في خيبر لم يكن معهم في الطائف * وتقدم في خيبر أنه صلى الله عليه وسلم لما حاصر الوطيح وسلالم أربعة عشر يوما ولم يخرج أحد منهم هم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم المنجنيق وتقدم عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على حصن البراء وقد قدمنا أن ذلك لا يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا في غزوة الطائف أي كما أشرنا اليه * وأول من صنع المنجنيق ابليس فان نمروذ لعنهما الله لما أراد أن يلقي ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار بنى الى جنب الجبل جدارا طوله ستون ذراعا ولما ألقوا الحطب وجعلوا فيه النار ووصلت النار الى رأس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم ابليس لعنه الله في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه في تلك النار * وأول من رمى به في الجاهلية خزيمة الابرش وهو أول من أوقد الشمع ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة وزحفوا بها الى جدار الحصن ليحرقوه * وفي الامتاع دخلوا تحت دبابتين وكانا من جلود البقر فأرسلت اليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجال أي والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم تاء التأنيث وهي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون الى الاسوار لينقبوها * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم أي ونخيلهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله والرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أدعها لله وللرحم * ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد

نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر ❊ أى وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ❊ ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة أى وكان عبد الحارث ابن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع لهم كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ❊ قال واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن فى أن يأتى ثقيف فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل فى حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ❊ أى زاد بعضهم ولا تعطوا بأيديكم ولا تتكاثرن أى لا يشق عليكم قطع هذا الشجر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك انتهى ❊ ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف أى فان خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون قالت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن ❊ وقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال لم يؤذن لنا فى قتالهم فقال رضى الله عنه كيف نقيل فى قوم لم يأذن الله فيهم ❊ وفى لفظ أن خولة قالت يا رسول الله أعطنى ان فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان أو حلى الفارعة بنت عقيل وكانتا من أخلاء نساء ثقيف فقال لها صلى الله عليه وسلم وان كان لم يؤذن لنا فى ثقيف يا خولة فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا قال أوذن بالرحيل قال بلى ❊ واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس أى وهو نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له يا رسول الله ثعلب فى جحران أقمت أخذته وان تركته لم يضرك ❊ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعدوا على القتال فغدوا فأصابت الناس جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أى تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا أن رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما رحلوا واستقلوا قال قولوا آيبون تائبون لربنا حامدون * وقيل يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ولعل صاحب الهمزية يشير الى ذلك بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين حلما وعلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

* أى آذاه صلى الله عليه وسلم قومه من قريش وغيرهم فأرخى جفنه حياء وصاحب عدم الانتقام شأنه ارخاء الجفن وسع علمه علوم العالمين من الانس والجن والملك ووسع حلمه كل من صدر منه نقص فهو بسبب ذلك بحر واسع لم تعيه الاحمال الثقيلة ومن جملة من جرح سيدنا عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما رماه بسهم أبو محجن وطاوله ذلك الجرح الى أن مات به فى خلافة أبيه ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان يحبها حبا شديدا مر عليه أبوه يوم جمعة وهو يلاعبها * وقد صلى الناس فقال عبد الله أوجمع الناس فسمعه أبوه فقال أشغلتك عن الصلاة لاجرم لاتبرحن حتى تطلقها فطلقها ثم تعب عبد الله بسبب طلاقها فاطلع عليه أبوه يوما فسمعه يقول أبياتا من جملتها

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير جرم تطلق

* فقال له يا عبد الله راجع عاتكة فقال لابيه قف بمكانك وكان معه غلام مملوك له فقال للغلام أنت حر لوجه الله اشهد أنى قد راجعت عاتكة فلما مات رضى الله عنه رثته بقولها فى أبيات

آليت لاتنفك عينى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أعرس بها قال على كرم الله وجهه ائذن لى أن أكلم عاتكة فقال لاغيرة عليك كلمها فقال لها على كرم الله وجهه أنت القائلة آليت

آليت لاتنفك عينى قريرة * عليك ولا ينفك جلدى أصفرا

* قالت لم أقل هكذا وبكت وعادت الى حزنها فقال له عمر رضى الله عنه يا أبا الحسن ما أردت الا افسادها على * فلما قتل عمر رضى الله عنه رثته بأبيات منها

من لنفس عادها أحزانها * ولعين شفها طول السهد

جسد لف فى أكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

ثم تزوجها الزبير رضى الله عنه فلما قتل رثته بأبيات منها تخاطب قاتله

فكانت أذلك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

* ثم خطبها سيدنا علي كرم الله وجهه فقالت له لم يبق للاسلام غيرك وأنا أنفس لك عن القتل * ومن ثم قيل في حقها من أراد الشهادة فعليه بعاتكة * وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم من ذلك * أي وبينا هو يسير ليلا بواد بقرب الطائف اذ غشي سدرة في سواد الليل وهو في وسن النوم فانفرجت السدرة له نصفين * فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نصفيها وبقيت منفرجة على حالها أي وعند انحداره صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة لقيه سراقة وهو واضع الكتاب الذي كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادي أنا سراقة وهذا كتابي فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة أدنوه فأدنوه منه وساق اليه الصدقة وسأله عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه لابله هل له في ذلك من أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم في كل ذات كبد حراء أجر * وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة أحصى السبي فكانت ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألفا وأربعة آلاف وقية فضة فأعطى صلى الله عليه وسلم للمؤلفة أي من أسلم من أهل مكة فكان أولهم أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه أعطاه أربعين أوقية ومائة من الابل وقال ابني يزيد * ويقال له يزيد الخير فأعطاه كذلك * وقال ابني معاوية فأعطاه كذلك فأخذ أبو سفيان رضي الله عنه ثلاثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة وقال بأبي أنت وأمي يارسول الله لانت كريم في الحرب وفي السلم * أي وفي لفظ لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وقد سالمتك فنعم المسالم أنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا * وأعطى حكيم بن حزام رضي الله عنه مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه اياها * أي وفي الامتاع وسأله حكيم بن حزام مائة من الابل فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه وقال له ياحكيم هذا المال خضر حلو من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه * وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى * فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ماعداها أي وقال يارسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيأ حتى أفارق الدنيا * فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيأ * ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال يامعشر المسلمين أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من الفيء فيأبى أن يأخذه * وأعطى صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى

عيينة مثله وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الابل * فقال فى ذلك شعرا أى يعاتبه صلى الله عليه وسلم حيث فضل الاقرع بن حابس وعيينة عليه أتجعل نهبى ونهب العبيد يعنى فرسه يعنى عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرء منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فأعطاه صلى الله عليه وسلم تمام المائة * أى وفى رواية أنه قال اقطعوا عنى لسانه وفى الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى وأعطه مائة من الابل هذا كلامه وحينئذ تتوقف فى قولهم فظن ناس أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يمثل به وفزع هو أيضا لذلك فأتى به الى الغنائم وقيل له خذ منها ما شئت وقال انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع لسانى بالعطاء فتكره أن يأخذ منها شيأ * فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة * وفى رواية فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة * وروى بدل فما كان حصن ولا حابس ما كان بدر ولا حابس وهو الصحيح أيضا لان بدرا جد حصن أبى أبيه فانتسب تارة الى أبيه حصن وتارة الى جد أبيه بدر فان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر * ويروى بدل مرداس شيخى بالافراد يعنى والده ويروى بالتثنية يعنى والده وجده * وفى كلام بعضهم كانت المؤلفة ثلاثة أصناف صنف يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا كصفوان بن أمية وصنف ليثبت اسلامهم كأبى سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والاقرع بن حابس * لكن فى رواية قيل يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة فقال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والاقرع ولكنى تألفتهما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه * وتقدم أن جعيلا هذا كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وهو الذى تصور الشيطان بصورته يوم أحد وقال ان محمدا قد مات * وجاء أنى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا نكلهم الى ايمانهم منهم فرات ابن حيان وأعطى صفوان بن أمية ما تقدم ذكره وهو جميع ما فى الشعب من غنم وابل وكان مملوأ وكان ذلك سببا لاسلامه كما تقدم * أقول فى كلام ابن الجوزى رحمه الله اعلم أن من المؤلفة قلوبهم أقواما تألفوا فى بدء الاسلام ثم تمكن الاسلام فى قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفة وانما ذكرهم العلماء فى المؤلفة اعتبارا

بداية أحوالهم وفيهم من لم يعلم منه حسن الاسلام والظاهر بقاؤه على حالة التأليف ولا يمكن أن يفرق بين من حسن اسلامه وبين من لم يحسن اسلامه لجواز أن يكون من ظننا به شرا أنه على خلاف ذلك اذ الانسان قد يتغير عن حاله ولا ينقل الينا أمره فالواجب أن يظن بكل من نقل عنه الاسلام خيرا ❊ وقد جاء عن أنس رضي الله عنه قال كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لشيء يعطاه من الدنيا فلا يمسي حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما فيها هذا كلام ابن الجوزي والعباس بن مرداس أسلم قبل الفتح بيسير وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية والله أعلم ❊ ولازال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل ما بين مائة وخمسين من الابل أي وذلك من الخمس كما سيأتي ❊ ثم أمر صلى الله عليه وسلم زيد ابن ثابت باحصاء الناس والغنائم أي ما بقي منها وهي الاربعة الاخماس الباقية بعد اعطاء من تقدم ما تقدم من الخمس وقسمها عليهم أي بعد أن اجتمعوا اليه وصاروا يقولون يا رسول الله اقسم علينا حتى ألجاه صلى الله عليه وسلم الى شجرة فاختطفت ردائي فقال ردائي أيها الناس والله ان كان لي فيه شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعيره فأخذ وبرة من سنامه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله مالي من فيئكم أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة فجاء شخص من الانصار بكبة من خيوط شعر وقال يا رسول الله أخذت هذه الكبة اعمل بها برذعة بعير لي دبر فقال أما نصيبي منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها وألقاها ❊ ويروى أن عقيلا كان دفع لامرأته ابرة أخذها من الغنيمة أي فانها قالت له اني قد علمت أنك قد قاتلت فماذا أصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شيأ فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع وأخذها منها وألقاها في الغنائم ❊ وفي كلام السهيلي ان أبا جهم ابن حذيفة العدوي كان على الانفال يوم حنين ❊ فجاء خالد بن البرصاء وأخذ من الانفال زمام شعر فمانعه أبو جهم فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال اقدني منه فقال خذ خمسمائة ودعه فقال أقدني منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا أقدك من وال عليك فقومت المائة وخمسين بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنا جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة ولما قسم ما بقي خص كل رجل أربعا من الابل

وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ ثنتي عشرة بعيرا وعشرين ومائة شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم الا لفرس واحد * ومن ثم لم يعط الزبير رضي الله عنه الا لفرس واحد وكان معه أفراس * وبه أخذ امامنا الشافعي رضي الله عنه فقال لا يعطى الا لفرس واحد * وقال بعض المنافقين قيل وهو معتب هذه القسمة ما عدل فيها ولا أريد بها وجه الله فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه الشريف أي حتى صار كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شيء أحمر يدبغ به الجلد * وفي رواية غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا واحمر وجهه * وقال من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى عليه السلام لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر انتهى * ولعل من ذلك أن قارون وكان ابن خالة موسى عليه السلام أو ابن عمه حمله البغي والشره على أن أحضر امرأة بغيا وجعل لها جعلا على أن ترمي موسى بنفسها وأحضر بني اسرائيل وأعلمهم بذلك ودعا موسى عليه السلام وقال ان قومك اجتمعوا فاخرج اليهم لتأمرهم وتنهاهم فخرج عليه السلام اليهم وقال لهم يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى غير محصن جلدناه مائة جلدة ومن زنى وهو محصن رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل زعموا أنك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فأتت فقال موسى يا فلانة أنشدك بالذي أنزل التوراة أصدق قارون فقالت أما اذا نشدتني فاني أشهد أنك بريء وانك رسول الله وان قارون جعل لي جعلا على أن أرميك بنفسي وجاءت بخريطتين فيهما دراهم عليهما ختمه وقالت للملأ ان قارون أعطاني هاتين وهذا ختمه وأعوذ بالله ان افترى على الله فنظر القوم الى ختمه فعلموا صدقها فخر موسى ساجدا فأوحى الله اليه أن ارفع رأسك فاني أمرت الارض ان تطيعك فخسف به فهو يتجلجل في الارض يخسف به في كل يوم مقدار قامة الى يوم القيمة * ولعل من ذلك أيضا ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام ان طائفة تزعم ان الله لا يكلمك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا فأوحى الله لموسى عليه السلام أن اختار سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل أنت وهارون واستخلف يوشع ففعل فلما سمعوا كلامه سبحانه سألوه أن يريهم الله جهرة ولعل من ذلك نسبته الى أنه قتل أخاه هارون عليهما السلام كما تقدم * أي وقيل ان قائل هذه القسمة ما عدل فيها ذو الخويصرة التميمي وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فكيف رأيت

* قال لم أرك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر رضي الله عنه ألا نقتله * قيل وقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه الا أضرب عنقه * قال الامام النووي رحمه الله ولا تعارض لان كل واحد منهما استأذن فيه أي في مسلم فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال يارسول الله ألا أضرب عنقه قال لا ثم أدبر فقام اليه خالد رضي الله عنه فقال يارسول الله الا أضرب عنقه قال لا لعله أن يكون يصلي قال خالد رضي الله عنه وكم مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أومر ان أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم * وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي كرم الله وجهه وهو باليمن بذهبة في تربتها أي لم تخلص من ترابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير فغضبت قريش فقالوا اعطى صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انما فعلت ذلك لا تألفهم فجاء رجل فقال اتق الله يامحمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله ان عصيته يأمنني على أهل الارض ولا تأمنوني وفي رواية الا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء فجاء رجل فقال ماتقدم فقال له ويلك أولست أحق أهل الارض ان يتقي الله * ولعل هذه القسمة غير قسمة غنائم حنين وان الرجل الذي قال لما ذكر يحتمل أن يكون واحدا منهما أو من شيعة ذلك الرجل الذي قال له في أحدهما * وذكر بعضهم ان ذا الخويصرة أصل الخوارج وأنه صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية * وفي رواية قال عمر رضي الله عنه يارسول دعني فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس اني أقتل أصحابي ان هذا وأصحابه أي جماعة يخرجون من صلبه فهو أصل الخوارج يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم * وفي لفظ تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا التلاوة الفم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود أي قتلا مستأصلا لا مامتهم * وفي رواية اذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة * وبهذا استدل من يقول بجواز قتل الخوارج وقد قاتلهم علي كرم الله وجهه * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج أهم كفار فقال من الكفر فروا فقيل أمنافقون فقال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل ماهم فقال أصابتهم فتنة

فتمرادهم والم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل وحينئذ يكون المراد بالدين في وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويبعده روايته بدل الايمان الاسلام وكان مصداق ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان داخل بصرة خرج منه حرقوص المعروف بذي الثدية * وهو أول من نوع من الخوارج بالامانة والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بالخروج على مرتكبها وتخليده في النار ويحكمون بأن دار الاسلام تصير بظهورالكبائر فيها دار كفر ولا يصلون جماعة * وسبب مقاتلة سيدنا علي كرم الله وجهه لهم انهم انفردوا عليه التحكيم الذي وقع بينه وبين معاوية في صفين وقالوا لا حكم الا لله وانت كفرت حيث حكمت الحكمين فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع اليك وان تكن الاخرى فانا نابذناك على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين فلما آيس من رجوعهم اليه قاتلهم * وحرقوص هذا أول مارق من الدين وكان رجلا أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض ولما قاتلهم علي كرم الله وجهه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فأتي به فاذا هو له ثدي كثدي المرأة * وفي رواية التمسوه في القتلى فلم يجدوه فقام علي كرم الله وجهه بنفسه فطاف في القتلى فأخرجوه من بينهم فكبر علي كرم الله وجهه ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض * فقام اليه عبيدة السلماني فقال يا أمير المؤمنين آلله الذي لا اله الا هو أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي والله الذي لا اله الا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء وجدوا في أنفسهم أي غضبوا حتى كثرت منهم القالة أي وهي القول الرديء أي حتى * قال بعضهم ان هذا لهو العجب يعطي قريشا * وفي لفظ الانصار والمهاجرين ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم * أي وفي لفظ ان هذا لهو العجب ان سيوفنا تقطر من دماء قريش وان غنائمنا ترد عليهم * وفي رواية اذا كانت شديدة فندعى اليها ويعطى الغنيمة غيرنا * وفي رواية سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم فان كان من أمر الله صبرنا وان كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

استعتبناه فدخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان هذا
الحي من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم أي غضبوا لما صنعت في هذا الفيء
الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما ولم يكن في هذا الحي
من الانصار منها شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد فقال يا رسول الله ما أنا الا من
قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة أي وهي قبة من أدم * أي وفي كلام
بعضهم ان الحظيرة الزريبة التي تجعل للابل والغنم من الشجر لتقيها من البرد والريح
ولعل هذا باعتبار الاصل فلا مخالفة * فلما اجتمعوا له أتى سعد اليه صلى الله عليه
وسلم فقال اجتمع لك هذا الحي من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أي فقال لهم أفيكم أحد من غيركم قالوا لا الا ابن أخت لنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابن أخت القوم منهم * وفي رواية قال من كان ههنا من غير الانصار
فليرجع الى رحله * وذكر بعضهم أن سبب ايراد ابن أخت القوم منهم أنه صلى الله
عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه اجمع لي من ههنا من قريش فجمعهم له ثم قال
تخرج اليهم أم يدخلون قال أخرج فخرج صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر
قريش هل فيكم من غيركم قالوا لا الا ابن أختنا فذكره ثم قال يا معشر قريش
ان أولى الناس بي المتقون فانظروا لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا
تحملونها فأصد عنكم بوجهي انتهى فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر
الانصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم والمقالة كما علمت
الكلام الرديء والجدة التعتب والمعروف انه الموجدة ومن ثم قال بعضهم الجدة
في المال والموجدة في الغضب ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله
واعداء فألف بين قلوبكم أي * وفي لفظ وكنتم متفرقين فجمعكم وفي لفظ يا معشر
الانصار ألم يمن الله عليكم بالايمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الاسماء
أنصار الله وأنصار رسوله قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل * ثم قال صلى الله عليه
وسلم ألا تجيبوني يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المنة
والفضل * أي وفي لفظ قالوا يا رسول الله وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك الى
النور ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا
الله بك فرضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فافعل ما شئت فأنت يا رسول
الله في حل قال أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا
فنصرناك وطريدا فآويناك أوى أي ان كان متعديا كما هنا فالافصح المد وان كان
قاصرا فالافصح القصر * قال تعالى وآويناهما الى ربوة وقال تعالى اذ أوى الفتية

الى الكوف * فقال الانصار المن لله ولرسوله والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ماحديث بلغني عنكم فسكتوا فقال ماحديث بلغني عنكم * فقال فقهاء الانصار اما رؤساؤنا فلم يقولوا شيأ واما ناس منا حديثة اسنانهم قالوا يغفر الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم * أى وفى رواية ما الذى بلغنى عنكم قالوا هو الذى بلغك لانهم لا يكذبون * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى رجالا حديثى عهد بجاهلية ومصيبة وانى أردت أن أجبرهم وأتألفهم أوجدتم يا معشر الانصار فى أنفسكم فى لماعة بضم اللام وغينين معجمتين أى شىء قليل من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا * أى ليحسن اسلامهم ويسلم غيرهم تبعا لهم ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لا يزلزل الا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت رجلا من الانصار أى لا تنسبت الى المدينة ولو سلك الناس شعبا أى بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بين جبلين وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار * اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وفى لفظ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا أى وقوله صلى الله عليه وسلم ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى ليس من المن المذموم فى قوله صلى الله عليه وسلم آفة السماحة المن بل هو من التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار ألا تجيبون الى آخره فليتأمل * أى وقد جاء فى مدح الانصار وأبناء الانصار ولازواج الانصار ولذرارى الانصار الانصار كرشى وعيبتى وان الناس يكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم * وفى لفظ آخر اللهم صل على الانصار وعلى ذرية الانصار وعلى ذرية ذرية الانصار * وقال للانصار أنتم شعار والناس دثار أى والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار الثوب الذى يكون فوق ذلك الثوب فهم ألصق به وأقرب اليه صلى الله عليه وسلم من غيرهم وقال الانصار حبهم ايمان وبغضهم نفاق اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء أبناء الانصار ولنساء الانصار ولنساء أبناء الانصار ولنساء أبناء أبناء الانصار * وفى لفظ اللهم اغفر للانصار ولذرارى الانصار ولذرارى ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال لا تؤذوا الانصار فمن آذاهم فقد آذانى ومن نصرهم فقد نصرنى ومن أحبهم فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى * ومن بغى عليهم فقد بغى على ومن وفى لهم

حاجة كنت في حاجته يوم القيامة أسرع ان الله اختار دارهم لاعزاز دينه واختارهم لنبيه أنصارا * وقال صلى الله عليه وسلم حب الانصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق * وقال في الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقال لهم اللهم أنتم أحب الناس الى قالها ثلاثا قال وقال حسان رضي الله عنه في مدح الانصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

انتهى * أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك * فعن عمرو بن تغلب أنه صلى الله عليه وسلم سبي فأعطى قوما ومنع قوما وقال انا لنعطي قوما نخشى هلعهم وجزعهم ونكل قوما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو ابن تغلب فكان عمرو رضي الله عنه يقول ما يسرني ان لي بها حمر النعم * ولما أسرت أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الشيماء بشين معجمة ومثناة تحتية ساكنة وميم ممدودة * ويقال الشماء بغير ياء واختلف في اسمها صارت تقول والله اني أخت صاحبكم ولا يصدقوها * فأخذها طائفة من الانصار حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد اني أختك قال وما علامة ذلك الحديث ثم قال لها ارجعي الى الجعرانة تكونين مع قومك فاني أمضي الى الطائف فرجعت الى الجعرانة * فلما قدم صلى الله عليه وسلم الجعرانة جاءته فقالت يا رسول الله اني أختك أي وأنشدته أبياتا * قال وما علامة ذلك بكسر الكاف لانه خطاب لمؤنث قالت عضة عضتنيها في ظهري وفي رواية في وجهي وفي رواية في ابهامي وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة * وفي رواية قال لها ان تكوني صادقة فان بك مني أثرا لن يبلى فكشفت عن عضدها ثم قالت نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فلما تأمل * وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه أي ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما * أي وقال لها سلي تعطي واشفعي تشفعي فاستوهبته السبي أي بعد أن قال لها قومها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته قومك لرجونا أن يحسن الينا فأتته فقالت أتعرفني قال ما أنكرك فمن أنت قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك اني حملتك ذات يوم فعضضت كتفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها * ثم وهبها السبي وهم ستة آلاف فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة هي أيمن منها وخيرها على

الله عليه وسلم وقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت أمتعتك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وتردنى الى قومى فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية * وقيل بل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء * وقيل ان القادمة عليه صلى الله عليه وسلم أمه من الرضاع التى هى حليمة وتقدم الكلام على ذلك * قال بعضهم وهذا العطاء الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة من قريش انما كان من خمس الخمس الذى هو سهمه صلى الله عليه وسلم لامن أربعة أخماس الغنيمة والا لاستأذن الغانمين فى ذلك لانهم ملكوها بحوزهم لها * ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن أربعة عشر رجلا مسلمين ورأسهم زهير بن صرد وأبو برقان * وفى لفظ يكنى بأبى صرد وأبو برقان بالموحدة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أى فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة * وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك * وفى رواية قالوا يارسول الله ان فيمن أصبتهم الامهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله * وقال زهير يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك لان مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة كانت من هوازن *أى وقال له أيضا ولو ملحنا أى أرضعنا للحارث بن أبى شمر أى ملك الشام أو للنعمان بن المنذر أى ملك العراق * ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين وأنشده أبياتا يستعطفه صلى الله عليه وسلم بها منها

أمنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك مملوءة من محضها الدرر

أى الدفعات من اللبن

انا لنشكر للنعماء ان كفرت

أى جحدت وفى لفظ

انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هدى البرية أن تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم أى وفى لفظ البخارى أحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال * وفى رواية وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون * أى لانه صلى الله عليه وسلم انتظرهم بعد أن قفل من

الطائف بضع عشرة ليلة ※ وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الامرين أحب اليكم أطلب لكم السبي أم الاموال ※ وانما قال صلى الله عليه وسلم لهم قد وقعت المقاسم ※ أي لانه لا يجوز للامام أن يمن على الاسرى بعد القسم وان يمن عليهم قبله كما وقع له صلى الله عليه وسلم في يهود خيبر ※ ولا يخفى ان هذا في الرجال دون الذرارى فقالوا اما كنا نعدل بالاحساب شيأ أردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم ※ أي وقال لهم فاذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا أي بعد ان قال لهم صلى الله عليه وسلم أظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم في الدين فسأسئل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد أن أثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل كذا في البخارى ※ وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال وأما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أسبيه ※ وفي رواية فمن أحب منكم أن يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي ويأخذ الفداء فعلي فداؤهم ※ ثم قال صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار رضى الله عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا ※ وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا ※ وقال العباس ابن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتموني أي أضعفتموني حيث صيرتموني منفردا ※ وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم جاؤا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده ※ ومن أبى فليرد عليهم ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ※ ولما فرق صلى الله عليه وسلم النساء نادى مناديه ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة ※ وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال أصبنا سبايا يوم حنين فكنا نلتمس فداءهن فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال اصنعوا ما بدا لكم وما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد * قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وكانت اليهود تزعم أن العزل الموؤدة الصغرى * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت اليهود ولو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أحد أن يصرفه * وجاء لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا * وقد جاء في الحديث ما قالت اليهود وفي مسلم وابن ماجه العزل الوأد الخفي أي لأن التحرز عن الولد بالعزل كدفنه حيا فليتأمل * وقد مر الكلام على ذلك مبسوطا والفريضة البعير الذي يؤخذ في الزكاة لأنه فرض وواجب على رب المال وإلى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

من فضلا على هوازن إذ * كان له قبل ذاك فيهم رباء

وأتى السبي فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء

فحباها برا توهمت النا * س به إنما السباء هداء

بسط المصطفى لها من رداء * أي فضل حواه ذاك الرداء

فغدت فيه وهي سيدة النسـ * ـوة والسيدات فيه إماء

* أي أعتق صلى الله عليه وسلم هوازن قبيلة أمه من الرضاعة التي هي حليمة السعدية وكانوا ستة آلاف آدمي * وإنما أعتقهم لأجل أنه صلى الله عليه وسلم كان له وهو طفل فيهم رباء بفتح الراء والمد أي تربيته فيهم ولأجل أن أخته من الرضاع أتت في ذلك السبي وتلك الأخت صغر كفرها وسباؤها قدرها الرفيع بأخوته صلى الله عليه وسلم وأعطاها براء وفعل معها معروفا * حتى وقع في وهم الحاضرين بسبب ذلك أن سباءها هداء بكسر الهاء كالعروس التي تهدى لزوجها * ومن بره صلى الله عليه وسلم أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه أي شرف لذلك الرداء شرف عظيم لا غاية له بسبب مماسته لجسده الشريف فصارت في ذلك السبي سيدة من فيه من النساء وصارت السيدات التي فيه بالنسبة إليها إماء وليتأمل الجمع بين كون أخته المذكورة هي الشافعة في السبي وقبلت شفاعتها وبين كون السائل فيهم هوازن * والأصل اقتصر على سؤال الوفد ورد جميع السبي ولم يتخلف منه أحد إلا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن أبى أن يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا إني لأحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها * ثم ردها بعد ذلك بست فرائض من الإبل * وقيل بست أخذ ذلك من ولدها بعد أن

سناومه فيها مائة من الابل * وقال له ولدها والله ماثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صباحها بواجد أي يحزن لفواتها ولا درها بناكد بالنون أي غزير وهو من الاضداد * وقيل قائل ذلك له زهير * وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون زهير هو ولدها فقال عيينة خذها لا بارك الله لك فيها * قال وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم دعا على من أبى أن يرد من السبي أن يبخس أي يكسد فان ولدها دفع له فيها مائة من الابل فأبى ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالمائة فقال لا أدفع الا خمسين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة * وفي رواية الا بستة فقال له ما تقدم * ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسى السبي قبطية قبطية فقال لا والله ماذاك لها عندي فما فارقها حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف وهي ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط وهم أهل مصر وضم القاف من التغيير في النسب * أي وفي كلام بعضهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياب المعقد فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا * قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصيري بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبي أمية وكلمه الوفد في ذلك فقالوا يارسول الله أولئك ساداتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجر السهمان في مال مالك بن عوف وقال صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ما فعل مالك قالوا يارسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أنه ان أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل * فلما بلغ مالكا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه وأن ماله وأهله موفور وما وعده به نزل من الحصن مستخفيا خوفا أن تحبسه ثقيف اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى أتى الدهناء محلا معروفا ركب راحلته ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة وأسلم ورد عليه أهله وماله واستعمله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من هوازن فكان لا يقدر على سرح لثقيف الا أخذه ولا رجل الا ميله * وكان رضي الله عنه يرسل بالخمس مما يغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * أي وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحل الذي هو الجعرانة * وهو المراد بقول بعضهم وهو بحنين لان المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الاعرابي جبة وهو متضمخ

بخلوق أي مصفر لحيته ورأسه وقد أحرم بعمرة فقال أفتني يا رسول الله * وفي رواية قال له كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعد ما تضمخ بطيب فسكت ساعة ثم نزل عليه الوحي فلما سري عنه قال أين السائل عن العمرة اخلع عنك الجبة واغسل عنك أثر الخلوق * وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم ما كنت تصنع في حجك قال كنت أنزع هذه الجبة وأغسل هذا الخلوق فقال صلى الله عليه وسلم اصنع في عمرتك ما كنت صانعا في حجك واستدل لذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الاحرام بما يبقى عند الاحرام والراجح عند امامنا الشافعي رضي الله عنه استحباب ذلك وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فوقف على رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لي عندك موعدا * فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاحتكم فقال احتكم ثمانين ضاينة وراعيها فقال صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التي دلته على عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت أحزم وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه الصلاة والسلام فقالت حكمي أن ترد في شابة وأدخل معك الجنة كذا ذكره الغزالي رحمه الله * قال السخاوي وهذا أخرجه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وفيه نظر كما قال العراقي * وهذا أصل في عدم اخلاف الوعد بالخير * ونقل الامام النووي رحمه الله أن جماعة ذهبوا الى وجوب الوفاء بذلك * ووجهه السبكي رحمه الله بأن اخلاف الوعد كذب والكذب حرام وترك الحرام واجب * وذكر الغزالي رحمه الله أن اخلاف الوعد لا يكون كذبا الا اذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء * أي ويدل لذلك ما جاء عن عبد الله بن ربيعة * قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه تمرا قال لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وأحرم صلى الله عليه وسلم من الجعرانة * ودخل مكة ليلا حتى استلم الحجر * ثم رجع من ليلته وأصبح بها كبائت * وفي لفظ أصبح بمكة كبائت وفيه نظر ولم يسق هديا في هذه العمرة * وحلق رأسه وكان الحالق لرأسه الشريف أبا هند الحجام وقيل أبو خراش بن أمية الذي حلق رأسه صلى الله عليه وسلم في الحديبية وأتى بأعمال العمرة بعد أن أقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا

* (غزوة تبوك) *

بعدم الصرف للعلمية والتأنيث ووقع في البخاري صرفها نظرا للموضع * أي ويقال

لهاغزوة العسرة ويقال لها الفاضحة لانها أظهرت حال كثير من المنافقين في شهر رجب سنة تسع أي بلا خلاف * ووقع في البخاري أنها كانت بعد حجة الوداع قيل وهو غلط من النساخ بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأنهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء المحل المعروف * أي وذكر بعضهم أن سبب ذلك أن متنصرة العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذي قد خرج يدعي النبوة هلك وأصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا * أي ولم يكن لذلك حقيقة * أي وانما ذلك شيء قيل لمن بلغ ذلك المسلمين ليرجف به * وكان ذلك في عسرة في الناس وجدب في البلاد أي وشدة من نحو الحر وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم * أي وكونه عند طيب الثمار * يؤيد قول عروة بن الزبير أن خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك كان في زمن الخريف * ولا ينافي ذلك وجود الحر في ذلك الزمن لان أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعد المشقة وشدة الزمان أي وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم وأمر الناس بالجهاز * أي وبعث الى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله * أي أكد عليهم في طلب ذلك * وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها * قال فانه جهز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس * والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الاسقية * أي وفي كلام بعضهم أنه أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض * أي وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى أن طلع الفجر رافعا يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم * قال سألت ربي أن لا يدخل النار من صاهرته أو صاهرني * وجاء رضي الله عنه بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا انتهى * وفي رواية جاء بعشرة آلاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت * وما

كان منك وما هو كائن الى يوم القيامة ما بالى ما عمل بعدها * أى ولعل هذه العشرة الآلاف هى التى جهز بها العشرة الآلاف انسان وانها غير الالف التى صبها فى حجره صلى الله عليه وسلم وانفق غير عثمان أيضا من أهل الغنى * قال وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق رضى الله عنه جاء بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال النصف الثانى * وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة أوقية * أى ومن ثم قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما كانا خزانين من خزائن الله فى الارض ينفقان فى طاعة الله تعالى وجاء العباس رضى الله عنه بمال كثير وكذا طلحة رضى الله عنه وبعثت النساء رضى الله عنهن بكل ما يقدرون عليه من حليهن وتصدق عاصم بن عدى رضى الله عنه بسبعين وسقا من تمر * وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع أى سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يستحملونه أى يسألونه أن يحملهم فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه * وعند ذلك تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون أى ما يحملهم * ومن ثم قيل لهم البكاؤن * ومنهم العرباض بن سارية رضى الله عنه ولم يذكره القاضى البيضاوى فى السبعة وحمل العباس رضى الله عنه منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضى الله عنه بعد الجيش الذى جهزه ثلاثة * أى وحمل يامين بن عمرو النضرى اثنين دفع لهما ناضحا له وزود كل واحد منهما صاعين من تمر وعدهم مغلطاى ثمانية عشر وفى البخارى عن أبى موسى الاشعرى * قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم فقلت يا نبى الله ان أصحابى أرسلونى اليك لتحملهم فقال والله لا أحملكم على شئ * وفى رواية والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فرجعت حزينا الى أصحابى من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم وجد فى نفسه حيث حلف على أن لا يحملهم قال فرجعت الى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فلم ألبث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادى أين عبد الله بن قيس فأجبته قال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك * فلما أتيته قال خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها الى أصحابك * زاد بعضهم فعند ذلك قال بعضهم لبعض أغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حلفه على يمين الحلق * وقد حلف أن لا يحملنا ثم حملنا والله لا يبارك لنا فى ذلك فأتوه فذكروه فقال عليه

الصلاة والسلام أنا ما حملتكم الله حملكم فقال انى لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير أى فهو صلى الله عليه وسلم انما حلف أن لا يتكلف لهؤلاء حملا بقرض ونحوه ما دام لا يجد لهم حملا فلا حنث وفيه ان هذا لا يناسب قوله انى لا أحلف الى آخره وأجيب بأن هذا استثناء قاعدة لا تدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم حنث فى يمينه بل خرج الكلام على تقدير كأنه قال لو حلفت فى يمين حيث كان الحنث خيرا أو كفرت عنها لكان ذلك شرعا واستبدالا بها ويؤيده أنه لم ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن اليمين وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله وقد يقال ان حمل العباس رضى الله عنه لاثنين منهم الى آخره ۞ كان قبل وجود هذه الابعرة الستة أو يدعى ان هؤلاء غير من تقدم ۞ فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا ۞ أى وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وقيل بزيادة الفين وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصارى على ما هو المشهور ۞ قال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو أثبت عندنا ۞ وقيل سباع بن عرفطة أى وقيل ابن أم مكتوم وقيل على بن أبى طالب قال ابن عبد البر وهو الاثبت هذا كلامه وفى كلام ابن اسحاق وخلف عليا كرم الله وجهه على أهله وأمره بالاقامة فيهم وتخلف عنه عبد الله بن أبى بن سلول ومن كان من المنافقين بعد ان خرج بهم وعسكر عبد الله بن أبى على ثنية الوداع ۞ أى أسفل منها الآن عسكره صلى الله عليه وسلم كان على ثنية الوداع وكان عسكر عبد الله بن أبى أسفل منه ۞ قال ابن اسحاق رحمه الله وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين أى وا تعبير عن ذلك بالزعم واضح لانه يبعد أن يكون عسكر عبد الله مساويا لعسكره صلى الله عليه وسلم فضلا عن كونه أكثر منه فليتأمل وقال عند تخلفه يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد أى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال ويقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ۞ أى وقيل للروم بنو الاصفر لانهم ولد روم بن العيص بن اسحاق نبى الله عليه السلام ۞ وكان يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء بأخبار القدماء أن العيص تزوج بنت عمه اسماعيل فولدت له الروم ۞ وكان به صفرة فقيل له الاصفر وقيل الصفرة كانت بأبيه العيص ۞ ولما ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك ۞ عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابى بكر الصديق رضى الله عنه ورايته صلى الله عليه وسلم

المطلب الزبير رضي الله عنه ودفع راية الأوس لأسيد بن حضير رضي الله عنه وراية الخزرج الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية أى لبعضهم راية ولبعضهم لواء * وكان قد اجتمع جمع من المنافقين أى في بيت سويلم اليهودي * فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بني الاصفر أى رهم الروم كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنهم يعنى الصحابة غدا مقرنين في الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضرب بالسيوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لعمار بن ياسر رضي الله عنهما أدرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بل قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر قال يا رسول الله أو تأذن لى أى في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني وانى أخشى ان رأيت نساء بني الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتني الآية وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر نساء الروم فقال قوم من المنافقين ائذن لنا ولا تفتنا فأنزل الله تعالى الآية الا في الفتنة سقطوا أى التي هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه * وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال للجد بن قيس يا أبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تحتقب أى تردف خلفك من بنات الاصفر فقال ما تقدم * وعند ذلك لامه ولده عبد الله رضي الله عنه وقال له والله ما يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يا لكع فوالله لانت أشد على من محمد * وفي رواية ان الجد بن قيس لما امتنع واعتذر بما تقدم * قال النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أعنك بمالى فانزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وتقدم انه لم يبايع بيعة الرضوان وتقدم انه تاب من النفاق وحسنت توبته وانه صلى الله عليه وسلم قال لبني ساعدة من سيدكم فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال وأى داء أدوأ من البخل قالوا يا رسول الله من سيدنا قال بشر بن البراء بن معرور * وفي رواية سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح وذكر ابن عبد البر أن النفس أميل الى الاول ومات الجد بن قيس في خلافة

عثمان رضي الله عنه * وقال بعض المنافقين لبعض لاتنفروا في الحر فأنزل الله تعالى قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون أي يعلمون * وجاء المعذرون أي وهم الضعفاء والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا * وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله * قال السهيلي وأهل التفسير يقولون ان آخر براءة نزل قبل أولها وان أول مانزل منها انفروا خفافا وثقالا * قيل معناه شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل أصحاب شغل وغير ذي شغل * وقيل ركبانا ورجالة ثم نزل أولها في نبذ كل ذي عهد الى صاحبه كما تقدم * وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لايتهم في اسلامه * ولما خلف صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه أرجف به المنافقون وقالوا ماخلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك أخذ علي كرم الله وجهه سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يانبي الله زعم المنافقون أنك ماخلفتني الا استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى ياعلي أن تكون بمنزلة هارون من موسى الا أنه لانبي بعدي أي فان موسى عليه السلام حين توجه الى ميقات ربه استخلف هارون عليه السلام في قومه فرجع علي الى المدينة * وعن علي كرم الله وجهه * قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وخلف جعفرا في أهله فقال جعفر والله لا أتخلف عنك فخلفني فقلت يارسول الله أتخلفني الى شئ وتقول قريش أليس يقولون ماأسرع ماخذل ابن عمه وجلس عنه وأخرى أبتغي الفضل من الله لاني سمعت الله يقول ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار الآية فقال أما قولك أن تقول قريش ماأسرع ماخذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا اني ساحر واني كاهن واني كذاب * وأما قولك تبتغي الفضل من الله فلك بي اسوة أي حيث تخلفت عن بعض مواطن القتال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام أي ولم يتخلف عنه علي كرم الله وجهه في مشهد من المشاهد الا في هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة ان هذا من النص التفصيلي على خلافة علي كرم الله وجهه قالوا لان جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي كرم الله وجهه من النبي صلى الله عليه وسلم والا لما صح الاستثناء أي استثناء النبوة بقوله الا أنه لانبي بعدي ومما ثبت لهارون من موسى استحقاقه للخلافة عنه

لو عاش بعده أى دون النبوة * ورد بأن هذا الحديث غير صحيح كما قاله الآمدى وعلى تسليم صحته بل صحته أى الثابتة لانه فى الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وكل من الرافضة والشيعة لا يراه حجة فى الامامة وعلى تسليم أنه حجة فلا عموم له بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث ان عليا كرم الله وجهه خليفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أهله خاصة مدة غيبته بتبوك كما ان هارون كان خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة فعلى تسليم أنه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص غير حجة فى الباقى أو حجة ضعيفة * وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرار أخرى غير على فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة * وصار بعد مسيره صلى الله عليه وسلم يتخلف عنه الرجل فيقال تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه * وكان ممن تخلف عن مسيره معه صلى الله عليه وسلم أبو خيثمة * ولما أن سار صلى الله عليه وسلم أياما دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما وكان يوما شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لى زادا ففعلتا * ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه كما فى الكشاف * أى ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك * وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل * فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا * ودعا له بخير أى وأولى لك كلمة تهديد وتوعد * ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته * وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم أى لان البكاء يتبعه التفكر والاعتبار فكأنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتفكر فى أحوال توجب البكاء من

تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الارض وامهالهم مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه يقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك * ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيأ وأن لا يتوضؤا به للصلاة وان لا يعجن به عجين وأن لا يحاس به حيس ولا يطبخ به طعام وأن العجين الذى عجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل وان الطبيخ الذى طبخ به يلقى ولا يأكلون منه شيأ * ثم ارتحل بالناس أى لازال سائرا حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منه الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة * أى وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن أن يخرج واحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر كذلك فى طلب بعير له فاحتمله الريح حتى ألقته بجبل طىء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا الذى خنق فشفى والذى ألقته الريح بجبل طىء فارسلته طىء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة * وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر ثم أصبح الناس ولا ماء معهم أى وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده * وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم * أى قال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم فدعا أى ورفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه * قال وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وأن رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى وتجعلون رزقكم أى بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون حيث تنسبونه للانواء * وقيل له انه قال له ويحك هل بعد هذا شىء قال سحابة مارة انتهى * وفى لفظ أنهم لما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم شدة العطش قال صلى الله عليه وسلم لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم هذا بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ما هذا بحين أنواء * فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ * ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب

فطروا حتى سال كل واد فزر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يغرف بقدحه ويقول هذا نوء فلان فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الغنيمة ان محمدا يزعم أنه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا واني والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها انها في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها * أي وتقدم له صلى الله عليه وسلم نظير هذا في غزوة بني المصطلق التي هي المريسيع ولا بعد في تعدد الواقعة ويحتمل أن يكون من خلط بعض الرواة * ولما سمع بذلك بعض الصحابة جاء الى رحله فقال ان به والله لعجب في شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة قائل أخبره الله عنه وذكر المقالة فقال له بعض من في رحله هذه المقالة قالها فلان يعني شخصا في رحله أيضا قالها قبل أن تأتي بيسير فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما أشعر أي عدو الله أخرج من رحلي ولا تصحبني فيقال انه تاب * ويقال انه لم يزل متهما بشر حتى هلك * وتباطأ جمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل * أي وقبل مجيئه قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص يمشي فقال يا رسول الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر *. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم أنه يموت وحده * فقد مات رضي الله عنه بالربذة لما أخرجه عثمان رضي الله عنه اليها أي فانه بعد موت أبي بكر رضي الله عنه خرج من المدينة الى الشام فلما ولي عثمان رضي الله عنه شكاه معاوية رضي الله عنه اليه فانه كان يغلظ على معاوية في بعض أمور تقع منه فاستدعاه عثمان رضي الله عنه من الشام ثم أسكنه الربذة ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فوصاهما عند موته أن غسلاني وكفناني ثم احملاني على قارعة الطريق فأول من يمر بكم قولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات رضي الله عنه

فعلا به ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها * فقام اليهم الغلام وقال هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه * ثم حدثهم عبد الله بن مسعود خبره * أي وفي الحدائق عن أم ذر قالت لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك قلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ولابد لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقدمات في قرية واني أنا الذي أموت بالفلاة والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت * وفي رواية ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق فقالت قد ذهبت الحاج وتقطعت السبل فقال أنظري فقالت كنت أشتد الى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع اليه فأمرضه فبينما أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فألحت بثوبي فأسرعوا الي ووضعوا السياط في نحورها يستبقون الي فقالوا مالك يا أمة الله فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت أبوذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال أبشروا فانكم عصابة من المؤمنين وحدثهم الحديث وقال والله لو كان لي أولها ما يسعني كفنا ما كفنت الا فيه واني أنشدكم الله والاسلام لا يكفني منكم رجل كان أميرا ولا عريفا ولا بريدا أو نقيبا ولم يكن منهم أحد سلم من ذلك الا فتى من الانصار فقال والله لم أصب مما ذكرت شيأ أني أكفنك في ردائي هذا وثوبين معي من غزل أمي فمات فكفنه الفتى الانصاري ودفنه في النفر الذين معه * أقول يحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم * وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم عن ابن مسعود رضي الله عنه لجواز أن يكون قدومه بعد أن كفن تكفين الانصاري ولا ينافي ذلك ما تقدم من قول الراوي فلما مات فعلا أي زوجته وغلامه ذلك أي غسله وتكفينه * ولا ينافي ذلك قول الغلام لابن مسعود ومن معه أعينونا على دفنه ولا ينافي ذلك قول الراوي هنا ودفنه أي الفتى الانصاري في النفر الذين معه لان ذلك يقال اذا اشترك مع غيرهم في ذلك وأبوذر رضي الله عنه اسمه جندب * وقيل اسمه سلمة بن جنادة وكان من أوعية العلم المبرزين

في الزهد والورع والقول بالحق * وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر وكان رضي الله عنه من الاولين في الاسلام * قال ابن عبد البر كان خامس رجل أسلم فليتأمل * وقال صلى الله عليه وسلم أبو ذر في امتي شبيه عيسى ابن مريم في زهده وبعضهم يرويه من سره أن ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى أبي ذر والى وجود ما أخبر صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر من انه يموت وحده أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته فقال

وعاش أبو ذر كما قلت وحده * ومات وحيدا في بلاد بعيدة

* قال وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأسفر الناس بصلاتهم التي هي الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه لعبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد فراغه أحسنتم وأصبتم ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته انتهى أي واصل هذا الا يأتي ما تقدم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس * وقوله لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزوة حيث يصلي بالعسكر فليتأمل * أي وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر أي في مرض موته لأن المراد صلاة كاملة أو تكرر الصلاة هذا * وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فيما حكى القاضي عياض رحمه الله أنه لا يجوز لاحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره * وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد سابقه وقال أئمتكم شفعاؤكم * ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل * ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت * قال وعن حذيفة رضي الله عنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الماء قلة أي ماء عين تبوك * أي وقد قال لهم صلى الله

عليه وسلم انكم لتأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي وأمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها رجلان أي من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك * وفي رواية سبق اليها أربعة من المنافقين ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير * وفي رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها صلى الله عليه وسلم لهم فجاشت بالماء والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

فيوما بوقع النبل جئت بشربهم * ويوما بوقع الوبل جدت بسقيتي

* وحينئذ أي وحين اذ ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك يسقط الاعتراض بأن وقع النبل لم يكن بتبوك * وانما كان بالحديبية على أن الذي بالحديبية انما هو غرز سهم واحد لا سهام فليتأمل * ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا ملئ جنانا أي بساتين * وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا * خضرة نضرة وقبل قدومه تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كادت الشمس قيد رمح * أي وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه قال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر * وفي رواية أن بلالا رضي الله عنه قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك * أي وفي لفظ أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك * وقال صلى الله عليه وسلم للصديق ان الشيطان صار يهدئ بلالا للنوم كما يهدئ الصبي حتى ينام * ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر به النبي الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وتقدم في خيبر أي في غزوة وادي القرى فانها كانت عند منصرفه من خيبر الخلاف في أي غزوة كان * وسار صلى الله عليه وسلم مسرعا بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك * وفي منصرفه من تبوك قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة

وهو على راحلته فدعمته فقال من هذا قلت أبو قتادة يا رسول الله خفت أن تسقط
فدعمتك فقال حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها فدعمته
فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك في التعريس فقلت ما شئت يا رسول الله ✽ فقال انظر
من خلفك فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفي رواية قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته
فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى إذا كان من
آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأولتين حتى كاد يسقط فأتيته فدعمته
فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال
هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله كما حفظت نبيه ✽ وهذا تقدم في منصرفه
في خيبر ✽ ولا مانع من التعدد ويحتمل أن هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتأمل
✽ ثم قال صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم
قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة ✽ وفي رواية خمسة برسول الله صلى
الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ✽ ثم قال احفظوا
علينا صلاتنا وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره
فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت
معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شيء ✽ وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لي
احفظ علينا ميضأتك ✽ وفي رواية ازدهر بها يا أبا قتادة فسيكون لها نبأ الحديث
وفي رواية ما أيقظنا إلا حر الشمس فقلنا إنا لله فاتنا الصبح فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من ماء الإداوة التي هي الميضأة ففضل
فضل فقال يا أبا قتادة احتفظ بما في الإداوة واحتفظ بالركوة فإن لهما شأنا فصلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس ✽ وفي لفظ أن عمر رضي
الله عنه هو الذي أيقظ النبي صلى الله عليه وسلم بالتكبير ✽ أقول ظاهر هذه
الرواية أنهم صلوا بمحلهم ولم يتحولوا ✽ وفي رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا
عن مكانكم الذي أصابتكم فيه غفلة ✽ وفي لفظ ارتحلوا فإن هذا منزل حضرنا
فيه الشيطان ✽ وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال كنا في سفر
مع النبي صلى الله عليه وسلم وإنا أسرينا حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة
أحلى عند المسافر منها فما أيقظنا إلا حر الشمس وكان صلى الله عليه وسلم إذا نام
لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لأنا لا ندري ما يحدث له صلى الله عليه وسلم في نومه

أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى كما تقدم فى غزوة بنى المصطلق * فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس أى من فوات صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فمازال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم * وفى رواية أن الصديق رضى الله عنه استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح * قال لا ضير ارتحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وهذا كما ترى فيه التصريح بأن هاتين اليقظتين وقعتا فى غزوة تبوك الاولى عند ذهابهم لها والثانية عند منصرفهم منها * وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعض الصحابة وبعد أن صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا رسول الله بتفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة حسنة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الاخرى * وفى فتح البارى اختلف فى تعيين هذا السفر ففى مسلم أنه كان فى رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة * وفى أبى داود أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا الحديث وفى مصنف عبد الرزاق ان ذلك كان بطريق تبوك * وقد اختلف العلماء هل كان ذلك أى نومهم عن صلاة الصبح مرة أو أكثر فجزم الاصيلى رحمه الله بأن القصة واحدة وتعقبه القاضى عياض رحمه الله بأن قصة أبى قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين * ومما يدل على تعدد القصة اختلاف مواطنها * وفى الطبرانى قصة شبيهة بقصة عمران وان الذى كلأ لهم الفجر ذو مخبر قال ذو مخبر فما أيقظنى الا حر الشمس فجئت أدنى القوم فأيقظته وأيقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فليتأمل وتقدم عن الامتاع * قال عطاء بن يسار ان ذلك كان فى تبوك وهذا لا يصح والآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة والله أعلم واستشكل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا * وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة * وقد قالت له أتنام قبل أن توتر قال تنام عينى ولا ينام قلبى * وأجيب عنه بأجوبة أحسنها أن القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ولا يدرك ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ومن الاجوبة أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط

* وينبغي أن يكون هذا النسيان أغلب أحواله وان كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله في ذلك ويكون قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أي غالبا ويكون هذا حاله دائما وأبدا اذا كان متوضأ لقولهم انه لا ينتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم بالنوم وفي جعله العين محلا للنوم نظر لان العين انما هي محل السنة ومحل النعاس الرأس ومحل النوم القلب * قال الحافظ السيوطي وكون القلب محلا للنوم دون العين لا يشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا تنام قلبي لانه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه * واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ارتحلوا فان هذا مكان حضرنا فيه الشيطان وفي لفظ ارتحلوا فان هذا وادبه شيطان فانه يقتضي تسلط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم لان الظاهر ان وجود الشيطان هو السبب في النوم عن الصلاة * وأجيب بأنه على تسليم ذلك فان تسليطه انما كان على من كان يحفظ الفجر بلال أو غيره ففي بعض الروايات كما تقدم إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام * ثم لحق صلى الله عليه وسلم بالجيش * وقبل لحوقه صلى الله عليه وسلم بهم قال لاصحابه ما ترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها عند زوال الشمس * وقد كادت أعناق الخيل والركاب تقع عطشا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئني بميضأتك فجاء بها وفيها شيء من ماء * وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فأفرغ ما في الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووا خيلهم وركابهم * وكان في العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس أي على ما تقدم ومن الابل خمسة عشر ألف بعير والناس ثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا والواضح إن هذه العطشة غير المتقدمة التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر * وفي كلام بعضهم أنه لما حصل للقوم العطش أرسل صلى الله عليه وسلم نفرا يقال عليا والزبير يستعرضون الطريق وأعلمهم ان بمحل وراءهم في محل كذا على ناقة معها استقاء ماء فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشتروا منها فأتوا بها مع الماء فلما بلغوا المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء * وفي رواية اذا هم بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أما

وأعلى أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت من هو رسول الله لعله الساحر * وفي رواية الذي يقال له الصابيء وخير الاشياأني لاآتيه فشدوها وأتوابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم خلوا عنها * وفي رواية قلنا لها أين الماء قالت اهاه اهاه لاما لكم بينكم وبين الماء مسيرة يوم وليلة * ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذنين لي في الماء ولتصبين ماءك كما جئت به فقالت شأنكم فقال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة هات الميضاة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضاة ماء قليلا * ثم وضع يده الشريفة فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ماتركوا معهم اناء الاملأوه ورووا ابلهم وخيلهم وبقي في الميضأة ثلثاها والميضأة هي الاداوة لانه يتوضأ منها * وفي الدلائل للبيهقي فجعل في اناء من مزادتيها ثم قال فيه ماشاء الله أن يقول زاد في رواية ثم مضمض ثم رد الماء في المزادتين وأوكأ أفواههما وأطلق الغزالي * ثم أمر الناس أن يملؤا آنيتهم وأسقيتهم ثم قال لها تعلمي والله مارزأنا من مائك شيأ ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا * والغزالي جمع عزلة والعزلة هي التي تجعل في فم القربة لينزل فيها الماء من الزاوية وهي المرادة بالمزادة * وهذا السياق يدل على أن هذه عطشة ثالثة لان الثانية وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضأة وهذه وضع يده في الميضأة بعد ان لم يجدوا في الميضأة شيأ * وفي رواية ان تلك المرأة أخبرته أنها موتمة أي لها صبيان أيتام فقال هاتوا ماعندكم فجمعنا لها من كسر وتمر وصر لها صرة * ثم قال لها اذهبي فأطعمي هذا عيالك * وفي رواية اتينا ملك وصارت تتعجب بما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا قالت حبسني أني رأيت عجبا من العجب أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا وأخذوا من القرب والمزاد والمطاهر مالا أحصي ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فلبثت شهرا عند أهلها ثم أقبلت في ثلاثين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وأسلموا * وفي مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن أدعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بكسرة

حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة * وفي رواية الا وقاه الله النار * وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية أي ولا مانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وأسقاهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر رضي الله عنهم * وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما ووضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحي فقمت فأخذت رأسه بيدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى لو تركته لسال الوادي سمنا * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيأ فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده صلى الله عليه وسلم سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده الشريفة على التمرات وقال كلوا بسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل شبعا فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليهن ثم قال كلوا بسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا العشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هي * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أستحي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك يحنة بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التأنيث بن رؤبة بالموحدة صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء تأنيث أجرب بلدة بقصر قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة وأهل ميناء وأهدى يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية أي

بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له صلى الله عليه وسلم ولاهل أيلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة ابن رؤبه وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لايحو زماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من برأو بحر * وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح صلى الله عليه وسلم أهل ميناء على ربع ثمارهم * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال رأيت ونحن بتبوك شعلة من نار فى ناحية العسكر أى ضوء شمعة كما صرح به الجلال السيوطى رحمه الله حيث أجاب من سأله هل الشمع كان موجودا قبل البعثة وهل وقد عنده صلى الله عليه وسلم بأنه كان موجودا قبل البعثة * فقد ذكر العسكرى رحمه الله فى الاوائل أن أول من أوقده خزيمة الابرش * أى وقد تقدم وهو قبل البعثة بدهر وورد فى حديث أنه أوقد النبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين * قال وقد ألفت فى المسئلة تأليفا سميته مسامرة السموع فى ضوء الشموع * قال ابن مسعود رضى الله عنه فأتبعتها أنظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات واذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه وهو يقول أدليا الى أخاكما فأدلياه اليه فلما هيأه لشقه قال اللهم قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود ياليتنى كنت صاحب الحفرة أى والبجاد بموحدة كتاب الكساء المخطط الغليظ لانه لم يكن لعبد الله المذكور الا بجاد واحد فشقه نصفين فأتزر بواحد وارتدى بالآخر * وقدم المدينة وأسلم وقرأ قرآنا كثيرا وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك خرج معه وقال يارسول الله ادع الله لى بالشهادة فقال له صلى الله عليه وسلم ائتنى بلحاء شجرة أى قشرها فأتاه بذلك فربطه صلى الله عليه وسلم على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار قال يارسول الله ليس هذا ما أردت قال انك اذا أخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد فأخذته الحمى بعد الاقامة بتبوك أياما ومات بها أى وهذا هو المشهور

* وروى عن الادرع الاسلمى وكان فى حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة أحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل ميت فقيل هذا عبد الله ذو البجادين توفى بالمدينة وفرغوا من جهازه وحملوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارفقوا به رفق الله بكم فانه كان يحب الله ورسوله * قال ابن الاثير وهذا حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه وتقدم * وعن الحافظ السيوطى رحمه الله لما ذكر انه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم الشمع عمد وقته عبد الله ذا البجادين * قال وقد دل ذلك على اباحة استعماله أى الشمع ولا يعد استعماله اسرافا مع قيام غيره من الادهان مقامه وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة * وفى سيرة الحافظ الدمياطى عشرين ليلة يصلى ركعتين ولم يجاوز تبوك ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن ذلك على تقدير صحته * قال وقد استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزتها فقال له عمر رضى الله عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله لو أمرت بالسير لم استشركم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا * وهذا تصريح بأن تبوك لم يقع بها مقاتلة ولا حصل فيها غنيمة وبه يرد ما ذكره الزمخشرى فى فضائل العشرة أنه صلى الله عليه وسلم جلس فى المسجد يقسم غنائم تبوك فدفع لكل واحد سهما ودفع لعلى كرم الله وجهه سهمين فقام زائدة بن الاكوع وقال يا رسول الله أوحى نزل من السماء أم أمر من نفسك فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله هل رأيتم فى ميمنتكم صاحب الفرس الاغر المحجل والعمامة الخضراء بها ذؤابتان مرخاتين على كتفيه بيده حربة قد حمل بها على الميمنة فأزالها فقالوا نعم قال هو جبريل عليه السلام وانه أمرنى أن أدفع سهمه لعلى فقال زائدة حبذا سهم سهم * وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة فيها أما بعد فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكم مخافة الله عز وجل والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ومن يصبر على الرزية يعوضه الله استغفر الله لى ولكم وأهدى له صلى الله عليه وسلم بعض أهل الكتاب جبنة فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل * ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيا

فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيه * فلما أتاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان
وفلان فقال أولم أنههم ان يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم
ثم نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل فصار يصب في يده ماشاء الله
أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء
أن يدعو به فانخرق من الماء وكان له حس كحس الصواعق فشرب الناس
واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقي منكم
أحد لتسمعن بهذا الوادي * وقد أخضب مابين يديه وما خلفه أي وهذا خلاف
عين تبوك الذي تقدم له صلى الله عليه وسلم فيها مايشبه هذا * وقوله لمعاذ يامعاذ
يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماههنا ملئ جنانا الى آخره لان تلك العين كانت
بتبوك وهذا عند منصرفه من تبوك * قال واجتمع رأي من كان معه صلى الله
عليه وسلم من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا * وقيل أربعة عشر وقيل خمسة
عشر رجلا على أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة التي بين
تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي فأخبر الله
تعالى رسوله بذلك * فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يسلك العقبة فلا
يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادي فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس
بطن الوادي وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا
وتلثموا وسلكوا العقبة * وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضي الله عنهما
أن يأخذ بزمام الناقة يقودها وأمر صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله
عنهما ان يسوق من خلفه * وفي الدلائل عن حذيفة قال كنت ليلة العقبة آخذا
بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقود به وعمار بن ياسر يسوقه
أو أنا أسوقه وعمار يقوده أي يتناوبا ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
في العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة
أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو
بقوم ملثمين * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين

الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم ملثمين والليلة مظلمة * وعن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه أنه كان يقول لما سقط متاع النبى صلى الله عليه وسلم وأردت جمعه نور لى فى أصابعى الخمس فأضاءت حتى جمعت ما سقط حتى ما بقى من المتاع شئ * وفى لفظ أن حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وراحلة فلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا ليسيروا معى فى العقبة فيزحمونى فيطرحونى منها ان الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبرك بهم واكتمهم فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يارسول الله مامنعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا فان أحببت بين بأسمائهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال صلى الله عليه وسلم انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون الشهادة ثم جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الاية وأنزل الله تعالى وهموا بما لم ينالوا * ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهى سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم انتهى * أى وفى لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلكه وفى الامتاع ان النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صلى الى نخلة فجاء شخص فمر بينه وبين تلك النخلة بنفسه * وفى رواية وهو على حمار فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله أثره فصار مقعدا * وكان يقال لحذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوحى اليه وراحلته باركة فقامت تجر زمامها فلقيتها فأخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنختها ثم جلست عندها * حتى قام النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته بها فقال من هذا قلت حذيفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى مسر اليك سرا فلا تذكرنه انى نهيت ان أصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين * فلما توفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته اذا مات الرجل ممن يظن به أنه من أولئك أخذ بيد حذيفة رضي الله عنه فقاده الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر رضي الله عنه وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه * وقال صلى الله عليه وسلم عند انصرافه ان بالمدينة لاقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان محل بينه وبين المدينة ساعة من نهار * أي وقال البكري أظن أن الراء سقطت من بين الهمزة والواو أى أروان منسوب الى البئر المشهورة * وحين نزل صلى الله عليه وسلم أتاه خبر مسجد الضرار فأنزل الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية أى لاضرار أهل قباء أى فان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نصلى في مربط حمار لام رأة أى لانه كان لامرأة تربط فيه حمارها ولكنا نبني مسجدا و نرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه و يصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على اخوتنا * وكان المسلمون في تلك الناحية كلهم يصلى في مسجد قباء جماعة * فلما بنى هذا المسجد فصرفن عن مسجد قباء جماعته وصلوا بذلك المسجد فكان به تفريق للمؤمنين فكانوا يجتمعون فيه و يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم و يستهزؤن به أى * و يقال ان أبا عامر الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم فاسقا هو الآمر لهم ببنائه وقال لهم ابنوا الى مسجدا واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة وأنهم لما فرغوا من بنائهم أرسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم و يصلى فيه كما صلى في مسجد قباء فهم أن يأتيهم فأنزل الله تعالى الآية * وفي رواية أتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة قال اني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله تعالى لاتيناكم فصلينا لكم فيه * فلما قفل من الثغر وسألوه اتيان المسجد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء فأمر جماعة منهم وحشي قاتل حمزة رضي الله عنهم * وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه على أصحابه ففعل به ذلك * قال وكان ذلك بين المغرب والعشاء ووصل الهدم الى الارض وأعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن أرقم رضي الله عنه يجعله بيتا فلم يولد في ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج

منها الدخان * ولعل هذا أي جعله بيتا كان بعد أن أمر صلى الله عليه وسلم أن يتخذ محلا لالقاء الكناسة والجيفة * وفي الكشاف أن مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته أن يأذن لمجمع بن حارثة أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة أليس بامام مسجد الضرار * فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمر وافيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيأ فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بهم * ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة أسكننيها ربي تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد ولما رأى صلى الله عليه وسلم جبل أحد قال هذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتقدم ما في ذلك في غزوة أحد * وعن عائشة رضي الله عنها * ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تلقاه النساء والصبيان يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع * قال البيهقي رحمه الله وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لا أنه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك * ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه انتهى * أي وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا غزوة تبوك جهد الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك ورآهم يسوقونه فوقف صلى الله عليه وسلم في مضيق والناس يمرون فيه فنفخ في الظهر وقال اللهم احمل عليها في سبيلك فانك تحمل على القوي والضعيف والرطب واليابس في البر والبحر فما وصلنا المدينة الا وهي تنازعنا أزمتها أي وجاء أن حية عارضتهم في الطريق عظيمة الخلقة فانعزل الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الي يستمعون القرآن أي بعد له عمله نصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف * وتقدم الكلام عليه فرأى عليه من الحق حين ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده أن يسلم عليه وها هو

يقرئكم السلام فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله ❀ وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا بضعة وثمانين رجلا وتخلف عنه أيضا كعب بن مالك وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانا من الاوس ❀ فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون ❀ فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ووكل سرائرهم الى الله واستغفر لهم ❀ وأما الثلاثة فعن كعب بن مالك الخزرجي رضي الله عنه أنه قال لما جئته صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه تبسم تبسم المغضب وقال لي تعال فجئت حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك فصدقته وقلت والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ❀ وفي رواية قلت يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط علي فيه ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه أني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر ❀ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك ❀ وقال الرجلان الآخران وهما مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية وكان ممن شهد بدرا وهما من الاوس مثل قول كعب فقال لهما صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لكعب ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس فاما الرجلان فكثا في بيوتهما يبكيان ❀ وأما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف بالاسواق فلا يكلمه أحد منهم ❀ قال ولما طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار ❀ قال وبينما أمشي بسوق المدينة اذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق أي جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان أي وهو الحارث بن أبي شمر أو جبلة بن الايهم وكان الكتاب ملفوفا في قطعة من الحرير فاذا فيه أما بعد فانه بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فيممت أي قصدت به التنور فسجرته بها أي القيته فيها ❀ أي والانباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين ❀ قال حتى اذا مضت أربعون ليلة جاءني

رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا افعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها * وأرسل صلى الله عليه وسلم الى صاحبي أى وهما هلال بن أمية ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ صائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن لا يقربك قالت والله انه مابه من حركة الى شىء والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا * قال كعب فقال لى بعض أهلى * قال فى النور الظاهر ان القائل له امرأة لان النساء لم يدخلن فى النهى لان فى الحديث ونهى المسلمين وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء فدل على أن المراد الرجال قالت لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميه أن تخدمه فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريني مايقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب * ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما كان من صلاة الصبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن أى أعلم بتوبة الله علينا * فلما جاءنى الرجل الذى سمعت صوته يبشرنى أى وهو حمزة بن عمرو الاوسى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله لا أملك غيرهما يومئذ واستعرت أى من أبى قتادة رضى الله عنه ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا أى جماعة جماعة يهنونى بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة أى لانه صلى الله عليه وسلم كان آخا بينهما حين قدم المدينة * قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور * وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر فلما جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله فقلت يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك * أي وكان المبشر لهلال بن أمية أسعد بن أسد وكان المبشر لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة أو سلامة بن وقش * أي وفي البخاري عن كعب رضي الله عنه فأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة رضي الله عنها محسنة في شأني معنية في أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال اذا يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أعلم بتوبة الله علينا وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين * وقال في حق من اعتذر له صلى الله عليه وسلم سيحلفون بالله لكم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين واستشكل نزول الوحي بالقرآن في بيت أم سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة رضي الله عنها ما نزل على الوحي في فراش امرأة غيرها * وأجاب بعضهم بأنه يجوز أن يكون ما تقدم في حق عائشة كان قبل هذه القصة أو ان الذي خصت به عائشة رضي الله عنها نزول الوحي في خصوص الفراش لا في البيت * وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية * قال كانوا عشرة أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد منهم أبو لبابة * فلما مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هؤلاء قالوا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين * فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فأنزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية * فعند ذلك أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم فجاؤا بأموالهم وقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ أموالكم فأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الى قوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري وتقدم أن أبا لبابة رضي الله عنه ربط نفسه ببعض سواري المسجد في قصة بني قريظة وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه * وقد ذكره ابن اسحاق فليتأمل ذلك * ولما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك

وجد عويمر العجلاني رضي الله عنه امرأته حبلى أي وهي خولة بنت عمه قيس فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم أي في المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك ابن سحماء ابن عمه وقال وجدته على بطنها واني ما قربتها منذ أربعة أشهر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمر وقال له اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يارسول الله أقسم بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ أربعة أشهر ودعا صلى الله عليه وسلم بالمرأة التي هي خولة وقال اتق الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمر رجل غيور وانه يأتي وشريكا يطيل السهر ونتحدث فحملته الغيرة على أن قال ما قال فدعا شريكا وقال له ما تقول فقال مثل قول المرأة فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية * فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بالصلاة جامعة * فلما صلى العصر وقد نودي بذلك واجتمع الناس قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قم فقام * وقال أشهد بالله أن خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين * ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين * ثم قال في الرابعة أشهد بالله أني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين * ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين * ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالقعود * وقال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا زانية وان عويمر لمن الكاذبين * ثم قالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين * ثم قالت في الثالثة أشهد بالله اني لحبلى منه وانه لمن الكاذبين * ثم قالت في الرابعة أشهد بالله أنه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين * ثم قالت في الخامسة ان غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق صلى الله عليه وسلم بينهما أي قال له لا سبيل لك عليها * وهو دليل لامامنا الشافعي رضي الله عنه القائل ان الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن وما جاء في بعض الروايات انه طلقها ثلاثا قبل أن يأمره صلى الله عليه وسلم أي بعدم الاجتماع بها فهو محمول على أنه ظن ان التلاعن لا يحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق فقال هي طالق ثلاثا * ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم عقب ذلك لا سبيل لك عليها أي لا ملك لك عليها فلا يقع طلاقك * ثم قال صلى الله عليه وسلم ان جاء الولد على صفة كذا فعويمر صادق وان جاء على صفة كذا فعويمر كاذب فجاء على الصفة التي تصدق عويمر فكان الولد ينسب الى أمه

وفي البخاري أن عويمرا أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فكره النبي صلى الله عليه وسلم تلك المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عويمر فقال له عاصم لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابها أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره المسئلة التي لا يحتاج اليها أي التي لم تكن وقعت لا سيما ان كان فيها اهتك ستر مسلم أو مسلمة قال فعويمر رضي الله عنه لم يكن وقع له ذلك حينئذ ثم اتفق وجود ذلك له بعد فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاءه عويمر وهو وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ان تكلم جلدتموه وان قتله قتلتموه أو سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان * وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فائت بها أي وذلك بعد أن ذكر له عويمر قصته * وفي رواية قد قضي فيك وفي امرأتك فتلاعنا * وفيه أن هلال بن أمية أحد المتخلفين عن تبوك قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء * أي وكانت حاملا فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة زاد في رواية أوحد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول والا فحد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام * أي بعد أن قال صلى الله عليه وسلم اللهم افتح أي بين لنا الحكم فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم فأرسل صلى الله عليه وسلم الى المرأة فجاءت وتلاعنا * وعند الخامسة تلكأت ونكصت حتى ظن انها ترجع أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لها انها أي اللعنة موجبة أي للعذاب في الآخرة وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة * ثم قالت والله لا أفضح قومي سائر الايام وقالتها أي الخامسة أي وقال صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا فهو لهلال وان جاءت به كذا فهو لشريك فجاءت به على الوصف الذي ذكر أنه يكون لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا ما سبق من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن وجمهور العلماء على أن سبب نزول آية اللعان قصة هلال بن امية وانه أول لعان وقع في الاسلام * وذهب جمع الى أن سبب نزولها قصة عويمر

العجلانى لقوله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا * وأجيب
بان معناه ما نزل فى حق قصة هلال لان ذلك عام فى جميع الناس * قال الامام
النووى رحمه الله ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعا فلعلهما سألا فى وقتين متقاربين
* أى وقال صلى الله عليه وسلم فى كل اللهم افتح فنزلت الآية فيهما وسبق هلال
باللعان فكان أول من لاعن * وفى مسلم ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله
أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال
سعد بلى والذى أكرمك بالحق * وفى رواية كلا والذى بعثك بالحق ان كنت
لاعاجله بالسيف * وفى لفظ لضربته بالسيف من غير مصفح أى بل أضربه بحده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا الى ما يقول سيدكم وليس ذلك من
سعد رضى الله عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو اخبار عن حاله ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم انه لغيور وأنا أغير منه والله أغير منى فأخبر صلى الله عليه
وسلم عن سعد بأنه غيور وأنه صلى الله عليه وسلم أغير منه وان الله أغير منه صلى الله
عليه وسلم ومن ثم جاء فى الحديث لا أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا أحب العذر اليه من الله ومن أجل ذلك أرسل الرسل
مبشرين ومنذرين ولا أحب اليه المدح من الله * ومن أجل ذلك وعد الجنة
ليكثر سؤال العباد اياها والثناء منهم عليه * وفى تفسير الفخر الرازى رحمه الله
لا شخص أغير من الله وبه استدل على جواز اطلاق الشخص على الله تعالى
* وفى الحلية لابى نعيم رحمه الله عن حذيفة رضى الله عنه * قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أرأيت لو وجدت مع أم رومان رجلا ما كنت صانعا قال
كنت فاعلا به شرا ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عمر أرأيت لو وجدت رجلا أى مع
زوجتك ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقرأ صلى الله عليه وسلم والذين
يرمون أزواجهم الآية وفى الام لامامنا الشافعى رضى الله عنه عن سعيد بن
المسيب رضى الله عنه ان رجلا من أهل الشام وجد مع امرأته رجلا فقتله فرفع
الامر الى معاوية رضى الله عنه فاشكل على معاوية القضاء فيها فكتب معاوية
الى أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن يسأل عن ذلك على بن أبى طالب كرم
الله وجهه فاستخبر على أبا موسى عن القصة فأخبره أبو موسى أن معاوية كتب
اليه فى ذلك * فقال على كرم الله وجهه أنا أبو الحسن ان لم يأت بأربعة شهداء
قتلناه فليتأمل وفى الخصائص الكبرى ان فى غزوة تبوك اجتمع صلى الله عليه وسلم
بالياس * عن انس رضى الله عنه سمعنا صوتا يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد صلى

الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ماهذا الصوت قال أنس رضي الله عنه فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاث مائة ذراع * فلما رآني قال أنت رسول النبي صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه واقرأه السلام وقل له أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء يمشي وأنا معه حتى اذا كنت منه قريبا تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت أنا فتحدثا طويلا * فنزل عليهما من السماء شيء شبه السفرة ودعاني فأكلت معهما قليلا فاذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس * فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر الى بياض ثوبه فيها * قال الحافظ ابن كثير هذا حديث موضوع مخالف للاحاديث الصحاح من وجوه وأطال في بيان ذلك * والعجب من الحاكم كيف يستدركه على الصحيحين * وهذا مما يستدرك به على الحاكم وفي النور لم يجيء في حديث صحيح اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالياس وفي الجامع الصغير الياس أخو الخضر * وفي تفسير البغوي أربعة من الانبياء أحياء الى يوم البعث اثنان في الارض وهما الخضر والياس أي والياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة * واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام * وعن ابن اسحاق ان الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل * أي وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم أنهما أخوان لجواز أن يكونا أخوين لام * قال الحافظ ابن كثير رحمه الله لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس أن الخضر عليه الصلاة والسلام اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام ولو كان حيا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله اجتماعه به صلى الله عليه وسلم وفي الخصائص الكبرى عن أنس رضي الله عنه انه قال خرجت ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم أحمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس ضع الطهور وائت هذا فقل له ادع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه الله على ما بعثه به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به من الحق فأتيته فقلت له فقال مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كنت أحق أن آتيه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الله فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة

على سائر الامام * فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلنى من هذه الامة المرحومة المتاب عليها قال بعضهم وهذا حديث واه منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر عليه السلام نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه * قال السيوطى فى اللآلى قلت قد أخرج هذا الحديث الطبرانى فى الاوسط وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى الاصابة قد جاء من وجهين * وفى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء عليهم الصلاة والسلام الا احدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام * والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر والحقيقة الحكم بالباطن * وقد نص العلماء على ان غالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما أطلعوا عليه من بواطن الامور وحقائقها ومن ثم أنكر موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر صلى الله عليه وسلم فى قتله الغلام بقوله لقد جئت شيأ نكرا فقال له الخضر عليه السلام وما فعلته عن أمرى * ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام انى على علم من علم الله لا ينبغى لك أن تعلمه أى تعمل به لانك لست مأمورا بالعمل به وأنت على علم من علم الله لا ينبغى لى أن أعلمه أى لا ينبغى أن أعمل به لانى لست مأمورا بالعمل به * وفى تفسير أبى حيان والجمهور على ان الخضر نبى * وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت اليه أى ليعمل بها وعلم موسى عليه السلام الحكم بالظاهر أى دون الحكم بالباطن * ونبينا صلى الله عليه وسلم حكم بالظاهر فى أغلب أحواله وحكم بالباطن أى فى بعضها بدليل قتله صلى الله عليه وسلم للسارق وللمصلى لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل * وقد ذكر بعض السلف رحمه الله ان الخضر الى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وان الذين يموتون فجأة هو الذى يقتلهم فان صح ذلك فهو فى هذه الامة بطريق النيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام صار من أتباعه صلى الله عليه وسلم كما أن عيسى عليه السلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لانه من أتباعه وفيه أن عيسى عليه السلام اجتمع به صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا بيت المقدس فهو صحابى وجاء فى حديث مطعون فيه * أى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخضر والياس عليهما السلام يجتمعان فى كل عام أى فى الموسم ويحلق كل منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله * قال ابن عباس رضى الله عنهما من قالها حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات عوفى

من السرق والحرق والغرق ومن السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب وعن علي كرم الله وجهه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة الى باب الاسباط

(باب سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه)

لايخفى أن ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غزوة وماخلا عنه صلى الله عليه وسلم يقال له سرية ان كان طائفة اثنين فأكثر فان كان واحدا قيل له بعث * وربما سموا بعض السرايا غزوة كما في مؤتة حيث قالوا غزوة مؤتة وكما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في الخصائص بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل * وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر * وربما سموا الواحد سرية وهو في الاصل كثير وربما سموا الاثنين فأكثر بعثا * ومنه قول الاصل كالبخاري بعث الرجيع وظاهر كلامهم انه لا فرق في ذلك بين أن يكون ارسال ذلك لقتال أو لغير قتال كتجسس الاخبار أو لتعليمهم الشرائع كما في بئر معونة والرجيع أو للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقيه بنو فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم كما سيأتي والسرية في الاصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود اليه خرجت ليلا أو نهارا * وقيل السرية هي التي تخرج ليلا والسارية هي التي تخرج نهارا * وهي من مائة الى خمسمائة * وقيل الى أربعمائة أي وفي القاموس السرية من خمسة أنفس الى ثلاثمائة أو أربعمائة وعليه فما دون ذلك لا يقال له سرية فما زاد على الثلاث مائة أو الاربعمائة الى ثمانمائة يقال له منسر بالنون فان زاد على ذلك الى أربعة آلاف قيل له جيش أي وقيل الجيش من ألف الى أربعة آلاف فان زاد على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار أي الى اثني عشر ألفا * والبعث في الاصل الطائفة تخرج من السرية ثم تعود اليها وهو من عشرة الى أربعين يقال له خفيرة ومن أربعين الى ثلاثمائة يقال له مقنب * وما زاد على ذلك يسمى جمرة * قال بعضهم والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما هزم قوم بلغوا اثني عشر ألفا من قلة اذا صدقوا وصبروا أي فلا يرد انهزام القدر المذكور يوم حنين * قال في الاصل وكانت سراياه صلى الله عليه وسلم التي بعث بها سبعا وأربعين سرية وهو في ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب * قال الشمس الشامي والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث

لغير الزكاة تزيد على السبعين انتهى * أى وكان صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا والوليد الصبى أى مالم يقاتل كالنساء والا قتلوا * وفى رواية لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة * وهذا عند العمد فلا ينافى انه يجوز الاغارة على المشركين ليلا وان لزم على ذلك قتل الصبيان والنساء والشيوخ فقد روى الشيخان سئل صلى الله عليه وسلم عن المشركين يبيتون أى يغار عليهم ليلا فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم * وكان صلى الله عليه وسلم يقول من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ولا سمع ولا طاعة فى معصية الله وكان صلى الله عليه وسلم يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا ويقول والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ومن جملة وصيته صلى الله عليه وسلم لمن يوليه على سرية واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاثة خصال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم أدعهم الى الاسلام فان هم أبوا فاسألهم الجزية فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم * ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم للسرايا بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى رضى الله عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا

(سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فى ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الانصار وفيه نظر لانه صلى الله عليه وسلم لم يبعث من الانصار الا بعد أن غزا بهم بدرا أى وذلك فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة * وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض وهو أول لواء عقد فى الاسلام حمله أبو مرثد بفتح الميم واسكان الراء ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضى الله عنه ليعترض عير القريش جاءت من الشام تريد مكة * وفيها أبو جهل لعنه الله فى ثلثمائة رجل * وقيل فى مائة وثلاثين * فسار رضى الله عنه الى أن وصل سيف البحر أى بكسر السين المهملة واسكان المثناة تحت ثم فاء ساحله من ناحية العيص أرض من جهينة فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفا للفريقين فأطاعوه وانصرفوا ولم يقع بينهم قتال * ولما عاد حمزة رضى الله عنه الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره انه برأى بأن محمدا ناجز بينهم وانهم رأوا منه نصفة قال صلى الله عليه وسلم في مجدى انه ميمون النقيبة أى مبارك النفس مبارك الامر * وقال سعيد أو رشيد الامر أى أموره ناجحة ولم يقع له اسلام أى وفي الامتاع وقدم رهط مجدى على النبي صلى الله عليه وسلم فكساهم * (سرية عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب رضي الله عنه) * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عبيدة بن الحارث رضي الله عنه في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين * منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة رضي الله عنه ليعترض عير القريش * وكان رئيسهم أبا سفيان * وقيل عكرمة ابن أبي جهل * وقيل مكرز بن حفص في مائتي رجل فوافوا العير ببطن رابغ أى ويقال له ودان فلم يكن بينهم الا المناوشة برمي السهام أى فلم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وكان أول من رمى من المسلمين سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فكان سهمه أول سهم رمى به في الاسلام * أى كما ان سيف الزبير بن العوام رضي الله عنه أول سيف سل في الاسلام * ففي كلام ابن الجوزي أول من سل سيفا في سبيل الله الزبير بن العوام وقد ذكر أن سعدا رضي الله عنه تقدم أصحابه وتتر كنانته وكان فيها عشرون سهما فما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة أى لورميه به لصدق رميه وشدة ساعده رضي الله عنه * ثم انصرف الفريقان فان المشركين ظنوا أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو أى الذي يقال له ابن الاسود وعتبة ابن غزوان فانهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم الى المسلمين فعلم ان سرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه بعد سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه * وقيل بل هي قبلها * وكلام الاصل يشعر به ويؤيده قول ابن اسحاق كانت راية عبيدة بن الحارث فيما بلغنا أول راية عقدت في الاسلام * قال بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف ان بعث حمزة وبعث عبيدة رضي الله عنهما كان معا أى في يوم واحد في محل واحد أى وشيعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا كما في ذخائر العقبى فاشتبه الامر * فمن قائل يقول ان راية حمزة رضي الله عنه أول راية عقدت في الاسلام وان بعثه أول المبعوث * ومن قائل يقول ان راية عبيدة رضي الله عنه أول راية عقدت في الاسلام * وان بعثه أول المبعوث لكن يشكل على ذلك ان خروج حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة كما تقدم وخروج عبيدة كان على رأس ثمانية أشهر كما تقدم وعما ذكر ان بعثهما معا

الى آخره برد ما أجاب به بعضهم عن هذا الاشكال بأنه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا وتأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية أشهر لا مراقبي ذلك هذا كلامه * الا أن يقال يجوز أن يكون المراد ببعثهما معا أمرهما بالخروج وان المراد بتشييعهما جميعا ان كلا منهما وقع له التشييع منه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يقتضي أن يكون ذلك في وقت واحد تأمل * وفي هذا اطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من أهل اللغة انهما مترادفان فان وتقدم انه لم يحدث له اسم الراية الا في خيبر أي وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا الالوية * ربما يرده وفي كلام بعضهم كانت رايته صلى الله عليه وسلم سودا ولواءه أبيض كما في حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما زاد أبو هريرة رضي الله عنه مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله

(سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)

الى الخرار بفتح الخاء المعجمة وراء بن مهملتين وهي الوادي بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء الاولى * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس تسعة أشهر من الهجرة سعد بن أبي وقاص في عشرين من المهاجرين * أي وقيل ثمانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو * قال والخرار وادية وصل منه الى الجحفة وقد عهد صلى الله عليه وسلم اليه أن لا يجاوزه ليعترض عير القريش تمر بهم فخرجوا يمشون على أقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا المكان المذكور في صبح خمس فوجدوا العير قد مرت بالامس فانصرفوا راجعين الى المدينة انتهى * وقد ذكر ابن عبد البر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الاولى . * وفي السيرة الشامية الباب السادس في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الى الخرار وساق ما تقدم * وقال بعده الباب السابع في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه * روى الامام أحمد عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت جهينة فقالوا انك نزلت بين أظهرنا فاوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فأوثق لهم فأسلموا وبعثنا صلى الله عليه وسلم ولا نكون مائة * وكان ذلك في رجب أي من السنة الثانية * وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغير على حي من كنانة فأغرنا عليهم فكانوا كثيرا فلجأنا الى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره * وقال بعض آخر لا نقيم ههنا وقلت أنا في أناس معي بل نأتي عير قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير * وانطلق بعض أصحابنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبروه الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان محمرا وجهه فقال جئتم متفرقين وانما أهلك من قبلكم الفرقة لابعثن عليكم رجلا أيس بخيركم أصبركم على الجوع ＊والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش أميرا فأمره علينا لنذهب الى جهة نخلة بين مكة والطائف

＊(سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه)＊

الى بطن نخلة قال لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الاخيرة قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح وجده واقفا عند بابه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش رضى الله عنه فدفع اليه الكتاب وقال له قد استعملتك على هؤلاء النفر انتهى ＊ أى وكان قبل ذلك بعث عليهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ＊ فلما ذهب لينطلق بكى صبيانه الى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين أى فهو أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين ＊ ثم بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا ينافى ذلك قول بعضهم أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء أوان هذا أمير جميع المؤمنين وذاك أمير من معه من المؤمنين خاصة ＊ فقد جاء أن عمر رضى الله عنه كان يكتب أولا من خليفة أبى بكر فان عمر رضى الله عنه أرسل الى عامل العراق أن يبعث اليه برجلين جلدين يسألهما عن أهل العراق فبعث اليه بلبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم الطاءى فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص رضى الله عنه فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك فى هذا الاسم فأخبره الخبر وقال أنت الامير ونحن المؤمنون فأول من سماه بذلك لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم＊وقيل أول من سماه بذلك المغيرة بن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر أمير المؤمنين فقد كتب رضى الله عنه بذلك الى نيل مصر فان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر ودخل شهر بؤنة من شهور العجم دخل اليه أهل مصر وقالوا له أيها الامير اذا كان أحد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل أى ليجرى ＊ فقال لهم

عمرو رضي الله عنه أن هذا لا يكون في الاسلام وأن الاسلام يهدم ما كان قبله
فأقاموا مدة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالجلاء منها
فكتب عمرو بذلك الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه
كتابا وكتب بطاقة في داخل الكتاب وقال في الكتاب قد بعثت اليك بطاقة
في داخل الكتاب فالقها في نيل مصر فلما قدم الكتاب أخذ عمرو البطاقة
ففضها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري
من قبلك فلا تجري وان كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك
فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا
في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم * وكان أولئك النفر
ثمانية أي وقيل اثنا عشر من المهاجرين يعتقب كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن
أبي وقاص وعتبة بن غزوان وكانا يعتقبان بعيرا ومنهم واقد بن عبد الله ومنهم
عكاشة بن محصن وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الله أن لا ينظر في ذلك الكتاب
حتى يسير يومين أي قبل مكة ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحدا من
أصحابه أي على السير معه أي وقد عقد له صلى الله عليه وسلم راية * قال ابن الجوزي
أول راية عقدت في الاسلام راية عبد الله بن جحش أي بناء على أن الراية غير اللواء
وحينئذ تعارض القول بترادفهما والقول بأن اسم الراية انما وجد في خيبر * قال
ابن الجوزي رحمه الله وهو أول أمير أمر في الاسلام وفيه أنه مخالف لما سبق
الا أن يريد أول من سمي أمير المؤمنين * فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا
فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ولا تكره
أحدا من أصحابك على السير معك * أي ولفظ الكتاب بسم الله وبركاته
ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك وامض لأمري حتى تأتي بطن نخلة
فترصد عيرقريش وتعلم لنا أخبارهم * فلما قرأ الكتاب على أصحابه قالوا نحن
سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى * أي وجعل البخاري
دفعه صلى الله عليه وسلم الكتاب لعبد الله ليقرأه ويعمل بما فيه دليلا على صحة
الرواية بالمناولة وهي أن الشيخ يدفع لتلميذه كتابا ويأذن له أن يحدث عنه بما
فيه وممن قال بصحة المناولة سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه * روى اسماعيل
ابن صالح عنه أنه أخرج لهم كتبا مشدودة وقال لهم هذه كتبي صححتها ورويتها
فارووها عني فقال له اسماعيل بن صالح نقول حدثنا مالك قال نعم * وفي لفظ أن
عبد الله رضي الله عنه لما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة أي بعد أن استرجع ثم

أعلم أصحابه * وقال لهم من كان يريد الشهادة و يرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع * فأما أنا فماض الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا لم يتخلف منهم أحد حتى اذا كان بحران بفتح الموحدة و بضمها وسكون الحاء المهملة موضع أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيره ما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ومن عداهما معه حتى نزل بنخلة فمرت عير لقريش أي تحمل زبيبا وأدما أي جلودا من الطائف وأمتعة للتجارة في تلك العير عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله وأصحابه وتخوفوا منهم فأشرف عليهم عكاشة بن محصن * وكان قد حلق رأسه أي وتراءى لهم ليظنوا أنهم عمار فيطمئنوا أي وذلك بارشاد عبد الله بن جحش رضي الله عنه فانه قال لهم ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم * فلما رأوا رأسه محلوقا قالوا عمار أي هؤلاء قوم معتمرون لا بأس عليكم منهم * وكان ذلك آخر يوم من شهر رجب * أي وقيل أول يوم ويدل للأول ما جاء أن عبد الله تشاور مع أصحابه فيهم فقال بعضهم لبعض ان تركتموهم في هذه الليلة دخلوا الحرم فقد تمنعوا منكم به وان قتلتموهم في هذا اليوم تقتلوهم في الشهر الحرام * أي وكان ذلك قبل أن يحل القتال في الشهر الحرام فان تحريم القتال في الشهر الحرام كان معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام جعل الله ذلك مصلحة لأهل مكة فان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة أن يجعل الله أفئدة من الناس تهوي اليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الاشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج فيها واردين بمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحجاج وشهرا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع * وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه الآخر للاياب لان العمرة لا تكون من أقاصي بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يوما ذكره السهيلي * ولم يزل تحريم القتال في تلك الاشهر الحرم الى صدر الاسلام وذلك قبل نزول براءة فان براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم وبأن لا يحج مشرك واباحة القتال في الاشهر الحرم أي مع بقاء حرمتها فانها لم تنسخ قال تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وانما نسخ حرمة القتال فيها خلافا لما نقل عن عطاء من أن حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ ويدل للثاني

ما في الكشاف ❊ وكان ذلك اليوم أول يوم من رجب وهم يظنون أنه من جمادى الآخر فتردد القوم وهابوا الاقدام ثم شجعوا أنفسهم عليهم ثم أجمع رأيهم على قتل من قدروا على أسره أي وأخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو أول قتيل قتله المسلمون وأسروا عثمان والحكم فهما أول اسير أسره المسلمون وأفلت بفتح الهمزة باقي القوم أي وجاء الخبر لاهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب أي بناء على ما تقدم واستاق عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم العير حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول غنيمة غنمها المسلمون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام وأبى أن يستلم العير والاسيرين فسقط بالبناء للمجهول في أيديهم أي ندموا وعنفهم اخوانهم من المسلمين ❊ وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال ❊ أي وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم يا معشر الصباة قد استحللتم الشهر وقاتلتم فيه ❊ وزادوا في التشنيع والتعيير وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون القتيل عمرو والحضرمي والقاتل واقد فيه عمرت بفتح العين المهملة وكسر الميم الحرب أي حضرت الحرب ووقدت الحرب فيكان ذلك الفال عليهم لعنهم الله وضاق الامر على عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم فأنزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير أي عظيم الوزر وصد عن سبيل الله أي ومنع للناس عن دين الله وكفر به أي بالله والمسجد الحرام أي ومنع للناس عن مكة واخراج أهله منه وهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين منه أكبر عند الله أعظم وزرا والفتنة الشرك أي الذي انتم عليه أوحملكم من أسلم على الكفر بالتعذيب له أكبر من القتل لكم فيه أي صدهم لكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراجكم من مكة وأنتم أهلها وفتنة من أسلم بحيث يرتد عن الاسلام ويرجع الى الكفر أكبر من قتل من قتلتم منهم ❊ ففرج عن عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم ❊ أي وهذا كما ترى يدل على أنهم قد قطعوا بأن ذلك اليوم من رجب ويضعف ما تقدم عن الكشاف الموافق لما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أصحاب محمد كانوا يظنون أن ذلك اليوم آخر جمادى وكان أول رجب ولم يشعروا أي لان جمادى يجوز أن يكون ناقصا وفيه أنه لو كان الامر كذلك لاعتذر عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم بذلك ❊ وجاء أن المسلمين اختلفوا في ذلك اليوم من قائل

منهم هذه غرة من عدوكم وغنم رزقتموه ولا ندرى أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع اشتملتم عليه * ويذكر أنه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته ويضعفه ما تقدم فى غزوة بدر من أن أخاه طلب ثأره وكان ذلك سببا لاثارة الحرب وأن عتبة ابن ربيعة أراد أن يتحمل ديته ويتحمل جميع ما أخذ من العير وان تكف قريش عن القتال * وحينئذ تسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وطمع عبد الله وأصحابه فى حصول الاجر وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم * أى فقد أثبت لهم الجهاد فى سبيل الله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم ذلك العير وخمسه أى جعل خمسه لله وأربعة أخماسه للجيش وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسه مع غنائم بدر * وقيل ان عبد الله هو الذى خمسها أى فانه رضى الله عنه قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فأخرج خمس ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى عزله له وقسم سائرها بين أصحابه رضى الله عنهم وحينئذ يكون ما تقدم من قوله وأبى أن يتسلم العير الظاهر فى أن العير لم تقسم المراد خمس تلك العير وهو أول غنيمة خمست فى الاسلام أى قبل فرضه ثم فرض على ما صنع عبد الله رضى الله عنه ويوافق ذلك قول ابن عبد البر فى الاستيعاب وعبد الله بن جحش أول من سن الخمس من الغنيمة للنبى صلى الله عليه وسلم من قبل أن يفرض الله الخمس وأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه الآية * وانما كان قبل ذلك المرباع هذا كلامه والمرباع ربع الغنيمة وتقدم ان الفىء والغنيمة يطلق أحدهما على الآخر وفى كلام فقهائنا ان الغنيمة كانت فى صدر الاسلام له صلى الله عليه وسلم خاصة ثم نسخ ذلك بالتخميس * وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء عثمان والحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان قتلتموهما نقتل صاحبيكم فان سعدا وعتبة رضى الله عنهما لم يحضرا الوقعة بسبب التماسهما بعيرهما وقد مكثا فى طلبه أياما ثم قدما ففدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسيرين أى كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا أى وعن المقداد أراد أميرنا يعنى عبد الله بن

خش أن يقتل الحكم فقلت دعه نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا * بعث في الاصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطي

(سرية عمير بن عدى)

الخطمي الضرير الى عصماء أى بالمدينة مروان اليهودية وكانت متزوجة في بني خطمي وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الانصاري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمي وهو أول من أسلم من بني خطم الى قتل عصماء بنت مروان لانها كانت تسب الاسلام وتؤذى النبي صلى الله عليه وسلم في شعرها وتحرض عليه فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبي ترضعه فمسها بيده ونحى الصبي عن صدرها ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت ابنة مروان قال نعم فهل على في ذلك من شيء فقال لا ينتطح فيها عنزان أى الامر في قتلها هين لا يعارض فيه معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التي لم تسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد جمع غالبها في النور في هذا المحل * قال وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا البصير لا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه * قال انظروا الى هذا الاعمى الذي يسرى في طاعة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الاعمى ولكن البصير * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما قال الا رجل يكفينا هذه يعني عصماء بنت مروان فقال عمير بن عدى لها أنا فأتاها وكانت تمارة أى تبيع التمر فقال لها اعندك أجود من هذا التمر بين يديها قالت نعم فدخلت الى البيت وانكبت لتأخذ شيأ من التمر فالتفت يمينا وشمالا فلم يشعر بأحد فضرب رأسها حتى قتلها وليتأمل هذا مع ما قبله ثم ان عميرا أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته نظر اليه قال له أقتلت ابنة مروان * قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير * فلما رجع عمير الى منزل بني خطمي وجد بنيها في جماعة يدفنونها فقالوا يا عمير أنت قتلتها قال نعم فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لاضربنكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمي * وكان يخفي اسلامه من أسلم منهم لكن في رواية أنها

كانت تلقى خرق الحيض فى مسجد بنى خطمى فليتأمل ❊ وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما أهدر دم عصماء نذر عمير ان رد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة سالما ليقتلنها ❊ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة عدا عليها عمير رضى الله عنه فقتلها وفى كلام السهيلى رحمه الله ان الذى قتل عصماء بعلها ❊ ولا مخالفة لان عميرا رضى الله عنه جاز أن يكون كان بعلها قبل مرثد بن زيد وذكر فى الاستيعاب فى ترجمة عمير رضى الله عنه أنه قتل أخته لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمها ❊ أقول الظاهر انها غير عصماء لان نسب عصماء غير نسب عدى الا ان يقال انها أخته لامه وبعده ماتقدم من انه كان زوجها والله أعلم ❊ بعث وفى الاصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطى

❊ (سرية سالم بن عمير الى أبى عفك) ❊

❊ أى والعفك بفتح العين المهملة وبالفاء وبالكاف أى الحمق أى أبى الحمق اليهودى ❊ قال صلى الله عليه وسلم يوما من لى بهذا الخبيث يعنى أبا عفك أى من ينتدب الى قتله وكان شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة ❊ وكان يحرض الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبه فى شعره فقال سالم بن عمير رضى الله عنه ❊ أى وهو أحد البكائين وقد شهد بدرا على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فطلب له غرة أى غفلة ❊ فلما كانت ليلة صائفة أى شديدة الحر نام أبو عفك بفناء بيته أى خارجه فعلم بذلك سالم رضى الله عنه فأقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف فى الفراش وصاح عدو الله فتركه سالم رضى الله عنه وذهب فقام الى أبى عفك ناس من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن اسحاق قدم هذا البعث على بعث عمير

❊ (سرية عبد الله بن سلمة رضى الله عنه) ❊

الى كعب بن الاشرف الاوسى أى فان أباه أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف منهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة ❊ وكان شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطى أحبار اليهود ويصلهم ❊ فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه أحبار يهود من بنى قينقاع وبنى قريظة لاخذ صلته على عادتهم فقال ما عندكم من أمر هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قالوا هو الذى كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير فارجعوا الى أهليكم فان الحقوق فى مالى كثيرة فرجعوا عنه خائبين ❊ ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا لك

فيما أخبرناك به ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر رضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله ✱ وهذا نزل فيه قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما استودعه شخص دينارا فجحده كذا في تكملة الجلال السيوطي ✱ وفي الكشاف وفروعه انها نزلت في فنحاص بن عازوراء ✱ وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة لما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ✱ وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما مبشرين لاهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان وأسر فلان وفلان من اشراف قريش صار كعب يكذب في ذلك ويقول هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس والله ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها أي كما تقدم فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليه وينشد الاشعار ويبكي من قتل ببدر من اشراف قريش فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ثم رجع الى المدينة أي بعد ان لم يجد من يأوي رحله بمكة أي لانه لما قدم مكة وضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة وأكرمته زوجة عبد المطلب وهي عاتكة بنت أسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان وأخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته ✱ فلما بلغها هجاء حسان ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودي وأسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضي الله عنهما وصار كلما تحول عند قوم من أهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله ✱ أي ويقال انه خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على أبي سفيان فقال لهم أبو سفيان انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان أردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ✱ فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت أي وحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فخرج من مكة للمدينة ✱ فلما وصل الى المدينة وصار يشبب بنساء المسلمين أي يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن ✱ أي وقيل ان كعب بن الاشرف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود انه يدعو النبي صلى الله عليه وسلم الى الطعام فاذا حضر يفتكون به ✱ ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد أن جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يستره بجناحه حتى خرج فلما فقدوه

تفرقوا ولامانع من تعدد الاسباب * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب بن الاشرف * وفى لفظ من لنا بابن الاشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا أى وفى رواية انه يؤذى الله ورسوله * وفى أخرى فانه قد آذانا بشعره وقوى المشركين علينا أى فان أباسفيان قال لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق أنحن أم محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال أبوسفيان نحن ننحر للحجيج الكرماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث فقال كعب لعنه الله أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه فقال له صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الاوسى أنا لك به يارسول الله هو خالى لان محمد بن مسلمة ابن أخته أنا أقتله وأجمع أى عزم على ذلك هو وأربعة أى من الاوس عباد بن بشر وأبونائلة * وكان رضى الله عنه أخا لكعب بن الاشرف من الرضاعة والحارث بن عبس والحارث بن أوس ومكث محمد بن مسلمة رضى الله عنه بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب الا ما يقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر * ثم قال يارسول الله لابد لنا أن نقول أى نذكر ما نتوصل به اليه من الحيلة وحينئذ كان المناسب أن يقول لابد لنا أن نتقول أى نخترع ما نحتال به عليه قال قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فأباح صلى الله عليه وسلم لهم الكذب لانه من خدع الحرب كما تقدم وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن فتقدمهم الى كعب أبونائلة رضى الله عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا * ثم قال ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عنى * قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس أى وسألنا الصدقة ونحن لا نجد ما نأكل وسائر ما عندنا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه * فقال كعب لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الامر سيصير الى ما تقول * أى ثم قال له كعب أصدقنى ما الذى تريدون فى أمره قال خذلانه والتنحى عنه قال سرتنى ان لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل فقال أبونائلة * وقيل محمد بن مسلمة كما فى رواية صحيحة قال الحافظ ابن حجر * ويحتمل أن كلا منهما قال له انى أريد أن تبيعنى وأصحابى طعاما وترهنك ونوثق لك فقال أترهنونى أبناءكم * وفى رواية نساءكم

قال أردت أن تنفعنا نرهنك من الحلقة أي السلاح كما تقدم وقيل الدرع خاصة ما فيه وفاء وقد أردت أن آتيك بأصحابي أراد أبو نائلة رضي الله عنه أن لا ينكر كعب السلاح إذا جاء به هو وأصحابه فقال ان في الحلقة لوفاء أي وفي البخاري قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب زاد في رواية ولا نأمنك علينا وأي امرأة تمتنع منك لجمالك فإنك تعجب النساء قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق قالوا هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة أي السلاح فرجع أبو نائلة رضي الله عنه الى أصحابه فأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده متوجهين الى كعب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته أي وأمر عليهم محمد بن مسلمة وكانت تلك الليلة مقمرة فأقبلوا رضي الله عنهم حتى انتهوا الى حصن كعب فهتف به أبو نائلة رضي الله عنه وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها أي طرفها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة فقال انه أبو نائلة لو وجدني نائما لا يوقظني فقالت والله اني لأعرف في صوته الشر أي وفي البخاري فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة فاني أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم وفي مسلم كأنه صوت دم أي صوت طالب دم قال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لأجاب كذا في البخاري وفي مسلم انما هو محمد ورضيعه قيل وصوابه انما هو محمد ورضيعه أبو نائلة فقد ذكر أهل العلم أن أبا نائلة رضي الله عنه كان رضيعا لمحمد فنزل أي ينفح منه ريح الطيب فتحدث معه هو وأصحابه ساعة ثم تماشوا ثم ان أبا نائلة رضي الله عنه وضع يده على رأس كعب ثم شم يده وقال ما رأيت طيبا أعطر من هذا الطيب أي فقال وكيف وعندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب وفي لفظ وأجمل بدل أكمل وهي أشبه فقال له يا أبا سعيد ادن مني رأسك أشمه وأمسح به عيني ووجهي ثم مشوا ساعة ثم عاد أبو نائلة لوضع يده على رأسه واستمسك به وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيأ أي وقع بعضها على بعض والصق عدو الله بأبي نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن الا وعليه نار قال محمد ابن مسلمة رضي الله عنه فوضعت سيفي في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع أي ولما صاح اللعين صاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فخرجت اليهود

فأخذوا على غير طريق الصحابة ففاتوهم * قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه وأصيب الحارث بن أوس من بعض أسيافنا فى رجله ورأسه ونزف الدم فتخلف عنا أى ونادانا اقرؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام فعطفوا عليه واحتملوه * وفى رواية تخلف عن أصحابه فافتقدوه ورجعوا اليه فاحتملوه * قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا وأخبرناه بقتل عدونا وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه * قال وفى رواية أنهم حزوا رأس كعب وحملوا ذلك الرأس ثم خرجوا يشتدون فلما بلغوا بقيع الفرقد كبروا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى تلك الليلة فلما سمعوا تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف أنهم قد قتلوا عدو الله وخرج الى باب المسجد فجاؤا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على باب المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يارسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله * أى وعند ذلك أصبحت يهود مذعورين فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم صنيعه من التحريض عليه وأذيته للمسلمين فازدادوا خوفا

(سرية عبد الله بن عتيك رضى الله عنه)

لقتل أبى رافع سلام بالتخفيف بن أبى الحقيق على وزن نضير بالتصغير وبالحاء المهملة الخزرجى أى وفى البخارى أبى رافع عبد الله بن أبى الحقيق ويقال له سلام ابن أبى الحقيق كان بخيبر وكان تاجر أهل الحجاز لما قتلت الاوس أى عبد الله ابن مسلمة وأبو نائلة ومن تقدم معهما كعب بن الاشرف تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الاشرف فى العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج فذكروا أبا رافع سلام بن أبى الحقيق * أى لانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم * أى وعن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركى العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى حزب الاحزاب يوم الخندق لان الاوس والخزرج كانا يتنافسان فيما يقرب الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم لا تفعل الاوس شيئا من ذلك الا فعلت الخزرج نظيره وبالعكس ويقولون والله لا تذهبون بهذه فتيلا علينا فى الاسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أى فى أن يتكلموا بما يتوصلون به اليه من الحيلة فأذن لهم * وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وأمرهم أن لا يقتلوا وليدا ولا امرأة فخرجوا

حتى أتوا خيبر تسوروا دار أبي رافع ليلا فلم يدعوا بيتا في الدار الا أغلقوه على أهله * وكان أبو رافع في علية لها درجة أي سلم من الخشب من عل يصعد له الى تلك العلية فطلعوا في تلك الدرجة حتى قاموا على باب تلك العلية فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم قالوا أناس من العرب نلتمس الميرة * وفي لفظ لما صعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يتكلم بلسان يهود فاستفتح وقال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته وقالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا عليه أغلقوا عليهم وعليها باب الحجرة ووجدوه وهو على فراشه فادلهم عليه في الظلمة الا بياضه كأنه قبطية بيضاء فابتدروه بأسيافهم ووضع عبد الله بن أنيس رضي الله عنه سيفه في بطنه وتحامل عليه حتى أنفذه وهو يقول قطني قطني أي يكفيني يكفيني * وعند ذلك صاحت المرأة قال بعضهم * ولما صاحت المرأة جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده قال * وفي رواية أن المرأة لما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بعضنا بالسيف فسكتت فابتدرناه بأسيافنا وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيئ البصر فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثأ شديدا أي جرحت جرحا شديدا * وفي لفظ فانكسرت ساقه وفي آخر فانخلعت رجله فعصبها بعمامته والجمع بين كسر ساقه وخلع رجله واضح لان الانخلاع يكون من المفصل فقد انكسرت ساقه وانخلعت من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة أيضا * وأما قول ابن اسحاق رحمه الله فوثئت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم وفي السيرة الهشامية فوثئت يده وقيل رجله * وقد يقال لا مانع من حصولهما * قال فحملناه حتى أتينا محلا استخفينا فيه أي وذلك المحل من أفنيتهم التي يلقون فيها كناستهم * وفي لفظ أنهم كمنوا في نهر من عيونهم حتى سكن الطلب وقد يقال لا مخالفة لانهم أوقدوا النيران وتفرقوا من كل وجه يطلبونهم * أي وفي لفظ فخرج الحارث في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران حتى اذا آيسوا رجعوا الى عدو الله فاكتنفوه وهو بينهم يجود بنفسه فقال بعضنا لبعض كيف نعلم أن عدو الله مات * فقال رجل منهم أنا أذهب فانظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امرأته تنظر في وجهه وفي يدها المصباح ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي * أي وعلى الرواية الآتية أنه أكذبها ثم أقبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاظ واله يهود أي خرجت روحه فما سمعت من كلمة كانت ألذ الى نفسي منها ثم جئت وأخبرت أصحابي

واحتملنا عبد الله بن عتيك وقدمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي رواية أن ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب وقال لا أخرج الليلة حتى أعلم أني قتلته أولا فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلق يحجل الى أصحابه * وقال قد قتل الله أبا رافع فأسرعوا وليتأمل هذا مع ما قبله * وقوله أنعى هو بفتح العين قيل والصواب انعو والنعي خبر الموت والاسم الناعي ويقال له الناعية وكانت العرب اذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وسار يذكر مآثره وصنائعه * وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا منافاة بين كونه انطلق يحجل الى أصحابه وكونهم حملوه لانه يجوز أن يكون عند وقوعه وحصول ما تقدم له لم يحس بالالم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل * ومن ثم جاء في بعض الروايات فقمت أمشي ما بي قلبة أي علة مهلكة * فلما وصل الى أصحابه وعاد عليه المشي أحس بالالم فحمله أصحابه * وهذا السياق يدل على أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده وهو ما في البخاري * وفي رواية أن الذي كسرت رجله أبو قتادة لانهم لما قتلوه وخرجوا نسي أبو قتادة قوسه فرجع اليها وأخذها فأصيبت رجله فشدها بعمامته ولحق بأصحابه وكانوا يتناوبون حمله حتى قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمسحها فبرئت أي وقال لما رآنا أفلحت الوجوه قلنا أفلح وجهك يا رسول الله وأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده صلى الله عليه وسلم في قتله كل منا أدعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرأى فيه أثر الطعام * قال والثابت في الصحيح كما علمت أن عبد الله ابن عتيك هو الذي انفرد بقتله وأن عدو الله كان بحصن بأرض الحجاز ولا منافاة لان خيبر من الحجاز أي من قراه وريفه * فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم * قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ان أدخل فأقبل حتى دنى من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ناداه بذلك كما ينادي الشخص شخصا لا يعرفه وهو يظن انه من أهل الحصن ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن فلما أغلق الباب علق المفاتيح قال ثم أخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده * فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته على من داخله حتى انتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو

الصوت فضربته بالسيف فما أغنت شيئا وصاح فخرجت من البيت أي وعند ذلك قالت له امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك ثم عدت وقلت له ماهذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف فعمدت اليه فضربته أخرى فلم تغن شيئا فتواريت ثم جئته كهيئة المغيث وغيرت صوتي وإذا هو مستلق على ظهره فوضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم ثم جئت الى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلي فعصبتها بعمامتي فانطلقت الى أصحابي وقلت النجاة قد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكأني لم أشتكها قط وعادت كأحسن ما كانت انتهى * أي وهذا ما في البخاري وفيه في رواية أخرى ان ابن عتيك * قال لما وضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أي الذي صعدت فيه أريد أن أنزل فاسقطت عنه فانخلعت رجلي فعصبتها فأتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أبرح حتى أسمع الناعية * فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشي مابي قلبة فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته وفي سيرة الحافظ الدمياطي انهم مكثوا في ذلك المحل الذي استخفوا فيه يومين حتى سكن عنهم الطلب وينبغي النظر الى وجه الجمع بين ماذكر [illegible]

(سرية زيد بن حارثة)

رضي الله عنه الى القردة بفتح القاف والراء وقيل بالفاء مفتوحة * وقيل بكسرها وسكون الراء وقدمه في الاصل على الاول اسم ماء وسببها ان قريشا لما كانت وقعة بدر خافوا الطريق التي يسلكونها الى الشام من على بدر فسلكوا طريقا أخرى من جهة العراق فخرج عيرلهم فيه أموال كثيرة حذا من تلك الطريق يريدون الشام واستأجروا رجلا يدلهم على الطريق * وكان ذلك الرجل ممن هرب من أسارى بدر وفي ذلك العير من أشراف قريش أبو سفيان وصفوان بن أمية وعبد الله ابن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في مائة راكب * وهي أول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميرا فصادف تلك العير على ذلك الماء فأصاب العير وافلت القوم وأسر واد ليلهم * وقدم زيد رضي الله عنه بتلك العير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس من قيمته عشرون ألف درهم وأتى بذلك الاسير الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقيل له أن تسلم تترك أي من القتل فأسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه بعد ذلك

(سرية أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد)

وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة كما تقدم الى قطن أي وهو جبل وقيل ماء من مياه بني أسد * وسببها انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أخبره بذلك رجل من طي قدم المدينة لزيارة بنت أخيه بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة المذكور * وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار * وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم * وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل ان يتلاقى عليك جموعهم فأغذ السير أي بفتح الهمزة والغين المشددة والذال المعجمتين أي أسرع ونكب أي بفتح الكاف المخففة عدل عن سنن الطريق وسار بهم ليلا ونهارا ليسبق الاخبار فانتهى الى ماء من مياههم فأغار على سرح لهم وأسروا ثلاثة من الرعاة * وافلت سائرهم ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان أغارتا في طلب النعم والشاء والرجال فأصابوا ابلا وشاء ولم يلقوا أحدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة * قال وقيل انه أخرج صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يباح له أخذ الصفي وهو ما يختاره أو يختاره له أمير السرية قبل القسمة من الفيء أو الغنيمة من جارية أو غيرها كما تقدم وأخرج الخمس ثم قسم ما بقي بين أصحابه فأصاب كل انسان سبعة أبعرة * أي وطليحة هذا كان يعد بألف فارس قدم عليه صلى الله عليه وسلم في بعض الوفود وأسلم ثم ارتد وادعى النبوة وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ثم أسلم بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه وحسن اسلامه وحج في زمن عمر رضي الله عنه ولم يعرف لاخيه سلمة اسلام * بعث عبد الله بن أنيس الى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بكسر اللام وفتحها وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن سفيان المذكور قد جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ليقتله فقال صفه لي يا رسول الله فقال اذا رأيته هبته وفرقت أي خفت منه وذكرت الشيطان فقال عبد الله يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى انك تجد له قشعريرة

اذا رأيته فقال عبد الله فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول أى
ما أتوصل به اليه من الحيلة فأذن لى أى قال لى قل ما بدا لك أى وقال انتسب الى
خزاعة * قال عبد الله بن أنيس فسرت حتى اذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب
عرفة لقيته يمشى أى متوكئا على عصى يهد الارض ووراءه الاحابيش أى اخلاط
الناس ممن انضم اليه فعرفته بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وكان وقت
العصر فخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة يشغلنى عن الصلاة فصليت وانا امشى
نحوه أومى برأسى فلما انتهيت اليه قال لى من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت
بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال أجل انى لاجمع له فمشيت معه ساعة
وحدثته فاستحلى حديثى أى وكان فيما حدثته به أن قلت له عجبت لما أحدث محمد
من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم فقال لى انه لم يلق أحدا يشبهنى
ولا يحسن قتاله فلما انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه قال لى يا أخا خزاعة هلم
فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى اذا هدأ الناس وناموا اغتررته
فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا فى الجبل وضربت العنكبوت أى نسجت على
وجاء الطلب فلم يجدوا شيأ فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى
النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد * فلما
رآنى قال افلح الوجه قلت افلح وجهك يا رسول الله فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته
خبرى فدفع لى عصى وقال تخصر بهذه فى الجنة أى توكأ عليها فان المتخصرين
فى الجنة قليل فكانت تلك العصى عنده فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدخلوها
فى كفنه يجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا أى وفى القاموس ذو المخصرة أى
كمكنسة بكسر الميم عبد الله بن أنيس * وهذه القصة وقصة كعب بن الأشرف
ترد على الزهرى قوله لم يحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الى المدينة
قط * وحمل الى أبى بكر رضى الله عنه رأس فكره ذلك * وأول من حملت اليه
الرؤس عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وفيه أنه لما قتل الحسين وجماعة من
أهل بيته بعث ابن زياد قبحه الله برؤسهم الى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضى الله
عنهما لم يبايع بالخلافة الا بعد موت يزيد ومضى مدة خلافة ابنه معاوية رضى الله
عنه الذى خلع نفسه وهى أربعون يوما ولعل ارسال رأس الحسين ومن معه كان
قبل رأس عبد الله بن الحمق فلا ينافى قول ابن الجوزى أول رأس حمل فى الاسلام
أى من المسلمين رأس عبد الله بن أبى الحمق وذلك انه لدغ فمات فخشيت الرسل أن
تتهم فقطعوا رأسه فحملوه ثم رأيت ابن الجوزى قال قال ابن حبيب نصبا معاوية رضى

الله عنه رأس عمرو بن أبي الحمق ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين رضي الله عنه قول الزهري الى المدينة لا يخالف ما في النور تقدم في غزوة بدر كم من رأس حمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان تلك الرؤس لم تحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة على ان فيه انه لم يحمل اليه ذلك اليوم الا رأس أبي جهل على ما تقدم

* (سرية الرجيع) *

وفي الاصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة وقيل ستة عيونا الى مكة يتجسسون أخبار قريش ليأتوه بها وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى رضي الله عنه * ويقال له ابن أبي الافلح بالفاء * وقيل أمر عليهم مرثد الغنوى رضي الله عنه حليف عمه صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله عنه ومرثد بفتح الميم واسكان الراء وبالمثلثة والغنوى بغين معجمة أي وكان مرثد هذا يحمل الاسراء ليلا من مكة حتى يأتي بهم المدينة فوعد رجلا من الاسراء بمكة أن يحمله * قال فجئت به حتى انتهيت الى حائط من حيطان مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت من جملة البغايا بمكة فرأت ظلي في جانب الحائط فلما انتهت الى عرفتني قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا وأهلا هلم تبت عندنا الليلة فقلت يا عناق ان الله حرم الزنا فدلت على فخرج في أثرى ثمانية رجال فتواريت في كهف بالخندمة فجاؤا حتى وقفوا على رأسي وأعماهم الله عني فلما رجعوا رجعت لصاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى محل ففككت عنه قيده ثم جعلت أحمله حتى قدمت المدينة ثم استشرته صلى الله عليه وسلم ان أنكح عناقا فامسك عني حتى نزلت الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فدعاني صلى الله عليه وسلم فتلاها على ثم قال لي لا تتزوجها * وفي قطعة التفسير للجلال المحلي ان الآية نزلت في بغايا المشركين لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوهن وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم الآية وفيه ان عند فقهائنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الاوثان وان لم تكن بغيا ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وخبيب بن عدي وخبيب تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وقد تسكن ثم نون مفتوحة ثم تاء تأنيث مقلوب من الندثة والندث استرخاء اللحم فخرجوا رضي الله عنهم أي يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل لقيهم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد

الله بن أبي وجاءبرأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم * وقوله وهم بنو لحيان فاهتم ذكر والهم فنفروا اليهم بما يقرب من مائة رام * أى ولا يخالف مافى الصحيح قريبا من مائة رجل فاقتفوا آثارهم حين وجدوا نوى تمر أكلوه فى منزل نزلوه * أى كان منهم امرأة كانت ترعى غنما فرأت النوى فقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها أتيتم فتبعوهم الى ان وجدوهم فى المحل المذكور فلما أحسوا بهم لجؤا الى موضع من جبل هناك أى صعدوا به فأحاطوا به وقالوا لهم انزلوا ولكم العهد ان لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم رضى الله عنه اما أنا فلا أنزل على ذمة أى أمان وعهد كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما أى وستة منهم وصار عاصم يرميهم بالنبل وينشد أبياتا منها

الموت حق والحياة باطل * وكل ماقضى الاله نازل

بالمرء والمرء اليه آيل

ولا زال يرميهم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى انكسرت رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره * ونزل اليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبد الله بن طارق رضى الله عنهم فلما أمسكوهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبد الله وقال هذا أول الغدر أى ترك الوفاء بعهد الله والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى اسوة فعالجوه فأبى أن يصحبهم أى فقتلوه كما فى الصحيح * وقيل صحبهم الى ان كانوا بمر الظهران يريدون مكة انتزع عبد الله يده منهم ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه * وانطلقوا بخبيب وزيد أى ودخلوا بهما مكة فى شهر القعدة فباعوهما بأسيرين من هذيل كانا بمكة * أى وقيل بيع كل بخمسين من الابل * أى وقيل بيع خبيب بأمة سوداء فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا قيل لانه قتل الحارث يوم بدر كما فى البخارى وتعقب بأن المعروف عندهم ان قاتل الحارث يوم بدر انما هو خبيب ابن أساف الخزرجى * أى وقيل القاتل له على كرم الله وجهه وخبيب بن عدى هذا اوسى لم يشهد بدرا عند أحد من أرباب المغازى * أى وقيل فى هذا تضعيف الحديث الصحيح * ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر انه يلزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب بن عدى الحارث بن عامر ماكان لاعتناء آل الحارث بشرائه وقتله به معنى الا أن يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الانصار وابتاع زيد اصفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليقتله بأبيه فحبسوهما الى أن تنقضى الاشهر الحرم واستمر خبيب رضى الله عنه وهو محبوس موسى من بنت

الحارث وفي الصحيح من بعض بنات الحارث ليستعد بها أو يحلق بها عانته فدرج ابن لها صغير وهي غافلة عنه حتى أتى الى خبيب رضي الله عنه فأجلسه خبيب رضي الله عنه على فخذه والموسى بيده فلما رأت ابنها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضي الله عنه فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وذلك بكسر الكاف لانه خطاب المؤنث * وروى انه رضي الله عنه أخذ بيد الغلام * وقال هل أمكن الله منكم فقالت المرأة ما كان هذا ظني بك فرمى لها الموسى وقال انما كنت مازحا ما كنت لاغدر * وفي السيرة الشامية ان تلك المرأة قالت قال لي تعني خبيبا رضي الله عنه حين حضره القتل ابعثي الى بحديدة أتطهر بها للقتل * أي وقد كان رضي الله عنه قال لها اذا أرادوا قتلي فآذنيني فلما أرادوا قتله آذنته فطلب منها تلك الحديدة قالت فأعطيت غلاما من الحي الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله لما دخل عليه الغلام قلت والله أصاب الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ويكون رجل برجل * فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الى * ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام ابنها أي ويرشد اليه قول خبيب رضي الله عنه ما خافت أمك وكانت بنت الحارث تقول والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب قالت والله لقد وجدته يوما أي وقد اطلعت عليه من شق الباب يأكل قطفا من عنب في يده أي مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة وفي رواية ولا أعلم في أرض الله عنبا يؤكل أي واستدل أئمتنا بقصة خبيب هذه على أنه يستحب لمن أشرف على الموت أن يتعهد نفسه بتقليم أظفاره وأخذ شعر شاربه وإبطه وعانته * ولعل ذلك كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأقره * فلما انقضت الاشهر الحرم بانقضاء ذي الحرم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل * فلما قدم للقتل قال لهم دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين * وقال لهم والله لولا أن تحسبوا أن ما بي من جزع لزدت ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أي متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم أحدا أي الكفار * وقد قتلوا في الخندق متفرقين * قال ذكر أنهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء والصبيان والعبيد فلما انتهوا به الى التنعيم أمروا بخشبة طويلة فحفر والها فلما انتهوا بخبيب اليها وبعد صلاته الركعتين صلبوه على تلك الخشبة أي ليراه الوارد والصادر فيذهب بخبره الى الاطراف ثم قالوا له ارجع عن الاسلام نخل سبيلك وان لم ترجع لنقتلنك قال ان قتلي في سبيل الله لقليل اللهم انه ليس هنا

أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه عني السلام وبلغه ما يصنع بنا * وعن أسامة
ابن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه
فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي فسمعناه يقول وعليه السلام ورحمة الله
وبركاته * فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام يقرئني
من خبيب السلام خبيب قتلته قريش * وقد جاء أن المشركين دعوا أربعين ولدا
ممن قتل آباؤهم يوم بدر فأعطوا كل واحد رمحا وقالوا هذا الذي قتل آباءكم فطعنوه
بتلك الرماح حتى قتلوه * وكانوا ابتلك الخشبة أربعين رجلا فأرسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير رضي الله عنهما في انزال خبيب عن خشبته
* وفي لفظ قال صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له
الزبير بن العوام رضي الله عنه أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود * فجاآ
فوجدا عندها أربعين رجلا لكنهم سكارى نياما فأنزلاه وذلك بعد أربعين يوما من
صلبه وموته وحمله الزبير رضي الله عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء
فشعر بهما المشركون * أي وكانوا سبعين رجلا فتبعوهما فلما لحقوا بهما قذفه
الزبير رضي الله عنه فابتلعته الارض اه * ومن ثم قيل له بليع الارض أي وكشف
الزبير رضي الله عنه العمامة عن رأسه * وقال لهم أنا الزبير بن العوام وصاحبي
المقداد بن الاسود أسدان رابضان يذبان عن شبليهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم
نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا عنهما وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وكان عنده صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال له جبريل يا محمد
ان الملائكة تباهي بهذين الرجلين من أصحابك ونزل فيهما ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله الآية * وتقدم أنه قيل انها نزلت في علي كرم الله وجهه
لما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه الى الغار * وقيل انها نزلت في حق
صهيب لما أراد الهجرة ومنعه منها قريش فجعل لهم ثلث ماله أو كله كما تقدم
* ورأيت بعضهم هنا قال انها نزلت في صهيب رضي الله عنه لما أخذه المشركون
ليعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أو من غيركم فهل لكم أن
تأخذوا مالي وتدعوني وديني ففعلوا * وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أن عمرو بن
أمية هو الذي أنزل خبيبا بعد رضي الله عنه قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت
فيها فحللته فوقع الى الارض ثم التفت فلم أر خبيبا ابتلعته الارض وهذا هو الموافق
لما في السيرة الشامية وأن ذلك كان حين أرسله صلى الله عليه وسلم والانصار
لقتل أبي سفيان بن حرب كما سيأتي ان شاء الله تعالى * أي وكان خبيب

رضي الله عنه تحرك على الخشبة فانقلب وجهه عن القبلة أي الكعبة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ودعا عليهم خبيب رضي الله عنه فقال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فالقى أبو سفيان بنفسه الى الارض على جنبه خوفا من دعوة خبيب رضي الله عنه لانهم كانوا يقولون ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زال عنه أي لم تصبه تلك الدعوة * وقد ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن عامر رضي الله عنه على بعض أجناد الشام فقيل له انه مصاب يلحقه غشي فاستدعاه فلما قدم عليه وجد معه مزودا وعكازا وقدحا فقال له عمر رضي الله عنه ليس معك الا ما أرى فقال له وما أكثر من هذا يا أمير المؤمنين مزودي أضع فيه زادي وعكازي أحمل به ذلك وقدحي آكل فيه * فقال له عمر رضي الله عنه أبك لمم فقال لا فقال فما غشية بلغني أنها تصيبك فقال والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط الا غشي على فزاده ذلك عند عمر رضي الله عنه خيرا وعظم فقال له من يقدر على ذلك فقال أنت يا أمير المؤمنين انما هو أن يقال فنطاع فقال له عمر رضي الله عنه ارجع الى عملك فأبى وناشده الا أعفاه فأعفاه * وكان خبيب رضي الله عنه هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة أي لانه صلى الله عليه وسلم بلغه ذلك عنه فاستحسنه فكان سنة * أي وهذا يدل على أن واقعة زيد بن حارثة رضي الله عنهما متأخرة عن قصة خبيب رضي الله عنه لكن في النور والمعروف أن زيد بن حارثة صلاهما قبل خبيب بزمن طويل وفي الينبوع أن قصة زيد بن حارثة رضي الله عنهما كانت قبل الهجرة * أي وكان ابن سيرين رحمه الله اذا سئل عن الركعتين قبل القتل * قال صلاهما خبيب رضي الله عنه وحجر وهما فاضلان ويعني بحجر حجر بن عدي رضي الله عنه فان زيادا والي العراق من قبل معاوية رضي الله عنه وشى به الى معاوية فأمر معاوية باحضاره * فلما قدم على معاوية قال له السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية رضي الله عنه أو أمير المؤمنين انا اضربوا عنقه * فلما قدم للقتل قال دعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين * ثم قال رضي الله عنه لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لاطلتهما * ثم قتل هو وخمسة من أصحابه * ولما حج معاوية رضي الله عنه وجاء المدينة زائرا

استأذن على عائشة رضي الله عنها فأذنت له فلما قعد قالت له أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال انما قتلهم من شهد عليهم * وقصة زيد بن حارثة رضي الله عنهما رواها الليث بن سعد قال بلغني أن زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف فمال به ذلك الرجل الى خربة وقال له انزل فنزل زيد رضي الله عنه فاذا في الخربة المذكورة قتلى كثيرة * فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين أي لانه رأى أن الصلاة خير ما ختم به عمل العبد * قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيأ * وهذا يدل على أن القتلى كلهم كانوا مسلمين * قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين * قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه فلم ير شيأ فرجع الي فناديت يا أرحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لي لما دعوت الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك * أقول وقد وقع مثل ذلك لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى أبا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الآفاق وكان ناسكا ورعا فخرج مرة في بعض أسفاره فلقيه لص مقنعا في السلاح فقال له ضع ما معك فاني قاتلك فقال ما تريد من دمي شأنك والمال فقال أما المال فلي ولست أريد الا دمك فقال ذرني أصلي أربع ركعات فقال صل ما شئت فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ثم دعا في آخر سجدة فقال يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما تريد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني وكرر ذلك ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة وضعها من أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه الفارس فقتله * ثم أقبل الى أبي معلق فقال قم فقال من أنت بأبي أنت وأمي فلقد أغاثني الله بك اليوم قال أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني قتله * قال أنس رضي الله عنه من فعل ذلك أستجيب له مكروبا كان أو غير مكروب أي وقد وقع نظير هذه المسألة أي من حيث اقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو أنهم كانوا يأتون الصلاة قد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى الرجل كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصليهما وحده ثم يدخل مع القوم

في صلاتهم فجاء معاذ رضي الله عنه فقال لا أجده صلى الله عليه وسلم على حال أبدا الا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قام فقضى ما عليه * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد سن لكم معاذ فكذا فاصنعوا أي وكان هذا قبل قوله صلى الله عليه وسلم ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وأخرج صفوان بن أمية رضي الله عنه زيدا رضي الله عنه الى الحل مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب * فلما قدم للقتل قال له أبو سفيان رضي الله عنه أنشدك الله يا زيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني لجالس في أهلي * فقال أبو سفيان رضي الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا * ونقل مثل ذلك عن خبيب رضي الله عنه أي لما رموا السلاح في خبيب رضي الله عنه وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يؤذى بشوكة في قدمه ثم قتله ذلك المولى أي طعنه برمح في صدره حتى أنفذه من ظهره * وقيل رمى بالنبل وأرادوا فتنته عن دينه فلم يزدد الا ايمانا ولما قتل عاصم رضي الله عنه الذي هو أمير هذه السرية على ما تقدم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة ابن أبي طلحة بن عبد الدار وكلام بعضهم يقتضي انها أسلمت بعد فان عاصما هذا كما تقدم قتل يوم أحد ولديها كلاهما أشعره سهما وكل يأتي اليها بعد أصابته بالسهم ويضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان قدرت على رأسه لتشربن في قحفه الخمر وجعلت لمن يجيء برأسه مائة ناقة كما تقدم فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهي الزنابير بينهم وبين عاصم رضي الله عنه كلما اقدموا على قحفه طارت في وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسي فنأخذه فبعث الله الوادي أي سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث أراد الله فسمي حمي الدبر وبعث ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم في طلب جسده أو شيء منه يعرفونه أي ليمثلوا به لانه قتل عظيما من عظمائهم * قال الحافظ ابن حجر لعله عقبة بن أبي معيط فان عاصما قتله صبرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن انصرفوا من بدر أي كما تقدم * قال وكأن قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم أو شعروا بذلك ورجوا أن الزنابير تركته أي ولم يشعروا بأن السيل أخذه

انتهى * أى وقد كان عاصم رضى الله عنه دعا الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فى حياته وتقدم هنا أنه دعا الله أن يحمى لحمه فاستجاب الله له فلم يصل له ذلك لا فى حياته ولا بعد موته أى * وفى كلام بعضهم لما نذر عاصم أن لا يمس مشركا ووفى بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين اياه فصار عاصم معصوما هذا وقيل ان هؤلاء العشرة لم يخرجوا اليا ثوا بخبر قريش وانما خرجوا مع رهط من عضل والقاره * وهما بطنان من بنى الهون قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا فى الدين ويقرؤنا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث صلى الله عليه وسلم معهم أولئك النفر فساروا حتى اذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا فلم يشعروا الا والرجال بأيديهم السيوف فدعوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيأ من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم فأبوا الحديث * والحافظ الدمياطى رحمه الله اقتصر على هذا الثانى وأن أميرهم كان مرثد الغنوى رضى الله عنه فقال سرية مرثد الغنوى الى الرجيع قال قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما الحديث لكنه فى سياق القصة قال وأمر عليهم عاصما وقيل مرثدا رضى الله عنهما وأخر هذه السرية عن السرية بعدها التى هى سرية القراء الى بئر معونة

(سرية القراء رضى الله عنهم)

الى بئر معونة لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة أى ويقال له ملاعب الرماح وهو رأس بنى عامر أى ويقال له أيضا أبو براء بالمد لا غير وهو عم عامر بن الطفيل عدو الله أى وأهدى اليه صلى الله عليه وسلم ترسين وراحلتين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية من مشرك * وفى رواية نهيت عن عطايا المشركين * أقول وفى كلام السهيلى أنه أهدى اليه فرسا وأرسل اليه انى قد أصابنى وجع فابعث الى بشىء أتداوى به فأرسل اليه صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وأمره أن يستشفى به وقال نهيت عن زبد المشركين * قال السهيلى والزبد مشتق من الرفد لانه نهى عن مداهنتهم والملاينة لهم كان المداهنة مشتقة من الدهن فرجع المعنى الى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل أن يكون قبله وهو الاقرب والله أعلم * فلما قدم عليه أبو عامر عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه

اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام * أى وقال انى أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا
أى ولم يسلم بعد ذلك على الصحيح خلافا لمن عده فى الصحابة * ثم قال يا محمد
لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد أى وهم بنو عامر و بنو سليم فدعوتهم الى
أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى أهل
نجد عليهم * قال أبو براء أنا لهم جار وهم فى جوارى وعهدى فابعثهم فليدعوا الناس
الى أمرك وخرج أبو براء الى ناحية نجد وأخبرهم انه قد أجار أصحاب محمد فبعث
رسول الله عليه السلام المنذر بن عمرو رضى الله عنه فى أربعين * وقيل فى سبعين
وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى أى لانه الذى فى صحيح البخارى وقيل فى ثلاثين رجلا
من أصحابه من خيار المسلمين أى وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا القيل وهم وأنه يمكن
الجمع بين كونهم سبعين وكونهم أربعين بأن الاربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا
أتباعا ويقال لهؤلاء القراء أى لملازمتهم قراءة القرآن فكانوا اذا أمسوا اجتمعوا
فى ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن فيظن أهلوهم أنهم فى المسجد ويظن
أهل المسجد أنهم فى أهاليهم حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا
وجاؤا بذلك الى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وفى كلام بعضهم أنهم كانوا يحتطبون
بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما
لاصحاب الصفة * وقد يقال لا منافاة لجواز أنهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا أخرى
أو بعضهم يفعل أحد الامرين وبعضهم يفعل الآخر وكان منهم عامر بن فهيرة رضى
الله عنه وكتب صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين
ارض بنى عامر وحرة بنى سليم والحرة أرض فيها حجارة سود * فلما نزلوها بعثوا حرام
بالحاء المهملة والراء ابن ملحان وهو خال أنس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله أى وهو رأس بنى سليم * وفى لفظ
سيد بنى عامر وابن أخى أبى براء عامر بن مالك كما تقدم فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى
عدا عليه فقتله أى بعد أن قال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكم فآمنوا بالله ورسوله * فجاء اليه رجل من خلفه فطعنه بالرمح فى جنبه
حتى نفذ من جنبه الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة وقال بالدم هكذا
فنضحه على وجهه ورأسه ثم استصرخ عليهم * أى استغاث بنى عامر فأبوا أن
يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا انا لن نخفر بأبى براء اى لا نزيل خفارته وننقض
عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم * قال الحافظ
الدمياطى عصية ورعلا وذكوان زاد بعضهم وبنى لحيان * قال بعضهم وليس فى محله

* أقول كان فائدة سرى اليه ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم جمع بنى لحيان
في الدعاء عليهم مع من ذكر قبله وسيأتى أنه انما جمعهم معهم لان خبر أصحاب الرجيع
وأصحاب بئر معونة جاءه صلى الله عليه وسلم في يوم واحد ودعا بنو لحيان أصحاب
الرجيع فدعا عليهم دعاء واحدا والله أعلم * فلما دعا تلك القبائل الثلاثة التى هى
عصية ورعل وذكوان أجابوا الى ذلك * ثم خرجوا حتى أحاطوا بهم فى رحالهم فلما
رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد رضى الله عنه
فانه بقى به رمق وحمل من المعركة فعاش بعد ذلك حتى قتل يوم الخندق شهيدا والا
عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه ورجلا آخر كانا فى سرح القوم * ولما أحاطوا
بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسولك عنا السلام غيرك فأقرئه منا السلام فأخبره
جبريل عليه السلام بذلك فقال وعليهم السلام * أى وفى لفظ أنهم قالوا اللهم بلغ
عنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فلما جاء الخبر
من السماء قام صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان اخوانكم قد لقوا
المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه ورضى
عنا ربنا * وفى لفظ فرضى عنا وأرضانا انا رسولهم اليكم انهم قد رضوا عنه ورضى
عنهم * وذكر أنس رضى الله عنه أن ذلك أى قولهم المذكور كان قرآنا يتلى * ثم
نسخت تلاوته أى فصار ليس له حكم القرآن من التعبد بتلاوته وانه لا يمسه الا
الطاهر ولا يتلى فى صلاة الى غير ذلك من أحكام القرآن * ولما رأى عمرو بن أمية
والرجل الذى معه الطير تحوم على محل أصحابهما أى وكانا فى رعاية ابل القوم كما
تقدم قالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا ينظران فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل
التى أصابتهم واقفة فقال الرجل الذى مع عمرو وماذا ترى * فقال أرى أن نلحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر * فقال له لكنى ما كنت لأرغب
بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وأقبلا فلقيا القوم فقتل ذلك الرجل وأسر
عمرو فأخبرهم أنه من مضر فأخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة
كانت على أمه * فخرج عمرو حتى جاء الى ظل فجلس فيه فأقبل رجلان حتى نزلا به
معه فسألهما فأخبراه أنهما من بنى عامر * وفى لفظ من بنى سليم وكان معهما عهد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فأمهلهما حتى ناما فعدا عليهما
فقتلهما وهو يرى أى يظن أنه أصاب بهما ثأرا من بنى عامر * فلما قدم عمرو على
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر وأخبره بقتل الرجلين فقال له لقد
قتلت قتيلين لأدينهما أى لأدفعن ديتهما * ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا * ولما بلغ أبا براء أن عامر بن الطفيل ولد أخيه أزال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فعند ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل أي الذي هو ابن عمه فطعنه بالرمح فوقع في فخذه ووقع عن فرسه وقال ان أنا مت فدمي لعمي أبي براء وان أعش فسأرى رأيي أي وفي لفظ نظرت في أمري وفي الاصابة أن ربيعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة أن أضرب عامر بن الطفيل ضربة أو طعنة قال نعم فرجع ربيعة فضرب عامرا ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر ابن الطفيل اقتص فقال قد عفوت أي وعقب ذلك مات أبو براء أسفا على ماصنع به ابن أخيه عامر بن الطفيل من ازالته خفارته وعاش عامر بن الطفيل ولم يمت من هذه الطعنة بل مات بالطاعون بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في الوفود في وفد بني عامر (ه) أي وقال بعضهم قد أخطأ المستغفري في عده صحابيا ولما قتل عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه رفع الى السماء فلما رأى قاتله ذلك أسلم أي وهو جبار بن سلمى أي لا عامر بن الطفيل كما وقع في بعض الروايات كما علمت وقال صلى الله عليه وسلم أي لما بلغه قتل عامر بن فهيرة ان الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة أي في الارض أي بناء على أنه لما رفع الى السماء وضع كما في البخاري فقد جاء أن عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية رضي الله عنه وأشار الى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر ابن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى أني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي بعض الروايات أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ أي فلم يوجد فيرون أن الملائكة رفعته وظاهرها أن الملائكة لم تضعه في الارض بل رفعته أي ويؤيده أن عامر بن الطفيل لعنه الله دخل بعمرو وابن أمية رضي الله تعالى عنه في القتلى وصار يقول له ما اسم هذا ما اسم هذا ثم قال له هل من أصحابك من ليس فيهم قال نعم ما رأيت فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قال له عامر أي رجل هو فيكم قال من أفضلنا وأولى أي ومن أولى المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر لما قتل رأيته رفع الى السماء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا * أقول وفي رواية الشيخين قنت شهرا أي متتابعا يدعو على قاتلي أصحاب بئر معونة أي بعد الاعتدال في الصلوات الخمس من الركعة الاخيرة وحينئذ تكون

المراد بالصباح اليوم وليلته وذكر بعض أصحابنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء المذكور وقاس عليه رفعهما في قنوت الصبح وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في قنوت الصبح واستدل أصحابنا على استحباب القنوت للنازلة في سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلي أصحاب بئر معونة وفي بعض السير فدعا النبي صلى الله عليه وسلم شهرا عليهم في صلاة الغداة وفي لفظ يدعو في الصبح وذلك بدء القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان * وقد سئل الجلال السيوطي هل دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من قتل أصحابه كان عقب فراغه من القنوت المشهور أو كان الدعاء هو قنوته * فأجاب رحمه الله بأنه لم يقف على شيء من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعاء قال بل ظاهر الاحاديث أنه اقتصر على الدعاء أي فيكون قنوته هو الدعاء وهو الموافق لقول أصحابنا ويستحب القنوت في اعتدال آخرة صبح مطلقا وآخر سائر المكتوبات أي باقيها للنازلة وهو الامام اهدنا الخ في أن أل في القنوت للعهد والله أعلم وفي رواية أنه يدعو على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين أي بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لانه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما في وقت واحد كما تقدم وأدمج البخاري رحمه الله بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما في الزمن أي ففيه مكث صلى الله عليه وسلم يدعو على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان أي وهو يقتضي أنهما شيء واحد وليس كذلك وقد علمت أن بني لحيان قتلوا أصحاب الرجيع ومن قبلهم قتلوا أصحاب بئر معونة

(سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء)

بالقاف مفتوحة وبالطاء المهملة وهم بنو بكر بن كلاب بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الى القرطاء في ثلاثين راكبا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأمره أن يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار * قال وصادف في طريقه ركبانا نازلين فأرسل رجلا من أصحابه يسأل من هم فذهب الرجل ثم رجع اليه فقال قوم من محارب فنزل قريبا منهم ثم أمهلهم حتى عطنوا أي بركوا الابل حول الماء أغار عليهم فقتل نفرا منهم أي عشرة وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء ولم يتعرض للظعن أي النساء انتهى ثم انطلق حتى اذا كان بموضع يطلعه على بني بكر بعث عائذ بن بشير اليهم وخرج محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه في أصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاء ثم انحدر رضي الله عنه الى المدينة فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وعدل الجزور بعشرة من

الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاة وأخذت تلك السرية
ثمامة بن أثال الحنفي من بني حنيفة أي سيد أهل اليمامة وهم لا يعرفونه وجيء به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أتدرون من أخذتم هذا ثمامة
ابن أثال الحنفي فاحسنوا اساره أي قيده (ه) فربط بسارية من سواري المسجد
* قال وقيل ان هذه السرية لم تأخذه بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير
في المدينة وقد كان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند مسيلمة
وأراد اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه أن يمكنه منه وأخذ وجيء به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فربط بسارية من سواري المسجد فدخل صلى الله عليه
وسلم على أهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وأمر له صلى الله
عليه وسلم بناقة يأتيه لبنها مساء وصباحا وكان ذلك لا يقع عند ثمامة موقعا
من كفايته أي وجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ثمام هل أمكن
الله منك فقال قد كان ذلك يا محمد وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فيقول
ما عندك يا ثمامة فيقول يا محمد عندي خير ان تقتل تقتل ذا كرم وفي لفظ ذا دم وان
تعف تعف عن شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ففعل ذلك
معه ثلاثة أيام قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فجعلنا أيها المساكين أي أصحاب
الصفة نقول بيننا صلى الله عليه وسلم ما يصنع بدم ثمامة والله لأكلة جزور سمينة
من فدائه أحب الينا من دم ثمامة وفي الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم انصرف
عن ثمامة وهو يقول اللهم أكلة لحم من جزور أحب الي من دم ثمامة ثم أمر به
فأطلق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث قال اطلقوا ثمامة فقد
عفوت عنك يا ثمامة فأطلق فانطلق الى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر
ثيابه ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أي
وهذا يخالف ما ذكره فقهاؤنا من الاستدلال بقصة ثمامة على أنه يستحب لمن
أسلم أن يغتسل لاسلامه ثم رأيت بعض متأخري أصحابنا أجاب بأنه أسلم أولا ثم لما
اغتسل أظهر اسلامه وفي الاستيعاب فأسلم فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن
يغتسل كما في رواية أخرى أنه قال يا محمد والله ما كان على الارض وجه أبغض الي
من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الي والله ما كان على الارض من
دين أبغض الي من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد
أبغض الي من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الي ثم شهد شهادة الحق فلما
أمسى جيء له بما كان يأتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم يصب من حلاب

القية الاسير افتعجب المسلمون منه فقال وقال يارسول الله أني خرجت معتمرا وفى
فى الخيل فان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فامره أن يعتمر
مكة لبى فكان أول من دخل مكة ملبيا فاخذته قريش فقالوا القد اجترأت
علينا أنت صبوت يا ثمامة قال أسلمت وتبعت خير دين محمد والله لا يصل اليكم
حبة من حنطة أى من اليمامة من أرض اليمن وكانت ريفا لاهل مكة حتى يأذن
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه
فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله فخرج ثمامة الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا
الى مكة شيأ حتى أضربهم الجوع وأكلت قريش العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الابل
يشوى على النار كما تقدم فكتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع انك تأمر
بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
ثمامة رضى الله تعالى عنه أن يخلى بينهم وبين الحمل وفى لفظ خل بين قومى وبين
ميرتهم ففعل فأنزل الله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب الآية هذا والذى
فى الاستيعاب ان ثمامة لما دخل مكة وقد سمع المشركون خبره فقالوا يا ثمامة صبوت
وتركت دين آبائك قال لا أدرى ما تقولون الا انى اقسمت برب هذه البنية يعنى
الكعبة لا يصل اليكم من اليمامة شئ مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا
من آخركم وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ثم خرج رضى الله تعالى عنه
فمنع عنهم ما كان يأتى منها فلما أضر بهم ذلك كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحث عليها وان ثمامة قد قطع عنا
ميرتنا وأضربنا فان رأيت ان تكتب اليه أن يخلى بيننا وبين ميرتنا فافعل
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل بين قومى وبين ميرتهم ولما عجب
المسلمون من أكله بعد اسلامه رضى الله تعالى عنه لكونه دون أكله قبل اسلامه
قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبون من رجل أكل أول النهار فى معاء
كافر وأكل آخر النهار فى معاء مسلم أن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم
يأكل فى معاء واحد انتهى أى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك مع جهجاه
الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه أكل مع النبى وهو كافر فأكثر ثم أكل معه وقد
أسلم فأقل فقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معاء واحد والكافر
يأكل فى سبعة أمعاء ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ثم رأيت فى الجامع الصغير
ان الكافر ليشرب فى سبعة أمعاء والمسلم يشرب فى معاء واحد والمراد به يأكل

و يشرب مثل الذى يأكل و يشرب فى سبعة أمعاء وكان رضى الله تعالى عنه مقيما باليمامة ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة فى قومه على الاسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله و يقول لهم اياكم وأمرا مظلما لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه منكم

(سرية عكاشة بن محصن رضى الله عنه الى الغمر)

بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء ماء لبنى أسد الى جمع من بنى أسد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه فى أربعين رجلا منهم ثابت بن ارقم رضى الله عنه وقيل ان ثابتا رضى الله عنه هو الذى كان الامير على هذه السرية فخرج يسرع فى السير الى أن وصل الى الماء المذكور فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا فى دارهم أحدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا ويرى أثرا فأخبر أنه رأى أثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس فقال وأين الناس لقد لحقوا بعليا بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه أحدهم بسوط فى يده فقال تؤمنونى على دمى وأطلعكم على نعم لبنى عم لهم لم يعلموا بمسيركم اليهم قالوا نعم فأمنوه فانطلقوا معه فأمعن أى بالغ فى الطلب حتى خافوا أن يكون ذلك غدرا منه لهم فقالوا والله لتصدقنا أو لنضربن عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا الجبل فلما طلعوا منه وجدوا نعما رواتع فأغاروا عليهم فاستاقوها فاذا هى مائة بعير وشردت الاعراب فى كل وجه ولم يطلبوهم وانحدروا الى المدينة بتلك الابل وألحقوا الرجل الذى آمنوه والله أعلم

(سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه لذى القصة)

بفتح القاف والصاد المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر لبنى ثعلبة وبنى عوال من ثعلبة بذى القصة فورد عليهم ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة وأصحابه وأمهلوهم حتى ناموا واحدقوا بهم أى فما شعروا الا والقوم قد خالطوهم (ه) فوثب محمد بن مسلمة فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا ساعة ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضربوا كعبه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوه من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد وأصحابه رجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضى الله تعالى عنه يسترجع تحرك له فأخذه وحمله الى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدر بها الى المدينة

(سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى ذى القصة أيضا)
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه في أربعين رجلا الى من بذى القصة فانه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم يريدون ان يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأسروا رجلا واحدا وأخذوا نعما من نعمهم ورثة أى ثيابا خلقة من متاعهم وقدموا بذلك الى المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم الرجل فتركه صلى الله عليه وسلم

(سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى بني سليم)
بالجموح بفتح الجيم وهو اسم لناحية من بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فأصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال القوم فأصابوا في تلك المحلة ابلا وشاء وأسروا منها جماعة من جملتهم زوج تلك المرأة وانحدروا بذلك الى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى العيص)
وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب ليعترضوها أى وكان فيها أبو العاص بن الربيع وقدم به وبتلك العير المدينة فاستجار أبو العاص بزوجته زينب رضي الله عنها فأجارته ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر أى دخل في الصلاة هو وأصحابه فقالت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لما سلم وأقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفسي بيده ما علمت بشيء من هذا أى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته وقال قد أجرنا من أجرت * قال وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم أى وفي الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما أى أزال خفارته أى نقض جواره وعهده فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم دخلت عليه صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله تعالى عنها فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه فأجابها الى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم أى بنية أكرمي مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له أى لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين

أى كما تقدم فى الحديبية وبعث صلى الله عليه وسلم السرية فقال لهم ان هذا الرجل
منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك
وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرد عليه
فردوا عليه ما أخذ منه وهذا السياق يدل على ان ذلك كان قبل صلح الحديبية ووقوع
الهدنة لان بعد ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وهو
يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لها لا يخلصن اليك لان تحريم نكاح المؤمنات
على المشركين انما كان فى الحديبية وقد ذكر بعضهم أن ذلك كان قبيل الفتح سنة
ثمان ومن ثم ذكر الزهرى وتبعه بن عقبة رحمهم الله تعالى ان الذين أخذوا هذا العير
وأسروا من فيها أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما رضى الله عنهم لانهم كانوا فى مدة
صلح الحديبية من شأنهم ان كل عير مرت بهم لقريش أخذوها بغير معرفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما أخذوا هذه العير خلوا سبيل أبى العاص لكونه
صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أعجزهم هربا وجاء تحت الليل فدخل
على زوجته زينب رضى الله تعالى عنها فاستجارها فأجارته ثم كلمها فى أصحابه
الذين أسروا فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فخطب الناس وقال
انا صاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه قد أقبل من الشام فى أصحاب له من
قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأسروهم وأخذوا ما كان معهم وان زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى ان أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص
وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأبا بصير وأصحابهما قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ردوا الاسرى وردوا عليهم كل شىء حتى العقال وصوب فى الهدى
هذا الذى ذكره الزهرى أى لما علمت ان مما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لبنته زينب ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له لان تحريم نكاح المؤمنات على
المشركين انما كان بعد الحديبية وذكر ان المسلمين قالوا لابى العاص يا أبا العاص
انك فى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لانه يلتقى
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من
أموال أهل مكة فقال بئسما أمرتمونى افتتح دينى بغدرة أى بالغدر وعدم الوفاء
ثم ذهب أبو العاص الى أهل مكة فادى كل ذى حق حقه ثم قام فقال يا أهل مكة
هل بقى لأحد منكم مال لم يأخذه هل وفيت ذمتى فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا
فقد وجدناك وفيا كريما فقال انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله
والله ما منعنى عن الاسلام عنده الا خشية ان تظنوا انى انما أردت ان آكل

أموالكم ثم خرج حتى قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها على النكاح الاول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى ✲ أقول وفي رواية بعد سنتين والمتبادر أن السنة أو السنة أو السنتين من اسلامها دونه وهو مخالف لما عليه أهل العلم من أنه لابد أن يجتمع الزوجان في الاسلام والعدة ومن ثم قالت طائفة منهم الترمذي هذا حديث ليس باسناده بأس ولكن لا يعرف وجهه وفي كلام بعض الحفاظ يمكن ان يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من اسلامها دونه صير مجهول تاريخ الابتداء فلا يصح الاستدلال به وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا في اسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف وقال آخر لا يثبت والحديث الصحيح انما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الاول وقال ابن عبد البر حديث انه صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الاصول وان صح الاول أريد به على الصداق الاول وهو جل حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر لحديث أنه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام أئمة الحديث كالبخاري وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطني والبيهقي وغيرهم هذا كلامه وفي كون زينب رضي الله تعالى عنها كانت مشركة وأسلمت قبل زوجها المشعربه قول بعضهم ولم يقل من اسلامها نظر لانها أتبعت مابعث به أبوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها لا يقال فحيث كانت مسلمة كيف زوجها من أبي العاص وهو كافر لانا نقول على فرض أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لان تلك الآية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على أن ابن سعد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له في الجاهلية أي قبل البعثة والله أعلم

✲(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى بني ثعلبة)✲

أي بالطرف كما يكتنف اسم ماء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا أي بالطرف فأصاب عشرين بعيرا وشاء واقتصر الحافظ الدمياطي على النعم ولم يذكر الشاء ولم يجد أحدا لانهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فصبح زيد رضي الله عنه بالنعم والشاء المدينة أي

وقد خرجوا فى طلبه فأعجزهم (ه) وكان شعارهم الذى يتعارفون به فى ظلمة الليل أمت أمت

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى جذام﴾

محل يقال له حسمى بكسر الحاء المهملة وسكون السين على وزن فعلى وهو موضع وراء وادى القرى يقال ان الطوفان أقام بذلك المحل بعد نضوبه أى ذهابه ثمانين سنة وسببها أن دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم أى وكان صلى الله عليه وسلم وجهه اليه (ه) كذا قيل ولعله من تصرف بعض الرواة أو أنه أرسله اليه بغير كتاب والا فارساله اليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لانه كان بعد الحديبية ولما وصل رضى الله تعالى عنه اليه أجازه بمال وكساه فأقبل بذلك الى أن وصل ذلك المحل فلقيه الهنيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه مامعه ولم يتركوا عليه الا ثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بنى الضبيب أى ممن أسلم منهم فنفروا اليهم واستنقذوا لدحية رضى الله تعالى عنه ما أخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية وكان زيد رضى الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فأقبل حتى هجم على القوم أى على الهنيد وابنه ومن كان معهم مع الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم وأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف ومن السبى مائة من النساء والصبيان * قال ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد رضى الله تعالى عنه ركبوا وجاؤا الى زيد وقال له رجل منهم انا قوم مسلمون فقال له زيد اقرأ أم الكتاب فقرأها ثم قدم منهم جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر وقال بعضهم يارسول الله لا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقالوا ابعث معنا رجلا لزيد رضى الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يأمر زيدا أن يخلى بينهم وبين سرحهم وأموالهم أى فقال على يارسول الله ان زيدا لا يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فأخذه وتوجه فلقى على كرم الله وجهه رجلا أرسله زيد رضى الله تعالى عنه مبشرا على ناقة من ابل القوم فردها على كرم الله وجهه على القوم وأردفه خلفه ولقى زيدا فأبلغه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال هذا سيفه صلى الله عليه وسلم فعرف زيد السيف

وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء فليرده فهذا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الناس كل ما أخذوه انتهى * أقول وهذا السياق يدل على أن جميع ما أخذه من النعم والشاء والسبي كان لمن أسلم من جذام من بني الضبيب وأن بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفي ذلك من البعد مالا يخفى والله أعلم

(سرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبني فزارة)

كما في صحيح مسلم بوادي القرى عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أي جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذراري فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة أي وهي أم قرفة عليها قشع من أدم أي فروة خلقة معها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر فنفلني أبو بكر رضي الله تعالى عنه ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك أي أبوك لله خالصا حيث أنجب بك وأتى بمثلك يقال ذلك في مقام المدح والتعجب أي وقد كان وصف له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هي لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين وفي لفظ فدى بها أسيرا كان في قريش من المسلمين كذا ذكر الاصل أن أمير هذه السرية أي التي أصابت أم قرفة أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأنه الذي في مسلم وذكر في الاصل قبل ذلك عن ابن اسحاق وابن سعد أن أمير هذه السرية أي التي أصابت أم قرفة زيد بن حارثة رضي الله عنهما وانه لقي بني فزارة وأصيب بها ناس من أصحابه وارتث زيد من بين القتلى أي احتمل جريحا وبه رمق فلما قدم زيد رضي الله تعالى عنه نذر أن لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بني فزارة فلما عوفي أرسله صلى الله عليه وسلم اليهم فكمنوا النهار وساروا الليل حتى أحاطوا بهم وكبروا وأخذوا أم قرفة وكانت أم قرفة في شرف من قومها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم وكان لها اثنا عشر ولدا ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل في العزة فتقول لو كنت أعز من أم قرفة فأمر زيد ابن حارثة أن يقتل أم قرفة أي لانها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم وجاء أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم أغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال بعضهم انه خبر منكر (٥) فربط برجليها حبلين ثم ربطا الى

بعيرين وزجرهما أى وقيل الى فرسين فركضا فشقاها نصفين وقرفة ولدها هذا الذى تكنى به قتله النبى صلى الله عليه وسلم وبقية أولادها قتلوا مع أهل الردة فى خلافة الصديق فلا خير فيها ولا فى بنيها ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وذكره صلى الله عليه وسلم جمالها فقال صلى الله عليه وسلم لابن الاكوع يا سلمة ما جارية أصبتها قال يارسول الله جارية رجوت أن أفدى بها امرأة منا فى بنى فزارة فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين أو ثلاثا فعرف سلمة أنه صلى الله عليه وسلم يريدها فوهبها له فوهبها النبى صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بمكة كان أحد الاشراف فولدت له عبد الرحمن بن أبى حزن وانما قيل لحزن خاله لان فاطمة أم أبى النبى صلى الله عليه وسلم هى بنت عائذ كما تقدم وعائذ جد حزن لابيه * وفى لفظ بنت عمرو بن عائذ وفى كلام السهيلى أن رواية الفداء لمن كان أسيرا بمكة أصح من رواية أنه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن وجمع الشمس الشامى بين الروايتين حيث قال يحتمل أنهما سريتان اتفق لسلمة بن الاكوع فيهما ذلك أى احداهما لابى بكر والاخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك أن فى سرية أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببنت أم قرفة الى مكة ففدى بها أسرى كانوا فى أيدى المشركين أى وفى سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة قال ولم أر من تعرض لتحرير ذلك انتهى *أقول فى هذا الجمع نظر لانه يقتضى أن أم قرفة تعددت وان كل واحدة كانت لها بنت جميلة وأن سلمة بن الاكوع أسرهما وأنه صلى الله عليه وسلم أخذهما منه وفى ذلك بعد الا أن يقال لا تعدد لام قرفة وتسمية المرأة فى سرية أبى بكر أم قرفة وهم من بعض الرواة ويدل عليه أن بعضهم أوردها ولم يسم المرأة أم قرفة بل قال فيهم امرأة من بنى فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب فنفلنى أبو بكر بنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق مرتين فى يومين فقال يا سلمة هب لى المرأة فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا كانوا أسرى بمكة ثم لا يخفى أن ما ذكره الاصل عن ابن اسحاق وابن سعد من أنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة الى وادى القرى أى غازيا لبنى فزارة وأنه لقيهم وأصيب بها ناس من أصحابه وأفلت زيد من بين القتلى جريحا الخ يخالفه ما ذكره عن ابن سعد مما يقتضى أن زيد بن حارثة فى هذه لم يكن غازيا بل كان تاجرا وأنه لم يرسل لبنى فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه والمذكور عن ابن سعد ما نصه قال وخرج زيد بن حارثة فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان دون

وادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه أو فظنوا أنهم قد قتلوا
وأخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر زيد أن لا يمس رأسه غسل من جنابة
حتى يغزو بني فزارة فلما خلص من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية لهم وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فخرج بهم دليل من بني فزارة وقد
نذر بهم القوم فكانوا يجعلون له ناطورا حين يصبحون فينظر على جبل يشرف
على وجه الطريق الذي يرون أن المسلمين يأتون منه فينظر قدر مسيرة يوم فيقول
اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا أمسوا أشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فنظر
مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم في هذه الليلة فلما كان زيد بن حارثة
وأصحابه على نحو مسيرة ليلة اخطأ بهم الدليل الفزاري طريقهم فأخذ بهم طريقا
أخرى حتى أمسوا وهم على خطاء فعاينوا الحاضر من بني فزارة فحمد وا خطأهم
فكمن لهم في الليل حتى أصبحوا فأحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر أصحابه الى آخر
ما تقدم ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء اليه صلى الله عليه وسلم وقرع عليه
الباب فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه واعتنقه وقبله
وسأله وأخبره بما ظفره الله تعالى به وحينئذ يشكل قوله في الأصل تبعا لابن
سعد ان لزيد بن حارثة سريتين بوادي القرى احداهما في رجب والأخرى
في رمضان فانه بظاهره يقتضي انه أرسل غازيا في المرتين لبني فزارة بوادي القرى
وقد علمت ان كلام ابن سعد يدل على أن زيد بن حارثة في السرية الأولى انما كان
تاجرا اجتاز ببني فزارة بوادي القرى فقاتلوه هو وأصحابه وأخذوا ما معهم ثم
رأيت الأصل تبع في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قال سرية زيد بن حارثة الى
وادي القرى في رجب قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا رضي الله تعالى
عنه أميرا ثم قال سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة بناحية وادي القرى في رمضان
وفيه ما علمت ثم لا يخفى أن في هذا اطلاق السرية على الطائفة التي خرجت للتجارة
ولا يختص ذلك بمن خرج للقتال أو لتجسس الاخبار وقد تقدم

﴿سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة الجندل﴾

بضم الدال المهملة وفتحها وأنكره ابن دريد لبني كلب بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال
اغد على اسم الله قال له تجهز فاني باعثك في سرية من يومك هذا أو من الغد ان شاء الله تعالى
ثم أمره أن يسري من الليل الى دومة الجندل في سبعمائة وعسكر وا خارج المدينة
فلما كان وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أحببت يارسول الله أن يكون آخر عهدي بك وكان عليه عمامة من كرابيس أي غليظة قد لفها على رأسه فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم عممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه وقام صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال خذه يا ابن عوف انتهى وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل أي لا تخن في المغنم ولا تغدر أي لا تترك الوفاء ولا تقتل وليدا وفي رواية لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا أي صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم له اذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وهم يأبون ويقولون لا نعطي الا السيف وفي اليوم الثالث أسلم رأسهم وملكهم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا قال في النور لم أجد أحدا ترجمه والظاهر انه ما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقر من أقام على كفره بأعطاء الجزية أي وأرسل رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك وأنه يريد أن يتزوج فيهم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزوج بنت الاصبغ أي فتزوجها رضي الله تعالى عنه وبنى بها عندهم وقدم بها المدينة وهي أم ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهي أول كلبية نكحها قرشي ولم تلد غير سلمة وطلقها عبد الرحمن في مرض موته ثلاثا ومتعها جارية سوداء ومات وهي في العدة وقيل بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضي الله تعالى عنه * قال وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أنه قال سرت لاسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فاذا فتى من الانصار أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس فقال يارسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا ثم قال وأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل بهم أولئك الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلت بكم وأعوذ بالله ان تدركوهن انه لن تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا وما نقص المكيال والميزان في قوم الا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون وما منع

قوم الزكاة الا أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما نقض قوم عهد الله ورسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ ما كان في أيديهم وما حكم قوم بغير كتاب الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم وفي رواية الا ألبسهم الله شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض وفي الاصل ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه لدومة الجندل في سرية زاد في السيرة الشامية على ذلك قوله كما سيأتي

(سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى مدين)

قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه تجاه تبوك فأصاب سبيا وفرقوا فيهم بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فقيل يا رسول فرق بينهم أي بين الامهات والاولاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوهم الا جميعا قال في الاصل وكان مع زيد رضي الله تعالى عنه في هذه السرية ضميرة مولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكذا أخوه رضي الله تعالى عنه وأخ له وتابع في ذلك لابن هشام ورد بان مولى علي هذا الذي هو ضميرة لم يذكر في كتب الصحابة وكذا أخوه

(سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى بني سعد بن بكر بفدك)

وهي قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أي وفي لفظ ثلاث مراحل وهي خراب الآن وفي الصحاح فدك قرية بخيبر وسببه أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن لبني سعد جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر وأن يجعلوا لهم تمر خيبر أي ما يوجد من غلتها فبعث عليهم عليا كرم الله وجهه في مائة رجل فسار الليل وكمن النهار الى أن نزلوا على بين خيبر وفدك فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم أي فقال لا علم لي فشدوا عليه فأقر انه عين أي جاسوس لهم وقال أخبركم على ان تؤمنوني فأمنوه فدلهم فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن نعزل علي كرم الله وجهه صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوحا أي حلوبا (م) تدعى الحفدة بفتح الحاء وكسر الفاء وفتح الدال المهملة لسرعة سيرها ومنه في الدعاء اليك نسعى ونحفد ثم عزل الخمس وقسم الباقي على أصحابه * أقول قوله يريدون أن يمدوا يهود خيبر يقتضي بظاهره أن ذلك كان عند محاصرة خيبر أو عند ارادة ذلك وفيه ما لا يخفى لما تقدم والله أعلم

(سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الى أسير)

بضم الهمزة وفتح السين ويقال أسير بن رزام اليهودي بخيبر لما قتل الله أبا رافع بن سلام بن أبي الحقيق عظيمهم ودخيبر كما تقدم أمروا عليهم أسير بن رزام * قال ولما أمروه عليهم قال لهم اني صانع بمحمد مالم يصنعه أصحابي فقالوا والله وما عسيت ان تصنع قال أسير في غطفان فاجمعهم لحربه قالوا نعم ما رأيت وكان ذلك قبل فتح خيبر انتهى فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر سرا يسأل عن خبر أسير وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فانتدب له ثلاثون رجلا وأمر عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه قيل عبد الله بن عتيك فقدموا على أسير فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ماجئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك أي واستشار يهود في ذلك فأشاروا عليه بعدم الخروج وقالوا ما كان محمد ليستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مل الحرب قال في النور هذا الكلام لا يناسب أن يقال قبل فتح خيبر فالذي يظهر انها بعد فتح خيبر * وأقول يجوز أن يكون المراد باستعماله على خيبر المصالحة وترك القتال ومن ثم أجاب بقوله انه صلى الله عليه وسلم قد مل الحرب والله أعلم فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من يهود مع كل رجل منهم رديف من المسلمين قال عبد الله ابن أنيس كنت رديف الاسير فكأن أسيرا ندم على خروجه معنا فاهوى بيده الى سيفي ففطنت بفتح الطاء له وقلت أغدرا عدو الله أغدرا عدو الله أغدرا عدو الله ثلاثا فضربته بالسيف فأطحت عامة فخذه فسقط وكان بيده مخرش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مأمومة وملنا على أصحابه فقتلناهم الا رجلا واحدا أعجزنا جريا ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث فقال صلى الله عليه وسلم قد نجاكم الله من القوم الظالمين وبصق في شجتي فلم تقح على ولم تؤذني * قال وفي رواية زيادة على ذلك وهي وقطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله بن أنيس جعلت معه على جلده دون ثيابه انتهى * أقول تقدم نظير ذلك لعبد الله بن أنيس هذا لما أرسله صلى الله عليه وسلم لقتل سفيان بن خالد الهذلي وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يكون ذلك وهما من بعض الرواة ويحتمل تعدد الواقعة أي أعطاه صلى الله عليه وسلم عصاه أولا في تلك

وأعطاه أخرى ثانيا في هذه وجعل العصاتين بين جلده وكفنه ولا مانع منه لكن ربما تتشوف النفس للسؤال عن حكمة تكرير ذلك لعبدالله بن أنيس وتخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله أعلم

(سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس رضي الله عنهما) بالحاء المهملة وكسر الراء وسين مهملة وكل ما في الانصار حريس بالسين المهملة الا الحريش فانه بالشين المعجمة وقيل بدله جبار بن صخر * الى أبي سفيان بن حرب بمكة ليغتالاه وسببها أن أبا سفيان رضي الله عنه قال لنفر من قريش الا أحد يغتال لنا محمدا فانه يمشي في الاسواق وحده فأتاه رجل من الاعراب وقال له يا بني نفسه قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عدوا فاذا أنت فديتني خرجت اليه حتى أغتاله فان معي خنجرا بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر واني عارف بالطريق فقال له أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال له اطوأمرك وخرج ليلا الى أن قدم المدينة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الاشهل فعقل راحلته وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فجاء ليحنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخلة ازاره أي بحاشيته من داخل فاذا بالخنجر فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقني قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أي وقال يا رسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ما هممت به فعلمت أنك على الحق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومن تقدم معه الى أبي سفيان بمكة أي وذلك بعد قتل خبيب بن عدي رضي الله عنه وصلبه على الخشبة ومضى عمرو بن أمية رضي الله عنه يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فأخبر قريشا بمكانه فخافوه لانه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يأت عمرو بخير واشتدوا في طلبه * قال وفي رواية لما قدما مكة حبسا جمليهما ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له صاحبه يا عمرو لو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أبا سفيان فقال له عمرو اني أعرف بمكة من الفرس الابلق أي وان القوم اذا تعشوا جلسوا على أفنيتهم فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا لطلب أبي سفيان فلقيني

رجل من قريش فعرفني وقال عمرو بن أمية فأخبر قريشا بي فهربت أنا وصاحبي انتهى أي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل ولقي عمرو رجلا من قريش فقتله أي قتل ذلك عمرو فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا ونحن في الغار فقلت لصاحبي ان رآنا صاح بنا فخرجت اليه ومعي خنجر اعددته لابي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة أسمع أهل مكة فجاء الناس يشتدون فوجدوه وبآخر رمق فقالوا له من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاة فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه فقال أحدهم لولا أن عمرو بن أمية بالمدينة لقلت انه هذا الماشي فلما حاذيت الخشبة شددت عليها فحملتها واشتديت أنا وصاحبي فخرجوا وراءنا فألقيت الخشبة فغيبه الله عنهم كذا في السيرة الشامية وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الزبير والمقداد لانزاله وأن الزبير أنزله فابتلعته الارض وتقدم عن ابن الجوزي مثل ما هنا من أن الذي أنزله عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه فيحتاج الى الجمع على تقدير صحة الروايتين ويقال ان عمرا قتل رجلا آخر فسمعه يقول

ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رجلين بعثهما قريش الى المدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر ثم قدم رضي الله تعالى عنه المدينة وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

(سرية سعيد بن زيد رضي الله عنه)

وقيل كرز بن جابر رضي الله تعالى عنه وعليه الاكثرون ومن ثم اقتصر عليه الحافظ الدمياطي أي وقيل جرير بن عبد الله البجلي ورد بأن اسلام جرير بن عبد الله المذكور كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين (ه) الى العرنيين وسببها أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر أي ثمانية من عرينة وقيل أربعة من عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا مجهودين قد كادوا يهلكون أي اشتد هزالهم وصفرة ألوانهم وعظم بطونهم وقالوا يا رسول الله أونا وأطعمنا (ه) فأنزلهم صلى الله عليه وسلم عنده أي بالصفة ثم قال لهم أي بعد أن ذكروا له صلى الله عليه وسلم ان المدينة وبية وخمة وانهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف لو خرجتم الى ذود لنا أي لقاح وكانت خمسة عشر فشربتم من ألبانها وأبوالها أي لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتفتيحا للسدد فان

الاستسقاء وعظم البطن انما ينشأ عن السدد وآفة في الكبد ومن أعظم منافع الكبد لبن اللقاح لاسيما ان استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التي يخرج بها فلما صحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبي صلى الله عليه وسلم ومثلوا به أي قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح وفي لفظ أنهم ركبوا بعضها واستاقوها فأدركهم يسار ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يده ورجله الحديث وبلغه صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وأرسل معهم من يقص آثارهم فأدركوهم فأحاطوا بهم فأسروهم ودخلوا بهم المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم أي غورت بمسامير محماة بالنار وألقوا بالحرة أي وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار (ه) يستسقون فلا يسقون قال أنس رضي الله تعالى عنه ولقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش ليجد بردها مما يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم (ه) وأنزل الله فيهم إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية ولم يقع بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سمل عينا * وفي لفظ أنهم لما أسروا ربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه بمجمع السيول فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هنالك وأنه صلى الله عليه وسلم فقد من اللقاح لقحة تدعى الحفاء فسأل عنها فقيل نحروها كذا في سيرة الحافظ الدمياطي وقدم فيها هذه السرية على سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه

* (سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى طائفة من هوازن) *
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ثلاثين رجلا الى عجز بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاي محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة مفتوحة ثم تاء تأنيث وارسل معه صلى الله عليه وسلم دليلا من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محالهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل هل لك في جمع آخر من خثعم فقال له عمر رضي الله عنه لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرني بقتال هوازن

(سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى بني كلاب)

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره علينا فسبينا ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين وما زاده الاصل على هذا من قوله ان سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة الخ نسب فيه للوهم لان ذلك كان في سريته لبني فزارة بوادي القرى وقد تقدمت فهما قضيتان مختلفتان جمع بينهما أي وهذا الذي في الاصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطي وفيه ما علمت

(سرية بشير بن سعد الأنصاري رضي الله تعالى عنه الى بني مرة بفدك)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلا الى بني مرة بفدك وتقدم أنها قرية بينها وبين المدينة ستة أميال فخرج فلقي رعاء الشاء فسأل عن الناس فقيل في بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ اليهم فأدركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يرامون بالنبل حتى فني نبل أصحاب بشير أي فلما أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم (ه) وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث أي جرح وصار ما به رمق وضربت كعبه اختبارا للحياة فلم يتحرك فقيل مات فرجعوا بنعمهم وشياههم وجاء اليه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء بشير رضي الله تعالى عنه الى المدينة بعد ذلك أي فانه استمر بين القتلى الى الليل فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام بفدك عند يهودي أياما حتى قوي على المشي وجاء الى المدينة * أقول وهذا يدل على أن بني مرة الذين توجه اليهم بشير لم يكونوا بفدك بل بالقرب منها فيكون قوله أولا لبني مرة بفدك فيه تسمح وأن بشيرا حصلت له هذه الحالة مرتين فليتأمل

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني عوال)

وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة اسم محل وراء بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه في مائة وثلاثين رجلا الى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجموا عليهم جميعا ووقعوا في وسط محالهم فقتلوا جمعا من أشرافهم واستاقوا نعما وشاء ولم يأسروا أحدا وفي هذه السرية قتل اسامة ابن زيد رضي الله تعالى عنهما الرجل الذي قال لا اله الا الله وهو مرداس بن نهيك وفي سيرة الحافظ الدمياطي نهيك ابن مرداس والاول هو الذي في الكشاف (ه) وقال له النبي صلى الله عليه وسلم

هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فعن اسامة رضي الله تعالى عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما أغشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اسامة أقتلته بعدما قال لا اله الا الله قلت انما قالها متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أي تمنيت ان أكون أسلمت اليوم فيكفر عني ما صنعت قال كذا وقع في الاصل ان قتل اسامة للرجل الذي قال لا اله الا الله كان في هذه السرية وقد تبع في ذلك ابن سعد وانما كان ذلك في سرية اسامة للحرقات بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف ثم تأنيث بطن من جهينة وسيأتي عن اسامة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس ابن نهيك اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا واذا أدبروا كان من حاميتهم فهزمناهم فتبعته أنا ورجل من الانصار فرفعت عليه السيف فقال لا اله الا الله وزاد في رواية محمد رسول الله فكف الانصار فطعنته برمحي حتى قتلته ثم وجدت في نفسي من ذلك موجدة شديدة حتى ما أقدر على أكل الطعام حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني قال بعضهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث أسامة بن زيد يسأل عنه أصحابه ويحب ان يثني عليه خيرا فلما رجعوا لم يسألهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله لو رأيت ما فعل اسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا الله فشد عليه اسامة فقتله وهو صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم فلما أكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الشريف لاسامة فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا اله الا الله وكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقال أسامة رضي الله تعالى عنه انما قالها خوفا من السلاح وفي رواية انما كان متعوذا من القتل قال أسامة رضي الله تعالى عنه ولا زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر على حتى تمنيت اني لم أسلم الا يومئذ انتهى والذي في الكشاف في تفسير قوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا أصله ان مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها غالب بن فضالة الليثي رضي الله تعالى عنه فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة ابن زيد واستاق غنمه فأخبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى وددت اني لم اكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة وسيأتي نحو ذلك في سرية غالب بن عبد الله الليثي الى مصاب بشير ابن سعد وبعد تعدد هذه الواقعة سيأتي في مواطن ثلاثة أو أربعة وكون يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دليلا في هذه السرية يقتضي انها متقدمة على سرية العرنيين فقد تقدم انهم قتلوه ثم رأيته في النور قال ولعل هذا غير ذاك لكن لم أر له ذكرا في الموالي الا أن يكون أحد موالي أقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب اليه ومن ثم لم يشهد أسامة رضي الله تعالى عنه مع علي كرم الله وجهه قتالا وقال له لو أدخلت يدك في فم تنين لادخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا اله الا الله وقلت له أعطي الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا اله الا الله والله أعلم

(سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله عنه الى يمن)

بفتح الياء آخر الحروف وقيل بضمها ويقال أمن بالهمزة مفتوحة وسكون الميم وجبار بفتح الجيم واد قريب من خيبر لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن أي قبل ان يسلم رضي الله تعالى عنه ليكون معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير ابن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا المحل المذكور فأصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء بكسر الراء والمد وذهبوا الى القوم وأخبروهم فتفرقوا ولحقوا بعليا بلادهم وعليا بضم العين وسكون اللام مقصور انقيض السفلى فلم يظفر بأحد منهم الا برجلين أسروهما فرجع بالنعم والرجلين الى المدينة فأسلم الرجلان فأرسلهما صلى الله عليه وسلم * قال والرجلان من جمع عيينة فان المسلمين لما لقوا جمع عيينة انهزموا أمامهم وتبعوهم أخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى أي وعيينة بن حصن كان يقال له الاحمق المطاع لانه كان يتبعه عشرة آلاف قناة وقيل له عيينة قال في الاصل لان عينه جحظت أي عظمت وكبرت فلقب بذلك رضي الله تعالى عنه

(سرية ابن أبي العوجاء رضي الله عنه الى بني سليم)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي العوجاء رضي الله تعالى عنه السلمي في خمسين رجلا الى بني سليم فكان لهم جاسوس مع القوم فخرج اليهم وسبق

القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا كثيرا فجاؤهم وهم معدون لهم فدعوهم الى الاسلام فقالوا أي حاجة لنا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد تأتيهم واحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني الملوح)

بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ثم حاء مهملة * بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في بضعة عشر رجلا * قال ومانقل عن الواقدي انهم كانوا مائة وثلاثين رجلا فذلك في سرية لغالب غير هذه انتهى * أقول وهي المتقدمة التي توجهت لبني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة والله أعلم وأمر صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله وأصحابه ان يشنوا الغارة على القوم فخرجوا حتى اذا كانوا بقديد لقوا الحارث الليثي فأسروه فقال انما خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فقالوا له ان كنت مسلما لم يضرك رباطنا يوما وليلة وان كنت غير ذلك استوثقنا منك فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر أي وفي لفظ خلفوا عليه رجلا أسود منهم وقال له ان نازعك فاحتز رأسه وساروا حتى أتوا محل القوم عند غروب الشمس فكمنوا في ناحية الوادي قال جندب الجهني وأرسلني القوم جاسوسا لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر أي القوم المقيمين بمحلهم فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لانظر اذ خرج رجل منهم فقال لامرأته اني لانظر على هذا الجبل سوادا مارأيته قبل أنظري الى أوعيتك لاتكون الكلاب جرت منها شيأ فنظرت فقالت والله ما افتقدت من أوعيتي شيأ فقال ناوليني قوسي ونبلي فناولته قوسه وسهمين فأرسل سهما فوالله ما أخطأ بين عيني فانتزعته وثبت مكاني فأرسل آخر فوضعه في منكبي فانتزعته وثبت مكاني فقال لامرأته والله لو كان جاسوسا لتحرك لقد خالطه سهمان لاأبالك أي بكسر الكاف أي لا كافل لك غير نفسك وهو بهذا المعنى يذكر في معرض المدح وربما يذكر في معرض الذم وفي معرض التعجب لابهذا المعنى فاذا أصبحت فانظريهما لاتمضغهما الكلاب ثم دخل فلما اطمأنوا وناموا شننا عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعد أن قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية أي ومروا على الحارث الليثي فاحتملوه واحتملوا صاحبهم الذي تركوه عنده فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء مالا قبل

لنا به فصار بيننا وبينهم الوادي فأرسل الله سحابا فأمطر الوادي ماراً بنا مثله فسال الوادي بحيث لا يستطيع أحد ان يجوزه فصاروا وقوفا ينظرون الينا ونحن متوجهون الى أن قدمنا المدينة أي وفي لفظ آخر فقلنا القوم ينظرون الينا اذ جاء الله بالوادي من حيث شاء يملأ جنبيه ماء والله ما رأينا يومئذ سحابا ولا مطرا فجاء بما لا يستطيع أحد ان يجوزه فوقفوا ينظرون الينا وقد وقع نظير ذلك أي سيل الوادي لقطبة بن عامر حين توجه الى بني خثعم بناحية تبالة كما سيأتي

﴿ سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه ﴾

أي في بني مرة * بفدك لما قدم غالب من الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل الى حيث أصيب أصحاب بشير بن سعد وذلك في بني مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هيأ صلى الله عليه وسلم الزبير لذلك وعقد له لواء فلما قدم غالب رضي الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس فسار غالب رضي الله تعالى عنه الى ان صبح القوم فأغاروا عليهم وكان غالب رضي الله تعالى عنه قد أوصاهم بعدم مخالفتهم له وآخا بين القوم فساقوا نعما وقتلوا منهم * قال لما دنا غالب منهم ليلا قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله تعالى وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تخالفوا لي أمرا فانه لا رأى لمن لا يطاع وفي رواية لا تعصوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم ألف رضي الله تعالى عنه بين القوم فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق رجل منكم زميله فاياكم ان يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالقوم كبر غالب رضي الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار المسلمين أمت أمت وكان في القوم أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما وتفقده غالب رضي الله تعالى عنه فلم يره وبعد ساعة أي من الليل أقبل (ه) فلامه غالب وقال ألم تر الى ما عهدت اليك فقال خرجت في أثر رجل منهم جعل يتهكم بي حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله فقال له الامير بئسما فعلت وما جئت به تقتل أمرأ يقول لا اله الا الله فندم أسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة أبعرة وعدل البعير بعشرة من الغنم انتهى وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم ما فيها

وقوله هنا حتى اذا دنوت منه أو ضربته بالسيف قل لا اله الا الله يقتضى انه انما قال لا اله الا الله بعد ضربه بالسيف الا أن يحمل على الارادة وتقدم انه طعنه برمحه فليتأمل

❊(سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله تعالى عنه الى بنى عامر)❊

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله تعالى عنه فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن أى يقال لهم بنو عامر وأمره صلى الله عليه وسلم ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون أى وقد نهى أصحابه ان يمعنوا فى الطلب (٥) فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم

❊(سرية كعب بن عمير الغفارى رضى الله تعالى عنه)❊

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب ابن عمير الغفارى الى ذات اطلاح من أرض الشام وراء وادى القرى فى خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا أى لانه لما دنا كعب بن عمير رضى الله تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فأخبرهم بقلة المسلمين (٥) فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن عمير فانه ظن قتله فلما أمسى تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فهم بالبعث اليهم وبلغه انهم ساروا الى محل آخر فتركهم ❊ أقول لم أقف على السبب الذى اقتضى البعث الى ذلك المحل والله أعلم

❊(سرية عمرو ابن العاص رضى الله عنه الى ذات السلاسل

أرض بها ماء يقال له السلاسل بضم السين الاولى وكسر الثانية أى وقال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى المشهور انها بفتح الاولى قيل سمى المكان بذلك لانه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة يقال له ماء سلسل وسلسال اذا كان سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه وتلك الارض وراء وادى القرى وقيل لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا ❊ أقول ولخالد بن الوليد رضى الله عنه فى زمن الصديق غزاة مع أهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن آخرهم لان السلاسل منعتهم من الهزيمة وبعث بالسلاسل الى الصديق رضى الله تعالى عنه والله أعلم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أى وذلك بعد اسلامه بسنة عقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه

فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره صلى الله
عليه وسلم ان يستعين بمن يمر عليهم فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من القوم
فبلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى رضى الله تعالى عنه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة
المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وعقد له لواء وأمره ان
يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو أبو عبيدة وأراد أبو عبيدة ان
يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مدد وأنا الامير * قال وعند ذلك قال
جمع من المهاجرين الذين مع أبى عبيدة لعمرو أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه
فقال عمرو أنتم مدد لنا فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف قال لتعلم يا عمرو أن آخر
شئ عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال ان قدمت على صاحبك فتطاوعا
ولا تختلفا وانك والله ان عصيتنى لاطيعنك قال فانى الامير عليك قال فدونك
انتهى (ه) أى لان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه كان حسن الخلق لين العريكة
فكان عمرو يصلى بالناس أى وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال
بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى فقال يا عمرو
انى أريد أن أبعثك الى جيش فيغنمك الله ويسلمك فقلت انى لم أسلم رغبة فى المال
قال نعم المال الصالح للرجل الصالح ووجدوا جمعا كثيرا فحمل عليهم المسلمون فتفرقوا
* قال وأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو رضى الله تعالى عنه وأرادوا أن
يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد فمنعهم عمرو أى وقال كل من أوقد نارا الاقذفته
فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة المهاجرين فى ذلك
فغالظه عمرو فى القول وقال له قد أمرت أن تسمع لى وتطيع قال نعم قال فافعل ولما
بلغ ذلك عمر بن الخطاب غضب وهم أن يأتيه فمنعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه
وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لعلمه بالحرب فسكت واحتلم
عمرو رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جدا فقال لاصحابه
ما ترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم
قام وصلى بالناس انتهى ثم بعث عمرو عوف بن مالك مبشرا النبى صلى الله عليه وسلم
بقدومهم وسلامتهم * قال قال عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه جئته صلى الله
عليه وسلم وهو يصلى فى بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
فقال عوف بن مالك فقلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال أخبرنى فأخبرته بما
كان من مسيرنا وما كان بين أبى عبيدة بن الجراح وبين عمرو ومطاوعة أبى

عبيدة لعمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح وأخبرته بمنع عمرو رضي الله تعالى عنه المسلمين من اتباع العدو ومن ايقاد النار ومن صلاته بأصحابه وهو جنب فلما قدم عليه عمرو وكلمه صلى الله عليه وسلم في ذلك قال كرهت أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره وقال عمرو وسألني عن صلاتي فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فقلت والذي بعثك بالحق اني لو اغتسلت لمت لم أجد بردا قط مثله قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فضحك صلى الله عليه وسلم انتهى أي ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن صلاة الصحابة خلفه فاني لم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقضاء

(سرية الخبط)

وهو ورق السمر * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والانصار وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى حي من جهينة في ساحل البحر وقيل ليرصدوا عير قريش أي وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة في الحديبية لما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عير قريش الى الفتح وتعد سرية الخبط بعيد فلا يقال يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين مرة قبل الهدنة ومرة بعدها ومن ثم حكم على هذا القول بأنه وهم لكن في البخاري وهم يتلقون عير قريش فأقاموا بالساحل نصف شهر فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط أي كانوا يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم فان أبا عبيدة رضي الله عنه كان يعطي الواحد منهم في اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصرها في ثوبه (ه) أي وعن الزبير رضي الله عنه أنه قيل له كيف كنتم تصنعون بالتمرة قال نمصها كما يمص الصبي ثدي أمه ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يوما الى الليل لانه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يقوتهم اياه حتى صار يعده لهم عدا حتى كان يعطي الواحد تمرة كل يوم ثم بعد التمر أكلوا الخبط ولما رأى قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما ما بالمسلمين من جهد الجوع أي مشقته أي وقال قائلهم والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة اليه لما بالناس من الجهد قال من يشتري مني تمرا أوفيه له في المدينة بجزر يوفيها الى ههنا فقال له رجل من أهل الساحل أنا أفعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت قال أنا قيس بن سعد بن عبادة فقال الرجل ما أعرفني بنسبك ان بيني وبين سعد خلة سيد أهل يثرب فاشترى خمس جزائر كل

جزور بوسق من تمر والوسق بفتح الواو وكسرها ستون صاعا وجمع الاول أوسق
والثانى أوساق فقال له الرجل أشهد لى فقال أشهد من تحب فأشهد نفرا من
المهاجرين والانصار من جملتهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ان عمر
رضى الله تعالى عنه امتنع من أن يشهد وقال هذا يدان ولا مال له انما المال لابيه
فقال الرجل والله ما كان سعد ليخنى بابنه أى لا يوفى عن ابنه ما التزمه فكان
بين قيس وعمر كلام حتى أغلظ له قيس الكلام وأخذ قيس رضى الله عنه الجزر
فنحر لهم منها ثلاثة فى ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم فى اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة
وقال له عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك أى لا يوفى لك بما التزمت
ولا مال لك فقال له قيس رضى الله تعالى عنه أترى أبا ثابت يعنى والده سعدا يقضى
ديون الناس و يطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل
الله وفى البخارى أن قيسا رضى الله تعالى عنه نحر لهم تسع جزائر كل يوم ثلاثا ثم
نهاه أبو عبيدة أى ومما يؤيد ما ذكر من أن الجزر كانت خمسة وأنه نحر لهم ثلاثة
أيام كل يوم جزورا ما جاء فى بعض الروايات أنه بقى معه جزوران قدم بهما المدينة
يتعاقبون عليهما فليتنظر الجمع ثم ان البحر ألقى لهم دابة هائلة يقال لها العنبر بحيث
ان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نصب لهم ضلعا من أضلاعها وفى لفظ من أضلاعه
ومر تحته أطول رجل فى القوم أى وهو قيس بن سعد بن عبادة راكبا على أطول
بعير لم يطاطئ رأسه وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال دخلت أنا وفلان وفلان
وعد خمسة نفر عينها ما رآنا أحد أى وفى لفظ ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر
رجلا فأقعدهم فى وقب عينها فأكلوا منها أياما أى نحو شهر وكانوا ثلاث مائة فعن
بعضهم لما تقرحت أشداقنا من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة
الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هى دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى
عنه ميتة ثم قال اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد
رأيتنا نغترف من وقب عينه الدهن بالقلال وفى رواية فأخرجنا من عينه كذا وكذا
قلة ودك وحملوا من لحمها الى المدينة أى وقيل لها العنبر لانها تبتلع العنبر فعن امامنا
الشافعى رضى الله تعالى عنه قال سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا فى البحر ملتويا
مثل عنق الشاة وفى البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج
العنبر من جوفها وقيل العنبر اسم لسمكة مخصوصة فى البحر ذاتها الحلقة طولا
وعرضا وقد أخبرنى بعض السفار أن جملا مات على شاطئ البحر فألقى فى البحر
فابتلعته سمكة فوقفت أخفاف يديه فى حلقها فجاءت سمكة فابتلعت تلك السمكة

وفى زمن الحاكم بأمر الله وحدث سمكة بديه الطول لمامانبا ذراع وعرضها مائة وستون ذراعا وكان يقف فى حلقها خمس رجال بالجبار بف يجرفون الشحم وأقام أهل دمياط يأكلون من لحمها خمسة أشهر ولما بلغ شعد بن عبادة ما حصل للمسلمين من الجماعة قبل تدومهم قال ان يكن قيس يعنى ولده كما أعهد فلينحر للقوم فلما قدم قيس قال له سعد ماصنعت فى مجاعة القوم قال نحرت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم قال ماذا قال نحرت قال أصبت ثم قال ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أميرى أبو عبيدة قال ولم قال زعم أنه لا مال لى انما المال لابيك فقلت له أبى يقضى عن الاباعد ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يصنع هذا لى فلان لموافقتى فأبا عليه عمر بن الخطاب الا التصميم على المنع فقال سعد لولده قيس ذاك أربع حوائط أى بساتين أدناها ما يحصل منه خمسون وسقا ثم ان قيسا رضى الله تعالى عنه وفى الرجل صاحب الجزر وحمله أى أعطاه ما يركبه وكساه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم مافعل قيس فقال انه فى بيت جود ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت أى ومن ثم قال بعضهم لم يكن فى الاوس والخزرج مطعمون يتوالدون فى بيت واحد الاقيس وأبوه سعد وأبوه عبادة وأبوه دليم كان فى كل يوم يقف شخص على أطم ينادى من يريد الشحم واللحم فعليه بدار أبى دليم أى وكان أصحاب الصفة اذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة وأما سعد فينطلق بالثمانين وعن سعد بن عبادة زارنا النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله ثم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة * قال ويذكر أن سعدا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال من عذيرى من ابن الخطاب يبخل على ابنى انتهى ويذكر عن سعد بن عبادة أنه كان شديد الغيرة لم يتزوج الابكرا وما طلق امرأة وقدر أحد أن يتزوجها وعن جابر رضى الله تعالى عنه فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العنبر فقال رزق أخرجه الله تعالى لكم لعل معكم من لحمه شئ فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله أى ولم يكن أروح بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال لونعلم أنا ندركه لم يروح لاحببنا لو كان عندنا منه قال ذلك ازديادا منه

(سرية أبى قتادة رضى الله تعالى عنه الى غطفان)

أرض محارب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة فى خمسة عشر رجلا الى غطفان وأمره أن يشن الغارة عليهم فصار يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم

عليهم وأحاطوا بهم وقتلوا من أشرف لهم واستاقوا الابل والغنم فكانت الابل
مائة بعير والغنم ألفي شاة وسبوا سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد اخراج الخمس
اثني عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم ووقع في سهم أبي قتادة رضي الله عنه
جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى
الله عليه وسلم لشخص أي كان وعده بجارية من أول فيء يفيء الله به فجاء ذلك
الشخص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب
جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية من أول فيء يفيء الله به عليك فأرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة فقال هب لي الجارية فوهبها له الحديث

* (سرية عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي رضي الله تعالى عنه الى الغابة) *

وهي الشجر الملتف قال عبد الله المذكور تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أستعينه على ذلك فقال كم أصدقت قلت مائتي درهم فقال
سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واديكم هذا وفي لفظ لو كنتم تغرفونها
من ناحية بطحان مازدتم والله ماعندي ما أعينك فلبثت أياما فبلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن رجلا يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في جمع عظيم نزل
بالغابة يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوني منه بخبر ودفع
لنا شارفا عجفاء أي ناقة مسنة وقال تبلغوا عليها واعتقبوها فركبها أحدنا فوالله
ما قامت به ضعفا حتى ضربت فخرجنا ومعنا سلاحنا النبل والسيوف حتى اذا
جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكنت في ناحية وصاحبي في ناحية
أخرى فقلت لهما اذا سمعتماني قد كبرت فكبرا فوالله انا كذلك ننتظر غرة القوم
الا ورفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة الجمع للقوم خرج في طلب راع لهم ابطأ عليهم
وتخوفوا عليه فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب أنت فقال والله لا يذهب
الا أنا فقالوا فنحن معك فقال والله لا يتبعني أحد منكم وخرج حتى مر بي فلما
أمكنني نفحته أي رميته بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت عليه
فاحتززت رأسه وشددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فهرب
القوم واستقنا ابلا وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت
برأسه أحمله معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانني رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي * قال وبعضهم جعل
هذه السرية وسرية أبي قتادة الى غطفان بأرض محارب التي قبل هذه واحدة أي

ومن ثم ذكرتها عقبها خلاف ما صنع في الاصل * قال ويدل لكونهما واحدة ما نقل عن عبدالله بن رواحة بن أبي حدرد قال لما دخلت منه صلى الله عليه وسلم الاعانة في مهر زوجتي قال لي ما وافقت عندنا شيأ أعينك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلا في سرية فهل لك أن تخرج فيهما فاني أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك فقلت نعم فخرجنا حتى جئنا الحاضر أي وهم القوم النزول على ما يقيمون به ولا يرتحلون عنه أي كما تقدم (م) فلما ذهبت فحمة العشاء أي اقباله وأول سواده خطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله تعالى وألف بين كل رجلين وقال لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أي يرجع ولا يجيء الى الرجل فأسأله عن صاحبه فيقول لا علم لي به واذا كبرت فكبروا واذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا في الطلب فأحطنا بالحاضر فجرد أبو قتادة سيفه وكبر وجردنا سيوفنا وكبرنا معه وقاتل رجال من القوم واذا بهم رجل طويل فأقبل علي وقال لي يا مسلم هلم الى الجنة يتهكم بي فملت اليه فذهب امامي أي وصار يقبل علي بوجهه مرة ويدبر عني بوجهه مرة أخرى فتبعته فقال لي صاحبي لا تتبعه فقد نهانا أميرنا أن نمعن في الطلب ولا زال كذلك وقال ان صاحبكم لذو مكيدة وان أمره والامر فأدركته فرميته بسهم فقتلته وأخذت سيفه وجئت صاحبي فأخبرني انهم جمعوا الغنائم وان أبا قتادة تغيظ علي وعليك فجئت أبا قتادة فلامني فأخبرته الخبر ثم سقنا النعم وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالاقتاب ثم لما أصبحنا رأيت في السبي امرأة كأنها ظبي تكثر الالتفات خلفها وتبكي فقلت لها أي شيء تنظرين قالت والله أنظر الى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم فوقع في نفسي انه الذي قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب فقالت فألق الى غمده فقلت هذا غمد سيفه فلما رأته بكت وأيست انتهى ولا يخفى ان السياق في كل يبعد كونهما واحدة

* (سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه الى بطن أضم) *

اسم موضع أي جبل لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفر من جملتهم محلم بن جثامة الليثي الى بطن أضم ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية وتنتشر بذلك الاخبار فمر عليهم عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية الاسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محلم فقتله أي لشيء كان بينه وبينه وسلبه متاعه وبعيره وعند وصولهم الى المحل رجعوا فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه الى مكة فالوا اليه حتى لقوه * قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لمحكم أقتلته بعدما قال آمنت بالله وفى رواية بعدما قال انى مسلم أى أتى بما يدل به
الا مؤمن آمن بالله وكان مسلما قال يارسول الله انما قالها أى تحية الاسلام متعوذا
قال أفلا شققت عن قلبه قال لم يارسول الله قال لتعلم أصادق هو أم كاذب أى وفى
رواية فقال يارسول الله لو شققت عن قلبه أكنت أعلم ما فى قلبه فقال له فلا أنت
قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما فى قلبه فقال استغفر لى يارسول الله فقال لا غفر الله
لك فقام يتلقى دمعه ببرده انتهى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم
فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض
الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة الى آخر الآية وذكر ابن اسحاق فى خبر محكم
أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بحنين ثم عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها فقام اليه
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان فى عامر بن الاضبط عيينة بن حصن
يطالب بدمه أى ويقول والله يارسول الله انى لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن
مثل ما أذاق نسائى والاقرع يدافع عن محكم وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تأخذون الدية خمسين
فى سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية
ثم قالوا أن محكما يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محكم وهو رجل
آدم طويل أى عليه حلة قد كان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان فقال له ما اسمك قال أنا محكم قد فعلت الذى
بلغك وانى أتوب الى الله تعالى واستغفر لى يارسول الله فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لا تغفر لمحكم قالها ثلاثا بصوت عال فقام يتلقى دمعه
بفضل ردائه فما مكث الا سبعا حتى مات فلفظته الأرض مرات حتى ضموا عليه
الحجارة وواروه أى ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لهم
أن الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم أى وفى رواية ان الله
أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا اله الا الله أى حرمة من يأتى بها ولفظ الارض له
يرد ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له بعد دعائه عليه الا أن يكون
المراد استغفر له بعد موته ويوافقه ما فى بعض الروايات أراد الله أن يجعله موعظة
لكم لكيلا يقدم رجل منكم على قتل من يشهد أن لا اله الا الله أو يقول أنى مسلم
اذهبوا به الى شعب بنى فلان فادفنوه فان الارض ستقبله فدفنوه فى ذلك الشعب
فيجوز أن يكون استغفر له حينئذ وقيل أن الذى لفظته الارض غير محكم لان محكما
مات بحمص أيام ابن الزبير رضى الله تعالى عنه والذى لفظته الارض اسمه قلت

﴿سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى﴾

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حين فتح مكة خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا من أصحابه الى العزى وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا وفي لفظ العزى نخلات أي سمرات مجتمعة لانه كان يهدى اليها كما يهدى الى الكعبة لان عمرو بن لحي أخبرهم أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى (ه) فلما وصل الى محلها أي وكان بناء على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم ذلك البناء (ه) ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له هل رأيت شيأ قال لا قال فارجع اليها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي شعر رأسها منتشر تحثو التراب على رأسها فجعل السادن يصيح بها أي يقول ياعزى عوريه ياعزى خبليه فضربها خالد فقطعها نصفين أي وهو يقول ياعزى كفرانك لا سبحانك أني رأيت الله قد أهانك (ه) ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى

﴿سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى سواع﴾

بالعين المهملة أي سمي باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة كان لقوم نوح ثم صار لهذيل كانوا يحجون اليه أي قبل فتح مكة وبعد ذلك (ه) أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في جماعة من أصحابه الى سواع ليكسره ويهدم محله قال عمرو رضي الله عنه فانتهيت الى ذلك الصنم وعنده سادنه أي خادمه فقال لي ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على الباطل (ه) ويحك وهل يسمع أو يبصر فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيها شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

﴿سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه الى مناة﴾

صنم كان للاوس والخزرج أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارسا الى مناة ليهدم محله فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصيانك فضربها سعد رضي الله عنه فقتلها وهدم محلها

﴿سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني جذيمة﴾

بناحية يلملم يدعوهم الى الاسلام أى ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم باسلامهم ولم يأمره بقتالهم أى اذا لم يسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار ومن بنى سليم أى وهو مقيم بمكة الى بنى جذيمة وكانوا فى الجاهلية قد قتلوا الفاكه عم خالد وقتلوا أخا الفاكه أيضا فى الجاهلية وكانوا من أشر حى فى الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فلما علموا به وعلموا أن معه بنى سليم وكانوا قتلوا منهم مالك بن الشريد وأخويه فى موطن واحد خافوه فلبسوا السلاح فلما انتهى خالد رضى الله عنه اليهم تلقوه فقال لهم خالد أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قال فألقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح الا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم الا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت بقية القوم وفى رواية لما انتهى خالد الى القوم فتلقوه فقال لهم ما أنتم أى أمسلمون أم كفار قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنينا المساجد فى ساحتنا وأذنا فيها وفى لفظ لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا قال فما بال السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم فى أصحابه فلما كان فى السحر نادى منادى خالد رضى الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والانصار رضى الله تعالى عنهم وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعل خالد أى فان رجلا من القوم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل خالد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل أنكر عليه أحد ما صنع قال نعم رجل أصفر ربعة ورجل طويل أحمر فقال عمر رضى الله تعالى عنه والله يا رسول الله أعرفهما أما الاول فهو ابنى وهذه صفته وأما الثانى فهو سالم مولى أبى حذيفة فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أنى أبرأ اليك مما صنع خالد أى قال ذلك مرتين وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه فودى لهم قتلاهم * قال له صلى الله عليه وسلم يا على اخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ودفع اليه صلى الله عليه وسلم مالا أى ابلا وورقا يدى به قتلاهم ويعطيهم منه بدل ما تلف عليهم من أموالهم فودى قتلاهم وأعطاهم عوض ما تلف عليهم حتى ميلغة الكلب أى الاناء التى يشرب فيها حتى اذا لم يبق لهم دم ولا مال قال هل بقى لكم دم أو مال قالوا لا قال أعطيكم

مابقى معى من المال احتياطا لما بدلما لاتعلمون أى مماتلف من أموالكم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت وأحسنت أى وزاد فى رواية والذى أنا عبده لهى أحب الى من حمر النعم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة شاهرا يديه يقول اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى ووقع بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام فقال له انما أخذت بثأر أبيك فقال له عبد الرحمن كذبت أنا قتلت قاتل أبى * أى وفى رواية كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل فى الجاهلية فقال خالد ومن أخبركم أنهم أسلموا فقال أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالاسلام فقال جاءنى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أغير فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أخذت بثأر عمك الفاكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد دع عنك أصحابى فوالله لو كان أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته أى والغدوة السير فى أول النهار الى الزوال والروحة السير من الزوال الى آخر النهار والمراد بأصحابه هنا السابقون الى الاسلام ومنهم عبد الرحمن بن عوف بل هو المراد كما تصرح به الرواية الآتية فقد نزل صلى الله عليه وسلم الصحابة غير السابقين الذين يقع منهم الرد على الصحابة غير السابقين لكون ذلك لا يليق بهم منزلة غير الصحابة * قال ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور وأعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرض عن خالد وقال يا خالد ذر أصحابى وفى رواية لا تسب أصحابى لو كان لك أحد ذهبا فانفقته قيراطا قيراطا فى سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن انتهى أى ولا يخفى أنه بعد أن خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه اغتاقهم لقولهم صبأنا ولم يقولوا أسلمنا الآن يقال يجوز أن يكون خالد فهم انهم قالوا ذلك على سبيل الانفة وعدم الانقياد الى الاسلام وأنه صلى الله عليه وسلم انما أنكر عليه العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا ثم لا يخفى أنه جاء لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ونقل الامام السبكى عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فانه كان يحضر مجلس وعظه أن قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى كان خطابا لمن يأتى بعده من أمته لانه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات فرأى

في بعضها اسائر أمته الآتين من بعده فقال خطابا لهم لا تسبوا أصحابي وارتضى منه هذا التأويل فالنهي والخطاب بلا تسبوا أصحابي لغير الصحابة تنزيلا للغائب الذي يوجد منزلة الموجود الحاضر وفيه أن هذا لا يساعد عليه المقام وفي الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم ما يقطع الاطماع من مداناتهم فان كون ثواب انفاق مثل جبل أحد ذهبا في وجه الخير لا يبلغ ثواب التصدق بنصف المد الذي اذا طحن وعجن لا يبلغ الرغيف المعتاد أمر عظيم ٭أقول ووقع لخالد رضي الله تعالى عنه نظير ذلك في زمن خلافة الصديق فان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم عين خالد القتال أهل الردة وكان ممن حاربهم مالك بن نويرة فأسره خالد هو وأصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادي خالد أن أدفئوا أسراكم فظن القوم انه أراد ادفنوا أسراكم أي اقتلوهم فقتلوهم وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بذلك قال اذا أراد الله أمرا أصابه وتزوج خالد رضي الله عنه زوجة مالك بن نويرة وكانت من أجمل النساء ويقال ان خالدا استدعى مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الاسلام وتمنع الزكاة ألم تعلم أن الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له أهو صاحبنا وليس هو بصاحبك يا ضرار اضرب عنقه وأمر برأسه فجعل ثالث حجر بن جعل عليها قدر يطبخ فيه لحم فعل ذلك ارجافا لاهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال للصديق رضي الله تعالى عنهما أعزله فان في سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال الصديق رضي الله عنه لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين والمنافقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين وقال الصديق رضي الله تعالى عنه في حق خالد عجزت النساء ان يلدن مثل خالد بن الوليد وفي كلام السهيلي انه روي عن عمر بن الخطاب انه قال لابي بكر الصديق أن في سيف خالد رهقا فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لابي بكر اقتله فقال لا أفعل لانه متأول فقال اعزله فقال لا أغمد سيفا سله الله تعالى على المشركين ولا أعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وأصل العداوة بين خالد وسيدنا عمر رضي الله عنهما على ما حكاه الشعبي انهما وهما غلامان تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت ولما ولي سيدنا

عمر رضي الله تعالى عنه الخلافة أول شيء بدأ به عزل خالد لما تقدم وقال لا يلي لي عملا أبدا وقيل لكلام بلغه عنه ومن ثم أرسل الى أبي عبيدة ان أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فهو معزول فانزع عمامته وقاسمه ماله نصفين ولم يكذب نفسه فقاسمه أبو عبيدة ماله حتى احدى نعليه وترك له الاخرى وخالد يقول سمعا وطاعة لامير المؤمنين وبلغه ان خالدا أعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء احسانه فأرسل لابي عبيدة ان يصعد المنبر ويوقف خالدا بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته لان العشرة آلاف ان كان دفعها من ماله فهو سرف وان كان من مال المسلمين فهي خيانة فلما قدم خالد رضي الله تعالى عنه على عمر رضي الله تعالى عنه قال له من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف فقال من الانفال والسهمان قال ما زاد على الستين الفا فهو لك ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين الفا ثم قال له والله انك علي لكريم وانك الحبيب ولم تعمل لي بعد اليوم على شيء وكتب رضي الله عنه الى الامصار اني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت ان تعلموا أن الله هو الصانع اي وان نصر خالد على من قاتله من المشركين ليس بقوته ولا بشجاعته بل بفضل الله فالصديق لم يعزله خالد بن الوليد مع فعله ما يكرهه بتأويل له في ذلك كما انه صلى الله عليه وسلم لم يعزله مع فعله لما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه الى السماء وقال اللهم اني أبرأ اليك مما فعل خالد لكونه كان شديدا على الكفار لرجحان المصلحة على المفسدة وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عزله لخوف افتتان الناس به فعزله وولى أبا عبيدة بن الجراح قال بعضهم كان الصديق رضي الله تعالى عنه لينا وخالد بن الوليد شديدا وعمر رضي الله عنه كان شديدا وأبو عبيدة لينا فكان الاصلح لكل منهما أن يولي من ولاه ليحصل التعادل والله أعلم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في القوم رجل وقال لهم أنا لست من هؤلاء ولكني عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر اليها ثم افعلوا بي ما بدا لكم ثم أشار الى نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم فقلت والله ليسير ما طلب فأخذته حتى أوقفته عليهن فأنشد أبياتا ثم جئت به فقدموه فضربت عنقه فقامت امرأة من بينهن فجاءت حتى وقفت عليه فشهقت بفتح الهاء شهقة أو شهقتين ثم ماتت أي وفي رواية فأكبت عليه تقبله حتى ماتت انتهى أي وفي رواية وانحدرت اليه من هودجها فجثت عليه حتى ماتت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم القلب

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه الى أوطاس)

لما انصرف صلى الله عليه وسلم من حنين وانهزم المشركون عسكر منهم طائفة بأوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أباعامر الاشعرى عم أبي موسى الاشعرى فى جماعة فيهم أبوموسى الاشعرى ووقع فى الاصل أن أباعامر بن عم أبي موسى الاشعرى قال فى النور وهو غلط وانما أبوموسى بن أخى أبي عامر فلحقوا بالقوم وتناوشوا القتال أى تكافؤا فيه وبارز أبوعامر تسعة ويقال انهم اخوة وهو يقتلهم واحدا بعد واحد أى وصار كل من برز له منهم يدعوه الى الاسلام فيأبى فيقول اللهم اشهد ويحمل عليه فيقتله (ه) ثم برز له أخوهم العاشر فقتل أباعامر أى فانه قال له أسلم فأبى فقال اللهم اشهد فقال اللهم لا تشهد وفرش يديه فظن أبوعامر أنه أسلم فكف عنه فعاد الى أبي عامر فقتله ثم أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وكان اذا رآه صلى الله عليه وسلم يقول هذا شريد أبي عامر قال وعن أبي موسى الاشعرى قال جئت لابى عامر وفيه رمق فقلت يا عم من رماك فقال ذاك وأشار الى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما رآنى ولى فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحى ألا تثبت فثبت فاختلفنا ضربتين فقتلته ثم قلت لابى عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فقال يا ابن أخى بلغ النبى صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له يستغفر لى وقال ادفع فرسى وسلاحى له انتهى فليتأمل الجمع بين هذا وما قبله وقبل أن يموت أبوعامر رضى الله عنه استخلف ابن عمه أباموسى ودفع الراية له وفى لفظ ان أباعامر رماه واحد فأصاب قلبه ورماه آخر فأصاب ركبته فقتلاه وولى الناس أباموسى فحمل عليهما فقتلهما أى وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا (ه) ولما رجع أبوموسى رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت أبي عامر استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعله من أعلى أمتى فى الجنة أى وفى رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس (ه) ودعا لابى موسى أى فقال اللهم اغفر ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

(سرية الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين)

منهم عمرو بن حممة الدوسى ليهدمه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل رضى الله تعالى عنه لهدم ذى الكفين وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشى النار فى وجهه وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

يامعشر الازد من يحمل رايتكم قال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية النعمان
ابن الزاوية قال أصبتم

(سرية عيينة بن حصن الفزارى رضى الله تعالى عنه)

الى بنى تميم اى وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان الى بنى كعب
لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو
تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا واشهروا السلاح ومنعوا
بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولابد فى ديننا من دفع
الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لاندع يخرج بعيرا واحدا ولما رأى بشر رضى الله تعالى
عنه ذلك قدم المدينة وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارسا
من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا انصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم
عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وفى لفظ احدى عشرة
امرأة وثلاثين صبيا فجلبهم الى المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث فجاء فى أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد
ابن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد
وعمرو بن الاهتم ورياح بكسر الراء والمثناة تحت بن الحارث فلما رأوهم بكى اليهم
النساء والذرارى فجاؤا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم أى بعد ان دخلوا المسجد
ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا أى بصوت جاف أخرج الينا فانا خرك
ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يامحمد أخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم أى وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضى الله تعالى عنه الصلاة
وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بوقف معهم أى قالوا نحن
ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبى صلى الله
عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد أى بعد أن قالوا له ما تقدم ومنه ان مدحنا
لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبتم بل مدح الله عز وجل الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب
عليهما الصلاة والسلام ثم قالوا له ائذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى لفظ
انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا (ه) فقدموا عطارد بن حاجب وفى لفظ

قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يافلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب أي فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤس الناس وأفاضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ماعددنا ولو نشاء لاكثرنا وانما أقول قولي هذا الان بأن تأتوا بمثل قولنا وأمرا أفضل من أمرنا ثم جلس أي وفي رواية أنه قال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض وأكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هي أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه أي قال له قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت رضي الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم ان كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه قيلا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم (ه) أي وفي رواية أنه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس احلاما فأجابوه والحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هينا أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يافلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال أبياتا تامنها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ✽ نحن الرؤس وفينا يقسم الربع

اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ✽ انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بحسان بن ثابت فحضر فقال له قم فأجبه

فقال يسمعني ماقاله وأسمعه فقال حسان رضي الله تعالى عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر

وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لي علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده في منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك قال أخشى أن أكون من أهل النار لأني رفعت صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ثابت ابن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه آت في منامه فقال له اني أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد أن وجدها على ما وصف وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته * قال بعضهم هو مالك ولا يعلم أحدا أحدثت وصيته بعد موته سواه * ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر و بين حسان بن ثابت رضي الله عنه كل منهما يذكر قصيدة يذكر فيها الفخر فمن قصيدة الزبرقان بن بدر وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

أتانا أولم يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفيه أن هذا البيت من قول بعض بني تميم وقد أسمعه لحسان كما تقدم فليتأمل

* ووقعت مفاخرة بين الاقرع بن حابس و بين حسان رضي الله عنه فقال الاقرع ابن حابس اني والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه * فقال له صلى الله عليه وسلم هات فأنشد

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان أجبه فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم ان تذكر ما كنت ترى أن الناس قد نسوه * فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد عليهم من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا أي ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرك ما كان قبل هذا * ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن رضي الله عنه فقال يا رسول الله لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم * قال ابن دريد رحمه الله اسم الاقرع نواس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه * والقرع انحصاص الشعر * وكان رضي الله عنه شريفا في الجاهلية والاسلام ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم * ووقع أن عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم انه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال * وفي لفظ أن الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع في ناديه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد * فقال عمرو أنا أحسدك والله انك للئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض العشيرة فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت * وفي رواية والله يا رسول الله لقد صدقت فيهما أرضاني فقلت أحسن ما علمت وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وجاء ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيا * قال

بهم * أما قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا فان الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق * وأما قوله ان من العلم جهلا فان العالم يكلف مالا يعلم فيجهله ذلك * وأما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والأمثال * وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه هذا كلامه وفيه أن هذا بيان للسحر المذموم ليس المراد هنا وانما هو من السحر الحلال * ومن ثم أقر صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاهتم عليه ولم يحفظه منه فالسحر المذموم أن يصور الباطل في صورة الحق ببيانه ويخدع السامع بتمويهه وهو المراد عند الاطلاق والسحر غير المذموم فما كان من البيان على حق لان البيان بعبارته مقبولة عذبة لا استكراه فيها تستميل القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به * ثم انه صلى الله عليه وسلم دعاهم الاسارى والسبي وأحسن جوائزهم * قال أي بعد أن أسلموا وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية * قيل الاعمرو بن الاهتم فان القوم خلفوه في ظهورهم لأنه كان أصغرهم سنا فأعطاه خمس أواق * وقد اختلف في عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا * وقيل كانوا ثمانين وقيل كانوا تسعين انتهى أي والذي في الاستيعاب ثم أسلم القوم وبقوا في المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن * ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم امراهم ونساءهم * وقال أما بقي منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم في ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناله لم يبق منا الاغلام في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم * وبلغ عمرو ما قال قيس في حقه وأنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك * وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان رضي الله عنه جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذا كلامه وأنزل الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا * قيل معناه لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا اجابته بالاعذار التي يؤخر بها بعضكم اجابة بعض ولكن عظموه صلى الله عليه وسلم بسرعة الاجابة

(سرية قطبة بن عامر رضي الله عنه الى حي من خثعم)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم أي سكت ولم يعلمهم الامر فجعل يصيح بالحاضر أي وهم القو

النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم و يحذرهم فضربوا عنقه ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين وساقوا النعم والشاء الى المدينة وجاء سيل فحال بينهم وبين القوم فلم يجدوا القوم اليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

(سرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه)

في جمع الى بني كلاب فلقوهم ودعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وكان من جملة المسلمين شخص لقي أباه في جملة القوم فدعاه الى الاسلام فسبه وسب الاسلام فضرب عرقوب فرس أبيه فوقع فأمسك أباه الى أن أتى بعض المسلمين فقتله * أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث لبني كلاب وكتب اليهم في رق فلم ينقادوا للاسلام وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم * فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال مالهم أذهب الله عقولهم فصار لا يوجد أحد منهم الا مختل العقل مختلط الكلام بحيث لا يفهم كلامه

(سرية علقمة بن مجزز رضي الله عنهما)

بضم الميم وفتح الجيم وزايين الاولى مكسورة مشددة المدلجي أي وهو ولد القائف الذي قال في حق زيد بن حارثة وأسامة رضي الله عنهم وقال ان بعض هذه الاقدام من بعض فهو صحابي ابن صحابي الى جمع من الحبشة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراآهم أهل جدة أي في مراكب وجدة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر لان الجدة شاطئ البحر * فبعث اليهم علقمة بن مجزز رضي الله عنهما في ثلاثمائة فخاض بهم البحر حتى أتوا الى جزيرة في البحر فهربوا أي ورجعوا ولم يلق كيدا * ثم لما كانوا في اثناء الطريق اذن علقمة رضي الله عنه لجماعة أن يتعجلوا وأمر عليهم أحدهم فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم أميرهم عزمت عليكم الا توثبتم أي وقعتم في هذه النار فقام بعض القوم فحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه * قال وعن علي كرم الله وجهه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال اجمعوا الي حطبا فجمعوا له ثم قال أوقدوا نارا فأوقدوها ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم من النار فكان كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا * وقال صلى الله عليه وسلم لا طاعة فى معصية الله وانما الطاعة فى المعروف انتهى أى والضمير فى دخولها النار التى أوقدت والضمير فى منها النار الآخرة لان الدخول فيها معصية والعاصى يستحق النار فالمقصود من ذلك الزجر * وفى رواية من أمركم منهم أى من الامراء بمعصية الله فلا تطيعوه وفى لفظ لا طاعة فى معصية الله ولا مانع من تكرر هذه الواقعة

(سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

الى هدم الفلس بضم الفاء وسكون اللام صنم طيء والغارة عليهم * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب فى خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض الى هدم الفلس والغارة عليهم فشن الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفلس واحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي وكان فى السبي أخت عدى بن حاتم الطائى أى واسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الالف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث والسفانة فى الاصل هى الدرة وهذه أسلمت رضى الله عنها * قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت الا هذه ووجد راى خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهى رسوب والمخذم واليمانى وثلاثة أدرع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذى هو اليمانى * قال ومر النبى صلى الله عليه وسلم بأخت عدى فقامت اليه وكانت امرأة جزلة أى ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم ان يمن عليها فمن عليها فأسلمت رضى الله عنها وخرجت الى أخيها عدى فأشارت اليه بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه كما سيأتى فى الوفود ويذكر أنها قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت ان تخلى عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طيء فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * أى وفى لفظ قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت ان تمن على ولا تفضحنى فى قومى فانى بنت سيدهم ان أبى كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العريان

ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي فقال لها صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الاخلاق حقا ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق * وفي رواية انها قالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك * قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله أي لانه هرب لما رأى الجيش كما سيأتي في الوفود * قال ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى اذا كان من الغد قلت له كذلك وقال لي مثل ذلك ففي اليوم الثالث أشار الى رجل خلفه بأن كلميه فكلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلي حتى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك ثم آذنيني أي أعلميني وسألت عن الرجل الذي أشار علي بكلامه فقيل لي انه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قالت فصبرت حتى قدم علي من أثق به فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي انتهى

(سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى بلاد مذحج)

بفتح الميم واسكان الذال المعجمة ثم حاء مهملة مكسورة ثم جيم كمسجد أبو قبيلة من اليمن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه الى بلاد مذحج من أرض اليمن في ثلاث مائة فارس وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت أول خيل دخلت الى تلك البلاد ففرق أصحابه رضي الله عنهم فأتوا بنهب بفتح النون وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرع الى اجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى وجمع علي كرم الله وجهه الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقي على أصحابه ثم رجع علي كرم الله وجهه فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قدمها للحج أي حجة الوداع * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه في سرية الى اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن الى الاسلام * قال فى الاصل ان هذه السرية هى الاولى وما قبلها السرية الثانية

(سرية خالد بن الوليد رضى الله عنه)

الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان نصرانيا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى أربعمائة وعشرين فارسا فى رجب سنة تسع الى أكيدر بدومة الجندل وقال له انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فجاءت البقر تحتك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر وقاتل أخوه حتى قتل وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل * وكان على أكيدر قباء من ديباج مخوصة أى فيها خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخل فاستلبه خالد اياها وأرسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها فقال صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا أى وتقدم وصالح على أهل دومة الجندل بألفى بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ثم خرج خالد بأكيدر وأخته مصاد قافلا الى المدينة فقدم بالاكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخته وخلى سبيلهما * وكتب له كتابا فيه أمانهم وختمه يومئذ بظفره * أى ومن جملة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لاكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها الى آخره * وهذا كالايمن يدل على ان أكيدر أسلم أى وهو الموافق لقول أبى نعيم وابن منده باسلامه وانه معدود من الصحابة وأهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم حلة فوهبها صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب * وذكر ابن الاثير أى فى أسد الغابة ان القول باسلامه غلط فاحش فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير أى وحينئذ يكون قوله فى الكتاب حين أجاب الى الاسلام أى انقاد اليه وبعده قوله وخلع الانداد والاصنام فليتأمل وانه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد الى حصنه وبقى فيه على نصرانيته * ثم ان خالدا رضى الله عنه حاصره فى زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فقتله نقضه

العهد قال ابن الاثير وذكر البلاذري أن أكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم ثم بعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد ثم قتله خالد أي بعد أن عاد من العراق الى الشام قال وعلى هذا القول لا ينبغي أن يذكر في الصحابة والا كان كل من أسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثم ارتد أي ومات مرتدا يذكر في الصحابة * أي ولا قائل بذلك ثم رأيت الذهبي قال في عمارة بن قيس بن الحارث الشيباني انه ارتد وقتل مرتدا في خلافة أبي بكر وبهذا أخرج عن ان يكون صحابيا بكل حال

(سرية اسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم)

الى أبنى بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان والرملة وفي كلام السهيلي رحمه الله وهي قرية عند موته التي قتل عندها زيد بن حارثة رضي الله عنهما * لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيء لغزو الروم * فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء * وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز باسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله فخرج رضي الله عنه بلواء أبيه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والانصار الا اشتد لذلك * منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم * فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين والانصار أي لان سن أسامة رضي الله عنه كان ثمانية عشر * وقيل تسعة عشر سنة * وقيل سبع عشرة سنة * ويؤيد ذلك أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث * ثم التفت اليه المهدي وقال كم سنك يا فتى فقال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة ابن زيد بن حارثة رضي الله عنهم لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما * فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة * ومما يؤثر عنه من لم يعرف عيبه فهو أحمق فقيل له ما عيبك يا أبا واثلة قال

كثرة الكلام * وقيل كان عمر أسامة رضي الله عنه عشرين سنة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم وطعنهم في ولايته مع حداثة سنه غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه * ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق الامارة وان كان لمن أحب الناس الي وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم وتقدم أنه رضي الله عنه كان يقال له الحب ابن الحب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح خشمه وهو صغير بثوبه * ثم نزل صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ارسلوا بعث أسامة أي واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس أي فلا منافاة بين القول بأن أبا بكر رضي الله عنه كان من جملة الجيش وبين القول بأنه تخلف عنه لانه كان من جملة الجيش أولا وتخلف لما أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله عنه أنه تخلف عن جيش أسامة رضي الله عنه لما علمت أن تخلفه عنه كان بأمره صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس * وقول هذا الرافضي مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة مردود لانه لم يرد اللعن في حديث أصلا * فلما كان يوم الاحد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من عسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور فطأطأ رأسه فقبله وهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على أسامة رضي الله عنه * قال أسامة فعرفت أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لي ورجع أسامة رضي الله عنه الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذا رسول أمه أم أيمن رضي الله عنها قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت * وفي لفظ فسار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين زاغت الشمس * أي وفي لفظ أنه رضي الله عنه لما نزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة حتى أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضي أسامة لما أمر به * فلما مات صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب * أي فانه لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهود وصارت المسلمون كالغنم الطيرة في الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلي ولا ندفع الزكاة * وعند ذلك كلم أبو بكر رضي الله عنه في منع أسامة من السفر أي قالوا له كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى * أي وقال والله الذي لا اله الا هو لوجرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده * وفي لفظ والله لأن تخطفني الطير أحب الي من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * أقول ذكر بعضهم أن أسامة رضي الله عنه وقف بالناس الى الخندق * وقال لسيدنا عمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه أن يأذن لي أن أرجع بالناس فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون * وقالت له الانصار رضي الله عنهم فان أبى أبو بكر الا أن يمضي أي الجيش فابلغه منا السلام واطلب اليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر على أبي بكر رضي الله عنهما وأخبره بما قال أسامة * فقال أبو بكر والله لو تخطفني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فان الانصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر * وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه * فخرج عمر الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم مالقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا هذا كلامه * وفيه أن هذا مخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر وانكاره على من طعن في ولاية أسامة اذ يبعد عدم بلوغ ذلك للانصار رضي الله عنهم الا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه المقالة جمع من الانصار لم يكونوا سمعوا ذلك ولا بلغهم أو جوزوا أن الصديق رضي الله عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه

المصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه المصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه جوّز ذلك حيث لم يتكفل بالرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على من طعن فى ولاية أسامة رضى الله عنه فليتأمل والله أعلم * وكلم أبو بكر رضى الله عنه أسامة فى عمر رضى الله عنه أن يأذن له فى التخلف فقعد ولعل ذلك كان تطييبا لخاطر أسامة ومن ثم كان عمر رضى الله عنه لا يلقى أسامة الا قال السلام عليك أيها الامير كما يأتى * فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضى الله عنه أى فى ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه بعد أن سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة راكبا وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل * فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق رضى الله عنه استودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقد وقع نظير ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضى الله عنه الى اليمن شيعه صلى الله عليه وسلم وهو يمشى تحت راحلة معاذ وهو يوصيه * ثم ان أسامة رضى الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق أرضها فأزال نخلها وأجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد * وكان أسامة رضى الله عنه على فرس ابيه وقتل قاتل أبيه رضى الله عنهما وأسهم للفرس سهمين وللفارس سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك * فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر فى المهاجرين والانصار ممن لم يكن فى تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم * ودخل أسامة رضى الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ثم انصرف الى بيته * أى وكان فى خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام أى وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى بعد أن ولى الخلافة اذا رأى أسامة رضى الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير * وفى السيرة الشامية سرايا أخر تركناها كراهة للاطالة * وفى السنة الثامنة أمر صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد أن يحج بالناس وهو

بمكة وقد كان صلى الله عليه وسلم استعمله عليها لما أراد الخروج الى حنين وقيل لما رجع من حنين واستمر أميرا على مكة حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره الصديق رضى الله عنه الى أن توفى وكانت وفاته يوم وفاة الصديق رضى الله عنهما * أى لانه أطعم سم سنة فى اليوم الذى أطعم فيه الصديق ذلك * وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب فى الجاهلية من حج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم فى الموقف * ولما دخلت سنة تسع استعمل صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه على الحج فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها صلى الله عليه وسلم وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات * ثم تبعه على كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء أى بفتح القاف والمد * وقيل بالضم والقصر ونسب للخطأ فقال له أبو بكر رضى الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثنى أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم كما تقدم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وفى كلام السهيلى رحمه الله لما أردف أبو بكر بعلى رضى الله عنهما رجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم * وقال يا رسول الله هل أنزل فى قرآن قال لا ولكن أردت أن يبلغ عنى من هو من أهل بيتى فمضى أبو بكر رضى الله عنه فحج بالناس أى فى ذى الحجة لا فى ذى القعدة كما قيل من أجل النسىء الذى كان فى الجاهلية يؤخرون له الاشهر الحرم أى فان براءة نزلت أى صدرها والا فقد نزل منها قبل ذلك فى غزوة تبوك انفروا خفافا وثقالا الآيات وكان نزول صدرها بعد سفر أبى بكر رضى الله عنه فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اخرج بصدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه براءة يوم النحر أى الذى هو يوم الحج الاكبر عند الجمرة الاولى وقال لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أمرنى على كرم الله وجهه أن أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى فقيل له بما كنت تنادى فقال بأربع أن لا يدخل الجنة الا مؤمن وأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له

عهد فله أجله أربعة أشهر ثم لا عهد له * وأول تلك الاربعة يوم النحر من ذلك العام ومن لا عهد له فعهده الى انقضاء المحرم وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى كرم الله وجهه ستر ون بعد الاربعة أشهر فانه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بما ذكر لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك * أى وتقدم سبب الاتيان بذلك ويطوف رجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل فيقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شئ من الدنيا خالطه الظلم * أى وفى لفظ التى قارفنا فيها الذنوب * وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه هو ولا أحد غيره أبدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللقى * وفى الكشاف كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا بأن يعروا من الذنوب كما يعرون من الثياب * وكانت النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت امرأة عريانة ويدها على قبلها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أوكله * فما بدا منه فلا أحله

وأنزل الله تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق فأبطلت ذلك سورة براءة فى تلك السنة * أى وقيل الزينة المشط وقيل الطيب وكان بنو عامر فى أيام الحج لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجتهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل ذلك فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا ويحكى أن بعض الاطباء الحذاق من النصارى قال لبعض العلماء أليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى بعض آية من كتابه قال وما هى قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم صلى الله عليه وسلم شئ من الطب قال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة * قال وما هى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته * فقال ذلك الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيأ وبينت براءة أن من كان له عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله الى أربعة أشهر * وفى لفظ لما لحق على كرم الله وجهه أبا بكر رضى الله عنه قال له أبو بكر

أمير أو مأمور قال بل مأمور وزعمت الرافضة أنه صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر عن امارة الحج بعلي وعبارة بعض الرافضة ولما تقدم أبو بكر بسورة براءة رده صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة أيام بوحي من الله وكيف يرضى العاقل امامة من لا يرتضيه النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله لاداء عشر آيات من براءة هذا كلامه * قال الامام ابن تيمية رحمه الله وهذا أبين من الكذب فان من المعلوم المتواتر أن أبا بكر رضي الله عنه لم يعزل وأنه حج بالناس وكان علي كرم الله وجهه من جملة رعيته في تلك السفرة يصلي خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع الى المدينة حتى مضى الحج في ذلك العام وانما أردف صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه بعلي كرم الله وجهه لنبذ العهود * وكان من عادة العرب لا ينبذ العهد الا المطاع أو رجل من أهل بيته أي فلو تلا أبو بكر رضي الله عنه ما فيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تعللوا وقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فأزاح الله عللهم بكون ذلك على يد رجل من بني أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الادنى اليه ممن له ذرية وهو عبد المطلب * قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة وبهتانهم * أي وعلى عادة العرب بما ذكر جاء قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عني الا رجل من أهل بيتي كما تقدم * وفي لفظ الا رجل مني أي لا يبلغ عني عقد العهود ولا حلها الا رجل مني أي من بني أبي الادنى ولأب له ذرية أدنى اليه صلى الله عليه وسلم من عبد المطلب ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ الاحكام والقرآن اذ كل أحد من المسلمين مأذون له في تبليغ ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة التي هي سنة تسع تتابعت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل لها سنة الوفود

(باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم)

أي غير من تقدم فقد تقدم أنه قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه بها مالك بن عوف النصري وذلك في آخر سنة ثمان * أي ووفد نصارى نجران أي قبل الهجرة ووفد بني تميم في سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد أن ذلك كان في المحرم سنة تسع * ووفد عليه وفد نصارى نجران أيضا بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا ودخلوا المسجد النبوي أي وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب أي ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها * ولما رأى فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزي الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى

قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآيات * وأرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد أن حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر فأراد الناس منعهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا * أى لان أحدهم قال له صلى الله عليه وسلم المسيح عليه السلام ابن الله لانه لا أب له * وقال آخر هو الله لانه أحيى الموتى وأخبر عن الغيوب وابرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا * وقال له صلى الله عليه وسلم أتشتمه علينا تشتمه وتزعم أنه عبد فقال صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا أن تقول انه اله وقالوا له صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فأرنا عبد الله يحيى الموتى ويشفى الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فاذا طير فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحى بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم * وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب * ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله أمرنى ان لم تنقادوا للاسلام أن أباهلكم أى ندعو ونجتهد فى الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله علمتم أن الرجل نبى مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أى أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم * وفى لفظ أنهم ذهبوا الى بنى قريظة أى من بقى منهم وبنى النضير وبنى قينقاع واستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه * وفى لفظ أنهم واعدوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلى رضى الله عنهم * وقال اللهم هؤلاء أهلى أى وعند ذلك قال لهم الاسقف انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى قالوا لا نباهلك * وعن عمر رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال صلى الله عليه وسلم آخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة * وهذا أى زيادة عائشة وحفصة فى هذه الرواية دل عليه قوله تعالى ونساءنا ونساءكم وصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية صالحوه على ألف حلة فى صفر

والف

وألف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أباعبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة * أي وفي رواية هذا هو القوي الامين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولولا عفوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضرم الوادي عليهم نارا ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولاحال الحول على النصارى حتى يهلكوا ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون أبوهند الداري وتميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم * قال أبوهند فنهضنا من عنده نتشاور في أي أرض نأخذ فقال تميم الداري رضي الله عنه نسأله بيت المقدس وكورتها فقال أبوهند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف الايتم لنا * قال تميم رضي الله عنه نسأله بيت حبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذا أعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ابد الابد شهد بذلك عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابنا * وقال انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت * قال أبوهند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه ان يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه اني أنطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم أبد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب نقل ذلك في المواهب وأقره وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة * قال فيها حدثني تميم وذكر خبر الجساسة أي لان تميما رضي الله عنه أخبره صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت به سفينة فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقي انسانا يجر شعره * فقال له من أنت قال انا الجساسة قالوا أخبرنا * قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد * فقال من أنتم قلنا ناس من يثرب

قال ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه * قال فان ذلك خير لهم قال أفلا تخبروني عن عين زغر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة * ثم قال ما فعل نخل بيسان العرب هل أطعم ثمره فأخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها فقال أما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال * قال ابن عبد البر وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار أي كما تقدم * ووفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر الاشعريون صحبة أبي موسى الاشعري وصحب واجعفر بن أبي طالب من الحبشة وقال صلى الله عليه وسلم فيهم كما تقدم أتاكم أهل اليمن هم أرق افئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية * وقال في حق أهل اليمن يريد أقوام ان يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم والاشعري نسبة الى أشعر واسمه نبت بن أدد بن يشجب * وانما قيل له أشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه * قال ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب ودخلوا في دين الله أفواجا * قال في النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد انتهى والوفد رسول القوم يتقدمهم وقد يراد به ما هو أعم من ذلك فيشمل من قدم غير رسول وحينئذ يكون من ذلك كعب بن زهير رضي الله عنه فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان أخاه بجير بن زهير خرج يوما هو وكعب في غنم لهما فقال لاخيه كعب اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وآمن به وذلك ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير والدهما رضي الله عنهما انه قد مد بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم ان أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلموا * ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير رضي الله عنه الى أخيه كعب بن زهير * وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة وأنه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجالا ممن كان يهجوه من شعراء قريش وهرب بعضهم في كل وجه كابن الزبعرى وهبيرة ابن أبي وهب وأنه صلى الله عليه وسلم قال من أتى

منكم كعب بن زهير فليقتله فان كان لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاء تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام وان أنت لم تفعل فانج الى نجاتك وفى تصحيح الانساب لابن أبى الفوارس أن زهير بن أبى سلمى قال لاولاده انى رأيت فى المنام سببا اتى من السماء فمددت يدى لاتناوله ففاتنى فاولته أنه النبى الذى يبعث فى هذا الزمان وانا لا أدركه فمن أدركه منكم فليصدقه وليتبعه ليهتدى به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به ابنه بجير وأقام كعب ابنه على الشرك والتشبيب بأم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لئن وقع كعب فى يدى لاقطعن لسانه الحديث أى ولا مانع ان يكون ضم الى هذا هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأرجف به أعداؤه وصار واية ولون هو مقتول لا محالة فلم يجد بدا من مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر فيها ارجاف أعدائه رضى الله عنه التى مطلعها بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * ثم خرج رضى الله عنه حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح وأشار له ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى ان جلس الى رسول الله صلى الله عليه ووضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ومن حضره لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يا رسول الله انا كعب بن زهير فوثب رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا * فلما أنشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض للانصار قيل حمله على ذلك ما سمعه من ذلك الانصارى مما أغاظه ولم يسمع من المهاجرين شيأ يغيظه وفيه أن هذا واضح اذا كان أنشاء ذلك فى ذلك الوقت * وأما اذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر ما تقدم أنه عمل تلك القصيدة التى من جملتها ما ذكر فلا فعند ذلك غضب الانصار فمدحهم بالقصيدة التى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصارى

أى ويقال له انه صلى الله عليه وسلم هو الذى حضه على مدحهم وقال له لما أنشد بانت سعاد ورآها صلى الله عليه وسلم مشتملة على مدح المهاجرين دون الانصار لولا

أي هلا ذكرت الانصار بخير فان الانصار أهل لذلك ولما أنشده صلى الله عليه وسلم بانت سعاد وقال

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من آل كعب بمال كثير أي بعد أن دفع لكعب فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب رضي الله عنه أخذها من ورثته بعشرين ألفا وتوارثها خلفاء بني أمية ثم خلفاء بني العباس اشتراها السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاث مائة دينار أي بعد انقراض دولة بني أمية أي وكانوا يطرحونها على أكتافهم جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ويقال ان التي كانت عند بني العباس بردته صلى الله عليه وسلم التي أعطاها لاهل أيلة مع كتابه الذي كتبه لهم أمانا وذلك في غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب رضي الله عنه فقدت عند زوال دولة بني أمية * وأما هذه البردة فلعل فقدها كان في فتنة التتر ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال ان معاوية رضي الله عنه اشترى البردة التي كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتر منه سنة أخذ بغداد وقال هذا من الامور المشهورة جدا ولكني لم أر ذلك في شيء من الكتب باسناد ارتضيه وصار كعب رضي الله عنه من شعرائه صلى الله عليه وسلم الذين يذبون عن الاسلام كعبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت الانصاريين رضي الله عنهما * ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود رضي الله عنه حتى أدركه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال له عروة يارسول الله انا أحب اليهم من أبكارهم أي أول أولادهم * وفي رواية من أبصارهم فخرج رضي الله عنه يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم أي لانه رضي الله عنه كان فيهم محببا مطاعا * فلما أشرف لهم على علية ودعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله * وفي لفظ انه رضي الله عنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه

منهم فخرجوا من عنده حتى اذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت ما ترى فى دمك فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم * وقال فى حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه أى المذكورة فى سورة يس وهو حبيب ابن مرى * وقال السهيلى يحتمل أن المراد به صاحب الياس فان الياس يقال فى اسمه يس أيضا وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة فى حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحارث بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى هلال ابن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا قامت بعد قتل عروة شهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد أسلموا فأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا عبد ياليل بن عمرو وكان فى سن عروة بن مسعود رضى الله عنه فى ذلك فأبى أن يفعل لانه خشى أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل ونسب قائله الى الغلط فقال است فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف أسلم غيلان بالغين المعجمة على عشر نسوة ومن أسلم على عشر نسوة أيضا عروة بن مسعود وكذلك مسعود بن معتب ومسعود بن عمير وسفيان بن عبد الله وأبو عقيل مسعود بن عامر وكلهم من ثقيف * ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبى العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة لقوا المغيرة بن شعبة اثنة فى فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر رضى الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضى الله عنه أقسمت عليك لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل * فدخل أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه * ثم خرج المغيرة ى وعلمهم رضى الله عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا تحية الجاهلية * وحى عم صباحا ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة فى ناحية المسجد أى ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبى العاص عند

أسنانهم فكان عثمان اذا رجعوا ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وكان فيهم رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع * وفي المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين * وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة * وبما جاء في أحاديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه * وأجيب بأن الامر باجتناب المجذوم ارشادي ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة محمولة على من قوي ايمانه وعدم جوازها على من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقتدى به فيأخذ القوي الايمان بطريق التوكل والضعيف الايمان بطريق الحفظ والاحتياط وعند انصرافهم قالوا يا رسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين * ولقول الصديق رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن * وفي رواية أن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله اجعلني امام قومي قال أنت امامهم وقال لي اذا أممت فأخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أدائه أجرا وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا * وكان الكاتب له خالدا المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيأ من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه * ووج واد بالطائف * وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفعة وشفاه * وروى أبو داود والترمذي الا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم * وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه * وفي لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك * وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم وهي اللات أي وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم له فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا زالوا

يسألونه سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم وأراد وابذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند خروجهم قال لهم سيدهم كنانة أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم سألنا أمورا عظيمة ما أبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر * فلما جاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس عرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا أبدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال ورموا حصنكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا من طاقة فارجعوا اليه واعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كتمتمونا قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية * وفي رواية لما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة رضي الله عنه أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه * وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول أي الفاس العظيمة التي يقطع بها الصخر وقام قومه دونه خشية أن يرمى كما رمى عروة وخرج نساء ثقيف حسرا أي مكشوفات الرؤس حتى العواتق من الحجال يبكين على الطاغية * قال وفي رواية يظنون أنه لا يمكن هدمها لانها تمتنع من ذلك وأراد المغيرة رضي الله عنه أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فألقى نفسه لما علا على الطاغية ليهدمها * وفي لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها * وفي رواية لما أخذ المعول وضرب اللات ضربة صاح وخر لوجهه فارتج الطائف بالصياح سرورا وأن اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيت يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم يا خبثاء والله ما قصدت الا الهزؤ بكم * وفي رواية فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ في هدمها انتهى فهدمها بعد أن بدأ بكسر بابها حتى هدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها

يقول ليغضبن لاباس فليفسقن بهم وأخذها لما وحليها * فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان أن يقضي دين عروة والاسود أخويه من مال الطاغية فقضاه فان أباالمليح بن عروة بن مسعود وقارب بن عمه بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة ابن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم * وكان صلى الله عليه وسلم قد أجاب أباالمليح فقال له نعم فقال له ابن عمه قارب بن الاسود وعن الاسود يارسول الله ان عروة والاسود أخوان لاب وام وقال صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب يارسول الله انما الدين علي وأنا الذي أطالب به * ومن الوفود وفد بني تميم وقد تقدم ذكره أي في الكلام على سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وفي ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس والزبرقان ابن بدر * وذكر في الاستيعاب أنه كان مع وفد تميم قيس بن عاصم فأسلم وذلك في سنة تسع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم * قيل للاحنف بن قيس وكان من أحلم الناس ممن تعلمت الحلم * قال من قيس بن عاصم رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فأتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه فقال يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة وكان قيس بن عاصم رضي الله عنه ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وسبب ذلك أنه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب أبويها ورأى القمر فصار يخاطبه وأعطى الخمار مالا كثيرا فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه وقال في ذمها أبياتا كثيرة * ولما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل فاذا مت فلا تنوحوا علي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقد قيل فيه من جملة أبيات عند موته

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وتقدم أنهم نادوه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا ثلاث مرات فخرج اليهم الى آخر ما تقدم * ومنها وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكانوا أي هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم كان مناديه ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه * وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على هذا الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف * وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت أي حلفت ان لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أي اجعلني خليلا وصديقا لك قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء * وفي رواية لما أتاه صلى الله عليه وسلم عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له صلى الله عليه وسلم أسلم يا عامر فقال له عامر ان لي اليك حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان قوله خالني أي اجعل لي منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لاربد اني أشاغل عنك وجهه * قال وذكر ان عامر بن الطفيل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم يا عامر فقال أتجعل لي الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء * أي وقال له يا محمد أسلم على أن لي الوبر ولك المدر * فقال لا فقال مالي ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا * وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل * قال السهيلي وجعل أسيد بن حضير رضي الله عنه يضرب في رؤسهما ويقول أخرجا أيها الهجرسان أي القردان فقال له عامر ومن أنت فقال أسيد بن حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك قال بلى أنا خير منك ومن أبي لان أبي كان مشركا وأنت مشرك ومكث صلى الله عليه وسلم أياما يدعو الله عليهم ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله انتهى أي ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على

منابرها ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وانى شئت * وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء * فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على وجه الارض من رجل أخافه على نفسي مثلك أبدا وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا فقال لا أبالك لا تعجل على والله ما هممت بالذي أمرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف * أي وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد * وفي رواية لما وضعت يدي على قائم السيف يبست فلم استطع ان احركها * وفي رواية لما أردت سل سيفي نظرت فاذا فحل من الابل فاغرفاه بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته خفت ان يبتلع رأسي ويمكن الجمع بأن ما في الرواية الاولى كان بعد أن تكرر منه الهم وما في الرواية الثانية كان بعد ان حصل منه هم آخر وكذا يقال في الثالثة وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه * أي وفي لفظ حلقه أي وأوى لبيت امرأة سلولية من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم وفي كلام السهيلي انما اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لانها منسوبة الى سلول بن صعصعة والطفيل من بني عامر بن صعصعة أي فهي تأسف عليه وصار يأسف الذي كان موته بيتها وصار يمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة أي أغدة كغدة البعير وموتا في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا * أي ويذكر انه صار يقول ابرز يا ملك الموت * وفي لفظ يا موت ابرز لي أي لاقاتلك * وهذا يدل على ان موت عامر لم يتأخر سيما وقد جاء في رواية فخرج حتى اذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه فنام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا يحتاج للجمع بينه وبين قول الاوزاعي * قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا وقدم صاحباه على قومهما فقالوا لاربد ما وراءك يا أربد فقال لا شيء والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت اني عنده الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه

جله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة احرقتهما أى وذلك فى يوم صحو قائظ
وأنزل الله تعالى قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى
الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر * ومنها وفود ضمام بن ثعلبة أى
وقيل وفد فى سنة خمس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا
جاءه رجل من أهل البادية قال فيه طلحة بن عبيد الله جاءنا أعرابى من أهل نجد
ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول الحديث أى جاء على جمل وأناخه
فى المسجد ثم عقله * وقال أيكم ابن عبد المطلب * أى وفى رواية أيكم محمد قالوا
هذا الأمغر المرتفق أى الابيض المشرب بحمرة المتكئ على مرفقه فدنا منه
صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك فمشدد عليك فى المسئلة قال سل عما بدا لك
* أى وفى رواية انا مغلظ عليك فى المسئلة فلا تجد على فى نفسك ما لا أجد فى نفسى
فقال سل ما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم ان الله أرسلك
قال صدق فقال أنشدك الله بفتح الهمزة بربك من قبلك ورب من بعدك * وفى
رواية بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال قال اللهم نعم * قال
وفى رواية أنه قال له قبل ذلك آلله أمرك ان تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيأ
وان نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال أنشدك
بالله آلله أمرك أن نصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله
آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك
بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم * قال وأنشدك
بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فانى
قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة * أقول وهذا السياق يدل على ان وفوده
كان بعد فرض الحج وهو يخالف ما سبق أنه كان فى سنة خمس ومن ثم استبعده ابن
القيم * قال والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة وفيه ان الذى
جزم به ابن اسحاق وأبو عبيدة انه وفد فى سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر رحمه الله
تعالى * ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسلم * ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضى الله
عنهما بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقدم علينا الحديث لان ابن عباس رضى الله عنهما انما قدم المدينة بعد
الفتح فلما أن ولى ضمام رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل
أى بضم القاف صار فقيها او بكسرها فهم وفى لفظ لئن صدق ليدخلن الجنة وكان
عمر رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة

وأى وفى لفظ عن ابن عباس رضى الله عنهما فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام ولما رجع ضمام رضى الله عنه الى قومه قال لهم ان الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه * قال وفى رواية ان أول شىء تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه مه ياضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال لهم ويلكم انهما لايضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا الى آخر ما تقدم وانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم * ومنها وفد عبد القيس وفيهم الجارود وكان نصرانيا أى قد قرأ الكتب فقال أبياتا خاطبها النبى صلى الله عليه وسلم منها

يانبى الهدى أتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا

تتقى وقع يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

الفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص فى أول النهار وفى آخره * وقيل السراب قيل وكانوا ستة عشر فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال يامحمد انى كنت على دين وانى تارك دينى لدينك فتضمن لى دينى فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك أن قد هداك الى ما هو خير لك منه فأسلم وأسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم فقال والله ما عندى ما أحملكم عليه فقال يارسول الله ضوال بيننا وبين بلادنا من ضوال المسلمين أى من الابل والبقر مما يحمى نفسه أفنتبلغ عليها أى نركبها الى بلادنا قال لا اياك واياها فانما تلك حرق النار أى لهبها كذا فى الاصل * وفى السيرة الشامية أن الجارود دعا وفد مع ماحاله يقال له سلمة بن عياض الاردى وأن الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج بتهامة يزعم أنه نبى فهل لك أن تخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو ان يكون هو النبى الذى بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا له ثلاث مسائل يسأله عنها لايخبر بها صاحبه فلعمرى انه ان أخبرنا بها انه لنبى يوحى اليه * فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك به ربك يامحمد * قال بشهادة أن لا اله الا الله وأنى عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند أو وثن يعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يامحمد ان كنت نبيا فأخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت ياجارود فانك أضمرت

أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وان أفضل الصدقة ان تمنح أخاك ظهر دابة أولبن شاة فانها تغدو برفده وتروح بمثله * وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * وأما يوم السباسب فقد أعقبه الله ليلة خير من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لاريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لاشعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأنك عبده ورسوله انتهى * وذكر في السيرة الشامية في وفد عبد القيس أنه كان قبل فتح مكة وذكر ما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق * وفي رواية ليستين ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم أغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا * وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله * وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع * وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقى أي يشرب في مسوك أي جلود الرجال وانما يحتاج من الرجل أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما فقال لا بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والاناة على وزن قناة التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة

* وفى رواية أنهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة أى وهو المراد بما فى بعض الروايات ربيعة فانه من التعبير عن البعض بالكل * وفى البخارى فى الصلاة ان هذا الحى من ربيعة أى ان هذا الحى حى من ربيعة وهو فى الاصل اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لان بعضهم يحيى ببعض قال خير ربيعة عبد القيس مرحبا بالقوم أى صادفتم رحبا بضم الراء أى سعة * وأول من قال مرحبا سيف بن ذى يزن * وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم قالها لابنة عمه أم هانىء رضى الله عنها وقالها لعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مرحبا بالراكب المهاجر * وقال لابنته فاطمة رضى الله عنها مرحبا بابنتى وقال لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم غير خزايا ولا ندامى أى حال كونكم سالمين من الخزى ومن الندم * وفى لفظ مرحبا بالوفد الذين جاؤا غير خزايا ولا ندامى أنا حجيج من ظلم عبد القيس فقالوا يا رسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة أى من سفر بعيد لان مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا فى شهر حرام * أى وفى لفظ الا فى هذا الشهر الحرام وهو كمسجد الجامع ونساء مؤمنات وهو شهر رجب للتصريح به فى بعض الروايات * وقال بعضهم وفى هذا دليل على أن الاعمال الصالحة تدخل الجنة اذا قبلت وقبولها يقع برحمة الله لان مضر كانت تبالغ فى تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الاشهر الحرم ومن ثم قيل رجب مضر فأمرنا بأمر فصل أى فاصل بين الحق والباطل فقال آمركم بأربع أى بخصال أربع أوجمل أربع فى بعض الروايات قالوا حدثنا بجمل من الامر وأنها كم عن أربع آمركم بالايمان بالله أندرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أى وفيه أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمة الشهادة ووقع فى البخارى فى الزكاة زيادة وأو قبل شهادة وهى زيادة شاذة لم يتابع عليها راويها واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس أى لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر وهذا زائد على الاربع ومن ثم قال بعضهم هو معطوف على قوله بأربع أى آمركم بأربع وبأن تعطوا ومن ثم غاير فى الاسلوب * وفى مسلم آمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لانه لم يكن فرض على الصحيح كما قال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو بناء على الاصح أنه فرض سنة ست * وقول الواقدى ان قدومهم وفد عبد القيس

كان فى سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر بعضهم ان لعبد القيس وفدتين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة بعده ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسند الامام أحمد وأن تحجوا البيت وأنه لم يتعرض فى هذه الرواية للعدد أى لقوله أربع ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم وأنهاكم عن أربع عن الدباء أى القرع أى عما ينبذ فيها والحنتم وهو جر ومدهونة بدهان أخضر أى عما ينبذ فيها أى وقيل الحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر أى ماينبذ فى ذلك والمزفت ماطلى بالزفت أى عما ينبذ فيه * وفى رواية زيادة والمقير ماطلى بالقار وهو نبت يحرق اذا يبس وتطلى به السفن كما تطلى بالزفت زاد فى رواية واخبروا بهن من وراءكم أى من جئتم من عندهم ومن يحدث من الاولاد قالوا فيم نشرب يارسول الله قال فى أسقية الادم أى الجلود التى يلاث أى يربط على أفواهها قالوا يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أى الفيران أى لاتبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا * فقال له الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذالم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه فأومأ صلى الله عليه وسلم بكفيه وقال له ياأشج ان رخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها يعنى أعظم منها حتى اذا ثمل أى سكر أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف * وكان فى القوم رجل وقع له ذلك أى وهو جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبى لاغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أى وفى كلام السهيلى فعجبوا من علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واشارته الى ذلك الرجل هذا كلامه أى وفى رواية أنهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لايصلحها الا النبيذ قال فلا تشربوا فى النقير فكأنى بكم اذا شربتم فى النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجلا منكم ضربة لايزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال صلى الله عليه وسلم مايضحككم قالوا والله لقد شربنا فى النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى * ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبى أنت وأمى يارسول الله لو كنت ولدت فى جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرضكم رفعت الى منذ قعدتم أى فنظرت من أدناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرنى

ذهب بالداء ولا داء معه * أى واتفق تقدم صلى الله عليه وسلم فى النهى
على شرب الانبذة فى الاوعية المذكورة مع أن فى المناهى ما هو أشد
فى التحريم لكثرة تعاطيهم لما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومعنى النهى عن
الانتباذ فى هذه الاوعية بخصوصها أنه يسرع فيها الاسكار فربما شرب منها
من لا يشعر بذلك * وكان فى عبد القيس أبو الوازع بن عامر وابن أخته مطر
ابن هلال * ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم أنه ابن أختهم قال ابن أخت
القوم منهم وكان فيهم ابن أخى الوازع وكان شيخا كبيرا مجنونا جاء به الوازع معه
ليدعو له صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبرأ لحينه وكسى شبابا وجه الاحتى
كان وجهه وجه العذراء وجاء أنه صلى الله عليه وسلم زودهم الاراك يستاكون به
* وذكر أنه كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم
خلف ظهره وقال انما كان خطيئة داود عليه الصلاة والسلام النظر * ومنها
وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاءت بنو حنيفة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالسا فى أصحابه رضى الله عنهم معه عسيب من عسيب النخل فى رأسه
خوصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه
بالثياب كلمه وسأله أن يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه * وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم
فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا فى رحالنا يحفظها
لنا * فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لواحد من القوم وهو خمس أواق من
فضة وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا اليه أخبروه بما قال عنه فقال
انما قال ذلك لانه عرف أن لى الامر من بعده فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ارتد
عدو الله وتنبأ وتكذب وادعى أنه أشرك معه صلى الله عليه وسلم فى النبوة
* وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له أما انه ليس بشركم مكانا
ما ذاك الا لما كان يعلم أنى أشركت معه فى الامر أى وهو صلى الله عليه وسلم انما
أراد بذلك أنه حفظ ضيعة أصحابه * هذا وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أقبل
ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم
قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال ان سألتنى عن هذه القطعة
ما أعطيتكها أى فانه صلى الله عليه وسلم بلغه عنه أنه قال ان جعل لى محمد الامر من
بعده اتبعته وانى لا أراك الذى أريت فيه ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف والذى

رآه منه صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى المنام أن فى يده سوارين من ذهب قال فأهمنى شأنهما * فأوحى الله الى فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى أى وهما طليحة العبسى صاحب صنعا ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم * وكان طليحة العبسى يقول ان ملكا يقال له ذوالنون يأتينى كما يأتى جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له ذوالنون وجمع بعضهم بين هذا الذى فى الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا * ومن ثم قال فى حفظ الرجال والثانية كان متبوعا ولم يحضر أنفة منه واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الاكرام على عادته صلى الله عليه وسلم فى الاستئلاف فأتى الى قومه وهو فيهم كذا قيل ولا يخفى ان قوله ولم يحضر يقتضى انه لم يجىء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المرتين وتقدم انه جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب وهذا أى ستره بالثياب هو المناسب لكونه متبوعا ثم صار مسيلمة لعنه الله يتكلم بالهذيان يضاهى به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف وحشا وقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا * وقيل انه لعنه الله طلب منه ان يتفل فى بئر تبركا ففعل فملح ماؤها ومسح رأس صبى نصار أقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فيهما فرجع الرجل الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى بئر والآخر أكله الذئب ومسح على عينى رجل للاستشفاء بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا السياق يرشد الى أنه كان برأس ذلك الصبى قرع يسير فمسح عليه للاستشفاء ثم أظهر معجزة بزعمه وهو أنه أدخل بيضة فى قارورة وافتضح بأن البيضة بنت يومها اذا ألقيت فى الخل والنوشادر يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل فى القارورة ويصب عليها ماء فتجمد وبهذا رد على من رثاه من بنى حنيفة بقوله

لهفى عليك أبا ثمامه * كم آية لك فيهمو

كالشمس تطلع من غمامه

فيقال له كذبت بل كانت آياته معكوسة * قال وكتب مسيلمة قبحه الله الى النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فقال من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الامر وليس قريش قوما يعدلون

وبعث رجلين فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للرجلين وأنتما تقولان مثل ما يقول قالا نعم قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما انتهى * ومنها وفد طي فيهم زيد الخيل رضي الله عنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفيهم قبيصة ابن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له أي ولو كان وجه التسمية يلزم اطراده لقيل للزبرقان ابن بدر زبرقان الخيل * فقد قيل انه وفد على عبد الملك ابن مروان وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحد من تلك الافراس الى آبائها وأمهاتها وحلف على كل فرس يمينا غير اليمين التي حلف بها على غيرها * فقال عبد الملك عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجبي من معرفته بانساب الخيل * وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا بليغا جوادا فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ أي ما قيل فيه كل ما فيه وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير أي فانه صلى الله عليه وسلم قال له وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ثم قبض صلى الله عليه وسلم على يده فقال من أنت قال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم بل أنت زيد الخير * ثم قال يا زيد ما أخبرت عن رجل قط شيئا الا رأيته دون ما أخبرت عنه غيرك أي وأجاز صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنى عشر أوقية ونشا أي وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا * ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نجع زيد من الحمى أي ما يعتريه منها في اثناء الطريق أصابته الحمى * أي وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى وفي رواية ان زيد الخيل لما قام من عنده صلى الله عليه وسلم وتوجه الى بلاده قال صلى الله عليه وسلم أي فتى ان لم تدركه أم كلبة يعني الحمى والكلبة الرعدة * وفي رواية ما قدم على رجل من العرب يفضله قومه الا رأيته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد فان ينج زيد من الحمى فلأمر ما هو * قال ولما مات أقام قبيصة بن الاسود النياحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله * وفيه كتاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم الذى أقطعه فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة ضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب انتهى وفى كلام السهيلى وكتب له كتابا على ما أراد وأطعمه قرى كثيرة منها فدك هذا كلامه وقيل بقى الى خلافة عمر رضى الله عنهما * ومنها وفود عدى بن الطائى بن حاتم الطائى حدث عدى رضى الله عنه قال كنت امرأ شريفا فى قومى آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب فى الجاهلية أى وهو ربع الغنيمة كما تقدم * فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى * فقلت لغلام كان راعيا لابلى لا أبا لك اعزل لى من ابلى أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ففعل ثم انه أتانى ذات يوم فقال يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لى أجمالى فقربها فاحتملت أهلى وولدى والتحقت بأهل دينى من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر فأصيبت فيمن أصيب أى سبيت فيمن أصيب من الحاضر فلما قدمت فى السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى أن قدمت على الشام فوالله انى لقاعد فى أهلى اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هى هى * فلما وقفت على قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والدك وعورتك فقلت أى أخية لا تقولى الا خيرا فوالله مالى من عذر ولقد صنعت ما ذكرتى ثم نزلت وأقامت عندى فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين فى أمر هذا الرجل قالت أرى والله ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فالسابق اليه فضله وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا الرأى * أى ولعلها لم تظهر له اسلامها لئلا ينفر طبعه من قولها له ان لم يكن نبيا أى على الفرض والتنزل تحريضا على اللحوق به صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى جئته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت عليه * فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته صلى الله عليه وسلم فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ما هو بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوة ليفا فقذفها الى وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس

عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لى ماء معناه يا عدى بن حاتم أسلم تسلم قالها ثلاثا فقلت انى على دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بدينى قال نعم ألست من الركوسية ألست من القوم الذين لهم دين لانه تقدم انه كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع أى تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم فى الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال كان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك * فقلت أجل والله وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلك يا عدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه * ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله وفى لفظ فوالذى نفسى بيده ليتمن هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد وفى رواية ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية أى وهى قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أى الكعبة لا تخاف * ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم * قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه * ومنها وفود فروة بن مسيك المرادى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة مفارقا الملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا فى يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد وبعث معه خالد ابن سعيد بن العاصى على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فروة عند توجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها
قربت راحلتى أؤم محمدا * أرجو فواضلها وحسن ثوابها

* (ومنها وفد بنى زبيد) * بضم الزاى وفتح الموحدة وفد بنو زبيد على رسول الله صلى

الله عليه وسلم وفيهم عمرو ابن معدي كرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهورا
بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادي انك سيد قومك وقد ذكر لنا
أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى
نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك واذا لقيناه اتبعناه وان كان غير
ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو رضي الله عنه حتى
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم ❊ فلما بلغ ذلك قيسا قال
خالفني وترك أمري ورأيي وتوعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها

أمرتك يوم ذي صنعا ❊ أمرا باديا رشده
أريد حياته ويريد قتلي ❊ عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو هذا مع الاسود العنسي ثم أسلم
وحسن اسلامه وشهد فتوحات كثيرة في أيام الصديق وأيام عمر رضي الله عنهما
❊ وعن ابن اسحاق قيل ان عمرو بن معدي كرب لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم
وأسلم قيس بعد ذلك قيل له صحبة وقيل لا ❊ (ومنها وفد كندة) ❊ أي ولد صلى الله
عليه وسلم جدة منهم وهي أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون أي
وقيل ستون من كندة فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وفي الامتاع
وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم رجلوا أي سرحوا
جممهم أي شعور رؤسهم أي الساقطة على مناكبهم والبسوا لهم جبب الحبرة
أي بوزن عنبة برود اليمن المخططة قد كففوها أي سجفوها بالحرير فلما دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند ذلك قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا
أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبأ فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والمتكهن في النار
فقالوا كيف نعلم أنك رسول الله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من
حصبا ❊ فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصباء في يده فقالوا نشهد أنك
رسول الله ❊ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل على
كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغارب ❊ ثم سكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودمعه تجري

على لحيته فقالوا انا نراك تبكى أفن مخافة من أرسلك تبكى فقال صلى الله عليه وسلم ان خشيتى منه أبكتنى بعثنى على صراط مستقيم فى مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت * ثم تلا صلى الله عليه وسلم ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك الآية ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فى أعناقكم فعند ذلك شقوه منها والقوه وفيه أن هذا يخالف ما قاله فقهاؤنا معاشر الشافعية من جواز التسجيف بالحرير الا أن يقال الجواز مخصوص بأن لا يجاوز الحد اللائق بالشخص ولعل هؤلاء جاوزت الحد اللائق بهم * وقد قال الاشعث له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار يعنى جدته أم كلاب فقد تقدم أنها من كندة وقيل انما قال ذلك الاشعث لان عمه العباس بن عبد المطلب كان اذا دخل حيا من أحياء العرب لانه كما تقدم كان تاجرا فاذا سئل من أين قال أنا ابن آكل المرار ليعظم يعنى انتسب الى كندة لان كندة كانوا ملوكا فاعتقدت كندة أن قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال له صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر ابن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفى من آبائنا أى لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء والاشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه أى فانه حوصر ثم جىء به أسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقنى لحربك وزوجنى أختك فزوجه أخته أم فروة فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا أن الرجل يعنى أبا بكر رضى الله عنه زوجنى أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه وقال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها * قال وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال له غلام ولد لى عند مخرجى اليك لوددت أن لى به لسبعة فقال انهم لمجبنة مبخلة محزنة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد انتهى * ومنها وفد ازد شنوءة وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد الله الازدى أى وكان أفضلهم فأمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهى مدينة بها قبائل من قبائل اليمن وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين وقيل باسكان الكاف * فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين رضى الله عنهم انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا

فى طلبهم حتى اذا أدركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أى ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأى بلاد الله شكر فقام اليه رجلان فقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر فقالا فما شأنه يارسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبرهما الخبر فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا فى اليوم والساعة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وعند اخبارهما لقومهما بذلك وفد وفد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم احسن الناس وجوها وأصدقه لقاء وأطيبه كلاما وأعظمه أمانة أنتم منى وأنا منكم وجعل لهم حمى حول بلدهم ومنها وفد رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم باسلام الحارث بن عبد كلال بضم الكاف وقد اختلف فى كون الحارث له وفادة فهو صحابى أولا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان أى باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهى قبيلة واما همذان بفتح الميم والذال المعجمة فقبيلة بالعجم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان اما بعد فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو واما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أى رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبى وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبى أرسل الى زرعة ذى يزن وفى الاستيعاب زرعة بن سيف ذى يزن وفى كلام الذهبى زرعة بن سيف ذى يزن أن اذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلى وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثنى أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك

بحميرخيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء الفوقية وكسر الذال ويجوز أن يكون بفتح المثناة وفتح الدال بحذوف احدى التاءين فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ❊ ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامي وفد رسول فروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه وأهدى له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء أي يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثياب وقباء مرصع بالذهب وكان فروة رضي الله عنه عاملا للروم على مايليهم من العرب فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه ❊ أي بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم فانك تعلم أن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر به ولكنك تضن بملكك ❊ ومنها وفد بني الحارث بن كعب ❊ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم وقال له ان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد رضي الله عنه حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا فقام اليهم خالد بن الوليد رضي الله عنهم يعلمهم الاسلام أي شرائعه وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل ويقبل معه وفدهم فأقبل رضي الله عنه ومعه وفدهم وفيهم قيس بن الحصين ذو الغصة بالغين المعجمة أي لانه كان في حلقه غصة لا يكاد يبين الكلام منها وهي صفة لابيه الحصين وربما وصف بها قيس قال في النور ويحتمل أن يقال له ذو الغصة وابن ذي الغصة لانه وأباه كانت بهما الغصة وفيه بعد وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم صلى الله عليه وسلم يزيد بن الحصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ ومنها انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الجذامي وفد رفاعة بن زيد الخزاعي بالخاء المعجمة والزاي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فأسلم وحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد اني

بعثه الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة رضي الله عنه على قومه أجابوا وأسلموا ❊ ومنها وفد همدان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك ابن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات بكسر الحاء المهملة ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم وفدوا اليه صلى الله عليه وسلم على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول

اليك جاوزنا سواد الريف ❊ في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى ❊ صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ❊ رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ❊ أشد على اعدائه من محمد

❊ وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه كذا في الاصل ❊ وفي الهدى روى البيهقي باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى من ذكر يدعوهم الى الاسلام ❊ فأقام ستة أشهر يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه ثم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه وأمر خالدا بالرجوع اليه وأن من كان مع خالد ان شاء بقي مع علي وان شاء رجع مع خالد فلما دنا من القوم خرجوا اليه فصف علي كرم الله وجهه أصحابه صفا واحدا ثم تقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا جميعا وكتب بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان السلام على همدان وهذا أصح لان همدان ان لم تكن تقاتل ثقيفا فان همدان باليمن وثقيفا بالطائف ❊ أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد ❊ ومنها وفد تجيب أي بضم المثناة فوق وتحت ويجوز الفتح وهي

قبلهم من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وقد كانوا ثلاثة
عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله إنا سقنا إليك حق
الله فى أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم
قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا اى وفضل بفتح الفاء
وكسرها * فقال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا
شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم رغبة وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا
نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاقينا إياه
وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم
بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل بقى منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال ابعثوا
الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
الله انا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى قال وما حاجتك
قال تسأل الله عز وجل أن يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له صلى الله
عليه وسلم بمثل ما أمر به لرجل منهم * ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنى فى الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما فعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه
بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله انى لارجو أن يموت جميعا * فقال رجل منهم أو ليس
يموت الرجل جميعا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه
وهمومه فى أودية الدنيا فلعل الاجل يدركه فى بعض تلك الاودية فلا يبالى الله
عز وجل فى أيها هلك * ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع
من أهل اليمن عن الاسلام * قام ذلك الغلام فى قومه فذكرهم الله والاسلام
فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكر ذلك الغلام
ويسأل عنه * ولما بلغه ما قام به كتب الى زياد بن الوليد أى وكان واليا على
حضرموت يوصيه به خيرا * ومنها وفد بنى ثعلبة وفد على رسول الله صلى الله عليه

وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة أي مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام * وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم أي ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته صلى الله عليه وسلم تجري علينا ثم لما جاؤا يودعونه صلى الله عليه وسلم قال لبلال اجزهم فاعط كل واحد منهم خمس أواق فضة أي والاوقية أربعون درهما * ومنها وفد بني سعد هذيم من قضاعة عن النعمان رضي الله عنه * قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطأة قهرا وغلبة وأزاح العرب أي استولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه * واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد أي وهو سهيل ابن البيضاء لانه صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجده على جنازة الا عليه رضي الله عنه * وما وقع في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه على سهيل وأخيه نظر فيه مع أن فقهاءنا ذكروه وأقروه فقمنا خلفه ناحية ولم يدخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم بارك الله عليه * قال النعمان رضي الله عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر صلى الله عليه وسلم بلالا فأجازنا بأواقي من

أنه لكل رجل منا رجعنا الى أرضنا ورمنها وفد بنى فزارة وفد عليه صلى الله عليه
وسلم بضعة عشر رجلا من بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن
وابن اخيه الجذ بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون
أى توالى عليهم الجدب على ركاب عجاف أى هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أى وهو خارجة اسنتت بلادنا وهلكت
مواشينا وأجدب جنابنا أى ما حولنا وغرثت (ه) أى جاعت عيالنا فادع لنا ربك
يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع الى ربى عز وجل فمن ذا الذى يشفع ربنا
اليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه أى علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه
السموات والأرض أى أحاط بالسموات والارض وهو دون العرش كما جاءت به الآثار
فهى تئط أى تصوت من عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة الحديث أى
من ثقل الحمل * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم
وأزلكم أى شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غياثكم فقال الاعرابى لن نعدم من
رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله * وصعد صلى الله
عليه وسلم المنبر فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه أى الرفع البالغ فى شئ من
الدعاء الا فى الاستسقاء فرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى رؤى بياض أبطيه أى
وفى المورد وقد صح وتكرر وثبت وجها وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه
فى الاستسقاء يعنى ظهور كفيه الى السماء كما فى مسلم أى فيكون التقدير لا يرفع
ظهور كفيه الى السماء الا فى الاستسقاء * وأقول فيه أن هذا يقتضى أنه يفعل
ذلك وان كان استسقاؤه لطلب حصول شئ كما فى دعائه صلى الله عليه وسلم
فى هذا الاستسقاء فانه متضمن للحصول وقد ذكر فى المورد ان ما كان الدعاء فيه
لطلب شئ كان بطون الكفين الى السماء والظاهر أن مستند ذلك استقراء حاله
صلى الله عليه وسلم فى الدعاء فى الاستسقاء وغيره فليتأمل والله أعلم * ومما حفظ
من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اسق بقطع الهمزة ووصلها بلادك وبهائمك
وانشر رحمتك واحى بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا أى مطرا مغيثا مريعا بضم الميم
واسكان الراء وبالموحدة مكسورة أو بالعين المهملة مسرعا لاخراج الربيع مرتعا
بالتاء المثناة فوق من رتعت الدابة اذا أكلت ما شاءت طبقا أى مستوعبا للأرض
مطبقا عليها واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا
ولا هدما ولا غرقا ولا محقا اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة

رضي الله عنه فقال يا رسول الله التمر في المرابد أي وتكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم ومن أبي لبابة ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده أي المحل الذي يخرج منه ماء المطر بإزاره فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالله ما رأينا الشمس سبتنا أي من السبت الى السبت الآخر وقام أبو لبابة رضي الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه وفي بعض الروايات فأمطرت السماء وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * ثم طاف الانصار بأبي لبابة رضي الله عنهم يقولون له يا أبا لبابة ان السماء والله لم تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو لبابة رضي الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره فأقلعت السماء وحينئذ يكون قول الراوي لئلا يخرج منه التمر بحسب ما فهم ويقول قول الصحابة فوالله ما رأينا الشمس سبتنا * كان في قصة غيرها فخلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل وغيره والذي في الصحيح أنه الرجل الأول * وذكر بعض الحفاظ أنه خارجة بن حصن فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وهو أي بياض الابط معدود من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام بكسر الهمزة جمع اكمة وهي التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المشالة جمع ظرب بفتحها الروابي الصغار وبطون الاودية ومنابت الشجر فتجابت السحابة أي أقلعت عن المدينة انجياب الثوب * أقول لعل هذا المطر كان عاما بالمدينة وما حولها حتى وصل الى محل هؤلاء الوفد والا فهم انما طلبوا حصول المطر لمحالهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجوده بمحالهم الا اذا كان قريبا بالمدينة بحيث اذا وجد المطر بها يوجد بمحالهم غالبا وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى هذه القصة بقوله

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقـ * ـي وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم اثرى الثرى وقرت عيون * بقراها وأحييت احياء

فترى الارض عنده كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو * رباه البيضاء والحمراء

* ثم رأيت في الحدائق لابن الجوزي رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة سحاب فدار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الشريفة قال فمطرنا يومئذ ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى * فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيديه الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجيء احد من ناحية الا حدث بالجود ثم رأيت بعضهم قال أحاديث الاستسقاء ثابتة في الصحيحين وظاهرها انه تعدد في بعضها أنه وقع وهو في خطبة الجمعة وفي بعضها انه صعد المنبر حين شكي اليه فخطب ودعا وفي بعضها أنه خرج الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه صلى الله عليه وسلم اعرابي وقال له يا رسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد شعرا يقول فيه

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقي ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

الابيات فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفي رواية لما جاءه صلى الله عليه وسلم المسلمون وقالوا يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث

الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا رحيما واسعا وحيا طبقا مغدقا عاما هنيأ مريأ مريعا مرتعا وابلا شاملا مسبلا مجللا دائما دارا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث غيثا اللهم تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكنها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام لا تقلع عن المدينة فأتاه صلى الله عليه وسلم المسلمون فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال صلى الله عليه وسلم لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله فقال الابيات ❊ ومنها وفد بني أسد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من بني أسد منهم ضرار بن الازور ووابصة بن معبد وطلحة بن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن اسلامه ومنهم معاذة بن عبد الله بن خلف وقد استهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب منها ثم سقاه ❊ ثم قال اللهم بارك فيها وفيمن منحها فقال يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال وفيمن جاء بها ومنهم حضرمي بن عامر ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا ❊ أي وفي لفظ أن حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا ❊ وفي رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والتعرض

على الغيب والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل وضرب الحصاة فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت فقال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه قال صلى الله عليه وسلم علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم أي وفي رواية لمسلم من وافق خطه أي علم موافق خطه فذاك أي مباح له والا فلا مباح له الا بتيقن الموافقة أي وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض * ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم * ومنها وفد بني عذرة قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة أي وسلموا بسلام الجاهلية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائلهم من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا أي لقيتم رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ما أعرفني بكم قال ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم فما يمنعكم من تحية الاسلام فقالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا وقالوا الى م تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله الى الناس كافة فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج انتهى فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكاهنة أي فقد قالوا له يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألوها عن شيء ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها الى أصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا أي وكسى صلى الله عليه وسلم أحدهم بردا * ومنها وفد بني بلي على وزن علي وهو حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني بلي منهم ومعهم شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويفع بن ثابت البلوي وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداكم للاسلام فمن مات منكم على غير الاسلام فهو فى النار وقال * وفى رواية عن رويفع رضى الله عنه قال قدم وفد قومى فأنزلتهم على ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى أصحابه فسلمنا عليه فقال صلى الله عليه وسلم رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم قلت قومى يارسول الله قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا وفدنا اليك لنصدقك ونشهد أنك نبى حق ونخلع ما كنا نعبد وكان آباؤنا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو فى النار انتهى * وقال له أبو الضبيب يارسول الله لى رغبة فى الضيافة فهل لى فى ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة فقال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أى يضيق عليك * أى وفى لفظ فيؤثمك أى يعرضك للاثم حتى تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها فى الفلاة من الارض قال هى لك أو لاخيك أو للذئب * قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه * قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى منزلى يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة أيام ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم * ومنها وفد بنى مرة وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بنى مرة رأسهم الحارث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بنى لؤى بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحارث أين تركت أهلك فقال بسلاح وما والاها فقال كيف البلاد فقال والله انا لمسنتون وما فى المال مخ أى صوت برده فادع الله لنا * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجازهم بعشر أواق من فضة وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثنى عشر أوقية أى وهذا يفيد أن كل واحد أعطى عشر أواق ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وأخصبت

بعد ذلك بلادهم ❊ ومنها وفد خولان وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها وحزون كفلوس وهو ماغلظ منها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ما ذكرتم الى من مسيركم فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة فقالوا يارسول الله هذا السفر الذي لاتوى عليه أي والتوى بفتح المثناة فوق وفتح الواو مقصورا هو هلاك المال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعل عم أنس وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله تعالى ماجئت به وقد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة ❊ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم مارأيتم من فتنته قالوا لقد رأيتنا بضم المثناة فوق وأسنتنا حتى أكلنا الرمة فجمعنا ماقدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لعم أنس قربانا في غداة واحدة وتركناها يردها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من أنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرة أي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس واذا مالت الريح بالذي سميناه لعم أنس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل علي في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فيكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لايظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنى عشر أوقية ونشا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس ❊ ومنها وفد بني محارب وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم الى الله تعالى فجلس واعتنده يوما من الظهر

الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر الى رجل منهم وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل اى والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم * ثم قال يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام مني فأحمد الله الذي جئت حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يا رسول الله استغفر لي من مراجعتي اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الاسلام يجب ما قبله يعني الكفر أي ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود ثم انصرفوا الى أهليهم * ومنها وفد صداء حي من عرب اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ودفع له لواء أبيض ودفع اليه راية سوداء وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صدائي فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله جئتك وافدا على من ورائي فاردد الجيش وانا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد رضي الله عنهما وخرج الصدائي أي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليه فحباهم بالموحدة أعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا له نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع وسمي ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش وجيء الوفد بزياد بن الحارث الصدائي أي وذكر زياد أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بلى من من الله عز وجل ومن رسوله * قال وفي رواية بل الله هداهم للاسلام * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أأمرك عليهم فقلت بلى يا رسول الله فكتب لي كتابا بذلك فقلت يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر انتهى * قال زياد رضي الله عنه وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلازمت غرزه أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال صلى الله عليه وسلم أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا

فذهب صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي أي وهي اناء من جلد صغير * وفي رواية لا الاشيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئت به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه صلى الله عليه وسلم يتلاحقون ثم وضع صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا أي من غير أصل ثم توضأ * وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة في الوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم يعني من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله انه آخذنا بذحول كان بيننا وبين قومه في الجاهلية أي وفي رواية آخذنا بكل شيء بيننا وبين قومه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يكل قسمتها لملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فان كنت جزءا منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن فقلت يا رسول الله هذان كتاباك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قلت اني سمعتك تقول لا خير في الامارة لرجل مسلم وأنا رجل مسلم وسمعتك تقول من سأل الصدقة وهو عنها غني فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الذي قلت كما قلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك أستعمله فدللته صلى الله عليه وسلم على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن في يده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة * ومنها وفد غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين أي قرمهم

قبل قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم ✱ ومنها وفد سلامان بفتح السين وتخفيف اللام وفى العرب بطون ثلاثة منسوبون اليه بطن من الازد وبطن من طىء وبطن من قضاعة وهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم حبيب بن عمر السلاماني فأسلموا ✱ قال وعن حبيب رضى الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول فقال وعليكم السلام من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء وسألناه عن أشياء انتهى ✱ قال حبيب رضى الله عنه قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام صلى الله عليه وسلم وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته صلى الله عليه وسلم تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا خمس أواق فضة لكل واحد واعتذر الينا بلال رضى الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رجعنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ✱ ومنها وفد بنى عبس وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواشى هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيأ وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه أنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه وجاء ليس بينى وبين عيسى عليه الصلاة والسلام نبى أى واذا صح شئ من الاحاديث التى ذكر فيها خالد بن سنان أو غيره يكون معناه لم يكن بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام نبى مرسل أى وتقدم ما فى ذلك ✱ (ومنها وفد النخع) ✱ أى بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع

مقرين بالاسلام وقد كتبوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال رجل منهم
يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا أى وفى رواية
رأيت رؤيا هالتنى * قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى
وهو ولد المعز أسفع أحوى أى والاسفع الذى سواده مشرب بحمرة والاحوى
الذى ليس شديد السواد ومن ثم فسر بالاخضر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل تركت أمة لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك
قال يا رسول الله فما له أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك من برص
تكتمه * قال فوالذى بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك
قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان
والقرط ما يكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها
ومسكتان بضم الميم وسكون المهملة قال ذاك ملك العرب رجع الى أحسن
زيه وبهجته قال يا رسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أى اختلط شعر رأسها الابيض
بشعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا * قال ورأيت نارا خرجت من
الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى
أطعمونى أكلكم أهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون
فى آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون
اشتجار أطباق الرأس ويشتجرون بالشين المعجمة وبالجيم أى يشتبكون فى الفتنة
اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب
المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل أى وفى لفظ أحلى من
شرب الماء البارد وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك فقال
يا رسول الله ادع الله أنى لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها
فمات وبقى ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وكان ممن خلع عثمان
رضى الله عنه * قال وفى رواية ان النخع بعثت رجلين منهم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم باسلامهم أرطاة بن شرحبيل من بنى حارثة والارقم من بنى بكر فلما
قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه
على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومكما هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا
يا رسول الله قد خلفنا وراءنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر
وينفذ الاشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير * وقال

اللهم بارك في النخع وعقد صلى الله عليه وسلم لارطاة لواء على قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ رضي الله عنه * وقوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم أن وفد النخع كان قدومه في سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذا من وفد اقبل وفود ذلك الجمع وقد ترك الاصل التعرض لجملة من الوفود وذكرت في السيرة العراقية والسيرة الشامية تركناها تبعا للاصل منها ان عمرو بن مالك وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم رجع الى قومه فدعاهم الى الاسلام فقالوا حتى نصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا فكان بينهم وبين بني عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا من جملة من قاتل معهم فقتل رجلا من بني عقيل قال عمرو فشددت يدي في غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال صلى الله عليه وسلم ان أتاني لاضرب ما فوق الغل من يده * فلما جئت سلمت فلم يرد على السلام وأعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني فأتيته عن يساره فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه فقلت يا رسول الله ان الرب عز وجل ليترضى فيرضى فارض عني رضي الله عنك قال رضيت وتقدم أنه قد جاء في الصحيح لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله أعلم

(باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي أرسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام)

أي في الغالب والا فبعضها ليس كذلك وهذه غير كتبه صلى الله عليه وسلم التي كتبها بالامان التي تقدم ذكرها أي ولما أراد صلى الله عليه وسلم ان يكتب للملوك قيل له يا رسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أي ليكون في ذلك اشعار بأن الاحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر ان ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير بعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه رضي الله عنهم خواتيمهم فجاءه جبريل عليه السلام بعد من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم * وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر * وفي حديث موضوع كان نقش خاتمه صدق

الله وفي رواية شاذة أنه بسم الله محمد رسول الله والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول في الوسط والله فوق كذا قال بعض أئمتنا * قال في السرور والذي يظهر لي ان هذه الكتابة كانت مقلوبة حتى اذا ختم بها تختم على الاستواء كما في خواتم الكبراء اليوم وختم بذلك الخاتم الكتب * وكان في يده الشريفة ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر اريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه * وذكر ان هذا الخاتم الذي كان في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم كان الخاتم الحديد الذي كان ملويا عليه الفضة وانه الذي كان في يد خالد ابن سعيد رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما نقش هذا الخاتم قال محمد رسول الله قال اطرحه الي فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسه فكان في يده ثم في يد أبي بكر الحديث * وعن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فصه حبشي أي من جزع لانه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل من نوع من الزبرجد وانه الذي نقش فيه محمد رسول الله * وفي لفظ فصه منه وفي لفظ فصه من عقيق أي ولا ينافي ذلك وصفه بأنه حبشي لان العقيق يؤتى به من بلاد الحبشة ولم يرد أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتما كله عقيق وفي الحديث تختموا بالعقيق فانه مبارك فقد سموا العقيق فانه ينفي الفقر قيل وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم في خنصر يده اليسرى وهو المروي عن عامة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وقيل كان في خنصر يمينه صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وطائفة ومنهم عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه * قال بعضهم وهذا رواه عبيدة بن القاسم وهو كذاب أي وهو مخالف ما جمع به البغوي بأنه تختم أولا في يمينه ثم تختم في يساره وكان ذلك آخر الامرين * وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمنى * قال الامام النووي رحمه الله التختم في اليمنى أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين بها أولى هذا كلامه أي ولان ابن أبي حاتم نقل عن أبي زرعة انه كان في يمينه صلى الله عليه وسلم أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وتقدم ان الخاتم الذي لبسه صلى الله عليه وسلم يوما والقاه كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد وقد قال صلى الله عليه وسلم لابس خاتم الحديد مالي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه ولعله لكون سلاسل أهل

النار وأغلال المسم وقيودهم من حديد أى ثم جاءه وعليه خاتم من صفر أى نحاس فقال مالى أجد منك ريح الاصنام * وأهل الاصنام كانت تتخذ من نحاس غالبا ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب فقال مالى أرى عليك حلية أهل الجنة أى المختص اباحتها بأهل الجنة فى الجنة قال يا رسول الله من أى شئ أتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا أى وزن مثقال لكن فى رواية أبى داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهى تفيد أن الخاتم اذا كان دون مثقال وزنا لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منهيا عنه * وفى الحديث ما طهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد وفى كلام الشمس العلقمى ولا يكره كونه من نحو حديد ونحاس لحديث الشيخين التمس ولو خاتما من حديد فليتأمل * ولما عزم صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلم مع أصحابه فى ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثنى رحمة وكافة فادوا عنى رحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام فقال أصحابه رضى الله عنهم وكيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكى ذلك عيسى الى ربه فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر)

المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبى رضى الله عنه والدحية بلسان اليمن الرئس وقيصر معناه فى اللغة البقير لانه شق عنه لان أم قيصر ماتت فى المخاض فشق عنه وأخرج فسمى قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج أى لان كل من ملك الروم يقال له قيصر كتب صلى الله عليه وسلم كتابا لقيصر يدعوه الى الاسلام * وبعث به دحية الكلبى رضى الله عنه وأمره أن يدفعه الى قيصر ففعل كذلك أى بعد ان قال صلى الله عليه وسلم من ينطلق بكتابى هذا فيسير الى هرقل وله الجنة * وقيل أمره لى الله عليه وسلم دحية أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ولما انتهى دحية رضى الله عنه الى الحارث أرسل معه عدى بن حاتم رضى الله عنه ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية رضى الله عنه اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضى الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال

دحية رضي الله عنه وتمام فقال أن له على كل عين منبر يجلس عليه فيتم
صحيفة تلقاء المنبر فان أحد الا يحركها حتى يأخذها ثم يدعو صاحبها ففعل فلما
أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ
بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضي
الله عنه بالشأم أي بغزة مع رجال من قريش في تجارة زمن هدنة الحديبية أي وكان
أولها في ذي القعدة سنة ست * وقيل كتب اليه صلى الله عليه وسلم من تبوك
وذلك في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر مرتين
والاول هو ما في الصحيحين والثاني قاله السهيلي واستدل له بخبر في مسند الامام
أحمد أي وأغرب من قال ان الكتابة له كانت سنة خمس * قال أبو سفيان فأتانا
رسول قيصر أي وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه أي في بيت المقدس
فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أي وهو المعبر عن
لغة بلغة وهو معرب وقيل اسم عربي سلهم أيهم أقرب نسبا لهذا الذي يزعم أنه
نبي * أي وفي لفظ لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم أنه نبي فقال
أبو سفيان أنا أقربهم نسبا اليه لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري
أي لان عبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان أي وزاد
في لفظ ما قرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال له ادنوه مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا
خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم لأسأله عن
هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وانما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذبا ان قاله
أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب * قال أبو سفيان والله
لولا الحياء يومئذ أن يردوا على كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وأنا كاره
* أي وفي رواية لولا مخافة أن يؤثر عني الكذب لكذبت أي لولا خفت أن ينقل
عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه لبغضي اياه ومحبتي
نقصه وبه يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف
نسب هذا الرجل فيكم قلت هو ماذو نسب قال قل له هل قال هذا القول أحد
منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن
يقول ما قال قلت لا أي * وفي رواية هل كان خلاقا كذابا مخادعا في أمره لعله
يطلب ملكا وشرفا كان لاحد من أهل بيته قبله * قال هل كان من آبائه ملك
قلت لا أي وزاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط * قال
فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم أي والمراد بأشراف الناس أهل النخوة وأهل

التكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال
وعند ابن إسحق رحمه الله تبعه منا الضعفاء والمساكين والأحداث وأما ذووا
الأحساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الأكثر الأغلب أي الأكثر
والأغلب أن أتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء ❊ قال فهل يزيدون أو ينقصون
قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهية له وعدم رضاه به
بعد أن يدخل فيه قلت لا ❊ ولا يقال هذا منتقض بما وقع لعبد الله بن جحش حيث
ارتد ببلاد الحبشة لأنه لم يرتد كراهة للإسلام بل لغرض نفساني كما تقدم قال
فهل يغدر إذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها ❊ قال
فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة أي
كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر وقد تقدم في أحد أن أبا سفيان رضي
الله عنه قال يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب ❊ وفي لفظ قال أبو سفيان
انتصر علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان
والأنوف والفروج وأشار بذلك إلى يوم أحد قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد
الله وحده ولا نشرك به شيأ ❊ أي والذي في البخاري يقول اعبدوا الله وحده
ولا تشركوا به شيأ وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة وفي لفظ
والزكاة وفي لفظ جمع بين الصدق والصدقة والعفاف أي ترك المحارم وخوارم
المروءة ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة فقال الترجمان قل له أني سألتك عن
نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل
هذا القول قاله أحد منكم قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول
قبله قلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس
ويكذب على الله تعالى وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا لو كان من
آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم
ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل لأن الغالب أن أتباع الرسل أهل
الاستكانة لا أهل الاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم
يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن
يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب إذا حصل به
انشراح الصدور والفرح به لا يسخطه أحد وسألتك هل قاتلتموه قلت نعم وأن حربكم
وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم

تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت أنه يأمركم بالصدق والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة أي وفي البخاري وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر أي لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يبالي طالبه الا بالغدر فعلمت انه نبي وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أظن انه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك أي يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين أي وذكر بعضهم ان هذا يدل على ان هذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه ان هذا لا يأتي مع قوله ما تقدم اذ هو يقتضي أن ذلك علامة على رسالة كل رسول ثم قال قيصر ولو أعلم انى أخلص أي أصل اليه لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه * أي وفي لفظ آخر لا استطيع ان أفعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم * قال الامام النووي رحمه الله ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب اليه أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله * ثم قال ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أي ومن لم يتبع الهدى فلا سلام عليه فليس في هذا ابتداء لكافر بالسلام أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي اليها فالباء موضع الى أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم أو لايمان أتباعك بسبب ايمانك فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين أي فلاحين القرى أي ومن ثم جاء في رواية اثم الفلاحين * وفي رواية اثم الاكارين والاكار الفلاح لان أهل السواد وما والاهم أهل فلاحة المراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين * والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم أسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم والفاعل لمعصية المتسبب لاثم كان غيرها عليه الاثم من جهتين جهة فعله وجهة تسببه ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله

ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون والواو في قوله صلى الله عليه وسلم ويا أهل الكتاب عاطفة على مقدر معطوف على قوله أدعوك والتقدير أدعوك بدعاية الاسلام وأقول لك ولاتباعك يا أهل الكتاب قيل وهذه الآية كتبها صلى الله عليه وسلم قبل نزولها لانها انما نزلت في وفد نجران وذلك في سنة تسع وهذه القصة كانت في سنة ست وقيل بعد نزولها لان نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد كذا قال فليتأمل * قال أبو سفيان رضي الله عنه فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي أصواتهم التي لا تفهم وفي البخاري كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات والصخب اختلاط الاصوات عند المخاصمة زاد البخاري فلا أدري ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الاصفر يخافه فما زلت موقنا ان سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام أي فأظهرت ذلك اليقين لا انه ارتفع * وفي لفظ فما زلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقد تقدم الكلام على كبشة وهو أن جد وهب لامه أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة * قال في شرح مسلم وهو الذي كان يعبد الشعرى وأبو سلمة أم جده عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة وزوج مرضعته صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وتقدم الكلام أيضا على بني الاصفر ويروى ان أبا سفيان رضي الله عنه قال لقيصر لما سأله هل كنتم تتهمونه بالكذب فقال لا لكن أخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحجاز في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك فنظر اليه قيصر فقال ما أعلمك بهذا قال اني كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع ان نحركه كأنما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت اليه فاذا الحجر الذي في زاوية المسجد منقوب قال في النور الذي يظهر انه الصخرة أي المراد بالصخرة في بعض الروايات كما قدمناه واذا فيه أثر مربط الدابة فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون أن بين يدي

الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء أي وأمر باتزال دحية واكرامه وذكر ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به يعني الكتاب فقال له والله إنك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر هو أحق أن يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه * أي وفي لفظ ان ابن أخي قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد أن يقطعه فقال له قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل قد بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك ملكا فقال له قيصر انك أحمق صغير أو مجنون كبير أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه ولعمري ان كان رسول الله كما يقول لنفسه أحق أن يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم صدق ما أنا الا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم علي كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه * وفي لفظ سيكون لهم بقية ولقد صدق الله ورسوله فقد ذكر الحافظ بن حجر رحمه الله ان الملك المنصور قلاوون أرسل بعض أمرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسله ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله وأكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية فأخرج له صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة * وفي لفظ قصبة من الذهب فعن السهيلي رحمه الله قال بلغني ان هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيما له فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا أي ولا ينافيه ما جاء اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لأن المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق الا ببلاد الروم * أي ويروى ان قيصر لما رجع من بيت المقدس الى محل دار ملكه وهي حمص أي فانه لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر ان يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله * فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسط له البسط وطرح له عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك الى أن وصل الى بيت المقدس كما سيأتي فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم وأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي الا ان هرقل

قدامن بحمد واتبعه فدخلت الاجناد فى صلاحها وبانت بقصره تريد قتله * فأرسل اليهم انى اردت اختبار صلابتكم فى دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذى فى البخارى أن قيصر لما سار الى حمص اذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت * فلما رأى قيصر نفرتهم وأيس من الايمان منهم أى وقالوا له أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابى فقال ردوهم على وقال انى قلت مقالتى اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه انى مسلم ولكنى مغلوب وأرسل بهدية فلما قرىء عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل صلى الله عليه وسلم هديته وقسمها بين المسلمين ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم ان قيصر بعد هذه القصة بدون سنتين قاتل المسلمين بغزوة مؤتة * وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب * وفى مسند الامام أحمد أنه كتب من تبوك الى النبى صلى الله عليه وسلم انى مسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذب بل هو على نصرانيته * وفى لفظ كذب عدو الله والله ليس بمسلم * قال الحافظ بن حجر رحمه الله فعلى هذا اطلاق صاحب الاستيعاب أنه آمن أى أظهر التصديق لكنه لم يستمر عليه ولم يعمل بمقتضاه بل شح بملكه وأظهر العافية على العاقبة لعنة الله عليه أى لانه تحقق كفره أى وقد ذكر حامل كتابه اليه صلى الله عليه وسلم قال جئت تبوك فاذا هو جالس بين ظهرانى أصحابه محتبيا فقلت أين صاحبكم قيل هو هذا فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه فناولته كتابى فوضعه فى حجره ثم قال من أنت قلت أنا أحد تنوخ قال هل لك فى الاسلام دين الحنيفية ملة ابراهيم قال انى رسول قوم وعلى دين قوم لا ارجع عنه حتى ارجع اليهم فضحك صلى الله عليه وسلم وقال انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين * فلما فرغ من قراءة كتابى قال ان لك حقا وانك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها انا قوم سفر فقال رجل أنا اجوزه فأتى بحلة فوضعها فى حجرى فسألت عنه فقيل لى انه عثمان بن عفان رضى الله عنه

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس)

على يد عبد الله بن حذافة أى لانه كان يتردد عليه كثيرا بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمى وقيل أخاه خنيس وقيل أبا خارجة
وقيل شجاع بن وهب وقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الى كسرى وبعث معه
كتابا مختوما فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم
فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بداعية الله فانى أنا رسول الله
الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان أبيت
فعليك اثم المجوس أى الذين هم أتباعك قال عبد الله ابن حذافة رضى الله عنه
فأتيت الى بابه وطالت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه ومزقه * أى وفى رواية أن كسرى لما
أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لحامل الكتاب أن يدخل عليه فلما
وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليك كما أمرنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناولته الكتاب فدعا من يقرؤه
فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى عظيم فارس
فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب
قبل أن يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على
راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث فطلب حامل الكتاب فلم
يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق
كسرى ملكه وكتب كسرى الى بعض امرائه باليمن يقال له باذان انه بلغنى
أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث
الى برأسه يكتب الى هذا الكتاب أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى أى وفى
رواية أن تكفينى رجلا خرج بأرضك يدعونى الى دينه والا فعلت فيك كذا
يتوعده فابعث اليه برجلين جلدين فيأتيانى به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبى
صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه وبعث معه رجلا آخر من الفرس وبعث معهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما
الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألاه عنه فقال هو بالمدينة
فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث
الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثنا اليك فان أبيت هلكت
وأهلكت قومك وخربت بلادك وكانا على زى الفرس من حلق لحاهم واعفا

شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهما ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا ربنا يعنيان كسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أمرني ربي باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه يقتله في شهر كذا في ليلة كذا فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدني بقتل كسرى يوم كذا من شهر كذا فلما أتى الكتاب باذان توقف * وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعدما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في تلك الرواية مجرد الوقت أي وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة * ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الأبيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب ولد كسرى شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي رواية أنه قيل له صلى الله عليه وسلم ان كسرى قد استخلف ابنته فقال لا يفلح قوم تملكهم امرأة

* (ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي رضي الله عنه ملك الحبشة) *

على يد عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لان السلم بمعنى السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة أي العفيفة أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها * ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم البتول

فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله وانى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى * فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج أى وهو عظم الفيل وجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم أى وفى كلام بعضهم وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى فكان أول رسول وكتب اليه كتابين يدعوه فى أحدهما الى الاسلام وفى الآخر يأمره أن يزوجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة وأخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب اليه صلى الله عليه وسلم النجاشى أى جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشى أصحمة السلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته الذى لا اله الا الله زاد فى لفظ الذى هدانى للاسلام أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة السلام فورب السماء والارض ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقدم الينا ابن عمك وأصحابه يعنى جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين رضى الله عنهم فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أى جعفر بن أبى طالب وأسلمت على يده لله رب العالمين أى وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وذكر أن عمرو بن أمية رضى الله عنه قال للنجاشى أى عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان على القول وعليك الاستماع انك كأنك فى الرقة علينا منا وكأنا فى الثقة بك منك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شئ قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم والانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفى ذلك موقع الحز واصابة المفصل والا فأنت فى هذا النبى الامى صلى الله عليه وسلم كاليهود فى عيسى بن مريم عليه السلام وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشى أشهد بالله انه لا النبى الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل وأن العيان ليس بأشفى من الخبر * زاد بعضهم ولكن أعوانى من

الجنشة قلدلي فانظرني حتى أكثر الاعوان وألين القلوب * أقول كذا في الاصل وهو صريح في أن هذا المكتوب اليه هو الذي هاجر اليه المسلمون سنة خمس من النبوة ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك في السنة التاسعة والذي قاله غيره كابن حزم أن هذا النجاشي الذي كتب اليه صلى الله عليه وسلم الكتاب وبعث به عمرو بن أمية الضمري لم يسلم وأنه غير النجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم الذي آمن به وأكرم الصحابة وفي صحيح مسلم ما يوافق ذلك ففيه عن أنس رضي الله عنه أن النجاشي الذي كتب اليه ليس بالنجاشي الذي صلى عليه ويرد بأنه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم كتب للنجاشي الذي صلى عليه وللنجاشي الذي تولى بعده على يد عمرو بن أمية فلا مخالفة * ومن ثم قال في النور والظاهر أن هذه الكتابة متأخرة عن الكتابة لاصحمة الرجل الصالح الذي آمن به صلى الله عليه وسلم وأكرم أصحابه هذا كلامه * وفيه أن رد الجواب على النبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب المذكور ورده على عمرو بن أمية بقوله أشهد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب الى آخره انما ناسب الاول الذي هو الرجل الصالح ويكون جواب الثاني لم يعلم وقد تقدم عن ابن حزم أنه لم يسلم وقال بعضهم انه الظاهر وحينئذ يكون الراوي خلط فوهم أن المكتوب اليه ثانيا هو المكتوب اليه أولا كما أشار اليه في الهدى والله أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس ملك القبط)

وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل على يد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الى المقوقس أي فانه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال ايها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب حاطب رضي الله عنه قال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب * قال حاطب رضي الله عنه فأخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت أهلي وسرت زاد السهيلي وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل مع حاطب جبيرا مولى أبي رهم الغفاري فان جبيرا هو الذي جاء بمارية من عند المقوقس واعترض بأن هذا لا يلزمه أن يكون صلى الله عليه وسلم أرسل جبيرا مع حاطب للمقوقس لجواز أن يكون المقوقس أرسل جبيرا مع حاطب والمقوقس لقب وهو لغة المطول للبنا واسمه جريج بن مينا وبعث معه

صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس
عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم
تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أى الذين هم رعاياك
ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به
شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وختم
الكتاب وجاء به حاطب رضى الله عنه حتى دخل على المقوقس بالاسكندرية أى
بعد ان ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فاخبر انه فى مجلس مشرف
على البحر فركب حاطب رضى الله عنه سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب
اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جىء به نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال
لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو على من خالفه أى من قومه وأخرجوه من بلده
الى غيرها ان يسلط عليهم واستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له حاطب
ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن
يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله اليه قال أحسنت
أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب رضى الله عنه انه كان قبلك رجل
يزعم أنه الرب الاعلى يعنى فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به
ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ان هذا النبى صلى الله عليه وسلم
دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى
ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام الا كبشارة عيسى
بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل
التوراة الى الانجيل وكل نبى أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن
أدركه هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكنا نأمرك به فقال
انى قد نظرت فى أمر هذا النبى صلى الله عليه وسلم فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا
ينهى عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت
معه آلة النبوة باخراج الخبء بفتح الخاء المعجمة وهمز فى آخره أى الشئ الغائب
المستور والاخبار بالنجوى أى يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبى صلى
الله عليه وسلم وجعله فى حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتبا له
يكتب بالعربية فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن
عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت
ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا بقى وقد كنت أظن أنه يخرج

بالشام وقد أكرمت رسولك أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أي وهما مارية وسيرين بالسين المهملة مكسورة وبثياب أي وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر * قال بعضهم وبقيت تلك الثياب حتى كفن صلى الله عليه وسلم في بعضها وفي كلام هذا البعض وأرسل له صلى الله عليه وسلم عمائم وقباطي وطيبا وعودا ونداو مسكا مع ألف مثقال من الذهب مع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه أي لانه سأل حاطبا رضي الله عنه فقال أي طعام أحب الى صاحبكم قال الدباء يعني القرع ثم قال له في أي شيء يشرب قال في قعب من خشب ثم قال وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم ولا ينافي أنه سيأتي أنه أهدى اليه صلى الله عليه وسلم زيادة على الجاريتين جارية أخرى اسمها قيسر وهي أخت مارية * ولعله انما اقتصر على ذكر الجاريتين دون هذه الثالثة مع أنها أخت مارية لانها دونهما في الحسن * وذكر بعضهم أن سيرين أيضا أخت مارية فالثلاثة أخوات *وفي ينبوع الحياة لابن ظفر واهدى اليه صلى الله عليه وسلم المقوقس جواري أربعا أي ويوافقه قول بعضهم وأرسل اليه صلى الله عليه وسلم جارية سوداء اسمها بريرة وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم اهدى احدى الجاريتين لابي جهم بن قيس العبدي فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاصي على مصر وأخرى اهداها لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان كما تقدم في قصة الافك واهدى اليه المقوقس زيادة على ذلك خصيا أي مجبوبا أي غلام أسود يقال له مابور باثبات الراء وقيل بحذفها وقيل هابو أي بالهاء بدل الميم واسقاط الراء ابن عم مارية وكونه كان مجبوبا عند ارساله وكان المهدى له هو المقوقس هو المشهور وفي كلام بعضهم ان المهدى له جريج بن مينا القبطي الذي كان على مصر من قبل هرقل وأنه لم يكن حال الارسال مجبوبا وأنه قدم مع مارية فأسلم وحسن اسلامه وكان يدخل عليها وأنه رضي من مكانه من دخوله على سرية النبي صلى الله عليه وسلم أن يجب نفسه فقطع ما بين رجليه حتى لم يبق منه شيء فليتأمل وسيأتي ما وقع له واهدى اليه المقوقس زيادة على البغلة وهي الدلدل وكانت شهباء والدلدل في اللغة اسم للقنفذ العظيم وكانت انثى ولا يستدل بطرق التأنيث لها الا انها الوحدة وفي كلام بعضهم اجمع أهل الحديث على ان بغلة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ذكرا الأنثى وأول من استنتج البغال قارون قالوا والبغل أشبه بامه منه بأبيه قيل ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وقد قال لسيدنا علي

رضي الله عنه لو حملنا الحمر على الخيل لكان لنا مثل هذه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون قال ابن حبان أي الذين لا يعلمون النهي
عنه وفيه ان الله امتن بها كالخيل والحمير ولا يقع الامتنان بالمكروه وحمارا أشهب
يقال له يعفور وعفيرا بالعين المهملة مضمومة وضبطه القاضي عياض بالمعجمة
وغلط في ذلك مأخوذ من العفرة وهي لون التراب ورساوه والازار فان المقوقس
سأل حاطبا رضي الله عنه ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر
وقد ركب عنده فرسا يقال له المرتجز فتخب له صلى الله عليه وسلم فرسا من
خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه صلى الله عليه وسلم الميمون واهدى له
صلى الله عليه وسلم عسلا من عسل بنهاء بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر
وأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنهاء بالبركة لانه حين أكل منه قال
ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة * واهدى اليه مربعة
يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان
شامية ومرآة ومشطا أي فان المقوقس سأل حاطبا عن النبي صلى الله عليه وسلم هل
يكتحل فقال له نعم وينظر في المرآة ويرجل شعره ولا يفارق خمسا في سفر كان أو في
حضر وهي المرآة والمكحلة والمشط والمدرى والسواك والمدرى شئ كالمسلة يفرق به
ثم شعر الرأس ويحك به لان حكه بالاصبع يشوش الشعر ولوي بها قرون
شعر الرأس وعن عائشة رضي الله عنها سبع لم تفارق رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر ولا حضر القارورة التي يكون فيها الدهن والمشط والمكحلة والمقراض
أي المقص والسواك والمرآة * زاد بعضهم والابرة والخيط ولعل عدم ذكر ذلك
في الكتاب أنه لم يره شيأ في ذكره وقد قال بعضهم ان المقوقس أرسل مع الهدية
طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى
نجوع واذا أكلنا لا نشبع واعترض كون الحمار الذي أرسله المقوقس يسمى يعفورا
بان الحمار الذي يسمى يعفورا اهداه له فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر واهدى
اليه أيضا بغلة شهباء يقال لها فضة وفرسا يقال له الظرب كما تقدم ثم رأيت بعضهم
سمى الحمار الذي اهداه عامل قيصر عفيرا أيضا وعليه فتسمية حمار المقوقس عفيرا
أيضا كما في الاصل أن الحمار الذي أهداه المقوقس يقال له يعفور أو عفير من خلط
بعض الرواة فلا منافاة وفي هذه قبول هدية المشركين وقد تقدم رده صلى الله عليه
وسلم لهداياهم وقال لا أقبل زبد المشركين ومما يشكل عليه أيضا أنه صلى الله
عليه وسلم في هدنة الحديبية اهدى صلى الله عليه وسلم لابي سفيان عجوة واستهداه

أى ما ناهداه اليه أبوسفيان وهو على شركه وذكران المقوقس قال لحاطب رضى الله عنه القبط لا يطاوعونى فى اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتى اياك وأنا أمنن أى أبخل بملكى أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده أى وكان كذلك فان المسلمين فتحوا مصر سنة ست عشرة ونزلها الصحابة فارجع الى صاحبك وارحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب رضى الله عنه فرحلت من عنده أى وبعث معه جيشا الى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة قال حاطب وذكرت قوله للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ومن ثم ذكر بعضهم ان هرقل لما علم ميل المقوقس الى الاسلام عزله ويخالفه قول بعضهم وبعث أبو بكر رضى الله عنه حاطبا هذا الى المقوقس بمصر فصالح القبط الا أن يقال يجوز أن يكون المقوقس عاد لولايته بعد عزله ✽ وذكر بعضهم أن بانى الاسكندرية لما أراد بناءها قال أبنى مدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس فدامت وبنى أخوه مدينة قال عند ارادة بنائها أبنى مدينة فقيرة الى الناس غنية عن الله فسلط الله عليها الخراب فى أسرع وقت ولما فتح عمرو بن العاصى رضى الله عنه مصر وقف على بعض ما بقى من آثار تلك المدينة فسأل عن ذلك فأخبر بهذا الخبر ✽ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوى العبدى بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية أى وهذا جواب كتاب أرسله المنذر جوابا لكتاب أرسله له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يدعوه الى الاسلام فأسلم وحسن اسلامه ✽ أقول ولم أقف على ذلك الكتاب ولا على حامله والظاهر أنه العلاء المذكور فقد ذكر السهيلى رحمه الله أن العلاء قدم على المنذر بن ساوى فقال له يا منذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ينكح فيها ما يستحيى من نكاحه ويأكلون

مايتيكره من أكله وتقعدون فى الدنيا ما راتا كلكم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا راى فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأتمنه ولمن لا يخلف أن لا نثق به فان كان هذا هكذا فهذا هو النبى الامى الذى والله لا يستطيع ذو عقل كيف ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به فقال المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ورأيته فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام من جاء به أن يعظم رسوله رساء نظر والله أعلم * ومن جملة كتاب المنذر أى الذى هذا الكتاب جوابه أما بعد يا رسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه و بأرضى مجوس ويهود فاحدث الى فى ذلك أمرك وذكر ابن قانع أن المنذر المذكور وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال أبو الربيع ولا يصح ذلك * ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان أى بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة من بلاد اليمن على يد عمرو بن العاصى رضى الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصى رضى الله عنه الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى ادعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل أى تنزل بساحتكم وتظهر نبوتى على ملككما وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب * قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت الى عمان فعمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك فقال أخى المقدم على بالسن والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك ثم قال وما تدعو اليه قلت ادعوك الى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعنى العاص بن وائل فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت له لو كان آمن وصدق به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هدانى الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسألنى أين كان اسلامى قلت عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم قال فكيف

صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة أى رؤساء النصرانية
والرهبان قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة فى رجل أفضح له
أى أكثر فضيحة من كذب قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال ما أرى
هرقل علم باسلام النجاشى قلت له بلى قال بأى شئ علمت ذلك يا عمرو قلت
كان النجاشى رضى الله عنه يخرج له خراجا فلما أسلم النجاشى وصدق بمحمد صلى الله
عليه وسلم قال لا والله ولو سألنى درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له
أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب
فى دين واختاره لنفسه ما اصنع به والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع قال
انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك * قال عبد فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى
عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم
وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب
فقال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن
بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أى تابعا قلت
انه ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم
وردها على فقيرهم قال ان هذا لخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات فى الاموال أى ولما ذكرت المواشى فقال
يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله
ما أرى قومى من بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا * قال عمرو فمكثت أياما
بباب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبرى ثم انه دعانى فدخلت عليه فأخذ أعوانه
بضبعى أى عضدى قال دعوه فأرسلت فذهبت لاجلس فأبوا أن يدعونى اجلس
فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه كتابا مختوما ففض خاتمه فقرأه
حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه ثم قال ألا تخبرنى عن قريش كيف
صنعت فقلت تبعوه اما راغب فى الدين واما راهب مقهور بالسيف قال ومن معه
قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله
اياهم انهم كانوا فى ضلال فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الحرجة وأنت ان لم تسلم اليوم
وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك أى جماعتك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك
ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما كان الغد
أتيت اليه فأبى أن يأذن لى فرجعت الى أخيه فأخبرته انى لم أصل اليه فأوصلنى
اليه فقال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى

بذى وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله أاهت أى وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجى خلابى أخوه فأصبح فأرسل الى فأجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا وخليا بينى و بين الصدقة و بين الحكم فيما بينهم وكانالى عونا على من خالفنى

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة)

بالذال المعجمة وقيل بالدال المهملة قال فى النور ولا أظنه الا سبق قلم صاحب اليمامة أى وزاد بعضهم والى ثمامة بن أثال الحنفيين ملكى اليمامة وفيه نظر لان ثمامة رضى الله عنه كان مسلما حينئذ على يد سليط بفتح السين المهملة بن عمرو العامرى أى لانه كان يختلف الى اليمامة وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر أى حيث تقطع الابل والخيل فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل الى بعض الامر أتبعك وأجاز سليطا رضى الله عنه بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألنى سيابة أى بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة من تحت وموحدة مفتوحة أى قطعة من الارض ما فعلت باد وباد ما فى يديه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتح جاء جبريل عليه السلام فأخبره بأن هوذة قد مات فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى أى فقال قائل يا رسول الله من يقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأصحابك فكان كذلك

* أقول هذا يدل على أن القائل له صلى الله عليه وسلم ذلك هو خالد بن الوليد رضى الله عنه فان أبا بكر رضى الله عنه وجهه أميرا على الجيش الذى أرسله لقتال مسيلمة لعنه الله وتقدم الخلاف فى قاتله والمشهور أنه وحشى قاتل حمزة رضى الله عنهما وكان سن هوذة مائة وخمسين سنة ويذكر أن هوذة هذا كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما قال فقال له لم لا تجيبه قال أنا ملك قومى ولئن اتبعته لم أملك فقال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك فى اتباعه وانه النبى العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة

والسلام وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله الحديث أي وذكر السهيلي رحمه الله تعالى ان سليطا قال له ياهوذة انه سودتك أعظم حائلة أي ماكية وأرواح في النار ويعني كسرى لانه الذي كان توجه وانما السيد من متبع الايمان ثم تزود بالتقوى وان قوما سعدوا وابرأيك فلا تشقين به وأنا آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وامنت ماخفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة ياسليط سودني من لو سودك تشرفت به وقد كان لي رأي اختبر به ففقدته فاجعل لي فسحة ليرجع الى رأيي فأجيبك به ان شاء الله تعالى

* (ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبي شمر الغساني) *

أي وكان بدمشق أي بغوطتها أي وهو محل معروف كثير المياه والشجر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق واني أدعوك ان تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب * قال شجاع رضي الله عنه فخرجت حتى انتهيت الى بابه فأقمت يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال لاتصل اليه حتى يخرج يوم كذا وجعل حاجبه يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل واجد صفة هذا النبي بعينه فكنت أراه أي أظنه يخرج بالشام فأراه قد خرج بأرض القرظ أي وهو ورق أو ثمر السلم فأنا أومن به وأصدقه فأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني عن الحارث باليأس منه ويقول هو يخاف قيصر فخرج الحارث يوما وجلس على رأسه التاج وأذن لي عليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ثم رمى به * ثم قال من ينزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيل ان تنعل * ثم قال لي اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره الخبر وصادف ان كان عند قيصر دحية الكلبي رضي الله عنه بعثه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لاتسر اليه واله عنه أي لاتذكره واشتغل بايلياء أي بيت المقدس ومعنى ايلياء بالعبرانية بيت الله والمراد

باشتغاله بذلك أن مهيأ لقيصر الانزال بيت المقدس فانه نذر المشي من حمص وقيل من قسطنطينية الى بيت المقدس ماشيا شكرالله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس وأظهرالله تعالى الروم على فارس فعرشواله بسطا ونثروا عليها الرياحين وهو يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس فجاء اليه كتاب قيصر أي الذي فيه أنه يلهه عنه ولابد كره وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فامر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه بنفقه وكسوة وقال لي ذلك الحاجب اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبر أني متبع دينه * قال شجاع فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من الحارث قال باداي هلك ملكه واقرأته السلام من الحاجب وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * وفي كلام بعضهم وبعض أهل السير على أن الحارث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامي فيقتلني قيصر * وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال ان شجاع بن وهب أرسل الى الحارث والى جبلة بن الايهم وان شجاعا قال له ياجبلة ان قومك نقلوا هذا النبي من داره الى دارهم يعني الانصار فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ما عند الله خير وأبقى * قال جبلة اني والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع قومي له وقد دعاني قيصر الى قتال اصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسأنظر * وفي كلام بعضهم أنه أسلم ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل الهدية وكان ثابتا على اسلامه لزمن عمر رضي الله عنه فانه حج في خلافته * أي وفي كلام بعضهم لما أسلم جبلة بن الايهم في أيام عمر رضي الله عنه كتب اليه يخبره باسلامه ويستأذنه في القدوم عليه فسر عمر بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها بقلائد الذهب والفضة وألبسها الديباج وصرف الحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عانس الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام بالمدينة مكرما فخرج عمر رضي الله

عنه حاجا فخرج معه * وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فانحل فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه * أي ويقال فقأ عينه فشكى الفزاري ذلك الى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال لم هشمت انفه أو قال لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين تعمد حل ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر أما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك وفي رواية وحكم اما بالعفو وبالقصاص فقال جبلة تقتص مني ماذا قال مثل ما صنعت به * وفي رواية أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقي فقال له عمر رضي الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى فقال ان كنت أنا وهذا الرجل سواء في الدين فأنا أتنصر فاني كنت أظن يا أمير المؤمنين أني في الاسلام أكون أعز مني في الجاهلية فقال له رضي الله عنه اذا أضرب عنقك فقال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته يا أمير المؤمنين فأذن له عمر رضي الله عنه في الانصراف * ثم ركب في بني عمه وركب الى القسطنطينية أي فدخل على هرقل وتنصر هناك ومات على ذلك * وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما * وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنى عشر شبرا وكان يمسح الارض برجليه وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وبنى له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه يقال أن فيها قبر ابراهيم بن أدهم * وقيل الحكاية كانت عند أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أي فقد ذكر بعضهم أن جبلة لم يزل مسلما حتى كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبينما هو في سوق دمشق اذ وطئ رجلا من مزينة فوثب المزني فلطم خد جبلة فأرسله مع جماعة من قومه الى أبي عبيدة بن الجراح فقالوا هذا لطم جبلة قال فليلطمه قالوا ما يقتل قال لا قالوا فما تقطع يده قال لا انما أمر الله بالقود فلما بلغ جبلة ذلك قال أترون أني جاعل وجهي ندا لوجه بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم على هرقل

* (حجة الوداع) * ويقال لها حجة البلاغ وحجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولانه ذكر لهم ما يحل وما يحرم وقال لهم هل بلغت ولانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها قيل لاخراج الكفار الحج عن وقته لان أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في هذه الحجة ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فان هذه

فرض الحج كان سنة ست من الهجرة أي وصححه الرافعي في باب السير وتبعه
النووي وقيل فرض سنة تسع وقيل سنة عشر انتهى وبه قال أبو حنيفة ومن ثم
قال أنه على الفور وقيل فرض قبل الهجرة واستغرب * خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد الحج وأعلم الناس بذلك ولم يحج منذ هاجر الى المدينة غير هذه الحجة
* قال وأما بعد النبوة قبل الهجرة فحج ثلاث حجات أي وقيل حجتين أي وهما اللتان
بايع فيهما الانصار عند العقبة * وفي كلام ابن الاثير كان صلى الله عليه وسلم يحج
كل سنة قبل أن يهاجر * أي وفي كلام ابن الجوزي حج صلى الله عليه وسلم
قبل النبوة وبعدها حججا لا يعلم عددها * أي وكان صلى الله عليه وسلم قبل النبوة
يقف بعرفات ويفيض منها الى مزدلفة مخالفا لقريش توفيقا له من الله فانهم كانوا
لا يخرجون من الحرم فانهم قالوا نحن بنو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل الحرم
وولاة البيت وقاطنو مكة وساكنوها ليس لاحد من العرب مثل منزلتنا فلا تعظموا شيئا من
الحل أي كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم وقالوا قد
عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فليس لنا أن نخرج من الحرم نحن الحمس
فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منه الى المزدلفة ويرون ذلك لسائر العرب * قال
بعض الصحابة لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي
وانه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا له
من الله عز وجل * وعند خروجه صلى الله عليه وسلم للحج أصاب الناس
بالمدينة جدري بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما أو حصبة منعت كثيرا من الناس
من الحج معه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى قيل
كانوا أربعين الفا وقيل كانوا سبعين الفا وقيل كانوا تسعين ألفا وقيل كانوا مائة
ألف وأربعة عشر ألفا وقيل وعشرون الفا وقيل كانوا أكثر من ذلك * وقد قال
صلى الله عليه وسلم أي عند ذهابه عمرة في رمضان تعدل حجة أو قال حجة معي أي قال
ذلك تطييبا لخواطر من تخلف وصوب بعضهم أن هذا انما قال صلى الله عليه وسلم
بعد رجوعه (م) أي الى المدينة قاله لام سنان الانصارية لما قال لها ما منعك
أن تكوني حججت معنا وقالت لنا ناضحان حج أبو فلان تعني زوجها وولدها على
أحدهما وكان الآخر نسقي عليه أرضا لنا وقال ذلك أيضا لغيرها من النسوة قاله
لام سليم ولام طليق ولام الهيثم ولا مانع أن يكون قال ذلك مرتين مرة عند ذهابه لما
ذكر ومرة عند رجوعه لما ذكر * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم يوم الخميس

لست بقين من ذى القعدة أى وقيل يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة (ه)
ورجحه بعضهم وأطال فى الاستدلال له وذلك سنة عشر نهارا بعد أن ترجل وادهن
وبعد أن صلى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم بذى الحليفة ركعتين وطاف تلك
الليلة على نسائه أى فانهن كن معه صلى الله عليه وسلم فى الهوادج وكن تسعة ثم
اغتسل ثم صلى الصبح أى والظهر ثم طيبته عائشة رضى الله عنها بذريرة هى نوع من
الطيب مجموع من اخلاط الطيب وبطيب فيه مسك ثم أحرم صلى الله عليه وسلم أى
وذلك بعد أن اغتسل (ه) لاحرامه قبل غسله الاول وتجرد فى ازاره ورداثه أى فقد
روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم أحرم فى رداء وازار ولم يغسل الطيب بل كان
يرى وبيص المسك فى مفارقه ولحيته الشريفة أى فانه صلى الله عليه وسلم لبد شعر
رأسه بما يلزق بعضه ببعض فلا يشعث ✽ وعن عائشة رضى الله عنها طيبته صلى
الله عليه وسلم لحرمه وحله وعنها رضى الله تعالى عنها قالت كنت أطيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت رواه
الشيخان وعنها قالت كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف
على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا وبه رد على ابن عمر رضى الله عنهما قوله لأن
أصبح مطليا بقطران أحب الى من أن أصبح محرما أنضح طيبا ويؤيد ما قاله ابن عمر
رضى الله عنهما ما تقدم فى الحديبية من أمره صلى الله عليه وسلم من تطيب قبل
احرامه بغسل الطيب وتقدم ما فيه ✽ أى وصلى كما فى الصحيحين عن ابن عمر رضى
الله عنهما ركعتين أى قبل أن يحرم ✽ وبه يرد قول ابن القيم رحمه الله تعالى لم ينقل
عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر (ه) وأهل حيث
انبعثت به راحلته أى وهى القصواء (ه) أى وهو يرد ما روى عن ابن سعد رحمه
الله تعالى حج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة الى مكة قد ربطوا
أوساطهم ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى انه حديث منكر ضعيف الاسناد
وانما كان صلى الله عليه وسلم راكبا وبعض أصحابه مشاة ✽ ولم يعتمر صلى
الله عليه وسلم فى عمره ماشيا وأحواله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن تخفى على
الناس بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله وكان على راحلته صلى الله
عليه وسلم رحل رث يساوى أربعة دراهم وفى رواية حج صلى الله عليه وسلم
على رحل وقطيفة تساوى أولا تساوى أربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا
مبرورا لارياء فيه ولا سمعة وذلك عند مسجد ذى الحليفة وأحرم بالحج والعمرة
معا فكان قارنا ﴿قال وقيل أحرم بالحج فقط فكان مفردا وقيل بالعمرة فقط أى ثم

احرم بالحج بعد فراغه من أعمال العمرة فكان متمتعا أخذا من قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم أحرم متمتعا وقيل أطلق احرامه * وفي كلام السهيلي رحمه الله واختلفت الروايات في احرامه صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح الا من قال كان متمتعا وأراد انه أهل بعمرة * قال الامام النووي وطريق الجمع أي بين من يقول انه أحرم قارنا ومن يقول انه أحرم مفردا ومن يقول انه أحرم متمتعا انه أحرم أولا مفردا أي بالحج ثم ادخل العمرة أي وذلك أي دخول الاضعف وهي العمرة على الاقوى الذي هو الحج من خصائصه صلى الله عليه وسلم فصار قارنا * ويدل لذلك حديث البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أهل بالحج فلما كان بالعقيق أتاه آت من ربه فقال له صل بهذا الوادي المبارك وقل لبيك بحجة وعمرة معا فصار قارنا بعد ان كان مفردا * فمن روى القران اعتمد آخر الامر أي ومنه قول سيدنا أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك وعمرة وحجا * ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق بالقران انتهى أي بالقران المذكور الذي هو ادخال العمرة على الحج لانه يكفي فيه الاقتصار على عمل واحد في النسكين أي فلا يأتي بطوافين ولا بسعيين أي وليس مراده التمتع الحقيقي بأن أحرم بعمرة فقط ثم بعد فراغه من أعمالها أحرم بالحج كما هو حقيقة التمتع ومن ثم قال بعضهم أكثر السلف يطلقون المتعة على القران * ومن روى الافراد اعتمد أول الامر ومنه قول ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن ذلك لبى بالحج وحده وان ابن عمر سمعه يقول لبيك بحج ولم يسمع قوله وعمرة فلم يحك الا ما سمع وأنس رضي الله عنه سمع ذلك أي سمع الحج والعمرة أي قال ابن عمر رضي الله عنه قيل له عن أنس بن مالك انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة فقال ابن عمر لبى بالحج وحده فقيل لانس عن ابن عمر ذلك فقال أنس رضي الله عنه ما تعدونا الا صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أي يصرح بهما جميعا وقال اني لرديف لابي طلحة وان ركبتي لتمس ركبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بالحج والعمرة وذلك مثبت لما قال ابن عمر وزائد عليه فليس منافيا له * ودليل من قال انه أحرم مطلقا مارواه امامنا الشافعي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم خرج هو وأصحابه رضي الله عنهم مهلين أي محرمين احراما مطلقا ينتظرون القضاء أي نزول الوحي لتعيين ما يصرفون احرامهم المطلق اليه أي بان اداة تمتع أو قران أي فجاءه صلى الله عليه وسلم الوحي ان يأمر من لا هدي معه أن يجعل احرامه عمرة فيكون مفردا الا ان من

معه هدى أفضل ممن لا هدى معه والحج أفضل من العمرة * ويدل لكون الصحابة أطلقوا احرامهم ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها خرجنا لا نذكر حجا ولا عمرة لكن أجيب عن ذلك بأنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية وان كانوا اسموه حال الاحرام * هذا وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل فلينظر الجمع بين هذا وما قبله * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم من لم يكن معه هدى وأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا أي فلا يجعلها عمرة بل يجعل احرامه حجا ولم يذكر القران * وجاء في بعض الطرق انه أمر من كان معه هدى أنه يحرم بالحج والعمرة معا * وفي بعض الروايات خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لا يسمي حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم أهل بالحج ومن لم يكن معه هدى أن يجعلها عمرة * وفي الهدى الصواب أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج والعمرة معا من حين انشأ الاحرام فهو قارن ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا كما دلت عليه النصوص المستفيضة التي تواترت تواترا يعلمه أهل الحديث * وما ورد أنه صلى الله عليه وسلم طاف طوافين وسعى سعيين لم يصح * قال وغلط من قال لبى بالحج وحده ثم أدخل عليه العمرة أي الذي تقدم في الجمع بين الروايات عن النووي رحمه الله * ومن قال لبى بالعمرة ثم أدخل عليها الحج أي وهذا لم يتقدم * ومن قال أحرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه أي وهو ما تقدم عن امامنا الشافعي * ومن قال أفرد الحج أراد به أنه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة اعمالا وهذا محمل ما في بعض الروايات وأفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ولم يعتمر على ان بعض الحفاظ قال انه حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة * ثم لبى صلى الله عليه وسلم أي بعد ان استقبل القبلة (ه) فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك * وروى انه زاد على ذلك لبيك اله الخلق لبيك * أي وروى انه زاد لبيك حقا تعبدا ورقا على تلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون لم ينكره عليهم وبه استدل أئمتنا على عدم كراهة الزيادة على تلبيته المشهورة المتقدمة (ه) فكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغباء اليك والعمل * وأتاه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وأمره أن يأمر

أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية لحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال مر
أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فانها من شعار الحج * واستعمل صلى الله
عليه وسلم على المدينة أبا دجانة رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة رضي الله
عنه (و) وولدت أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولدها
محمدا رضي الله عنهم في ذي الحليفة وأرسلت اليه صلى الله عليه وسلم فأمرها أن
تغتسل وتستثفر أي بخرقة عريضة بعد أن تحتشي قطنا وتربط طرفي تلك
الخرقة في شيء تشده في وسطها لتمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض وتحرم
* ثم حاضت سيدتنا عائشة رضي الله عنها في اثناء الطريق بمحل يقال له سرف بكسر
الراء وكانت قد أحرمت بعمرة وفي البخاري انها قالت وكنت فيمن أهل بعمرة
فأمرها صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتدخل الحج على العمرة * أقول وقد
جاء انها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال ما يبكيك
يا عائشة وفي لفظ ما يبكيك يا هنتاه لعلك نفست أي حضت قلت نعم والله لوددت
اني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر قال لا تقولين ذلك فهذا شيء كتبه الله
على بنات آدم * أي واستدل البخاري رحمه الله بهذا على ان الحيض كان
في جميع بنات آدم وانكر به على من قال ان الحيض أول ما وقع في بني اسرائيل
في لفظ قال ما شأنك قلت لا أصلي قال لا ضير عليك انما أنت امرأة من بنات آدم
كتب الله عليك ما كتب عليهن أهلي بالحج وفي رواية ارفضي عمرتك أي
لا تشرعي في شيء من أعمالها وأحرمي بالحج فانك تقضين كل ما يقضي الحاج أي
تفعلين كل ما يفعل الحاج وأنت حائض الا انك لا تطوفين بالبيت ففعلت ذلك أي
أدخلت الحج على العمرة ووقفت المواقف ووقفت بعرفة وهي حائض حتى اذا
طهرت أي وذلك يوم النحر وقيل عشية عرفة طافت بالبيت وبالصفا والمروة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا * وذكر بعضهم
ان في هذه الحجة كان جمل عائشة رضي الله عنها سريع المشي مع خفة حمل عائشة
وكان جمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها فصار يتأخر الركب بسبب ذلك فأمر صلى
الله عليه وسلم أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة وأن يجعل حمل عائشة على جمل
صفية فجاء صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يستعطف خاطرها فقال لها
يا أم عبد الله حملك خفيف وجملك سريع المشي وحمل صفية ثقيل وجملها بطيء
فأبطأ ذلك بالركب فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب فقالت له

انك تزعم أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أفى شك أنى رسول الله أنت
يا أم عبد الله قالت فأنك لا تعدل قالت فكان أبو بكر رضى الله عنه فيه حدة
فلطمنى على وجهى فلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما سمعت ما قالت
فقال دعها فان المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادى من أسفله ❊ قال ولما نزلوا بمحل
يقال له العرج فقد البعير الذى عليه زاملته صلى الله عليه وسلم وزاملة أبى بكر
أى زادهما وكان ذلك البعير مع غلام لابى بكر فقال أبو بكر للغلام أين بعيرك قال
ضللته البارحة فقال أبو بكر وقد اعترته حدة بعير واحد تضله وأخذ يضربه بالسوط
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم لا يزيد
على ذلك ❊ فلما بلغ بعض الصحابة ان زاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت
جاء بحيس ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر
رضى الله عنه وهو يغتاظ على الغلام هون عليك يا أبا بكر فان الامر ليس لك
ولا الينا معك وقد كان الغلام حريصا على أن لا يضل بعيره وهذا غداء طيب قد جاء
الله به وهو خلف عما كان معه فأكل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ومن كان
يأكل معهما حتى شبعوا ❊ فأقبل صفوان بن المعطل رضى الله عنه وكان على
ساقة القوم أى لان هذا كان شأنه كما تقدم فى قصة الافك والبعير معه وعليه
الزاملة حتى أناخه على باب منزله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابى بكر انظر هل تفقد شيأ من متاعك فقال ما فقدت شيأ الا قعبا
كنا نشرب فيه فقال الغلام هذا القعب معى ❊ ولما بلغ سعد بن عبادة وابنه
قيس رضى الله عنهما ان زاملته صلى الله عليه وسلم قد ضلت جاآ بزاملة وقال أى
كل واحد منهما يا رسول الله بلغنا ان زاملتك ضلت الغداة وهذه زاملة مكانها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك
الله لكما انتهى ❊ ثم نزل صلى الله عليه وسلم بذى طوى فبات بها تلك الليلة
(٠) وصلى بها الصبح أى بعد ان اغتسل بها (٠) أى ثم سار صلى الله عليه وسلم
ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا أى وقت الضحى (٠) من الثنية العليا
التى هى ثنية كداء بفتح الكاف والمد ❊ قال أبو عبيدة لا ينصرف وهى التى ينزل
منها الى المعلاة مقبرة مكة وهى التى يقال لها الآن الحجون التى دخل منها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة كما تقدم ودخل المسجد الحرام صبحا من باب
عبد مناف وهو باب بنى شيبة المعروف الآن بباب السلام ❊ وكان صلى الله
عليه وسلم اذا أبصر البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبراوزد

من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا * وفي مسند أمامنا الشافعي رضي الله عنه أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت الخ وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت الخ * وعند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد طاف بالبيت أي سبعا ماشيا فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال دخلت مكة عند ارتفاع الشمس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر الاسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه رواه البيهقي في السنن الكبرى باسناد جيد * وقيل طاف صلى الله عليه وسلم على راحلته الجدعاء أي لانه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته فلما أتى على الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين رواه أبو داود ورد بأن هذا الحديث تفرد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف على أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يذكر ان ذلك كان في حجة الوداع ولا في الطواف الاول من طوافاتها الثلاثة التي هي طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع فينبغي أن يكون ذلك في غير الطواف الاول بأن يكون في طواف الافاضة أو طواف الوداع فلا ينافي ما تقدم عن جابر ولا في مسلم عنه انه قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت ليراه الناس فيسألوه * وقوله ورمل في ثلاث منها أي يسرع المشي مع تقارب الخطا ومشى أي على هينته في أربع يستلم الركن اليماني والحجر الاسود في كل طوفة وابتدأ الرمل كان في عمرة القضاء لما قال المشركون غدا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليرى المشركون جلدهم وصبرهم ثم قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا كما تقدم فلما كانت هذه الحجة فعلوا كذلك فصارت سنة * قال وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر الاسود وثبت أنه استلمه بيده ثم قبلها وثبت أنه استلمه بمحجنه فقبل المحجن ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني ولا قبل يده حين استلامه انتهى * وعند امامنا الشافعي رضي الله عنه يستحب أن يقبل ما استلمه به * روى امامنا الشافعي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال

استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا * وكان صلى الله عليه وسلم اذا استلم الحجر قال بسم الله والله أكبر وقال بينهما أى بين الركن اليماني والحجر ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم شيء من الاذكار في غير هذا المحل حول الكعبة ولم يستلم الركنين المقابلين للحجر أى لانهما ليسا على قواعد سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه انك رجل قوى لا تزاحم على الحجر أى الاسود تؤذى الضعيف ان وجدت خلوة فاستلمه والا فاستقبله وهلل وكبر (ه) * وأخذ منه بعض فقهائنا أن من شق عليه استلام الحجر الاسود يسن له أن يهلل ويكبر * ثم بعد الطواف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل المقام بينه وبين الكعبة أى استقبل جهة باب المحل الذى به المقام الآن وهو المراد بخلف المقام قرأ فيهما مع أم القرآن قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ودخل صلى الله عليه وسلم زمزم فنزع له دلو فشرب منه ثم مج فيه ثم أفرغها في زمزم ثم قال لولا ان الناس يتخذونه نسكا لنزعت * أى وتقدم في فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم قال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لانتزعت منها دلوا وانتزع له العباس ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى الحجر الاسود فاستلمه * ثم خرج الى الصفا وقرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله أبدؤا بما بدأ الله به فسعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على بعيره * وعن امامنا الشافعي رضى الله عنه ان سعيه الذى طاف لقدومه كان على قدميه لا على بعير أى فذكر البعير في هذا السعى غلط من بعض الرواة * ثم رأيت بعضهم قال بعض الروايات عن جابر وغيره تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان ماشيا بين الصفا والمروة ولعل بين الصفا والمروة مدرجة أو انه صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة بعض المرات على قدميه فلما ازدحم الناس عليه ركب في الباقى ويدل لذلك انه قيل لابن عباس رضى الله عنهما ان قومك يزعمون ان السعى بين الصفا والمروة راكبا سنة فقال صدقوا وكذبوا فقيل كيف صدقوا وكذبوا فقال صدقوا في ان السعى سنة وكذبوا في أن الركوب سنة فان السنة المشى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى في السعى فلما كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه الناس ركب وبهذا يحصل الجمع بين الاحاديث الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم مشى بين الصفا والمروة والاحاديث الدالة على أنه

صلى الله عليه وسلم ركب فيه * وصار صلى الله عليه وسلم في السعي يخب ثلاثا ويمشي أربعا ورقي الصفا يستقبل الكعبة ويوحد الله ويكبره ويقول لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده أي من غير قتال ثم يفعل على المروة مثل ذلك * واعترض بأن كونه كان يخب ثلاثا ويمشي أربعا كان في الطواف بالبيت لا في السعي بين الصفا والمروة وهذا السياق يقتضي انه صلى الله عليه وسلم سعى بعد طواف القدوم * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم حج فأول شيء بدأ به حين قدم مكة انه توضأ ثلاثا ثم طاف بالبيت ولم يذكر السعي * أي وفي مسلم في سبب نزول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله ان المهاجرين في الجاهلية كانوا يهلون بصنمين على شط البحر يقال لهما إساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون فلما جاءهم الإسلام كرهوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة يرون أن ذلك من أمر الجاهلية فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله * وقيل ان سبب نزولها ان الانصار كانوا في الجاهلية يهلون لمناة وكان من أحرم بمناة لا يطوف بين الصفا والمروة وانهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حين أسلموا فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية * ثم أمر صلى الله عليه وسلم من لا هدي معه بالاحلال أي وان لم يكن أحرم بالعمرة بأن لم يكن سمع أمره صلى الله عليه وسلم بأن من لا هدي معه يحرم بالعمرة فأحرم بالحج قارنا أو مفردا * قال السهيلي رحمه الله ولم يكن ساق الهدي معه من أصحابه رضي الله عنهم الا طلحة بن عبيد الله وكذا علي كرم الله وجهه جاء من اليمن وقد ساق الهدي ويأتي ما فيه * أي وأمره صلى الله عليه وسلم من ذكر بالاحلال كان بعد الحلق والتقصير لانه أتى بعمل العمرة فيحل له كل ما حرم على المحرم من وطء النساء والطيب والمخيط وان بقي لذلك الى يوم التروية الذي هو اليوم الثامن من ذي الحجة يهل أي يحرم بالحج وقيل له يوم التروية لأنهم كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه معهم في ذهابهم من مكة الى عرفات لعدم وجدان الماء بها في ذلك الزمن وأمر صلى الله عليه وسلم من معه الهدي أن يبقى على احرامه أي بالحج قارنا أو مفردا حتى قال بعضهم لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي * قال ويروى أن قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لما تم سعيه قال لو اني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة ننطلق الى منى وذكر أحدنا يقطر أي في لفظ وفرجه يقطر منيا

أي قد جامع النساء * أي وفيه انهم لا ينطلقون الى منى الا بعد الاحرام بالحج لانهم يحرمون من مكة الا أن يقال مرادهم انا كيف نجامع النساء بعد احرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد الاحرام بالحج كما سيأتي في بعض الروايات * وعن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من أغضبك يارسول الله أدخله الله النار فقال أوماشعرت اني أمرت الناس بأمر فاذا هم يترددون * وقوله صلى الله عليه وسلم لواستقبلت الخ تأسف على فوات أمر من أمور الدين ومصالح الشرع كذا قال الامام أحمد رضي الله عنه لانه يرى أن التمتع أفضل ورد بأنه لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل وانما تأسف عليه لكونه أشق على أصحابه في بقائه محرما على احرامه وأمره لهم بالاحلال * وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث لوتفتح عمل الشيطان محمول على التأسف على فوات حظ من حظوظ الدنيا فلا تخالف * ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله تعالى فقال أما بعد فتعلمون أيها الناس لانا والله أعلمكم بالله وأتقاكم له ولواستقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت هديا ولأحللت * وفي رواية قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فقال صلى الله عليه وسلم اقبلوا ما أمرتكم به واجعلوا اهلالكم بالحج عمرة فلولا اني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به ففعلوا وأحلوا ففسخوا الحج الى العمرة * وكان من جملة من ساق الهدي أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم فان عليا كرم الله وجهه قدم الى مكة من اليمن ومعه هدي * وعن جابر رضي الله عنه لم يكن أحد معه هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم وطلحة * وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه انطلق وطف بالبيت وحل كما أحل أصحابك فقال يارسول الله أهللت كما أهللت فقال له ارجع فأحل كما أحل أصحابك قال يا رسول الله اني قلت حين أحرمت اللهم اني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد فقال هل معك من هدي قال لا فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على احرامه * وهذا صريح في أن احرامه صلى الله عليه وسلم كان بالحج * ويمكن الجمع بين رواية أن عليا قدم من اليمن ومعه هدي وبين رواية أنه لم يكن معه هدي بأن الهدي تأخر مجيئه بعده لانه تعجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على الجيش رجلا من أصحابه * ويؤيد ذلك قول بعضهم كان الهدي الذي قدم به علي كرم الله وجهه من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة أي والا فالذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين بدنة والذي قدم به

من اليمن امنى كان سبعة وثلاثين بدنة ولا يخالف ذلك اشراكه له في الهدي لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لاحتمال تلف ذلك الهدي وعدم مجيئه والذي في البخاري لما قدم علي كرم الله وجهه من اليمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم بم أهللت يا علي قال بما أهل به النبي صلى الله عليه وسلم قال فاهد وامكث حراما كما انت * أي فانه تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان أرسل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى اليمن لهمدان يدعوهم الى الاسلام قال البراء رضي الله عنه فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأمره أن يقفل خالد بن الوليد ويكون مكانه وقال مر أصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقفل فكنت ممن أعقب مع علي كرم الله وجهه فلما دنونا من القوم خرجوا الينا وصلى بنا علي كرم الله وجهه ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعا فكتب علي رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان * السلام على همدان وكان من جملة من لم يسق الهدي أبو موسى الاشعري رضي الله عنه فانه لما قدم من اليمن قال له بم أهللت قال أهللت كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال له هل معك من هدي قال قلت لا فأمرني فطفت بالبيت والصفا والمروة * وفي رواية للشيخين عن أبي موسى رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له بم أهللت فقلت لبيت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد أحسنت طف بالبيت وبالصفا والمروة وأحل أي بعد الحلق أو التقصير * وفيه أنه صلى الله عليه وسلم كان مهلا بالحج فقط أو مع العمرة الا أن يقال جوز لابي موسى الفسخ من الحج الى العمرة كما فعل ذلك مع غيره من الصحابة الذين احرموا بالحج ولا هدي معهم * ومن جملة من لم يسق الهدي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فكان أي لانهن احرمن احراما مطلقا ثم صرفنه للعمرة أو احرمن متمتعات أي بالعمرة الا عائشة رضي الله عنها فانها لم تحل أي لانها أدخلت الحج على العمرة كما تقدم * وممن أحل سيدتنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أي لانها لم يكن معها هدي (٠) واسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما * وشكى علي كرم الله وجهه فاطمة رضي الله عنها الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ أحلت فانه وجدها لبست صبيغا واكتحلت فأنكر عليها فقالت رضي الله عنها

أمرني أبي بذلك فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم محرشا لها عليها رضي الله عنها (ه) فصدقها عليه الصلاة والسلام في انه أمرها بذلك أي فانه صلى الله عليه وسلم قال له صدقت صدقت انا أمرتها بذلك يا علي (ه) وسأله سراقة بن مالك رضي الله عنه فقال يارسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للابد فشبك صلى الله عليه وسلم بين اصابعه فقال بل للابد الابد دخلت العمرة في الحج هكذا الى يوم القيامة ✽ أي وفي رواية فشبك بين اصابعه واحدة في أخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين بل لابد الابد بالاضافة أي الى آخر الدهر ✽ وهذا الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج يدل على أن مراد السائل بالتمتع القران لا حقيقته الذي هو الاحرام بالحج بعد الفراغ من عمل العمرة لكن قول بعضهم لما كان آخر سعيه صلى الله عليه وسلم على المروة قال لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة فقال يارسول الله العامنا هذا أم للابد الحديث يدل على أن مراده بالتمتع حقيقته لكن لا يحسن الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج الا أن يقال المراد حصلت العمرة مع الاحرام بالحج لقلب الاحرام بالحج الى العمرة لان هذا كله يدل على انه أمر من أحرم بالحج ممن لا هدي معه أن يقلب احرامه عمرة ✽ وأجاب عنه أئمتنا بأن ذلك أي فسخ الحج الى العمرة كان من خصائص الصحابة في تلك السنة ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر الحج ويقولون أنه من أفجر الفجور وبهذا قال أبو حنيفة ومالك واما منا الشافعي وجماهير العلماء من السلف والخلف ✽ وفي مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه لم يكن فسخ الحج الى العمرة الا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (ه) وخالف الامام أحمد رحمه الله وطائفة من أهل الظاهر فقالوا بل هذا ليس خاصا بالصحابة في تلك السنة أي بل باق لكل أحد الى يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل بأعمالها وبعضهم قال ان قول سراقة رضي الله عنه معناه ان جواز العمرة في أشهر الحج خاصة بهذه السنة أو جائزة الى يوم القيامة وفيه أنه لا يحسن الجواب عنه بما تقدم من قوله دخلت العمرة في الحج ✽ ثم نهض صلى الله عليه وسلم ونهض معه الناس يوم التروية الذي هو اليوم الثامن الى منى وأحرم بالحج كل من كان أحل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بمنى والعصر والمغرب والعشاء وبات بها تلك الليلة أي وكانت ليلة الجمعة (ه) وصلى بها الصبح ثم نهض بعد طلوع الشمس الى عرفة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تضرب له قبة من شعر بنمرة فأتى عليه الصلاة والسلام

عرفة ونزل فى تلك القبة حتى اذا زالت الشمس أمر بناقته القصوى بفتح القاف والمد وقيل بضم القاف والقصر وهو خطأ كما تقدم * وفى كلام الاصل ان القصواء والعضباء والجدعاء اسم لناقة واحدة وفيه ما لا يخفى * فرحلت ثم أتى بطن الوادى فخطب على راحلته خطبة ذكر فيها الدماء والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس رضى الله عنه ووضع الدماء فى الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قتلته هذيل فقال هو أول دم ابدأ به من دماء الجاهلية موضوع فلا يطالب به فى الاسلام وأوصى صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا * وأباح ضربهن غير المبرح ان أتين بما لا يحل وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهن * وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل أى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه لا يضل من اعتصم به وأشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك وأمر أن يبلغ ذلك الشاهد الغائب * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانكم لتسألون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم أمر مناديا صار ينادى بكل ما قاله من ذلك أى وهو ربيعة بن أمية بن خلف أخو صفوان بن أمية وكان صيتا وصار صلى الله عليه وسلم يقول له يا ربيعة قل يا أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا كما تقدم فيصرخ به وهو واقف تحت صدر ناقته صلى الله عليه وسلم وربيعة هذا ارتد فى زمن عمر رضى الله عنه فانه شرب الخمر فهرب منه الى الشام ثم هرب الى قيصر فتنصر ومات عنده * وعن عبد الرحمن بن عوف أنه طاف ليلة هو وعمر رضى الله عنهما الحرس بالمدينة فرأوا نورا فى بيت فانطلقوا يؤمونه فاذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضى الله عنه لعبد الرحمن أتدرى بيت من هذا قال لا قال هذا بيت ربيعة بن أمية وهم الآن شرب فما ترى قال أرى انا قد أتينا ما نهى الله عنه ولا تجسسوا فانصرف عمر ثم ان عمر رضى الله عنه غرب ربيعة الى خيبر فكان ما تقدم * وقد رأى ربيعة قبل ذلك فى المنام كأنه

فى أرض معشبة مخصبة وخرج منها الى أرض مجدبة كالحة ورأى أبابكر رضى الله عنه فى جامعة من حديد عند سرير الى الحشر فقص ذلك على أبى بكر رضى الله عنه فقال ان صدقت رؤياك تخرج من الايمان الى الكفر وأما أنا فان ذلك دينى جمع لى فى أشد الناس الى يوم الحشر * وبعثت اليه صلى الله عليه وسلم أم الفضل زوجة العباس أم عبدالله ابن عباس رضى الله عنهم لبنا فى قدح شربه امام الناس فعلموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن صائما ذلك اليوم الذى هو يوم التاسع أى لانهم تماروا عندها فى صيامه صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم الذى هو يوم عرفة * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة * أى وبهذا استدل أئمتنا على انه لا يستحب للحاج صوم يوم عرفة الذى هو التاسع من ذى الحجة * فلما تم صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فاذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيأ فصلاهما مجموعتين فى وقت الظهر بأذان واحد واقامتين أى لانه صلى الله عليه وسلم لم يقم بمكة اقامة تقطع السفر لانه دخلها فى اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فقد صلى بها احدى وعشرين صلاة من أول ظهر يوم الرابع الى عصر الثامن يقصر تلك الصلوات فالجمع للسفر كما يقول امامنا الشافعى رضى الله عنه كالجمهور لا للنسك كما يقول غيرهم * أقول وفيه أن فقهاءنا ذكروا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة فى حجة الوداع مع عزمه على الاقامة أياما أى تقطع السفر لعدم استيطانه * ويرد بأنه من أين أنه صلى الله عليه وسلم عزم على الاقامة بمكة المدة التى تقطع السفر هذه دعوى تحتاج الى دليل وأيضا عزمه صلى الله عليه وسلم على ذلك انما هو بعد عوده الى مكة بعد فراغه من الوقوف والرمى ولا ينقطع سفره الا بوصوله الى مكة والاولى استدلال فقهائنا على وجوب الاستيطان فى اقامة الجمعة بعدم أمره صلى الله عليه وسلم لاهل مكة باقامة الجمعة مع أنهم غير مسافرين لعدم استيطانهم للمحل فما ذهب اليه امامنا رضى الله عنه من أن الجمع للسفر لا للنسك فى محله * وقد رأيت ان مالكا رضى الله عنه سأل أبا يوسف وقد كان حج مع الرشيد وذلك بحضرة الرشيد فقال له ما تقول فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة أصلى جمعة أم صلى ظهرا مقصورة فقال أبو يوسف صلى جمعة لانه خطب لها قبل الصلاة فقال مالك أخطأت لانه لو وقف يوم السبت لخطب قبل الصلاة فقال أبو يوسف ما الذى صلى فقال مالك صلى الظهر مقصورة لانه أسر بالقراءة فصوبه هارون فى احتجاجه على أبى يوسف والله أعلم * ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته الى أن أتى الموقف فاستقبل القبلة ولم يزل

واقما الدعاء من الزوال الى الغروب وفى الحديث أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى أى فى يوم عرفة كما فى بعض الروايات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير * وجاء من جملة دعائه فى ذلك اليوم اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الشيطان ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذى شر * وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شئ من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريع من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤوفا رحيما ياخير المسؤولين وياخير المعطين * واستمر صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة * أى وخطب صلى الله عليه وسلم على ناقته فى ذلك المحل فعن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة رضى الله عنهم قال بعثنى عتاب بن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لعابها ليقع على رأسى فسمعته يقول أيها الناس ان الله قد أدى الى كل ذى حق حقه وانه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا * وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة فسألوه كيف الحج فأمر مناديا ينادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع أى المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وجمع بفتح الجيم وسكون الميم أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه * أى وقال صلى الله عليه وسلم وقفت ههنا وعرفة كلها موقف زاد مالك فى الموطأ وارفعوا عن بطن عرنة * وفى كلام بعضهم نزلت اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى يوم الجمعة بعد العصر والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة يندق من ثقل الوحى * قال ابن عباس رضى الله عنهما اتفق فى ذلك اليوم أربعة أعياد عيد المسلمين وهو يوم الجمعة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل فى يوم قبله ولا بعده * ولما نزلت بكى عمر رضى الله عنه فقال له

النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال رضي الله عنه أبكاني انا كنا في زيادة أما اذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يعش بعدها الا ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ولم ينزل بعدها شيء من الاحكام * ثم اردف رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ابن زيد رضي الله عنه خلفه ودفع الى مزدلفة وقد ضم زمام راحلته القصوى التي خطب عليها في نمرة حتى ان رأسه لتصيب طرف رحله يسير العنق حتى اذا وجد فسحة سار النص وهو فوق العنق وهو يأمر الناس بالسكينة في السير فلما كان في الطريق عند الشعب الايمن نزل فيه فبال وتوضأ وضوءا خفيفا ثم ركب حتى أتى المزدلفة أي اتى الى جمع * أي وتقدم أن وقوفه صلى الله عليه وسلم بعرفات وافاضته الى مزدلفة قبل أن يبعث كان مخالفا في ذلك لقوله وصلى المغرب والعشاء مجموعتين في وقت العشاء أي مقصورتين باذان واحد واقامتين ثم اضطجع وأذن للنساء أي الضعفة والصبيان ان يرموا ليلا أي ان يذهبوا من مزدلفة الى منى بعد نصف الليل بساعة ليرموا جمرة العقبة قبل الزحمة * وعن ابن عباس رضي الله عنهما فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم ان لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فليتأمل ذلك فعن عائشة رضي الله عنها ان سودة رضي الله عنها أفاضت في النصف الاخير من مزدلفة باذن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمرها بالدم والا النفر الذين كانوا معها * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنا ممن قدم النبي صلى الله عليه وسلم في ضعفة أهله وروى ذلك لشيخان ولم يأذن صلى الله عليه وسلم للرجال في ذلك لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم أي فالمراد بالضعفة الصبيان كما تقدم وبهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب تقديم النساء والضعفة بعد نصف الليلة الى منى أي وان يبقى غيرهم حتى يصلوا الصبح مغلسين * وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت فلان أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب الي من مفروح به أي لارمي الجمرة قبل أن يأتي الناس وفي لفظ قبل حطمة الناس لان سودة رضي الله عنها كانت مرأة ضخمة ثقيلة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تفيض من مزدلفة مع النساء والضعفة * وفي مسلم مضت أم حبيبة من جمع بليل أي في نصف الليل * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أرسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح ورمينا الجمرة فلما كان وقت الفجر قام صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس أي بالمزدلفة الصبح مغلسا ثم أتى المشعر الحرام فوقف به أي وهو راكب ناقته

واستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة لامته يوم عرفة فأجيب بأنه يغفر لها ما عدا المظالم ثم دعا بذلك أى بالمغفرة لامته بمزدلفة فأجيب الى ذلك أى الى غفران المظالم فجعل ابليس لعنه الله يحثوا التراب على رأسه فضحك صلى الله عليه وسلم من فعله * وجاء ان المراد بالامة من وقف بعرفة ثم انه صلى الله عليه وسلم دفع أى من المشعر الحرام قبل ان تطلع الشمس وأردف خلفه الفضل بن العباس وجاءته امرأة تسأله فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة فأحج عنه قال نعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر وفى لفظ آخر فوضع صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر وفى لفظ آخر أنه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل فقال له أبوه العباس رضى الله عنهما يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى محسر حرك ناقته قليلا وسلك الطريق التى تسلك على جمرة العقبة فرمى بها من أسفلها سبع حصيات التقطها له عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما من موقفه الذى رمى فيه مثل حصا الخذف بفتح الخاء المعجمة واسكان الذال المعجمة وهذا لا يخالف ما عليه أئمتنا من أن الاولى أن يلتقط حصى الرمى من مزدلفة ويكره أخذه من المرمى لجواز أن يكون لتقطه ذلك من مزدلفة ثم سقط منه عند جمرة العقبة فأمر ابن عباس بالتقاطه * لكن الذى فى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل محسرا أى الوادى المعروف وهو أول منى قال عليكم بحصى الخذف الذى ترمى به الجمرة وهو يدل على أن أخذ الحصا من ذلك أولى الا أن يقال يجوز أن يكون قال ذلك لجماعة تركوا أخذ ذلك من مزدلفة * وأمر صلى الله عليه وسلم بمثلها ونهى عن أكبر منها وقطع صلى الله عليه وسلم التلبية عند الرمى وصار يكبر عند رمى كل حصاة وهو راكب ناقته وفى رواية على بغلة قال بعضهم وهو غريب جدا وبلال وأسامة أحدهما آخذ بخطامها والآخر يظله بثوبه لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك * وفى رواية رأيت بلالا رضى الله عنه يقود براحلته وأسامة ابن زيد رضى الله عنه رافع عليه ثوبه يظله من الحر حتى رمى جمرة العقبة * وخطب صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء وقيل على بعير بمنى خطبة قرر فيها تحريم الربا والدماء والاموال والاعراض وذكر حرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد فقال يا أيها الناس أى يوم هذا قالوا

يوم حرام قال فأى بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأى شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا أعادها مرارا ✻ ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت فليبلغ الشاهد منكم الغائب لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وأمرهم صلى الله عليه وسلم بأخذ مناسككم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك ✻ وكان وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد ✻ وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب فى اليوم الاول واليوم الثانى من أيام التشريق وهو أوسطها ويقال له يوم النفر الاول لجواز النفر فيه كما يقال لليوم الثالث من أيام التشريق يوم النفر الآخر ✻ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة أى وهى التى قدم بها من المدينة وذلك بيده الشريفة ✻ قال بعضهم وفى ذلك اشارة الى منتهى عمره صلى الله عليه وسلم لان عمره صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك اليوم ثلاثا وستين سنة فنحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لكل سنة بدنة وطبخ له اللحم من لحمها وأكل منه أى أخذ من كل بدنة بضعة فجعل ذلك فى قدر وطبخ وأكل من ذلك اللحم وشرب من مرقه ✻ ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فنحر ما بقى وهو تمام المائة أى ولعله الذى أتى به على كرم الله وجهه من اليمن هذا ✻ وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا فنحر ما بقى منها وقال له أقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولا تعط جزارا منها شيأ وخذ لنا من كل بعير حذية من لحم واجعلها فى قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحسو من مرقها ففعل ✻ وأخبر صلى الله عليه وسلم أن منى كلها منحر وأن فجاج مكة كلها منحر ✻ ثم حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف أى حلقه معمر بن عبد الله وقال له ها وأشار بيده الى الجانب الايمن فبدأ بشقه الايمن فحلقه ثم بشقه الايسر وقسم شعره أعطى نصفه لابى طلحة الانصارى أى شعر نصف رأسه الايسر بعد أن قال هنا أبو طلحة وقيل أعطاه لام سليم زوج أبى طلحة رضى الله عنهما وقيل لابى [illegible] وأعطى من نصفه الثانى أى الذى هو الايمن الشعرة والشعرتين للناس ✻ وفى رواية ناول صلى الله عليه وسلم الحلاق شقه الايمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الانصارى فأعطاه اياه ثم ناول الحلاق الشق الايسر فحلقه وأعطاه أبا طلحة [illegible] بين الناس ✻ قال فى النور والحاصل أن الروايات اختلفت

فى مسلم ففى بعضها انه أعطاه الايسر وفى بعضها أنه أعطاه الايمن ورجح ابن القيم
ان الذى اختص به أبو طلحة هو الشق الايسر * أقول الذى فى مسلم قال للحلاق
ها وأشار بيده الى جانبه الايمن فقسم شعره بين من يليه وفى رواية فوزعه الشعرة
والشعرتين ثم أشار الى الحلاق والى جانبه الايسر فحلقه فأعطاه لام سليم وفى رواية
قال ههنا أبو طلحة وفى لفظ ابن أبو طلحة فدفعه الى أبى طلحة وفى رواية ناول الحلاق
شقه الايمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة فأعطاه اياه ثم ناوله الشق الايسر فحلقه فأعطاه
أبا طلحة فقال اقسم بين الناس والجمع ممكن بين هذه الروايات والله أعلم * وعن
بعضهم قال سقطت قلنسوة خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم اليرموك وهو فى الحرب
فسقطت فطلبها طلبا حثيثا فعوتب فى ذلك فقال أن فيها اشيأ من شعر ناصية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانها ما كانت معى فى موقف الا نصرت بها * وعن أنس
رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وقد طاف به
أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل * ثم تطيب صلى الله عليه وسلم طيبته
عائشة رضى الله عنها بطيب فيه مسك قبل أن يطوف طواف الافاضة ويقال له
طواف الركن ويقال له طواف الصدر والاشهر ان طواف الصدر طواف الوداع
وحلق بعض أصحابه وقصر بعض آخر * وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم
اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فأعاد صلى الله عليه وسلم وأعادوا ثلاثا وقال
فى الرابعة والمقصرين والصحيح المشهور أنه قال ذلك فى هذه الحجة التى هى حجة
الوداع كما قال ذلك فى الحديبية كما تقدم * وقيل لم يقله الا فى الحديبية وبه جزم
امام الحرمين فى النهاية وقال النووى ولا يبعد أن يكون وقع ذلك منه صلى الله عليه
وسلم فى الموضعين * قال فى فتح البارى بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك
فى الموضعين أى فانه فى مسلم فى حجة الوداع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال
اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا
يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين * ثم نهض صلى الله عليه وسلم راكبا الى
مكة فطاف فى يومه ذلك طواف الافاضة قبل الظهر وشرب من نبيذ استسقاه * وعن
ابن عباس رضى الله عنهما مر النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة
رضى الله عنه فاستسقى فأتيناه باناء من نبيذ أى من سقاية العباس رضى الله عنه
فانهم كانوا يضعون فى السقاية التمر والزبيب فشرب صلى الله عليه وسلم وسقى
فضله لاسامة وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا * ثم شرب صلى الله عليه وسلم

من ماء زمزم بالدلو قيل وهو قائم وقيل وهو على بعير والذي نزع له الدلو وهو عمه العباس بن عبد المطلب أي وفعل ذلك عند فتح مكة أيضا كما تقدم وقيل لما شرب صلى الله عليه وسلم صب منه على رأسه الشريف * وعن ابن جريج أنه صلى الله عليه وسلم نزع الدلو نفسه وقيل أن هذا يخالف ما تقدم من قوله لولا أن الناس يتخذونه نسكا انتزعت ومن قوله يوم فتح مكة لولا أن تغلب بنو عبد المطلب انتزعت منها ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فصلى بها الظهر كما اتفق عليه الشيخان وقيل صلاه بمكة وبه انفرد مسلم ورجح بأمور وجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون صلى الظهر بمكة أول الوقت ثم رجع الى منى فصلاه مرة أخرى بأصحابه أي الذين تخلفوا عنه بمنى فانه صلى الله عليه وسلم وجدهم ينتظرونه فهي له صلى الله عليه وسلم معادة * قال بعضهم وهذا مشكل على من لم يجوز الاعادة وعورض هذا بأنه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم رمى جمرة العقبة ونحر ثلاثا وستين بدنة ونحر علي كرم الله وجهه بقية المائة وأخذ من كل بدنة بضعة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكل من ذلك اللحم وشرب من مرقه وحلق رأسه ولبس وتطيب وخطب فكيف يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أول الوقت ويعود الى منى في وقت الظهر على أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت افاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع الى منى رواه أبو داود وأجيب بأن النهار كان طويلا فلا يضر صدور افعال منه صلى الله عليه وسلم كثيرة في صدر ذلك اليوم على أن ابن كثير رحمه الله قال لست أدري أن خطبته صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم أكانت قبل ذهابه أو بعد رجوعه الى منى واما رواية عائشة رضي الله عنها المقتضية لكونه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب الى البيت فأجاب بعضهم عنها بأنه ليس نصا في ذلك بل محتمل فليتأمل * فان قيل روى البخاري وأهل السنن الاربعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الزيارة الى الليل وفي لفظ زار ليلا * قلنا المراد بالزيارة زيارة بعينه لا طواف الزيارة الذي هو طواف الافاضة فقد روى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة من ليالي منى وقول عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الطواف يوم النحر الى الليل قد أخذه من قول عائشة المتقدم وقد علمت ما فيه * وقد قال بعضهم الصحيح من الروايات وعليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم النحر بالنهار والاشبه أنه كان قبل الزوال هذا كلامه * فطافت أم سلمة رضي الله عنها في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس قالت

وطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جانب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور * أي وعورض ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم أرسل أم سلمة رضي الله عنها ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكيف يلتئم هذا مع طوافه قبل الظهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن ذلك الوقت بمكة * ويجاب بانه يجوز أن تكون أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وان كانت قدمت مكة قبل الفجر وعورض بانه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور ولا جهر بالقراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس هذا من المحال * ويجاب بأن كونه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور شهادة نفي على من يثبت وأم سلمة رضي الله عنها تدعي أنها سمعت قراءته صلى الله عليه وسلم * ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال والظاهر أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ أي عند قدومه مكة لطواف الوداع عند الكعبة بأصحابه وقرأ في صلاته والطور بكمالها قال ويؤيد ذلك ما روي عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أشتكي قال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة وطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حينئذ الى جنب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور * أي وحينئذ يكون ما تقدم من قول الراوي وطافت أم سلمة في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر وقوله في الرواية الاخرى أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت أي طافت طواف الافاضة وما جاء عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة * قال بعضهم ذكر يوم النحر غلط من الراوي أو من الناسخ وانما هو يوم النفر ويقال مثل ذلك فيما قاله فليتأمل فانه سيأتي في بعض الروايات أنه طاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح الا أن يقال انه صلى الله عليه وسلم مكث بعد الطواف لصلاة الصبح حتى صلاها وفيه أن بعضهم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت أي طواف الوداع بعد صلاة الصبح والله أعلم وطافت في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت من حيضها وكانت حاضت يوم عرفة أي كما تقدم وطافت أيضا صفية رضي الله عنها في ذلك اليوم وسئل صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عما تقدم بعضه على بعض من الرمي والحلق والنحر والطواف فقال لا حرج أي لا اثم في مسلم عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى على راحلته للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر أن النحر قبل الحلق فحلقت قبل أن أنحر فقال

اذبح ولا حرج ثم جاءه رجل آخر فقال يارسول الله لم أشعر أن الرمى قبل الحصر فنحرت قبل أن أرمى فقال ارم ولا حرج وجاءه آخر فقال انى أفضت الى البيت قبل أن أرمى قال ارم ولا حرج * قال فما سئل عن شئ قدم ولا أخر الا قال افعل ولا حرج ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أيضا فى تقديم السعى بين الصفا والمروة قبل الطواف بالبيت أى فمن شاء تقدم السعى عقب طواف القدوم ومن شاء أخره عن طواف الافاضة وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أتى بالسعى قبل طواف القدوم وأقام صلى الله عليه وسلم بمنى ثلاثة أيام يرمى الجمار أى ماشيا فى ذهابه وايابه وأمر صلى الله عليه وسلم شخصا أن ينادى فى الناس بمنى انها أيام أكل وشرب وباءة ورمى لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال أى قبل الصلاة للظهر سبع حصيات يبدأ بالتى تلى مسجد منى أى الخيف ويقف عندها للدعاء ثم التى تليها وهى الوسطى ثم يقف للدعاء ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء أى وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم يرمين بالليل وخطبهم أى الناس فى اليوم الاول من أيام منى كما تقدم ويقال لذلك اليوم يوم القر لانهم يقرون فيه فى منى وهو يوم الرؤس لاكلهم الرؤس فى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى من أيام منى وهو يوم النفر الاول أى ويقال له يوم الاكارع أى لاكلهم الاكارع فى ذلك اليوم وأوصى بذى الارحام خيرا فقد خطب صلى الله عليه وسلم فى الحج خمس خطب الاولى يوم السابع من ذى الحجة بمكة والثانية يوم عرفة والثالثة يوم النحر بمنى والرابعة يوم القر بمنى والخامسة يوم النفر الاول بمنى أيضا * ثم نهض صلى الله عليه وسلم من منى فى اليوم الثالث الذى هو يوم النفر الآخر ونفر معه المسلمون بعد الزوال أى وبعد الرمى واستأذنه عمه العباس رضى الله عنه فى عدم المبيت بمنى فى الليالى الثلاث من أجل السقاية فرخص له فى ذلك وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة بالمحصب وهو الابطح أى ضربها له أبو رافع رضى الله عنه وكان على ثقله ولم يأمره صلى الله عليه وسلم بذلك * فعن أبى رافع رضى الله عنه لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل بالابطح ولكنى جئت فضربت قبة فجاء فنزل وكان صلى الله عليه وسلم قال لاسامة رضى الله عنه غدا ننزل بالمحصب وهو المحل الذى تحالف فيه قريش وكنانة على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أى وكان ذلك سببا لكتابة الصحيفة وفيه أنه تقدم فى فتح مكة أنه صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون عند شعب أبى طالب المكان الذى حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب وأنه خيف بنى كنانة الذى تقاسمت قريش فيه بجملتهم وفى مسلم عن أبى هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحصب صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم ان عائشة رضي الله عنها قالت له يارسول الله أرجع بحجة ليس معها عمرة فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال اخرج بأختك من الحرم ثم افرغا من طوافكما حتى تأتياني ههنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفي لفظ فاعتمرنا من التنعيم مكان عمرتي التي فاتتني وفرغنا من طوافهما في جوف الليل فأتيناه صلى الله عليه وسلم بالمحصب فقال فرغتما من طوافكما قلنا نعم فأذن في الناس بالرحيل وفي رواية فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة اليها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها واعترض كيف يأتي قولها عمرتي التي فاتتني مع قوله صلى الله عليه وسلم قد حلت من حجتك وعمرتك وكيف أقرها صلى الله عليه وسلم على ذلك * وأجيب بأنها لما رأت صواحبها آتين بعمرة ثم بحج وهي لم تأت الا بحج أحبت أن تأتي بعمرة أخرى زائدة على الحج وان كانت العمرة مندرجة فيه وأقرها صلى الله عليه وسلم تطييبا لخاطرها لانه صلى الله عليه وسلم كان معها اذا هويت الشيء الذي لا مخالفة فيه للشرع تابعها عليه وبهذا استدل أئمتنا على جواز الاحرام بالعمرة قبل طواف الوداع وأمر صلى الله عليه وسلم الناس أن لا ينصرفوا أي الى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت أي الذي هو طواف الوداع ورخص صلى الله عليه وسلم في ترك المؤمنين ذلك للحائض التي قد طافت طواف الافاضة قبل حيضها كصفية أم رضي الله عنها فانها حاضت بعد طواف الافاضة ليلة النفر من منى أي وقالت ما أراني الا حابستكم لانتظار طهري وطواف الوداع فقال لها صلى الله عليه وسلم أوما كنت طفت يوم النحر * وفي لفظ ما كنت طفت طواف الافاضة يوم النحر قلت بلى قال لا بأس انفري معنا وفي رواية قال يكفيك ذلك أي لانه طواف الركن الذي لا بد لكل أحد منه بخلاف طواف الوداع لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر لتطهر وتأتي به ولا دم عليها في تركه * قال الامام النووي رحمه الله وهذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكي عن بعض السلف وهو شاذ مردود ثم انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في تلك الليلة وطاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح ثم خرج من الثنية السفلى ثنية كدى بضم الكاف والقصر وهو عند باب شبيكة متوجها الى المدينة أي التي خرج منها لما فتح مكة كما تقدم * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المسجد من باب الحزورة ويقال له باب الحناطين * وجاء عن جابر

رضى الله عنه أن خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان عند غروب الشمس فلم يصل حتى أتى سرف * قال بعضهم لعل هذا كان فى غير حجة الوداع فانه صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت بعد صلاة الصبح فما أخره الى وقت الغروب هذا غريب جدا هذا كلامه وما روى أنه صلى الله عليه وسلم رجع بعد طواف الوداع الى المحصب غير محفوظ * أقول هذا جمع به الامام النووى رحمه الله بين الروايات المتقدمة عن عائشة حيث قال ووجه الجمع أنه صلى الله عليه وسلم بعث عائشة مع أخيها بعد نزوله المحصب وواعدها أن تلحقه بعد اعتمارها * ثم خرج هو صلى الله عليه وسلم بعد ذهابها فقصد البيت ليطوف طواف الوداع * ثم رجع بعد فراغه من طواف الوداع فلقيها وهو صادر وهى داخلة لطواف عمرتها * ثم لما فرغت لحقته وهو فى المحصب * قال وأما قوله فأذن فى أصحابه فخرج ومر بالبيت وطاف فيتأول بأن فى الكلام تقديما وتأخيرا والا فطوافه صلى الله عليه وسلم كان بعد خروجها الى العمرة وقبل رجوعها وأنه فرغ قبل طوافها للعمرة هذا كلامه فليتأمل فكانت مدة دخوله صلى الله عليه وسلم الى مكة وخروجه منها عشرة أيام وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت بعمرة بعد حجه وهو لا يناسب القول بأنه أحرم مفردا بالحج بل يدل للقول بأنه أحرم قارنا أو نواها بعد اطلاق الاحرام أو ادخل الحج على العمرة * وفى كلام بعضهم لم يعتمر صلى الله عليه وسلم تلك السنة عمرة مفردة لا قبل الحج ولا بعده ولو جعل حجه منفردا لكان خلاف الافضل أى لانه لم يقل أحد ان الحج وحده من غير اعتمار فى سنته أفضل من القران وفى كلام بعض آخر أجمعوا على انه لم يعتمر بعد الحج فتعين أن يكون متمتعا تمتع قران وقد يطلق الافراد على الاتيان بأعمال الحج فقط وان كان قد أحرم بهما معا كما ان القران قد يطلق على الاتيان بطوافين وسعيين * فمن روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أفرد الحج أراد به أتى بأعمال الحج ولم يفرد أنه أعمالا للعمرة * ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فى هذه الحجة التى هى حجة الوداع ولما طاف صلى الله عليه وسلم سبعا وقف فى الملتزم بين ركن الحجر وبين باب الكعبة فدعا الله وألزق جسده أى صدره الشريف ووجهه بالملتزم أى ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى محل بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل على كرم الله وجهه وبراءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه اليهم من المعدلة التى ظنها بعضهم جورا وبخلا والصواب كان معه كرم الله وجهه

فى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن
يأتينى رسول ربى فأجيب * أى وفى لفظ فى الطبرانى قال يا أيها الناس انه
قد نبأنى اللطيف الخبير انه لم يعمر نبى الا نصف عمر الذى يليه من قبله وانى لاظن
ان يوشك أن أدعى فأجيب وانى مسؤل وانكم مسؤلون فما أنتم قائلون قالوا نشهد
أنك بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال صلى الله عليه وسلم أليس
تشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وأن
الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله
يبعث من فى القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد الحديث ثم حض على
التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته أى فقال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض * وقال فى حق على كرم
الله وجهه لما كرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه صلى الله
عليه وسلم بالتصديق والاعتراف ورفع صلى الله عليه وسلم يد على كرم الله وجهه
وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه
وابغض من أبغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وادر الحق معه
حيث دار * وهذا أقوى ما تمسكت به الشيعة والامامية والرافضة على ان عليا
كرم الله وجهه أولى بالامامة من كل أحد وقالوا هذا نص صريح على خلافته
سمعه ثلاثون صحابيا وشهدوا به قالوا فلعلى عليهم من الولاء ما كان له صلى الله عليه
وسلم عليهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ألست أولى بكم وهذا حديث صحيح ورد
بأسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح فى صحته كأبى داود وأبى حاتم الرازى
* وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الى آخره موضوعة مردود فقد ورد
ذلك من طرق صحح الذهبى كثيرا منها وقد جاء أن عليا كرم الله وجهه قام خطيبا
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشد الله من يشهد يوم غدير خم الا قام ولا يقوم رجل
يقول نبئت أو بلغنى الا رجل سمعت أذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيا
* وفى رواية ثلاثون صحابيا وفى المعجم الكبير ستة عشر وفى رواية اثنا عشر فقال
هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث ومن جملته من كنت مولاه فعلى مولاه وفى رواية
فهذا مولاه وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه وكنت ممن كتم فذهب الله ببصرى
وكان على كرم الله وجهه دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله صلى الله عليه
وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه فى سائر الامصار وطار فى جميع الاقطار بلغ
الحارث بن النعمان الفهرى فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل

والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله أصحابه فجاء حتى جثا بين يديه * ثم قال يا محمد انك أمرتنا أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلنا ذلك منك وانك أمرتنا أن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء من الله أو منك فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله الذي لا اله الا هو انه من الله وليس مني قالها ثلاثا فقام الحارث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك وفي رواية اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأرسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع الآية * وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيدا فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في حدود الاربعمائة في دولة بني بويه وما جاء من صيام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا قال بعضهم قال الحافظ الذهبي هذا حديث منكر جدا أي بل كذب فقد ثبت في الصحيح ما معناه أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهرا هذا باطل هذا كلامه فليتأمل * وقد رددت عليهم في ذلك بما بسطته في كتابي المسمى بالقول المطاع في الرد على أهل الابتداع لخصت فيه الصواعق للعلامة بن حجر الهيتمي وذكرت ان الرد عليهم في ذلك من وجوه أحدها ان هؤلاء الشيعة والرافضة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون به على الامامة من الاحاديث وهذا الحديث مع كونه آحادا طعن في صحته جماعة من أئمة الحديث كأبي داود وأبي حاتم الرازي كما تقدم فهذا منهم مناقضة * ومن ثم قال بعض أهل السنة يا سبحان الله من أمر الشيعة والرافضة اذا استدللنا عليهم بشيء من الاحاديث الصحيحة قالوا هذا خبر واحد لا يغني واذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموا أتوا بأخبار باطلة كاذبة لا تصل الى درجة الاحاديث الضعيفة التي هي أدنى مراتب الاحاد التي منها انه قال لعلي أخي ووصيي وخليفتي في ديني بكسر الدال وخير من أترك بعدي ومنها أنت سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين ومنها سلموا على علي بامرة المؤمنين فانها أحاديث كاذبة موضوعة مفتراة عليه عليه أفضل الصلاة والسلام * ثانيها ان اسم المولى يطلق على عشرين معنى منها انه السيد الذي ينبغي محبته وتجتنب بغضه ويؤيد ارادة ذلك ما تقدم ان سبب ايراد ذلك ان عليا كرم الله

وجهه تكلم فيه بعض من كان معه باليمن من الصحابة وهو بريدة فتم و
رآه صلى الله عليه وسلم في ثاني الحجة التي هي حجة الوداع وجعل يشكوه له
صلى الله عليه وسلم منه لانه مسلك امامه جعل يتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا بريدة لاتقع في علي فان عليا مني وانا منه الست أولى
بالمؤمنين من أنفسهم قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلي مولاه فقال ذلك لبريدة خاصة * ثم لما وصل صلى الله
عليه وسلم الى غدير خم أحب أن يقول ذلك للصحابة عموما أي فكما عليهم أن
يحبوني أي فكذلك ينبغي أن يحبوا عليا وعلى تسليم أن المراد انه أولى بالامامة
فالمراد به في المآل لا في الحال قطعا والا لكان هو الامام مع وجوده صلى الله عليه
وسلم والمآل لم يعين له وقت فبان انه عقب وفاته صلى الله عليه وسلم بل جاز أن
يكون بعد أن يعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل لذلك أنه كرم الله وجهه لم يحتج
بذلك لا بعد ان آلت اليه الخلافة ردا على من نازعه فيها كما تقدم فسكوته كرم الله
وجهه عن الاحتجاج بذلك الى أيام خلافته قاض على كل من له أدنى عقل فضلا
عن فهم أنه لا نص في ذلك على امامته عقب وفاته صلى الله عليه وسلم * ثالثها
أنه تواتر النقل عن علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عند موته
على خلافة أحد لا هو ولا غيره فقد قيل له كرم الله وجهه كما أتى حدثنا الثقات
الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال لا والله اني كنت أول من صدق به
لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد
في ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد الا بردتي هذه وفي رواية ما تركت
أخا بني تيم وعدي يعني أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما يثوبان على منبره صلى
الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدي * رابعها انه لو كان هذا الحديث نصا على
امامته لم يسعه الامتناع من متابعة عمه العباس رضي الله عنه لما قال له العباس
اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا علمناه وأيضا
لو كان الحديث نصا لكان كما قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم أبو
بكر رضي الله عنه بأن الائمة من قريش فالواله قد ورد النص بخلافة علي كرم
الله وجهه ولم يكن بين ذكر الحديث في غدير خم وبين ذلك الا نحو شهرين واحتمال
النسيان على علي والعباس وعلى جميع الانصار رضي الله تعالى عنهم من أبعد
البعيد على انه ورد أنه لما قيل لعلي ان الانصار قالوا منا أمير ومنكم أمير قال كرم
الله وجهه فهلا ذكرتم للانصار قول النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم

ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم مع الوصاية بهم ودعوى الرافضة والشيعة ان الصحابة رضوان الله عليهم علموا هذا النص ولم يعملوا به عنادا غير مسموعة اذهي ظاهرة البطلان لان في ذلك تضليلا لجميع الصحابة وهم رضي الله عنهم معصومون عن ان يجتمعوا على ضلالة ومن العجب العجيب ان بعض غلاة الرافضة يقول بتكفير الصحابة بسبب ذلك وان عليا كرم الله وجهه كفر لانه أعان الكفار على كفرهم ❊ وأما دعواهم ان عليا انما ترك النزاع في أمر الخلافة تقية وامتثالا لوصيته صلى الله عليه وسلم ان يرقع بعده فتنة ولا يسل سيفا فكذب وافتراء فكيف يجعله اماما على الامة ويمنعه ان يسل سيفا على من امتنع من قبول الحق وكيف منع سل السيف على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مع قلة أتباعهم وكثرة أتباعه وسله على معاوية رضي الله عنه مع وجود ما معه من الالوف ولما ساغ له أن يقول كما تقدم لو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم وعدي بن سوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولما بين سبب تركه لمقاتلة أبي بكر وعمر وعثمان ومقاتلته لمعاوية بأن أبا بكر اختاره صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه فولاها عمر فبايعناه وأعطيت ميثاقي لعثمان فلما أمضوا أي بايعني أهل الحرمين وأهل المصرين البصرة والكوفة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية رضي الله عنه كما سيأتي ❊ ومن ثم لما قيل للحسن المثنى بن الحسن السبط ان خبر من كنت مولاه فعلي مولاه نص في امامة علي كرم الله وجهه قال أما والله لو يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم ولقال لهم يا أيها الناس هذا والي بعدي والقائم عليكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا والله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد اليه في ذلك ثم تركه كان أعظم خطيئة ❊ وقد سئل الامام النووي رحمه الله هل يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه أنه كرم الله وجهه أولى بالامامة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأجاب أنه لا يدل على ذلك بل معنى ذلك عند العلماء الذين هم أهل هذا الشأن وعليهم الاعتماد في تحقيق ذلك من كنت ناصره ومواليه ومحبه ومصافيه فعلي كذلك وقد قيل في سبب ذلك ان أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعلي كرم الله وجهه لست مولاي وانما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذي الحليفة بات بها أي لانه صلى الله عليه وسلم كره أن يدخل المدينة

ليلا ولما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة

(باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم قد اعتمر صلى الله عليه وسلم)

اى بعد الهجرة اربع عمر فقد قال بعضهم لا خلاف ان عمره صلى الله عليه وسلم لم تزد على اربع اى كلهن فى ذى القعدة مخالفا للمشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة فى أشهر الحج ويقولون هى من أفجر الفجور أى كما تقدم وأول تلك الاربعة عمرة الحديبية أى وكانت فى ذى القعدة التى صده فيها المشركون عن البيت وثانيها عمرته صلى الله عليه وسلم من العام المقبل أى وهى عمرة القضاء وكانت فى ذى القعدة كما تقدم * وعن قتادة رضى الله عنه كان المشركون فجروا عليه صلى الله عليه وسلم حيث ردوه فى الحديبية وكان فى ذى القعدة فاقتص الله منهم وأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى هو ذوا القعدة وأنزل الله الشهر الحرام بالشهر الحرام * وثالثها عمرته صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت فى ذى القعدة ودخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت بها * ومن ثم خفيت على الناس كما تقدم * ورابعها عمرته صلى الله عليه وسلم مع حجة الوداع أى التى دخلت فى الحج بناء على أنه أحرم قارنا أو التى أدخلها على الحج بناء على أنه أحرم بالحج خصوصية له أو عينه ما بعد ان أحرم مطلقا على ما تقدم فانه أحرم لخمس بقين من ذى القعدة * وقد قالت عائشة رضى الله عنها اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا سوى التى قرنها بحجة الوداع وأخرج البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلها فى ذى القعدة الا التى فى حجته أى فانه لم يوقعها فى ذى القعدة بل أوقعها فى ذى الحجة تبعا للحج وأما احرامه بها فكان فى ذى القعدة لخمس بقين منه كما تقدم * وأخرجا أيضا عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال كنت أنا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة رضى الله عنها وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب قال نعم فقلت لعائشة أى أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجب فقالت يغفر الله لابى عبد الرحمن ما اعتمر عمرة الا وهو شاهدها * وفى رواية الا وهو معه وما اعتمر فى رجب قط

وانما اعتمر فى ذى القعدة ولكن روى الدارقطنى رحمه الله عنها رضى الله عنها أنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة فى رمضان فافطر وصمت وقصر وأتممت قال فى الهدى انه غلط أما عليها وهو الاظهر فانه صلى الله عليه وسلم ما اعتمر فى رمضان قط * أقول وزاد بعضهم أنه اعتمر أيضا عمرتين عمرة فى رجب وعمرة فى شوال فيكون اعتمر ستة الا أن يقال يجوز أن يكون مستند القائل بانه اعتمر فى رجب قول ابن عمر رضى الله عنهما المتقدم وقد تقدم رده وجاز أن يكون قوله اعتمر فى شوال أى خرج للعمرة فى شوال وهى العمرة التى كانت فى ضمن حجة الوداع والله أعلم

(باب ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم)

التى يمكن التحدى بها سواء تحدى بها بالفعل كالقرآن وتمنى اليهود الموت أو لا وتلك المعجزة اصطلاحا هى الحاصلة له صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الى وفاته وأما الامور الحاصلة له بين يدى أيام مولده وبعثته وقبل ذلك من الامور الخارقة للعادة الغريبة الموهنة للكفر التى يعجز عن بلوغها قوى البشر ولا يقدر عليها الاخلاق القوى والقدر لانها فى الاصطلاح يقال لها ارهاصات وتاسيسات للرسالة ولا تسمى فى الاصطلاح معجزات وهى اذا تليت على قلب المؤمن زادته ايمانا واذا تفكر فيها ذو البصيرة واليقين زادته ايقانا فان كل من أرسله الله عز وجل لم يخله من آية أيده بها مخالفة للعادات لكون ما يدعيه من الرسالة مخالفا لها فيستدل بتلك الآية على صدقه فيما يدعيه لان اقترانها بدعواه الرسالة تصديق له فيها وقد كانت للانبياء أى الرسل معجزات مختلفة أى وهو صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزة وأعظمهم آية وأظهرهم برهانا أى فقد جاء ما من الانبياء من نبى الا وقد أعطى من الآيات ما آمن عليه البشر أى آمنوا بسبب اظهاره وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله عز وجل الى وهو القرآن لانه الذى تحداهم به فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة أى فانه لما غلب السحر فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه فى معجزاته فالق العصى وفلق البحر ولما غلب الطب فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بجنسه فأحيى الموتى وابراء الاكمه والابرص ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر فى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام جاءهم بالقرآن وهذا السياق يدل على أن المعجزة خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ويوافق ذلك قول صاحب المواقف وشرحه وهى أى المعجزة بحسب الاصطلاح عبارة عما قصد به اظهار صدق من ادعى أنه رسول الله لكنه قال فى شروط

المعجزة * الرابع أن يكون أى الامر الخارق للعادة ظاهرا على يد مدعى النبوة ليعلم أنه تصديق له انتهى فيحتمل أنه أراد بالنبوة الرسالة ويحتمل أنه أراد بهما ما يعم الرسالة للشخص نفسه لان النبي غير الرسول مرسل لنفسه ودعواه النبوة متضمنة لدعواه الرسالة لنفسه فهو رسول الى نفسه فتكون المعجزة عامة فى حق الرسول والنبي الذى ليس برسول * ومما يؤيده ذا الثانى قول النسفى رحمه الله فى عقائده وأيدهم * قال السعد رحمه الله أى الانبياء بالمعجزات النا قضات للعادات * ثم قال وقد روى بيان عددهم فى بعض الاحاديث * قال السعد على ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا * وفى رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا ويؤيده أيضا قول الامام السنوسى فى شرح عقيدته الكبرى ان معجزة النبي غير الرسول يجوز أن تتأخر بعد موته بخلاف معجزة الرسول فان فيها خلافا الى آخر ماذكر * ومما يؤيد هذا الثانى أيضا ما نقله فى الخصائص الصغرى عن بعضهم وأقره فرض الله على الانبياء اظهار المعجزات ليؤمنوا بها وفرض على الاولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتنوا بها انتهى * فقد فاق بين المعجزة والكرامة وفيه تصريح بأنه يجب على النبي غير الرسول اظهار المعجزة وعن القرافى المالكى رحمه الله أنه يجب على النبي أنه يخبر بنبوته وذكر فى الاصل أن الغرض ذكر نبذة من معجزاته صلى الله عليه وسلم والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم كالبحر المتدافق بالامواج * وقد ذكر بعض العلماء أن معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وفى كلام بعض آخر أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ثلاثة آلاف معجزة أى غير القرآن فان فيه ستين * وقيل سبعين ألف معجزة تقريبا * قال فى الخصائص قال الحليمى وليس فى شئ من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الاجسام فان ذلك من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة هذا كلامه وفيه أن هذا معارض بقول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير الآية * والغرض ذكر تلك النبذة مجموعة وان كان أكثرها قد سبق لكنه مفرق أى وأنبه على ما تقدم بقولى أى كما تقدم وأسكت عن ذلك فيما لم يتقدم فمن معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو أعظمها القرآن أى لانه تعالى أتى به مشتملا على أخبار الامم السالفة وسير الانبياء الماضية التى عرفها أهل الكتاب وهو صلى الله عليه وسلم ممن لا يقرأ ولا يكتب ولا عرف بمجالسة الكهان والاحبار لانه صلى الله عليه وسلم قد نشأ بين أظهرهم

في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار القرون الماضية والامم السابقة التي اشتمل عليها أي ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس الاحبار لم يدرك علم ما أخبر به القرآن خصوصاً عن المغيبات المستقبلة الدالة على صدقه لوقوعها على ما أخبر به وقد أعجز البلغاء أي لحسن تأليفه والتئام كلماته بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته أحكمت آياته وفصلت كلماته فحارت فيه عقولهم وتبلدت فيه أحلامهم وهم رجال النظم والنثر وفرسان السجع والشعر * وقد جاء على وصف مباين لاوصاف كلامهم النثر لان نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب ولا الاشعار واسجاع الكهان وقد تحداهم ودعاهم الى معارضته واتيان أقصر سورة منه أي وهو دليل قاطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم ذلك الا وهو واثق متيقن أنهم لا يستطيعون ذلك لكونه من عند الله اذ يستحيل أن يقول صلى الله عليه وسلم ذلك وهو يعلم أنه الذي تولى نظمه ولم ينزل عليه من عند الله اذ لا يأمن أن يكون في قومه من يعارضه وهم أهل فصاحة وشعر وخطابة قد بلغوا الدرجة العليا في البلاغة وهو من جنس كلامهم فيصير كذابا ولو كان في استطاعة أحدهم ذلك لما عدلوا عن ذلك الى المحاربة التي فيها قتل صناديدهم ونهب أموالهم وسبي ذراريهم أي لان النفوس اذ قرعت بمثل هذا استفرغت الوسع في المعارضة فهو ممتنع في نفسه عن المعارضة خلافا لمن قال انما لم تقع المعارضة منهم لان الله تعالى صرفهم عنها مع وجود قدرتهم عليها لانه وان كان صرفهم عنها فيه اعجاز لكن الاعجاز في الاول أكمل وأتم وهو اللائق بعظيم فضل القرآن * ومن ثم لما جاءه الوليد بن المغيرة وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة وكان يقال له ريحانة قريش كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون * وقال له أعده فأعاد ذلك قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وانه ليعلو ولا يعلى عليه * وفي رواية قرأ عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب الآيات فانطلق حتى أتى منزل أهله بني مخزوم فقال والله كلام محمد ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن الى آخر ما تقدم ثم انصرف الى منزله فقالت قريش قد صبأ الوليد والله لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فقعد على هيئة الحزين قرب الوليد فقال له ما لي أراك كئيبا قال وما يمنعني أن أحزن وهذه قريش قد جمعوا لك نفقة ليعينوك على أمرك وزعموا

أبلك أعاريت قول محمد لتصيبن من فضل طعامه فغضب الوليد وقال أولبس قد علمت قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام فانطلق مع أبي جهل حتى أتى مجلس بني مخزوم فقال هل تزعمون أن محمدا كذاب فهل رأيتموه كذبكم قط قالوا اللهم لا قال فتزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه خرنكم قط أي أتى بالخرافات من القول قالوا لا قال تزعمون أنه كاهن فهل سمعتموه يخبر عما تخبر به الكهنة قالوا لا فعند ذلك قالت له قريش فما هو يا أبا المغيرة فقال ان هذا الا سحر يؤثر ✽ وقد سمع اعرابي رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد فقيل له في ذلك فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام أي ولما سمع الاصمعي من جارية خماسية أو سداسية فصاحة تعجب منها فقالت له أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ✽ ولما أراد بعضهم معارضة بعض سوره وقد أوتي من الفصاحة والبلاغة الحظ الاوفر ✽ فسمع صبيا في المكتب يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر رجع عن المعارضة ومحا ما كتبه وقال والله ما هذا من كلام البشر ✽ قال بعضهم ولم يتحد صلى الله عليه وسلم بشيء من معجزاته الا بالقرآن ✽ وقال بعضهم كل جملة من القرآن معجزة وحفظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور وقارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل لا يزال مع تكريره وترديده عند طربا تتزايد حلاوته وتتعاظم محبته وغيره من الكلام ولو بلغ الغاية يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد يؤنس به في الخلوات ويستراح بتلاوته من شدائد الازمات واشتمل على جميع ما اشتملت عليه جميع الكتب الالهية وزيادة ✽ وقد قال بعض بطارقة الروم لما أسلم لعمر رضي الله عنه ان آية ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه جمعت جميع ما أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام من أحوال الدنيا والآخرة ✽ قال الحليمي في منهاجه ومن عظم قدر القرآن ان الله خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن هذا لنبي قط انما يكون لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها وقد جمعهما الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن فهو دعوة وحجة دعوة بمعانيه حجة بألفاظه وكفى الدعوة شرفا أن تكون حجتها معها وكفى حجتها شرفا أن لا تنفصل دعوتها عنها وجمع كل شيء أي خصوصا الاخبار بالمغيبات وتوجد على طبق ما أخبر به والاخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وقصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين والامم الماضية كقصص

الاتباع أمهم وتيسره للحفظ ولا تنقضى عجائبه ولا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء * ومنها شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أى والتئامه من غير حصول أدنى ضرر ولا مشقة مع تكرر ذلك أربعا أو خمسا كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس أى لما أخبر قريشا بأنه أسرى به الى بيت المقدس كما تقدم * ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم بموت النجاشى يوم موته وصلاته عليه مع أصحابه فقال المنافقون انظروا هذا يصلى على علج نصرانى أى لم يره قط فأنزل الله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية * ومنها انشقاق القمر كما تقدم * ومنها أن الملأ من قريش لما تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وجاؤا الى منزله صلى الله عليه وسلم وقعدوا على بابه فخرج عليهم وقد خفضوا أبصارهم وسقطت ذقونهم فى صدورهم وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤسهم فقبض قبضة من تراب والقبضة بضم القاف الشئ المقبوض وبفتحها المرة الواحدة وقال شاهت الوجوه أى قبحت وألقاها على رؤسهم فكل من أصابه شئ من ذلك قتل يوم بدر كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم هزم القوم يوم حنين بقبضة من تراب رمى بها فى وجوههم كما تقدم وتقدم له فى بدر مثل ذلك * ومنها نسج العنكبوت عليه صلى الله عليه وسلم فى الغار أى وعلى بعض اتباعه كما تقدم * ومنها ما وقع لسراقة رضى الله عنه من غوص قوائم فرسه فى الارض الجلد كما تقدم فى خبر الهجرة * ومنها در الشاة التى لم ينز الفحل عليها كما تقدم فى قصة شاة أم معبد * وفى قصة أخرى عن ابن العالية قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أبياته التسعة يطلب طعاما وعنده ناس من أصحابه فلم يجد فنظر الى عناق فى الدار ما نتجت قط فمسح مكان ضرعها فدفقت بضرع مدلى بين رجليها فدعا بقعب فحلب فيه فبعث الى أبياته قعبا قعبا ثم حلب فشرب وشربوا * ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه أن يعز الله به الاسلام فكان كذلك كما تقدم ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعلى أن يذهب عنه الحر والبرد فلم يشك واحدا منهما وكان كرم الله وجهه يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر كما تقدم * أى ومن ذلك ما حدث به بلال رضى الله عنه قال أذنت فى غداة باردة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلم ير فى المسجد أحدا فقال أين الناس فقلت حبسهم البرد فقال اللهم اذهب عنهم البرد قال فلقد رأيتهم يتروحون فى الصلاة * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه وقد أصابه مرض واشتد به وسمعه يقول اللهم ان كان

أجلي قد حضر فارحني وان كان متأخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد ذلك عليه فمسح صلى الله عليه وسلم بيده المباركة الشريفة ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك المرض اليه أي * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه في الخندق ليلة انهزام الاحزاب بأن الله يذهب عنه البرد فكان كأنه يمشي في حمام كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل في عيني علي كرم الله وجهه وهو أرمد فبرئ من ساعته كما تقدم في خيبر أي * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم بصق في نحر كلثوم بن الحصين وقد رمي فيه بسهم يوم أحد فبرئ كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل على أثر سهم في وجه أبي قتادة في غزاة ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح كما تقدم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤلمه كما تقدم ومنها انه صلى الله عليه وسلم نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يوم خيبر فبرئت كما تقدم أي * ومنها انه صلى الله عليه وسلم نفث على رجل ورأس زيد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابهما السيف عند قتل كعب بن الاشرف فبرئا كما تقدم * ومنها انه صلى الله عليه وسلم على ساق علي بن الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه كما تقدم ومنها انه صلى الله عليه وسلم نفث على يد معوذ ابن عفراء وقد قطعها عكرمة بن أبي جهل يوم بدر وجاء يحملها فألصقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتصقت كما تقدم * ومنها أن محمد بن حاطب يحدث عن أمه أنها ولدته بأرض الحبشة وانها اخرجت به قالت حتى اذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طعاما ففني الحطب فذهبت اطلب فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فقدمت المدينة فأتيت بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمي بك أي بعد الاسلام قالت فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فيك ومسح على ذراعك وعلى رأسك ثم تفل على يدك ثم قال اذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما قالت فاقمت من عنده صلى الله عليه وسلم حتى برئت يدك * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على عاتق خبيب وقد أصيب يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه فلتصق كما تقدم * ومنها رده عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه كما تقدم . * ومنها أن ضريرا شكى اليه صلى الله عليه وسلم ذهاب بصره وانه لا قائد له فقال له صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين ولقنه دعاء فدعا به

فأبصر لوقته أي * ومنها أن رجلا ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر قال بعضهم رأيته وهو ابن ثمانين يدخل الخيط في الابرة * ومنها أن عتبة بن فرقد السلمي كان يشم منه رائحة الطيب ولا يمس طيبا لكونه صلى الله عليه وسلم نفث في يده الشريفة ومر بها صلى الله عليه وسلم على جسده * قال بعض نساء عتبة كنا أربع نسوة ما منا امرأة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب واذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلن له يوما انا لنجهد في الطيب ولانت أطيب ريحا منا فم ذلك فقال أخذني الشرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ذلك فأمرني أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم والقيت ثوبي على فرجي فنفث صلى الله عليه وسلم في يده الشريفة ودلك بها الاخرى ثم مسح ظهري و بطني بيده فعبق هذا الطيب من يديه يومئذ والى ذلك أشار صاحب الاصل بقوله رحمه الله ورضي عنه

وعتبة لما مسه راح عاطرا * يضوع الشذا منه بأعطر ما يحوى

* ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأن الله يعلمه التأويل والفقه في الدين فعن ابن عباس رضي الله عنهما ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره * وقال اللهم علمه الكتاب وفي لفظ الحكمة وعنه رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس قال اللهم بارك فيه وانشر منه فكان كما دعا * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجمل جابر رضي الله عنه فصار سابقا بعد أن كان مسبوقا كما تقدم * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لانس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا فقد ذكر انه عاش فوق المائة وأخبر عن نفسه انه أكثر الانصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ولد من صلبه وقد كان دفن مائة وعشرين من أولاده حين قدم الحجاج البصرة وولد له بعد ذلك أي * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لام أبي هريرة رضي الله عنهما بالاسلام فأسلمت فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أدعو أمي للاسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله قد كنت أدعو أمي الى الاسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره

فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة للاسلام فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما جئت تصدت الى الباب فاذا هو مجاف أى مردود فسمعت أمي حس قدمي فقالت على رسلك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فخرجت الى رسول الله فأتيته وأنا أبكي من الفرح فقلت يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وقال خيرا ✽ ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم في تمر حائط جابر رضي الله عنه بالبركة فأوفى منه ما عليه وهو ثلاثون وسقا بسبب دين استدانه والده من يهودي وفضل بعد ذلك ثلاثة عشر وسقا ✽ وفي رواية سبعة عشر وسقا أى مع قلة ما كان فيه من التمر حتى قال جابر رضي الله عنه كنت أود أن يؤدي الله دين والدي ولا أرجع الى اخوتي بتمرة واحدة فان النخل في ذلك العام لم يحمل الا القليل وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم اليهودي في أن يصبر الى عام قابل وهو يأبى ويقول يا أبا القاسم لا أنظره فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف في النخل ثم قال يا جابر جذ أى اقطع واقض فأخذت في الجداد ووفيته ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا فجئته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال أخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذهبت فأخبرته فقال لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها وفي لفظ آخر عن جابر توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا النخل بما عليه فأبوا ولم يروا أن فيه وفاء فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال اذا جذذته ووضعته في المربد فأعلمني فجذذته فلما وضعته في المربد آذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة أى وهذا محمل رواية ودعا صلى الله عليه وسلم في تمر جابر بجذ في حائط وقد يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم طاف في النخل أولا ودعا ثم لما قطع التمر ووضع في المربد جاء وجلس عليه ودعا فلا مخالفة ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع غرماءك أوفهم فما تركت أحدا له دين الا قضيته وفضل مثله فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال أشهد أني رسول الله ✽ ومنها استسقاؤه صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء أسبوعا ثم شكى له من كثرة المطر فاستصحى لهم فانجاب السحاب كما تقدم ✽ ومنها أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير بن أبي لهب

بأن يسلط عليه كلب فافترسه الاسد من بين القوم كما تقدم * أى والاسد انما يسمى كلبا لانه يشبه الكلب فى أنه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب أهل الكهف كان أسدا وحكى انه كان رجلا يسمى بالكلب لملازمته للحراسة * ويرده ما جاء ليس فى الجنة من الدواب الا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وتقدم ذلك مع زيادة * وأما عتبة مكبرا فقد أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه معتب هذا هو المشهور * وبعضهم عكس فقال عتبة المكبر عقير الاسد وعتيبة المصغر هو الذى أسلم يوم الفتح * ومنها شهادة الشجرة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة فى خبر الاعرابى الذى دعاه الى الاسلام فقال هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة أدعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت انه كما قال ثلاثا ثم رجعت الى منبتها * ومنها أمره صلى الله عليه وسلم للشجرتين اللتين كانتا بشاطىء الوادى أن يجتمعا ليستتر بهما عند قضاء الحاجة فاجتمعتا ثم افترقتا وذهبتا الى محلهما كما تقدم فى غزاة خيبر * ومنها أمره صلى الله عليه وسلم انسا أن ينطلق الى نخلات يقول لهن أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجتمعن ليقضى حاجته بينكن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود الى أماكنهن فعدن كما تقدم * ومنها مجىء الشجرة اليه صلى الله عليه وسلم لتظله وتسلم عليه فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم نام أى فى الشمس فجاءت شجرة تشق الارض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكر له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها عز وجل فى أن تسلم على فأذن لها * ومنها حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم * ومنها تسبيح الحصا فى كفه صلى الله عليه وسلم كما تقدم * أى ومنها تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم أمين أمين كما تقدم * ومنها تسبيح الطعام بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم * ومنها اعلام الشاة المسمومة له صلى الله عليه وسلم بأنها مسمومة كما تقدم * ومنها شكوى البعير له صلى الله عليه وسلم قلة العلف وكثرة العمل كما تقدم أى * ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها * وفى لفظ من فجع هذه بفرخيها فقلنا نحن فقال صلى الله عليه وسلم ردوهما ردوهما الى موضعهما ولا مانع من وجود البيض مع الفراخ * ومنها سجود البعير له صلى الله عليه وسلم الذى استصعب على أهله وصار كالكلب لا يقدر أحد أن يقرب اليه كما تقدم

* ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم في بعض حوائط الانصار كما تقدم * ومنها تكليم الجمل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم * ومنها تكليم الحمار له صلى الله عليه وسلم في خيبر وهو اليعفور كما تقدم * ومنها شهادة الجمل عنده صلى الله عليه وسلم انه لصاحبه الاعرابي دون من ادعاه ففي المعجم الكبير للطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصرنا باعرابي أخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم السلام وجاء رجل آخر كأنه حرسي فقال الحرسي يا رسول الله هذا الاعرابي سرق سرب البعير فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة فسمع رغاءه وحنينه فلما هدأ البعير أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للرجل انصرف عنه فان البعير شهد عليك انك كاذب فانصرف وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على الاعرابي فقال أي شيء قلت حين جئت لي قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة وبارك على محمد حتى لا يبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا يبقى رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ابدا هالى والبعير ينطق بعذرك وان الملائكة قد سدوا الافق * أي ومنها سؤال الظبية له صلى الله عليه وسلم أن يحلها لترضع ولدها وتعود فخلاها وعادت وتلفظت بالشهادتين فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظبية مربوطة الى خباء فقالت يا رسول الله خلني حتى اذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال لها صيد قوم وربيطة قوم ثم استحلفها ان ترجع فحلفت له فحلها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها وعن زيد بن أرقم نحوه وزاد فأنا والله رأيتها تسبح في البرية وتقول لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر بعضهم ان حديث الغزالة موضوع أي * ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم * ومنها شهادة الضب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع المشركين ببدر ولم يعد أحد منهم مصرعه كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بان طائفة من أمته يغزون البحر وان أم حرام بالراء المهملة بنت ملحان منهم فكان كذلك كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان رضي الله عنه

بأنه تصيبه بلوى شديدة فأصابته وقتل فيها ❊ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني والاثرة بضم الهمزة وسكون الثاء المثلثة أي يستأثر عليكم غيركم بأمور الدنيا فكان ماوقع في زمن معاوية في وقعة الجمل وصفين وفي زمن ولده يزيد في وقعة الحرة كما تقدم ❊ ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة أي من الهجرة والذي ينبغي أن تكون المائة من حين وفاته صلى الله عليه وسلم لان أبا الطفيل رضي الله عنه آخر من مات من الصحابة فكان موته بعد المائة من الوفاة وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسي وقال يعيش هذا الغلام قرنا فعاش مائة سنة ❊ ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهو باب واسع جدا ❊ فمن ذلك أنه جيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل سرق فقال اقتلوه فقيل انه سرق فقال اقطعوه ثم أتي به بعد الى أبي بكر رضي الله عنه وقد سرق فقطع ثم ثانية وثالثة ورابعة الى أن قطعت قوائمه ثم جيء به الى أبي بكر وقد سرق فقال له أبو بكر رضي الله عنه لا أجد لك شيأ الا ما قضى به فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك فانه كان أعلم بذلك ثم أمر بقتله ❊ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لقيس بن حرشة العبسي رضي الله عنه وقد قال له يا رسول الله أبايعك على ماجاء من الله وعلى ان أقول الحق ياقيس عسى ان مر بك الدهر ان يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق فقال قيس لا والله لا أبايعك على شيء الا وفيت به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لا يضرك شيء وكان قيس رضي الله عنه يعيب زيادا وابنه عبيد الله بن زياد ومن بعده فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فأرسل اليه فقال له أنت الذي تفتري على الله وعلى رسوله فقال لا والله ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفتري على الله وعلى رسوله قال ومن هو قال من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال ومن ذلك قال أنت وأبوك ومن أمركما قال وأنت الذي تزعم أنك لا يضرك بشر قال نعم قال لتعلمن اليوم أنك كاذب ائتوني بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات ❊ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب وايتكن صاحبة الجمل الادبب بالدال المهملة والفك لغة في الادب بالادغام وهو كثير الشعر فقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فكانت تلك عائشة رضي الله عنها ❊ فانه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت عائشة بمكة لانها خرجت الى مكة وهو محاصر وكلمها مروان بن الحكم في عدم الخروج

وقال لها لا تخرجي يا أماه فجاء اليها طلحة والزبير رضي الله عنهما بعد ان بايعا عليا على كره واستأذنا عليا كرم الله وجهه في العمرة فأذن لهما فقدما مكة وخرجت بنو أمية من المدينة ولحقت بمكة قبل المبايعة لعلي مروان وغيره من أهل المدينة * وجاء الى عائشة رضي الله عنها يعلى بن أمية رضي الله عنه وكان عاملا لعثمان باليمن * فلما بلغه حصار عثمان قدم لنصرته فسقط من على بعيره في اثناء الطريق فكسر فخذه وبلغه قتل عثمان فلازال واعائشة حتى وافقت على الخروج الى العراق في طلب دم عثمان رضي الله عنه ودفع لها ذلك الجمل يعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار وأعان الزبير بأربعمائة ألف دينار * وصار يقول من خرج في طلب دم عثمان فعلي جهازه فحمل سبعين رجلا من قريش وطلبت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن يكون معها فقال معاذ الله ان أدخل في الفتنة * وقال ان طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الى الخروج معهم فقال لهم أما تخافون الله أيها القوم وتدعوا هذه الاباطيل عنكم وكيف أضرب في وجه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالسيف * وقد عرفت فضله وسابقته ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكما بايعتماه وسألتماه القيام بهذا الامر ثم نكثتماه فان جعل الله عليكما شهيد اوانه ما بدل ولا غير والله قتل لعثمان رضي الله عنه أخو رعيتكم ورئيستكم يعني عائشة وأخوها محمد ابن أبي بكر رضي الله عنهم فانه أخذ بلحيته فضربها حتى تقلقلت أضراسه وضربه بالمشقص * ولما كانت عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق سمعت كلابا تنبح فسألت عن ذلك المحل فقيل لها هذا الحوءب فأرادت الرجوع لما تذكرت ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فانها صرخت وأناخت بعيرها وقالت والله انا صاحبة الحوءب ردوني ردوني فعند ذلك يقال ان طلحة والزبير احضرا خمسين رجلا شهدوا ان هذا ليس ماء الحوءب وان المخبر لها كذب * وقال الشعبي وهي أول شهادة زورت في الاسلام وقال لها الزبير رضي الله عنه ولعل الله ان يصلح بك بين الناس فلما بلغ عليا كرم الله وجهه توجه عائشة ومن ذكر معها الى العراق توجه الى العراق بعد ان كان أراد الذهاب الى الشام وأقام في الناس وقال الا ان طلحة والزبير وأم المؤمنين تمالوا على سخط امارتي واني خارج عليهم ثم جاء الخبر ان ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق ومعلق فيه أصابع زوجة عثمان فقال امني يطلبون دم عثمان * ولما اراد الخروج جاءه عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها

أى المدينة فوالله لئن خرجت منها لا ترجع اليها سلطان المسلمين فسبوه وقالوا له
يا ابن اليهودية مالك ولهذا الامر * فقال لهم على كرم الله وجهه دعوا الرجل
فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * ثم ان طلحة والزبير وأم المؤمنين
وصلوا الى البصرة ووقع بينهم وبين أهل البصرة مقتلة كبيرة بعد ان افترقوا فرقتين
احداهما تقول صدقت وبرت يعنى عائشة وجاءت بالمعروف وقالت الاخرى
كذبت ثم انحازت الاخرى الى عسكر أم المؤمنين وقهروا أهل البصرة ونادى
منادى الزبير وطلحة الامن كان عنده أحد ممن غزا المدينة فليأت به فجىء بهم كما
كانجيأ بالكلاب وكانوا ستمائة فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة الاحرقوص
ابن زهير وكتب طلحة والزبير الى أهل الشام انا خرجنا لوضع الحرب واقامة كتاب
الله فوافقنا خيار أهل البصرة وخالفنا شرارهم ولم يفلت من قتلة أمير المؤمنين عثمان
من أهل البصرة الاحرقوص بن زهير والله مقيده ان شاء الله وكتبوا لاهل الكوفة
بمثله وكتبوا الى أهل اليمامة بمثل ذلك وكتبوا الى أهل المدينة بمثل ذلك * ثم سار
على كرم الله وجهه الى البصرة ثم أرسل الى أهل الكوفة يستنفرهم اليه
فنفروا اليه بعد أمور يطول ذكرها وكانوا سبعة آلاف والتقى الجيشان جيش على
كرم الله وجهه وجيش عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بعد ان كتب لطلحة
والزبير أما بعد فقد علمتما انى لم أرد البيعة حتى أكرهت عليها وانتما ممن رضى بيعتى
وألزمى اياها فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله وارجعا عما أنتما عليه فانك
يا طلحة شيخ المتأخرين وأنت يا زبير فارس قريش لو دفعتما هذا الامر قبل أن تدخلا
فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه والسلام * وكتب لعائشة رضى الله عنها
أما بعد فانك قد خرجت من بيتك تزعمين أنك تريدين الاصلاح بين المسلمين
وطلبت بزعمك دم عثمان وأنت بالامس تؤلبين عليه فتقولين فى ملأ من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا نعثلا فقد كفر قتله الله واليوم تطلبين بثأره
فاتقى الله وارجعى الى بيتك واسبلى عليك سترك قبل ان يفضحك الله ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم * فلما قرؤا الكتابين عرفوا أنه على الحق وعند ذلك
خرج طلحة والزبير رضى الله عنهما على فرسين * وخرج اليهما على كرم الله وجهه
ودنا كل واحد من الآخر فقال لهما على لعمرى لقد اعددتما خيلا ورجالا وسلاحا
فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم تكونا أخوى
فى الله تحرمان دمى وأحرم دمكما فقال له طلحة رضى الله عنه ألبت الناس على
عثمان فقال له على كرم الله وجهه أنتما خذلتماه حين قتل فسلط الله اليوم

على أشرنا على عثمان ما يكره ثم توافقوا على الصلح وقتل من كان له دخل في قتل
عثمان رضي الله عنه وبات الفريقان على ذلك وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر
ليلة وباتوا يتشاورون ثم اتفقوا على انتشاب الحرب فلما كان وقت الغلس ثاروا
ووضعوا السلاح فثار الناس فخرج طلحة والزبير في وجوه الناس وقالا ما هذا قالوا
طرقنا جيش على فقالا علمنا ان عليا غير سفيه حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة
وقام على كرم الله وجهه في وجوه الناس وقال ما هذا قالوا طرقنا جيش عائشة
فقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير سفيهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة
ونشبت الحرب فالبسوا هودج عائشة رضي الله عنها الدروع ووقفت على الجمل
وصار كل من أخذ زمامه قتل وقتل طلحة رضي الله عنه جاءه سهم غريب يقال
أرسله مروان بن الحكم وهو كان في جيش أم المؤمنين * وفر الزبير رضي الله
عنه لما قال له على كرم الله وجهه يا زبير أتذكر لما قال لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم انك تقاتلني وأنت ظالم لي فقال والله لو ذكرت ذلك ما قاتلتك ولا سرت
مسيري هذا ولكن رجوعي عين العار فقال له على كرم الله وجهه ترجع بالعار
ولا ترجع بالنار فتركه وذهب وصار الهودج مثل القنفذ من كثرة النشاب فعند
ذلك عقروا الجمل ووقع الهودج على الارض وجعلت تقول عائشة رضي الله
عنها يا بني اتبعنه اتبعنه وعند ذلك قال على كرم الله وجهه لمحمد بن أبي بكر
رضي الله عنهما انظر أختك هل أصابها شيء فلما جاءها وأدخل يده قالت
من أنت قال ابن الخثعمية قالت محمد قال نعم قالت بأبي أنت وأمي الحمد الذي
عافاك * وفي رواية قال لها أخوك محمد البار فقالت بل مذمم العاق فضرب
عليها فسطاطا فلما كان من آخر الليل خرج بها وأدخلها البصرة وأنزلها في دار
صفية بنت الحارث أم طلحة الطلحات وبكت عائشة بكاء كثيرا وقالت وددت
اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وقد قال على كرم الله وجهه مثل ذلك
لما رأى من كثرة القتلى فقد قيل ان القتلى بلغت عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا
ثم ان عليا كرم الله وجهه صلى على القتلى من الفريقين ثم دخل البصرة
على بغلته متوجها لعائشة رضي الله عنها فلما دخل عليها سلم عليها وقعد عندها
ثم جهزها بكل شيء ينبغي لها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة
المعروفات وأمرهن بلبس العمائم وتقليد السيوف ثم قال لهن لا تعلمها بأنكن
نسوة وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها وقال لأخيها
محمد تجهز معها وفي رواية جهز معها أخاها عبد الرحمن في جماعة من شيوخ الصحابة

فلما كان يوم خروجها جاء اليها علي كرم الله وجهه ووقف الناس وخرجت فودعها
وودعتهم وقالت يابني والله ما كان بيني وبين علي في القدم الا مايكون بين المرأة
وأحمائها وانه على معتبتي عليه عندي لمن الاخيار فقال علي أيها الناس صدقت والله
وبرت ما كان بيني وبينها الا ذلك وانها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وذهب
معها نحو سبعة أميال ثم ذهبت الى مكة حتى حجت ثم رجعت الى المدينة وعلمت
عند وصولها الى مكة ان هؤلاء الرجال حولها نساء فانهن كشفن عن وجوههن
وعرفنها الحال فشكرت وقالت والله لا يزداد ابن أبي طالب الا كرما * وقيل
ان كعب بن سعد أتى عائشة وقال لعل الله يصلح بك والاولى الصلح والسكون
والنظر في قتلة عثمان بعد ذلك فوافقت وركبت هودجها وقد ألبسوه الادراع
ثم بعثوا جملها وذهب الى علي كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك فقال له قد أحسنت
وأشرف القوم على الصلح فخافت قتلة عثمان رضي الله عنه فأشار عليهم ابن
السوداء الذي هو السبائي الذي هو أصل الفتنة أن يفترقوا فرقتين تكون كل
فرقة في عسكر من العسكرين فاذا جاء وقت السحر ضربت كل فرقة منهما الى
العسكر الذي فيه الفرقة الاخرى فنادت كل فرقة في العسكر الذي هي فيه غدرنا
ففعلوا ذلك فنشبت الحرب وحصل ما تقدم * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحسن رضي الله عنه ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين فصالح معاوية رضي الله عنهما وحقن دماء الفئتين من المسلمين أي
فان الحسن رضي الله عنه لما بويع له بالخلافة يوم مات أبوه كان في الخلافة سبعة
أشهر وقيل ستة أشهر ولما سار الى قتال معاوية كان معه أكثر من أربعين ألفا فلما
سار عدا اليه شخص وضربه بخنجر في فخذه أليته فقال الحسن قتلتم أبي بالامس
ووثبتم علي اليوم تريدون قتلي زهدا في العادلين ورغبة في القاسطين لتعلمن
نبأه بعد حين أي ويذكر أنه بينما هو يصلي اذ وثب عليه شخص فطعنه بخنجر
وهو ساجد ثم خطب الناس فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم
ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد الا وهو
يبكي ثم كتب الى معاوية رضي الله عنهما بتسليم الامر أي بعد أن أرسل اليه
معاوية رضي الله عنه رجلين يكلمانه في الاصلاح فان عمرو بن العاص
لما رأى الكتائب مع الحسن أمثال الجبال قال لمعاوية اني لأرى هذه الكتائب
لا تولي حتى تقتل أقرانها فخلع الحسن رضي الله عنه نفسه وسلم الامر الى معاوية

تورعا وزهدا وقطعا للشر واطفاء لنائرة الفتنة وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله المتقدم وغض منه شيعته حتى قال له بعضهم يا عار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين فقال العار خير من النار وقال له بعضهم السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له لا تقل ذلك كرهت أن أقتلكم فى طلب الملك وعند ذلك أى لما ابرم الصلح طلب منه معاوية رضى الله عنهما أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه سلم الامر الى معاوية فاجابه الى ذلك وصعد المنبر وحمد الله الى أن قال فى خطبته أيها الناس فان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا الا أن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وان هذا الامر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه اما أن يكون أحق به منى أو يكون حقى فان كان حقى فقد تركته لله واصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت رضى الله عنه الى معاوية وقال وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين أى ثم انتقل من الكوفة الى المدينة وأقام بها ✽ وكان من جملة ما اشترطه على معاوية رضى الله عنه أن يكون الامر شورى بين المسلمين بعده ولا يعهد الى أحد من بعده عهدا وقيل على أن يكون الامر للحسن بعده فلما سم الحسين اتهم بذلك زوجته بنت الاشعث بن قيس وان ذلك بدسيسة من يزيد ولد معاوية ووعدها ان يتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم حرصا على أن يكون الامر له فان معاوية عرض بذلك فى حياة الحسن ولم يكشفه الا بعد موته ولما جاء الخبر لمعاوية بموته رضى الله عنه ✽ قال يا عجبا من الحسن بن على شرب شربة من عسل بماء رومة يعنى بئر رومة فقضى نحبه وأتى ابن عباس رضى الله عنهما معاوية وهو لا يعلم الخبر فقال له معاوية هل عندك خبر المدينة قال لا فقال معاوية يا ابن عباس احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك فأظهر عدم التشويش وقال أما ما أبقاك الله لى يا أمير المؤمنين فلا يحزنى الله ولا يسوءنى فأعطاه على تلك الكلمة ألف ألف وذكر بعضهم قال كنا عند الحسن رضى الله عنه ومعنا الحسين رضى الله عنه فقال الحسن لقد سقيت السم مرارا وما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدى فقال له الحسين أى أخى ومن سقاك قال وما تريد أتريد أن تقتله قال نعم قال لئن كان الذى أظن فالله أشد نقمة وان كان غيره ما أحب أن يقتل بى بريئا ✽ وكان الحسن رضى الله عنه رجلا حليما لم يسمع منه كلمة فحش وكان مروان وهو وال على المدينة يسبه ويسب عليا كرم الله وجهه كل جمعة على المنبر فقيل له فى ذلك ✽ فقال لا أمحو عنه شيئا بأن أسبه ولكن موعدى وموعده الله فان كان صادقا جازاه الله بصدقه وان كان كاذبا فالله أشد نقمة وأغلظ

عليه رضي الله عنه فروان يوما وهو ساكت ثم امتخط مروان بيمينه فقال له الحسن رضي الله عنه أف لك أما علمت أن اليمين لما شرف فخجل مروان وبكى مروان في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا ومن ثم لما وقع بين الحسن والحسين رضي الله عنهما بعض الشيء فتهاجرا ثم أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذي منعني من ابتدائك بهذا أنك أحق بالفضل مني وكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به وقد تقدم ذلك ومن شعر الحسن رضي الله عنه

من ظن أن الناس يغنونه * فليس بالرحمن بالواثق

* ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل الاسود العنسي الكذاب أي الذي ادعى النبوة ليلة قتله بصنعاء وبمن قتله كما تقدم أي * ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم بأن رجلا من أمته يتكلم بعد الموت فكان كذلك وهو زيد بن خارجة وتكلم غيره أيضا فعن ابن المسيب أن رجلا من الانصار توفي فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله فلعل المراد بالرجل جنس الرجل * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بأن أمته تتخذ الخصيان وأمرهم صلى الله عليه وسلم ان يستوصوا بهم خيرا فقال سيكون قوم ينالهم الاخصاء فاستوصوا بهم خيرا وهو يقتضي أن الخصاء لم يكن في غير هذه الامة * ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب الامانة والعلم والخشوع وعلم الفرائض أي قرب قيام الساعة * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل رضي الله عنه يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب لعنه الله * واخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات باب واسع * منه الاخبار بالحوادث الكائنة بعده الى آخر الزمان والاخبار عن أحوال يوم القيامة من القضاء والحشر والحساب والاخبار عن الجنة والنار فعن حذيفة رضي الله عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوما وصعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر فنزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطب حتى غربت الشمس فأخبر بما كان وبما هو كائن * ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن في جماعة من المهاجرين والانصار يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي غدا أو قبري وكان كذلك توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن ولم يقدم الا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم

ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم رحما وصهرا والمراد بالرحم أم اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام جده صلى الله عليه وسلم فانها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانها كانت قبطية كما علمت * ومنها اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم * من ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لثعلبة بن حاطب الانصاري أي غير البدري لان ذاك قتل بأحد وهذا تأخر الى زمن عثمان رضي الله عنه كما سيأتي خلافا لمن وهم في ذلك لان من شهد بدرا لايدخل النار وكثيرا ما يقع الاشتراك في الاسم واسم الاب كما قال بعض الصحابة وهو طلحة بن عبيد الله لئن مات محمد صلى الله عليه وسلم لانزوجن عائشة من بعده وأنزل الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ظن بعضهم أن المراد بطلحة هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة وحاشاه من ذلك وهو أجل مقاما من أن يصدر منه مثل ذلك ولما قال ثعلبة بن حاطب له يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه ثم أتاه مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة أما ترضى ان تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فصارت تنمي كاينمي الدود وضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها فكان يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك الجماعة فيما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجماعة فيما سوى الجمعة فانه كان يشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ترك الجمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مافعل ثعلبة فأخبر بخبره فقال صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة قالها ثلاثا فلما نزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما فرائض الصدقة وأسنانها وقال لهما مرا بثعلبة فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا ثم رجعا اليه فقال أرياني كتابكما أنظر فيه فنظر فيه فقال ماهذه الا أخية الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن يكلماه ياويح ثعلبة * فلما أخبراه بالذي صنع ثعلبة أنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله الآيات وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فأرسل اليه بأن الله قد أنزل فيك كذا

وه وكذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه الصدقة فقال ان الله منعني أن أقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني وأبى أن يقبل منه شيأ فأتى أبابكر رضي الله عنه حين استخلف فسأله قبول صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها ثم فعل كذلك مع عمر رضي الله عنه ثم مع عثمان رضي الله عنه وكل يأبى أن يقبل صدقته ومات في خلافة عثمان * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في رجل ارتد ولحق بالمشركين اللهم اجعله آية فعن أنس رضي الله عنه قال كان منا رجل من بني النجار حفظ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بأهل الكتاب وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله آية فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا عمل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوه وألقوه فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا مثل الاول فحفروا وأعمقوا فلفظته الارض المرة الثالثة فعلموا أنه ليس من الناس * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع أي قال ذلك تكبرا وعنادا فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يطق أن يرفعها الى فيه بعد أي * ومن ذلك المرأة التي خطبها صلى الله عليه وسلم فقال له أبوها ان بها برصا ولم يكن بها برص وانما قال ذلك امتناعا من خطبته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم فلتكن كذلك فبرصت * ومن ذلك أن فاطمة رضي الله عنها جاءت اليه صلى الله عليه وسلم فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فقال لها صلى الله عليه وسلم ادني مني يا فاطمة فدنت منه فرفع يده فوضعها على صدرها وفرج بين أصابعه وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد فذهبت الصفرة عنها حالا ولم تشتك بعد ذلك جوعا * ومن ذلك ما حدث به واثلة بن الاسقع قال حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا فكنا اذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجلا من أهل الصفة فأخذه فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة فلم يأتنا أحد فأصبحنا صياما ثم أتت علينا الليلة القابلة فلم يأتنا أحد فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بالذي كان من أمرنا فأرسل الى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء فما بقيت امرأة الا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم

اى أصابك من فقدان ورحلك انم ــ ما بــ دك لا بدركم ما احدث بركة لم يكن الامتنان يستأذن فاذا بشاة مصلية ورطبا فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا * ومنها تساقط الاصنام التي حول الكعبة باشارته صلى الله عليه وسلم اليها أو طعنه فيها بقضيب كان في يده قائلا جاء الحق وزهق الباطل كما تقدم * ومنها تكثير الطعام وقد وقع له ذلك في مواطن كثيرة * من ذلك اطعام الالف من صاع شعير في حفر الخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان كما تقدم ومن ذلك اطعام أهل الخندق من تمر يسير كما تقدم * ومن ذلك جمع ما فضل من الازواد ودعاؤه صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وقسمها في العسكر فقامت بهم كما تقدم في الحديبية وتبوك * ومن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لابي هريرة في تمرات قد صفهن في يده وقال ادع لي فيهن بالبركة أي فدعا له صلى الله عليه وسلم بذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان رضي الله عنه أي بانقطاع المزود الذي أمره صلى الله عليه وسلم أن يكون به التمر والمزود وعاء من جلد يوضع فيه الزاد وقال له اذا أردت شيأ فادخل يدك ولا تكبه فأكبه عليك قال أبو هريرة رضي الله عنه وكان لا يفارق حقوي فلما قتل عثمان انقطع حقوي فسقط * وفي رواية كان معلقا خلف رحلي فوقع في زمن عثمان أي في زمن محاصرته وقتله فذهب * وفي رواية فلما قتل عثمان انتهب بيتي وانتهب المزود أي بعد سقوطه من حقوه فلا يخالف ما سبق وقد جاء في بعض الروايات عن أبي هريرة رضي الله عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت يا رسول الله ادع لي فيهن بالبركة فصفهن ثم دعا فيهن بالبركة وقال خذهن واجعل في مزودك ما أردت منهن أي اذا أردت أخذ شيء منهن ادخل يدك فيه فخذه ولا تنثره نثرا * وفي لفظ غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب الناس مجاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هل من شيء قلت نعم شيء من تمر في المزود فقال ائتني به فأتيته به فادخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم قال لي ادع لي عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم ما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم خذ ما جئت به ادخل يدك فاقبض ولا تكفأه قال فقبضت على أكثر ما جئت به ثم أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر وأطعمت حياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت فلما قتل عثمان انتهب مني * ومن

ذلك تكثير الطعام الذي وضعه صلى الله عليه وسلم على أصابعه فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصفة لقصعة ثريد فأكلوا حتى لم يبق الا اليسير في نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال لأبي هريرة رضي الله عنه أي لأنه كان من أهل الصفة كل بسم الله قال أبو هريرة والذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت كما تقدم * وقيل وكان أصحاب الصفة حينئذ تسعين وقيل مائة ونيفا وقيل أربعمائة * ومن ذلك تكثير الطعام الذي جاء به أنس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فعنه رضي الله عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بذلك اليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل قال فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت ان أمي تقرئك السلام وتقول لك ان هذا منا لك قليل فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت فدعيت من سمى ومن لقيت قيل لأنس كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس هات التور ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال يا أنس ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت * ومن ذلك تكثير الطعام الذي صنعه أبو أيوب الانصاري فعنه رضي الله عنه قال صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه طعاما قدر ما يكفيهما فأتيتهما به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الانصار قال فشق ذلك علي ما عندي ما أزيده فقال اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الانصار قال أبو أيوب رضي الله عنه فدعوتهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله قبل أن يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي ستين من أشراف الانصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله قبل أن يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي تسعين من الانصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرجوا فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الانصار * قال ومنها تكثير اللبن في القدح فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه اشتد به الجوع يوما قال فمر علي أبو بكر رضي الله عنه فقمت اليه وسألته عن آية من كتاب الله ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر علي عمر ففعلت معه وفعل معي كذلك * ثم مر صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني

وعرف ما في نفسي * ثم قال يا أباهريرة وفي لفظ يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق فتبعته صلى الله عليه وسلم الى أن دخل بيته وأذن لي فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال صلى الله عليه وسلم أي لأهل بيته من أين هذا اللبن فقيل أهدى لك فقال يا أباهريرة قلت لبيك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال ادع لي أهل الصفة فساءني ذلك فقلت ما هذا اللبن في أهل الصفة وما أطمع أن ينالني من هذا اللبن شيء أي لأنهم كانوا أربعمائة على ما تقدم فدعوتهم فأقبلوا وأخذوا مجالسهم من البيت فقال يا أباهريرة قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى حتى لم يبق الا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقعد فاشرب فشربت فقال لي اشرب فشربت فما زال يقول لي اشرب فاشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأعطيته القدح فحمد الله عز وجل وسمى وشرب الفضلة انتهى أي * وقد تقدم ذلك * وفي لفظ حتى اذا لم يبق الا أنا وهو فأخذ القدح على يده ونظر الي وتبسم فقال يا أباهريرة قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت * قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب الحديث * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لأبي هريرة يا أبا هر قال انما أنا أبو هريرة فقال صلى الله عليه وسلم الذكر خير من الانثى * ولما وقع القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان أبو هريرة رضي الله عنه يصلي خلف علي كرم الله وجهه ويحضر طعام معاوية وعند القتال يبعد على تل * فقيل له في ذلك فقال الصلاة خلف علي أقوم وطعام معاوية أدسم والقعود على هذا التل أسلم * ومن ذلك ما حدثت به بنت خباب بن الارت رضي الله عنهما قالت خرج خباب في سرية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهدنا وكان لنا عنز فكان يحلبها فيملأ حلابها جفنة لنا * فلما جاء خباب عاد حلابها لما كان عليه أولا فقلت لأبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلبها فتمتلئ جفنتنا فلما حلبتها رجع حلابها * ومن ذلك ما حدث به بعض الصحابة قال كنا زهاء أربعمائة رجل فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه صلى الله عليه وسلم فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روي وسقى أصحابه حتى رووا ثم قال لي صلى الله عليه وسلم أملكها الليلة وما أراك تملكها فأخذتها فوتدت لها وتدا ثم ربطتها بحبل ثم قمت في بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحا فجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ذهب بها الذي جاء بها * ومنها أن امرأة كانت

اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا في عكة فقبله وترك في العكة قليلا ونفخ فيه
ودعا بالبركة فكان يأتيها بنوها يسألونها الادم فتعمد الى تلك العكة فتجد فيها
سمنا فما زالت تقيم بها أدم بيتها بقية حياته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
وعثمان حتى كان من أمر علي ومعاوية رضي الله عنهما ما كان وفي رواية أنها عصرتها
فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أعصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها
ما زال دائما ويحتمل ان الواقعة تعددت ❊ وعن أم سليم أم أنس رضي الله عنهما
قالت كان لي شاة فجمعت من سمنها ما ملأت به عكة وأرسلت به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقبلها وأمر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل فلما
جئت رأيت العكة مملوءة سمنا قالت فقلت للتي أرسلتها معها كيف الخبر فأخبرتني
الخبر فما صدقتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وقلت له
يا رسول الله وجهت اليك عكة سمن قال قد وصلت فقلت بالذي بعثك بالهدى
ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنا تقطر قال أتعجبين أن أطعمك الله كما أطعمت
نبيه صلى الله عليه وسلم اذهبي فكلي واطعمي الحديث أي ❊ ومنها دعاؤه
صلى الله عليه وسلم لفرس جعيل الاشجعي فعنه رضي الله عنه قال خرجت مع
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء ضعيفة فكنت في آخر
الناس فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سر يا صاحب الفرس فقلت
يا رسول الله عجفاء ضعيفة فرفع مخفقة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها
فلقد رأيتني ما أملك رأسها قدام القوم ولقد بعت من بطنها باثني عشر الفا ❊ ومنها
أن جليبيب على وزن قنديل الانصاري كان قصيرا دميما أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يزوجه فقال يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال انك عند الله
لست بكاسد فخطب له صلى الله عليه وسلم جارية من أولاد الانصار فكره أبو الجارية
وأمها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قال تعالى
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة من
أمرهم وقالت رضيت وسلمت لما رضي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدعا لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اصبب الخير عليها صبا ولا تجعل عيشها
كدا فكانت من أكثر الانصار نفقة ومالا مع كونها أيما فانه رضي الله عنه قتل
عنها في بعض غزواته معه صلى الله عليه وسلم بعد ان قتل سبعة من المشركين
ووقف عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وقال هذا مني وأنا منه وحمله صلى الله
عليه وسلم على ساعديه ماله سرير غير ساعديه صلى الله عليه وسلم ثم حفر واله

موضعه في قبره ولم يغسله ولم يصل عليه * ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم حتى شرب القوم وتوضؤا وهم ألف وأربعمائة قال وفي رواية ألف وخمسمائة وفي رواية فشربوا وسقوا وملؤا قربهم وكان في العسكر اثنا عشر ألف بعير والخيل اثنا عشر ألف فرس أي وهذه في غزوة تبوك وقد تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن عظيمة تقدمت وتكررت الروايات بحسب تكرر الوقائع وهو أشرف المياه كما قاله السراج البلقيني ولم يسمع بمثل هذه المعجزة التي هي خروج الماء من بين الاصابع عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أبلغ من نبع الماء من الحجر الذي ضرب به موسى عليه الصلاة والسلام لان خروج الماء من الحجر معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والدم والعظم والعصب انتهى كما تقدم * ومنها أن الماء فار بغرز سهم من كنانته صلى الله عليه وسلم في محله وقع له ذلك في الحديبية وفي تبوك فقد جاء انه ورد في منصرفه من غزوة تبوك على ماء قليل لا يروي واحدا وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم العطش فأخذ سهما من كنانته وأمر أن يغرس فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفا كما تقدم قال ومنها ما تقدم له صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب بذي المجاز من ضربه صلى الله عليه وسلم الارض أو صخرة برجله حين عطش فخرج الماء كما تقدم * ومنها ركوبه صلى الله عليه وسلم الفحل الذي قطع الطريق على من يمر لما سافر صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب الى اليمن كما تقدم * ومنها انقلاب الماء الملح عذبا ببركة ريقه الشريف فقد جاء أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم ملوحة في ماء بئرهم فجاء صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه حتى وقف على ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين * ومنها أنه كان باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات فلما بعث صلى الله عليه وسلم وجه اليه أيها الماء أسلم فقد أسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب منه حم ولا يموت * ومنها زوال القراع بمرور يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد جاء ان امرأة أتته بصبي لها أقرع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه * ومنها احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وسماع كلامهم فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي بنتي فقال صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه قبرها فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت

الآخرة خيرا من الدنيا * ومنها ابراء الابرص فقد روى ان امرأة معاوية بن عفراء كان بها برص فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليه بعصى فأذهبه الله * ومنها ابراء الرئة واللوقة والقرحة والسلعة والحرارة والدميلة والاستسقاء فان ابن ملاعب الاسنة أصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وقد أشار الى ذلك صاحب الاصل بقوله

وبكف من تربة الارض داوى * من تشكى من مؤلم استسقاء

* ومنها أن اخت اسحاق الغنوي هاجرت من مكة تريد المدينة هي وأخوها اسحق المذكور حتى اذا كانت في بعض الطريق قال لها أخوها اجلسي حتى أرجع الى مكة فآخذ نفقة أنسيتها قالت له اني أخشى عليك الفاسق أن يقتلك تعني زوجها فذهب أخوها الى مكة وتركها فمر عليها راكب جاء من مكة فقال لها ما يقعدك هاهنا قالت انتظر أخي قال لا أخ لك قد قتله زوجك بعد ما خرج من مكة قالت فقمت وأنا استرجع وأبكي حتى دخلت المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ في بيت حفصة فأخبرته الخبر فأخذ ملء كفه ماء فضربني به فمن يومئذ لم ينزل من عيني دمعة وكانت تصيبني المصائب العظام غايته أن ينفر الدمع على مقلتي ولا يسيل على وجنتي * ومنها ابراء الجراحة كما تقدم * ومنها ابراء الكسر فقد مسح صلى الله عليه وسلم على رجل ابن عتيك رضي الله عنه وقد انكسرت فكأنها لم تنكسر قط كما تقدم * ومنها ابراء الجنون أي * ومنها ان امرأة جاءته صلى الله عليه وسلم بابن لها لا يتكلم وقد بلغ أوان الكلام فأتى بماء فمضمض وغسل يديه ثم أعطاها صلى الله عليه وسلم اياه وأمرها أن تسقيه وتمسه به ففعلت ذلك فبرئ وعقل عقلا يفضل عقول الناس * ومنها ان بعض الصحابة نبتت في كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكى ذلك له صلى الله عليه وسلم فما زال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه الشريفة حتى زالت ولم يبق لها أثر * ومنها انه صلى الله عليه وسلم أعطى جذلا من الحطب فصار سيفا وقع ذلك لعكاشة بن محصن رضي الله عنه يوم بدر كما تقدم ووقع ذلك لعبد الرحمن بن جحش أيضا يوم أحد كما تقدم أي ومنها انقلاب الماء لبنا وزبدا * ومنها انه عرضت كدية بالخندق ولم يقدر أحد على ازالة شيء منها فضربها فصارت كثيبا كما تقدم * أي ومن اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ما روى عن النابغة

الجعدي رضي الله عنه قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياتا منها

فلا خير في علم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

* فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجدت لا يفضض الله فاك من هذه اشارة الى اسنانه قال النابغة رضي الله عنه فلقد أتت على نيف ومائة سنة وما ذهب لي سن قيل وعاش مائة واثني عشر سنة وقيل مائة وثمانين سنة أي كما تقدم * وفي لفظ كان من أحسن الناس ثغرا وكان اذا سقطت له سن نبتت له أخرى أي وعلى هذا الاخير فالمراد لا أخلى الله فاك من الاسنان * ومن ذلك أن امرأة جاءت بابن لها صغير فقالت يا رسول الله ان ابني هذا جنونا وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ودعا له فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي * ومنها ابراء وجع الضرس فقد جاء ان بعض الصحابة شكى اليه وجع ضرسه فقال له صلى الله عليه وسلم ادن مني فوالذي بعثني بالحق لادعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب الا كشف الله عنه كربه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على الخد الذي فيه الوجع وقال اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح هذا ما يتعلق ببعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي يمكن التحدي بها والحمد لله وحده

* (باب نبذة من خصائصه صلى الله عليه وسلم) *

أي ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الانبياء وغيرهم وما اختص به عن غير الانبياء وفيما اختصت به أمته صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس من الانبياء وغيرهم وفيما اشتركت فيه مع الانبياء دون أممهم لا يخفى ان ذكر خصائصه صلى الله عليه وسلم مندوب * قال في الروضة ولا يبعد القول بوجوب ذلك ليعرف فلا يتأسى به جاهل في ذلك * ثم لا يخفى ان الذي من خصائصه صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس * أما أن يكون اختص بوجوبه عليه لان الله علم أنه صلى الله عليه وسلم أقوم به وأصبر عليه من غيره ولان ثواب الفرض أفضل من ثواب النفل غالبا وقد جاء ما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه أو اختص بتحريمه عليه لان الله علم أنه صلى الله عليه وسلم أصبر على تركه ولمزيد فضل تركه أو اختص باباحته له تسهيلا عليه أو اختص باتصافه به لمزيد فضله وشرفه * فمن القسم الاول صلاة الضحى أي مما هو

أقلها أو دور كعتان وركعتا الفجر وصلاة الوتر قال صلى الله عليه وسلم ثلاث على
فرائض ولكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى ❊ أى وفى الامتاع ان
هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه ومع ذلك ففى ثبوت خصوصية هذه الثلاثة
برسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فان الذى ينبغى ولا يعدل عنه الى غيره
أن لا تثبت خصوصيته الا بدليل صحيح ❊ وفى البخارى عن عائشة رضى الله
عنها ما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط وانى لاسبحها وفى
الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم
يصلى الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وهذا يدل بظاهره
ويقتضى عدم الوجوب اذ لو كانت واجبة فى حقه صلى الله عليه وسلم لكان
مداومته عليها أشهر من أن تخفى هذا كلامه ❊ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم ما صلى
الضحى يوم الفتح فى بيت أم هانى وواظب عليها الى أن مات وأنه صلى صلى الله عليه
وسلم صلى ثمان ركعات وجاء فى حديث مرسل كان صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين
وأربعا وستا وثمانيا ❊ وهل المراد بالوتر أقله أو أكثره أو أدنى كماله والسواك ❊ قال
فى الامتاع وهل هو بالنسبة الى الصلاة المفروضة أو فى كل الاحوال المؤكدة
فى حقنا أو فيما هو أعم من ذلك ❊ وغسل الجمعة والاضحية واستدل
لوجوبهما بقوله تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى الى قوله وبذلك أمرت
❊ قال فى الامتاع والامر على الوجوب هذا كلامه وفيه نظر لان أمر الوجوب
والندب والذى للوجوب انما هو صيغة أفعل قال فى الامتاع ان الآمدى وابن
الحاجب رحمهما الله عدا ركعتى الفجر من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولا سلف
لهما فى ذلك الا حديث ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنه واعترض كون الوتر
واجبا عليه صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين صلاه على
البعير اذ لو كان واجبا لما صلاه على الراحلة وأجاب النووى رحمه الله بأن جواز
هذا الواجب على الراحلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ❊ وأجاب القرافى فى
المالكى رحمه الله بأن الوتر لم يكن واجبا عليه صلى الله عليه وسلم الا فى الحضر
ووافقه على ذلك من أئمتنا الحليمى والعز بن عبد السلام ❊ والعقيقة وأنه صلى
الله عليه وسلم تجب عليه أن يؤدى فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها وأنه يجب عليه
صلى الله عليه وسلم أن يصلى فى كل يوم وليلة خمسين صلاة على وفق ما كان فى ليلة
الاسراء كذا فى الخصائص الصغرى للسيوطى والمشاورة فى أمر الدين والدنيا لذوى
الاحلام من الامور الاجتهادية وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا

أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية وشاورهم في الأمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة في أمتي فمن شاورهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا وقد قيل الاستشارة حصن من الندامة ومبارزة العدو وان كثر وفي الحاوي للماوردي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا بارز رجلا لا ينفك عنه قبل قتله هذا كلامه ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم بارز أحدا وقضاء دين من مات معسرا من المسلمين وأداء الجنايات والكفارات عن من لزمته وهو معسر وتخيير نسائه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة أي بين زينة الدنيا ومفارقته وبين اختيار الآخرة والبقاء في عصمته وان من اختارت الدنيا يفارقها ومن اختارت الآخرة يمسكها ولا يفارقها لأن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما * قيل اختلف سلف هذه الامة في سبب نزول هذه الآية على تسعة أقوال * وقد قيل نزلت لما طلبن منه صلى الله عليه وسلم زيادة في النفقة فاعتزلهن شهرا ثم أمر بتخييرهن فيما ذكر كما تقدم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال جاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يأذن لهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه أي قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله عنه لأقولن شيأ أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمع بهن شهرا فعن عمر رضي الله عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الانصار جاء اليه ليلا ودق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان لانا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فقال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت

أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشرفة أي لان نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه في طلب النفقة أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن قال عمر رضي الله تعالى عنه لاقولن من الكلام شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعتني فأنكرت عليها فقالت تنكر على أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أفتأمن احداهن أن يغضب الله عليها بغضب زوجها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت الى حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن احداكن أن يغضب الله عليها بغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعني عائشة فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يا رسول الله (ه) فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه في قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك الآية فنزل ودخل على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت له يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون وفي رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه

وفي الثالثة حبس ابهامه ثم قال يا عائشة انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك فقالت وما هو يارسول الله فقرأ يا أيها النبي قل لازواجك الآية قالت أفي هذا استأمر أبوي فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية أفي لك يارسول الله استشير أبوي بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت ثم قلت له لاتخبر امرأة من نسائك بالذي قلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما بشيرا ثم فعل أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت عائشة رضي الله تعالى عنهن * وقد ذكر الاقوال التسعة في الامتاع وذكر فيه أن التخيير كان بعد فتح مكة لان ابن عباس رضي الله عنهما لم يقدم المدينة الا بعد الفتح مع أبيه العباس رضي الله عنهما وذكر أنه حضر الواقعة * ومن القسم الثاني تحريم أكل الصدقة واجبة أو مندوبة وكذا الكفارة والمنذورة والموقوف عليه الا على جهة عامة كالآبار الموقوفة على المسلمين ويشاركه في الصدقة الواجبة آله دون صدقة التطوع على الجهة الخاصة دون الجهة العامة والصدقة الواجبة هي المنفية بقوله صلى الله عليه وسلم أن الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي أوساخ الناس ولما سأله عمه العباس رضي الله عنه أن يستعمله على الصدقات قال صلى الله عليه وسلم ما كنت لاستعملك على غسالات ذنوب الناس * ولما أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها أما علمت انا لانأكل الصدقة وفي رواية أن آل محمد لا يأكلون الصدقة * واختلف علماء السلف هل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تشارك النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فذهب الحسن رحمه الله تعالى الى أن الانبياء تشاركه في ذلك * وذهب سفيان بن عيينة الى اختصاصه بذلك دونهم وأن يعطي شيأ لاجل أن يأخذ شيأ أكثر منه وان يتعلم الكتابة أو الشعر وانشاؤه وروايته لا التمثل به وانه اذا لبس لامته للقتال لا ينزعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وهذا الاخير مما يشاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخائنة الاعين وهي الايماء الى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر كما تقدم وامساك من كرهته ونكاح الكتابية قيل والتسري بها والراجح خلافه ونكاح الامة المسلمة لانه لا يخشى العنت أي الزنا * ومن القسم الثالث القبلة في الصوم مع وجود الشهوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل عائشة رضي الله عنها وهو صائم ويمص لسانها ولعله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبلع ريقه المختلط بريقها والخلوة بالاجنبية وأنه صلى الله عليه وسلم اذا رغب في امرأة خلية كان له

أن يدخل بها من غير لفظ نكاح أوهبة ومن غير ولي ولا شهود كما وقع له صلى الله عليه وسلم في زينب بنت جحش رضي الله عنها كما تقدم ومن غير رضاها وأنه اذا رغب في امرأة متزوجة يجب على زوجها أن يطلقها له صلى الله عليه وسلم وأنه اذا رغب في أمة وجب على سيدها أن يهبها له وله أن يزوج المرأة لمن يشاء بغير رضاها وله أن يتزوج في حال احرامه ومن ذلك نكاح ميمونة على ماتقدم وأن يصطفي من الغنيمة ماشاء قبل القسمة من جارية أوغيرها ومن صفاياه صلى الله عليه وسلم صفية وذو الفقار كما تقدم وأن يتزوج من غير مهر كما وقع لصفية رضي الله عنها * وقد قال المحققون معنى مافي البخاري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم جعل عتقها صداقها أنه صلى الله عليه وسلم أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر فقول أنس رضي الله عنه أمهرها نفسها معناه أنه لما لم يصدقها شيأ كان العتق كأنه المهر وان لم يكن في الحقيقة كذلك وان يدخل مكة بغير احرام اتفاقا وان يقضي بعلمه ولو في حدود الله تعالى * قال القرطبي في تفسيره أجمع العلماء على أنه ليس لاحد أن يقضي بعلمه الا النبي صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وجمع له صلى الله عليه وسلم بين الحكم بالظاهر والباطن معا وجمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وقوله اني على علم لا ينبغي لك أن تعلمه وأنت على علم لا ينبغي لي أن أعلمه هذا كلامه وكتب عليه الشهاب القسطلاني رحمه الله هذه غفلة كبيرة وجراءة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يلزم منه خلو بعض أهل العزم عليهم الصلاة والسلام من علم الحقيقة الذي لايجوز خلو بعض آحاد الاولياء عنه واخلاء الخضر بل بقية بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن علم الشريعة * وأعجب من ذلك أنه بين له وجه الخطأ فأجاب بقوله مرادي الجمع بين الحكم والقضاء هذا كلامه * وأقول ذكر السيوطي في كتابه القاهر في حكم النبي بالباطن والظاهر هل يقول مسلم ان الذي خص به نبينا صلى الله عليه وسلم أي عن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام يورث نقصا في حق سائر الانبياء معاذ الله وكل مسلم يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الانبياء على الاطلاق وذلك لا يورث نقصا في حق أحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الاعتراض كان لايحتاج الى جواب عنه لكن خشيت أن يسمعه جاهل فيؤديه ذلك الى انكار خصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي فضل بها على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام توهما منه أن ذلك يورث نقصا فيهم فيقع والعياذ بالله في الكفر والزندقة هذا كلامه * ومما حكم

فيه بالظاهر والباطن معا قوله صلى الله عليه وسلم في ولد وليدة زمعة والسودة أم المؤمنين رضي الله عنها الخصم فيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وعبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن أخي بن وقاص عهد الي أنه ابنه انظر الى شبهه وقال عبد بن زمعة هذا أخي ولد على فراش أبي من وليدته فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شبهه فرأى شبها بينا بعتبة ثم قال هو لك يا عبد الولد للفراش واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة * زاد في رواية فليس بأخ لك فقد جعله صلى الله عليه وسلم أخا لسودة عملا بظاهر الشرع ونفى اخوته عنها بمقتضى الباطن فقد حكم في هذه القصة بالظاهر والباطن معا * وأما حكمه صلى الله عليه وسلم بالباطن فقد جاء في أمور كثيرة من ذلك قتله الحارث بن سويد بقتله المجذر بن زياد غيلة من غير دعوى وارثه ولا قيام بينة ولا قبل الدية كما تقدم *ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل مات أخوه ان أخاك محبوس بدينه فاقض عنه فقال يا رسول الله قد أديت عنه الا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة قال اعطها فانها محقة ومن ذلك أن امرأة جاءت الى أخرى وقالت لها فلانة تستعيرك حليك وهي كاذبة فاعارتها اياه فمكثت مدة ثم جاءت المرأة تطلب حليها فقالت لم أطلب حليك فجاءت للمرأة التي أخذته فأنكرت أخذه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته القصة فدعاها فقالت والذي بعثك بالحق ما استعرت منها شيأ فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فخذوه من تحت فراشها فأخذ وأمر بها فقطعت وان يقضي لنفسه ولولده وان يشهد لنفسه ولولده وان يقبل الهدية ممن يريد الحكومة عنده وان يقضي في حال غضبه وأن يقطع الارض قبل أن يفتحها * ومن شاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا القسم أن له صلى الله عليه وسلم أن يصلي بعد نومه غير متمكن أي في النوم الذي تنام فيه عينه وقلبه بناء على أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان وحينئذ يكون قوله نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا المراد به غالبا اذ يبعد أن يكون بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس لهم الا نوم واحد وله صلى الله عليه وسلم نومان واباحة ترك اخراج زكاة المال لانه كبقية الانبياء لا ملك لهم مع الله وما في أيديهم من المال وديعة لله عندهم يبذلونه في محله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة طهرة وهم مبرؤن من الدنس كذا في الخصائص الصغرى نقلا عن سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله وفيها بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختص بأن ماله باق بعد موته على ملكه ينفق منه على أهله في أحد الوجهين

وصححه امام الحرمين والذي صححه النووي الوجه الآخر وهو خروجه عن ملكه لكنه صدقة على المسلمين لا يختص به الورثة وما قاله ابن عطاء الله بناه على مذهب امامه سيدنا مالك ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى خلافه في الخصائص الصغرى قبل هذا وذكر مالك رضي الله عنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يملك الاموال انما كان له التصرف والاخذ قدر كفايته وعند الشافعي رضي الله عنه وغيره أنه يملك هذا كلام الخصائص ❊ ومن القسم الرابع أنه صلى الله عليه وسلم أول من أخذ عليه الميثاق يوم ألست بربكم وأنه أول من قال بلى أي وأنه خص بالبسملة وفيه ما تقدم أن ذلك على وجه وان الاصح خلافه لما في القرآن في سورة النمل وفي المرفوع أنزل على آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم ❊ وجاء بسم الله فاتحة كل كتاب وفيه أن الانجيل من جملتها وهو كتاب عيسى ابن مريم وهو بعد سليمان عليهما السلام وقد قدمنا ذلك عند الكلام على أوائل البعث وبفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة آمن الرسول الى ختامها وآية الكرسي أعطيتها من كنز تحت العرش وكذا الفاتحة والكوثر فقد جاء أربع نزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والكوثر ❊ وذكر الجلال السيوطي رحمه الله في الخصائص الصغرى ان مما خص به أنه أعطي من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد غيره والسبع الطوال والمفصل وأن دار هجرته التي هي المدينة آخر الدنيا خرابا وأن جميع ما في الكون خلق لاجله وأنه تعالى كتب اسمه على العرش وعلى كل سماء وما فيها كما تقدم وعلى بعض الاحجار وورق الاشجار وبعض الحيوانات كما تقدم قال بعضهم بل وعلى سائر ما في الملكوت وذكر الملائكة له صلى الله عليه وسلم في كل ساعة وذكر اسمه صلى الله عليه وسلم في الاذان في عهد آدم وهو الملكوت الاعلى كما تقدم ❊ ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنه يحرم نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد موته حتى على الانبياء بخلاف زوجات الانبياء بعد موتهم لا يحرم نكاحهن على المؤمنين ❊ قال شيخنا الرملي والاقرب عدم حرمتهن على الاتقياء من أممهم وفيه أنه اذا لم يحرمن على آحاد المؤمنين فعلى الاتقياء بطريق الاولى الا أن يقال الفرق ممكن يدل عليه قوله والاقرب والافهذا انما يتوقف فيه على النقل ❊ قيل ومن ذلك أنه يجب على أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده الجلوس في بيوتهن ويحرم عليهن الخروج منها ولو لحج أو عمرة والراجح خلاف ذلك فقد حججن مع عمر رضي الله عنه وعنهن

الاسودة وزينب فخرجن في الهوادج عليهن الطيالسة الخضر وعثمان رضي الله عنه يسير امامهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن اليك اليك وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خلفهن يقول مثل ذلك ولا ترى هوادجهن الا مد البصر ولما رأى عثمان رضي الله عنه حجهن أيضا الاسودة وزينب وأنه يحرم ايضا رؤية اشخاص زوجاته صلى الله عليه وسلم في الازر وسؤالهن مشافهة أي من غير حجاب ولا يجوز كشف وجوههن لشهادة بلا خلاف وأن الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق على سائر النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وينصروه ان أدركوه وان يأخذوا العهد على أممهم بذلك كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم يحشر على البراق فقد جاء تبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الدواب ويبعث صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة رضي الله عنهم على ناقته العضباء والقصوى ويبعث بلال رضي الله عنه على ناقة من نوق الجنة وان في كل يوم ينزل على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفونه ويستغفرون له ويصلون عليه الى ان يمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحوا لا يعودون الى أن تقوم الساعة وانه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الوحي وانه تكرر له ذلك خمس مرات على ما تقدم وان خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وخاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان في يمينهم كما تقدم وتقدم ما فيه وان له صلى الله عليه وسلم ألف اسم ونقل عن تفسير الفخر الرازي ان له صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف اسم وانه صلى الله عليه وسلم تسمى من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسما وانه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على الصورة التي خلق عليها مرتين كما تقدم وغيره لم يره كذلك وانه عليه الصلاة والسلام يحكم بالظاهر والباطن كما تقدم وانه صلى الله عليه وسلم أحلت له مكة ساعة من نهار وانه حرم ما بين لابتي المدينة كما تقدم وانه لم ترعورته قط وان من رآها طمست عيناه كما تقدم وانه اذا مشى في الشمس أو في القمر لا يكون له صلى الله عليه وسلم ظل لانه كان نورا وانه اذا وقع شيء من شعره في النار لا يحترق وان وطئه أثر في الصخر على ما تقدم وان الذباب لا يقع على ثيابه فضلا عن جسده الشريف ولا يمتص دمه البعوض والقمل دمه كما تقدم وهذا لا ينافي كون القمل يكون في ثوبه ومن ثم جاء كان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه وان عرقه أطيب من ريح المسك كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا ركب دابة لا تبول ولا تروث وهو راكبها ولو بني مسجده الى صنعاء اليمن

لكان مسجده أي في المضاعفة خلافا لجمع منهم ابن حجر الهيتمي وقد قال الحافظ السيوطي نص العلماء على ان المسجدين أي المكي والمدني ولو وسعا لم تختلف أحكامهما الثابتة لهما * و روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لو مد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذي الحليفة لكان منه فهذا الاثر مصرح بأن أحكام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة له فالتوسعة لا تمنع استمرار الحكم وتقدم ما في ذلك وانه يجب على أمته صلى الله عليه وسلم ان تصلي وتسلم عليه في التشهد الاخير وعند كل ما يذكر عند بعضهم وان القمر انشق له صلى الله عليه وسلم كما تقدم وان الحجر والشجر سلما عليه صلى الله عليه وسلم وشهادة الشجر له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وأجابتها دعوته وكلام الصبيان المراضع وشهادتهم له بالنبوة كما تقدم وان الجذع اليابس حن اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة الانس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحد ذلك وقد يتوقف في كفر العامي بجهل رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والى الملائكة على ما هو الراجح كما تقدم * قال بعضهم والقول بمقابله مبني على تفضيل الملائكة على الانبياء وهو قول مرجوح ذهب اليه المعتزلة والفلاسفة وجماعة من أهل السنة الاشاعرة واستدلوا بأمور كلها مردودة وتقدم عن البارزي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الى الحيوانات والجمادات لكن استدل له بشهادة الضب والشجر له بالرسالة صلى الله عليه وسلم وقد يتوقف في الاستدلال بذلك وتقدم عن الحافظ السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم أرسل لنفسه وتقدم الفرق بين عموم رسالته عليه الصلاة والسلام وعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتأخير العذاب وعدم معاجلتهم بالعقوبة بنحو الخسف والمسخ والغرق كسائر الامم المكذبة كما تقدم وان الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل خاطبه صلى الله عليه وسلم بيا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المدثر يا أيها المزمل وقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى وان الله اقسم بحياته صلى الله عليه وسلم قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه ما حلف الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم وأقسم الله على رسالته بقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وان اسرافيل عليه السلام اهبط اليه صلى الله عليه وسلم ولم يهبط الى نبي قبله كما تقدم وانه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله

وانه يحرم نكاح موطوآته صلى الله عليه وسلم من الزوجات والسرارى الا من باعه أووهبه من السرارى فى حياته ان فرض ذلك وذهب الماوردى الى تحريمها * وفى كلام بعضهم وتحرم زوجته صلى الله عليه وسلم على غيره ولو قبل الدخول ولو مختارة للفراق خلافا لما فى الشرح الصغير للرافعى من حل المختارة لفراق وانه يحرم التزوج على بناته صلى الله عليه وسلم وقيل على فاطمة خاصة رضى الله عنها * وأما التسرى عليهن فلم أقف على حكمه وما علل به منع التزوج عليهن حاصل فى التسرى الا ان يفرق وأوتى صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا من أهل الجنة فى الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطى صلى الله عليه وسلم قوة أربعة آلاف وسليمان صلوات الله وسلامه عليه أعطى قوة مائة رجل وقيل ألف رجل أى من رجال الدنيا وان صلاته صلى الله عليه وسلم جائزة كما تقدم وانه كان له صلى الله عليه وسلم ان يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين لان النبى صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابى فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبى صلى الله عليه وسلم وتباطأ الاعرابى والفرس معه فساومه فى الفرس رجال لا يعرفون أن النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه بزيادة عما اشتراه به صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمع نداء الاعرابى أوليس قد ابتعته منك فقال الاعرابى لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى قد ابتعته منك فقال الاعرابى شاهدا أن يشهد أنى بعتك فلما سمع خزيمة رضى الله عنه قال أنا أشهد أنك بعته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخزيمة كيف تشهد ولم تكن معنا فقال يارسول الله انا نصدقك بخبر السماء أفلا نصدقك بما تقول فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته رضى الله عنه فى القضايا بشهادة رجلين ومنه أخذ جواز الشهادة له صلى الله عليه وسلم بما ادعاه وترخيصه صلى الله عليه وسلم لام عطية رضى الله عنها ولخولة بنت حكيم رضى الله عنها فى النياحة لجماعة مخصوصين وترخيصه صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس رضى الله عنها فى عدم الاحداد لما قتل زوجها سيدنا جعفر بن أبى طالب حيث قال لها تسلى ثلاثا ثم اصنعى ما شئت وتجويزه التضحية بالعناق لابى بردة ولعقبة بن عامر رضى الله عنهما وزاد بعضهم ثلاثة آخرين وتزويجه صلى الله عليه وسلم لشخص امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون لاحد غيرك مهرا ولعل المراد سورة مجهولة والا فسائر ذلك ما عدا ثمنا من جواز ذلك على معين من السور

القرآنية وتزويجه صلى الله عليه وسلم أم سليم أبا طلحة رضى الله عنهما على اسلامه كما تقدم واعادة امرأة أبي ركانة اليه بعد ان طلقها ثلاثا من غير محلل وتخصيصه صلى الله عليه وسلم نساء المهاجرين بأن يرثن دون أزواجهن دون بقية الورثة وقد ألغز فى ذلك بعضهم بقوله

سلم على مفتى الانام وقل له * هذا سؤال فى الفرائض مبهم
قوم اذا ماتوا تحوز دیارهم * زوجاتهم فلغيرها لا تقسم
وبقية المال الذى قد خلفوا * يجرى على أهل التوارث منهم

وانه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم أهل البقيع فيخرجون معى ثم انتظر أهل مكة أى وفى رواية وأنا أول من تنشق عنه الارض فأكون أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى عليه الصلاة والسلام آخذ بساقة من قوائم العرش فلا أدرى ارفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله وفيه ان الاستثناء انما هو من نفخة الفزع التى هى النفخة الاولى التى تفزع بسببها أهل السموات والارض وتمر الجبال مر السحاب وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة فى البحر تضربها الامواج المعنية بقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الآية * قال صلى الله عليه وسلم والاموات يومئذ لا يعلمون بشئ من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى الله فى قوله الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء هم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه * وفيه ان هذا يقتضى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يفزعون لانهم أحياء ولم يذكرهم صلى الله عليه وسلم مع الشهداء والقياس قد يمنع لانه يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل وانه أول من يكسى فى الموقف أعظم الحلل من الجنة وانه صلى الله عليه وسلم يقوم فى المقام المحمود على يمين العرش وانه الذى يشفع فى فصل القضاء بين أهل الموقف وانه له صلى الله عليه وسلم شفاعات فى ذلك اليوم وهى أحد عشر شفاعة ذكرها فى مزيل الخفاء وانه صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد فى ذلك اليوم آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وانه خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامامهم فى ذلك اليوم كما تقدم وأول من يؤذن له فى السجود وأول من ينظر الى الرب عز وجل وانه يسجد أولا فيقول له الرب جل جلاله ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم ثانيا ثم ثالثا كذلك فيشفع * وانه أول من يفيق من الصعقة وفيه

ان نفخة الصعقة هي النفخة الثانية التي هي نفخة الموت لاهل السموات والارض الا ان يقال المراد بالصعقة هنا نفخة رابعة أثبتها ابن حزم فقد قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله وأغرب ابن حزم رحمه الله فادعى ان النفخ في الصور يقع اربع مرات وعليه تكون هذه النفخة ليست هي المذكورة في القرآن وانما تكون في الموقف بعد النفخة الثالثة التي هي نفخة البعث التي بسببها يكون القيام من القبور الى المحشر المعنية بقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذه النفخة الرابعة تسمى نفخة الصعق أيضا لان بها يحصل لجميع أهل السموات والارض في ذلك الوقت غشي وهو شبيه بالموت ويكون أول من يفيق من تلك الصعقة هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يجد موسى عليه الصلاة والسلام آخذا بقائمة من قوائم العرش ويكون قوله أنا أول من تنشق عنه الارض فاكون أول من رفع رأسه فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش من تخليط بعض الرواة وحينئذ لا يحتاج الى الجواب بانه صلى الله عليه وسلم أخبر بقوله لا أدري قبل أن أعلمه الله تعالى بانه أول من تنشق عنه الارض على الاطلاق وأن موسى عليه الصلاة والسلام سبقه الى العرش لانه صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الارض ينتظر خروج أهل البقيع ويجيء أهل مكة فليتأمل ذلك وأول من يمر على الصراط وأول من يدخل الجنة ومعه فقراء المسلمين وان له الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وقيل انه في الجنة لا يصل لاحد شيء الا بواسطته صلى الله عليه وسلم وانه لا يقرأ في الجنة الا كتابه ولا يتكلم في الجنة الا بلسانه ✱ ومما شارك فيه الانبياء في هذا القسم ان من دعاه صلى الله عليه وسلم في الصلاة تجب عليه الاجابة قولا وفعلا ولو كثيرا ولا تبطل صلاته بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من الانبياء فانها تبطل ومنه أيضا العصمة من الذنب مطلقا كبيرا أو صغيرا عمدا أو سهوا وعدم التثاؤب والاحتلام لان كلا من الشيطان ولم ير أثر لقضاء حاجته صلى الله عليه وسلم بل كانت الارض تبتلعه ويشم من مكانه رائحة المسك ✱ قال وانه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء واستشكل بما جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بأم سلمة رضي الله عنها دخل عليها في الظلمة فوطىء صلى الله عليه وسلم على ابنتها زينب فبكت فلما كانت الليلة القابلة دخل صلى الله عليه وسلم في ظلمة أيضا فقال انظروا ربائبكم لا أطأ عليها وزينب هذه ولدتها من أبي سلمة بالحبشة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهي اذ ذاك طفلة فنضح صلى الله عليه وسلم وجهها بالماء فلم يزل يرى ماء الشباب

بوجههاحتى عجزت وقاربت المائة سنة وكان صلى الله عليه وسلم ينظر من خلفه كما ينظر امامه أى وعن يمينه وعن شماله لقدحاء انى لانظر الى ماوراء ظهرى كما أنظر امامى فقيل كان له صلى الله عليه وسلم بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما لاتحجبهما الثياب وقيل كانت تنطبع صورة المحسوسات التى خلفه فى حائط قبلته كما تنطبع الصور فى المرآة وهذا يدل على أن ذلك خاص بالصلاة وهو ظاهر أكثر الروايات أى وكانت تلك الصلاة الى حائط فليتأمل وكان صلى الله عليه وسلم يرى الثريا اثنى عشر نجما وغيره لا يزيد على تسعة ولو أمعن النظر * واختصت هذه الامة المحمدية بأمور لم يشاركها فيه من قبلهم من الامم وهى أنها خير الامم وأكرم الخلائق على الله قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وفى الحديث ان الله اختار أمتى على سائر الامم وان الله ينظر اليها فى أول ليلة من رمضان وأعطيت الاجتهاد فى الاحكام وأظهر الله ذكرها فى الكتب القديمة كالتوراة والانجيل وأثنى عليها وأعطيت الصلوات الخمس أى جمعت لهم على ماتقدم وأعطيت صلاة العشاء فقد أخرج أبوداود والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال انكم فضلتم بها أى بصلاة العشاء على سائر الامم ولم تفعلها أمة قبلكم وفيه ماتقدم وأعطيت افتتاح الصلاة بالتكبير وأعطيت التأمين أى قول آمين عقب الدعاء فقد جاء أعطيت آمين ولم يعطها أحد من كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها هارون فان موسى كان يدعو ويؤمن هارون عليهما الصلاة والسلام وتقدم أن آمين عقب الفاتحة ليس من القرآن اتفاقا وأعطيت الاستنجاء بالحجر وأعطيت الاذان والاقامة والركوع فى الصلاة * وأما قوله تعالى لمريم واركعى مع الراكعين فالمراد بالركوع الخضوع كما تقدم ويلزمه أنها أعطيت فى الرفع منه سمع الله لمن حمده وفى الاعتدال اللهم ربنا لك الحمد الى آخره وأعطيت تحريم الكلام فى الصلاة دون الصوم عكس من قبلهم وأعطيت الجماعة فى الصلاة وأعطيت الاصطفاف فيها كصفوف الملائكة وأعطيت صلاة العيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر وأعطيت قصر الصلاة فى السفر والجمع بين الصلاتين فيه على ماتقدم وفى المطر والمرض على قول أختاره جمع من العلماء ومنهم والدى رحمه الله وأعطيت صلاة الخوف وصلاة شدته وأعطيت شهر رمضان على ماتقدم وأعطيت فيه أمورا منها تصفيد الشياطين وقد سئلت مافائدة تصفيد الشياطين فى رمضان مع وجود الفساد والشر وقتل النفس فيه وقد أجبت عنه بأربعة أجوبة حاصلها ان فائدة ذلك قلة الشر لانفيه بالكلية

* وقد ذكرت ذلك فى كتاب أسمانى الاخوان فى شرح غاية الاحسان وبه وكتاب ألفته فى الصوم وما يتعلق به ومنها صلاة الملائكة عليهم حتى يفطروا ومنها ان ريح فمهم بعد الزوال أطيب عند الله من ريح المسك وفيه أن هذا الاختصاص بصوم رمضان ومنها أن الجنة تزين فيه من رأس الحول الى رأس الحول وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وتفتح أبواب السماء فى أول ليلة منه ومنها انه يغفر لهم فى آخر ليلة منه وأعطيت العقيقة عن الانثى وأعطيت العذبة فى العمامة وأعطيت الوقف والوصية بالثلث عند الموت وأعطيت غفران الذنوب بالاستغفار وجعل الندم توبة وأعطيت صلاة الجمعة وأعطيت ساعة الاجابة فى يومها وأعطيت ليلة القدر وأعطيت السحور وتعجيل الفطر وأعطيت الاسترجاع عند المصيبة وأعطيت الحوقلة أى لا حول ولا قوة الا بالله وأعطيت رفع الاصر عنها ومنه وجوب القصاص فى الخطأ والمؤاخذة بحديث النفس والنسيان وما وقع عليه الاكراه وأن اجماعها حجة لانها لا تجتمع على ضلالة أى محرم وأعطيت أن اختلاف علمائها رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا والمراد بعلماء الامة المجتهدون كما أن المراد بذلك بما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابى رحمة أى وأما من بأصحابه غيرهم ممن بلغ رتبة الاجتهاد * قال بعضهم وما ذكره بعض الاصوليين والفقهاء أنه صلى الله عليه وسلم قال اختلاف أمتى رحمة لا يعرف من خرجه بعد البحث الشديد وانما يعرف عن القاسم بن محمد بلفظ اختلاف أمة محمد رحمة قال الحافظ السيوطى ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا وأن الطاعون لهم رحمة وكان على من قبلهم عذابا وأعطيت الاسناد للحديث قال ابو حاتم الرازى رحمه الله لم يكن فى أمة من الامم منذ خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام يحفظون آثار الرسل أى ويأخذها واحد عن الآخر الا فى هذه الامة أى حتى أن الواحد منهم يكتب الحديث الواحد من ثلاثين طريقا وأكثر وأن فيها الاقطاب والانجاب والاوتاد ويقال لهم العمد والابدال والاخيار والعصب فالابدال بالشام واختلفت الروايات فى عددهم فأكثر الروايات أنهم أربعون رجلا * وفى بعض الروايات أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة * وعن الفضيل بن فضالة قال الابدال بالشام فى حمص خمسة وعشرون رجلا وفى دمشق ثلاثة عشر وفى بيسان اثنان وفى رواية عن حذيفة بن اليمانى

الابدال بالشام ثلاثون رجلا على منهاج ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أربعون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام يدفع الله بهم عن أهل الارض يقال لهم الابدال وعن الحسن البصري رحمه الله لن تخلو الارض من سبعين صديقا وهم الابدال أربعون بالشام وثلاثون في سائر الارضين وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالقضاء والصبر على محارم الله والغضب في ذات الله وجاء في وصف الابدال أنهم لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم * وفي لفظ لجميع المسلمين * وعن أبي سليمان الابدال بالشام والنجباء بمصر وفي لفظ الابدال بالشام والنجباء من أهل مصر * وفي رواية عن علي كرم الله وجهه أيضا والنجباء بالكوفة والعصب باليمن والاخيار بالعراق وفي لفظ والعصب بالعراق * وعن بعضهم النقباء ثلاثمائة وسبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث أي الذي هو القطب واحد فسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سائحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فما تتم مسألته حتى يجاب وجاء عن علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نبي قط الا أعطي سبعة نجباء وزراء رفقاء وأني أعطيت أربعة عشر حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال ومصعب وأسقط الترمذي وحذيفة وأبا ذر والمقداد وأنهم أي أمته صلى الله عليه وسلم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب يمحصها الله عنهم باستغفار المؤمنين لهم وأنها أول من تنشق عنها الارض وأنها في الموقف تكون على مكان عال مشرف على الامم وأنها أول من يحاسب وأنها أول من يدخل الجنة من الامم وأن لكل منها نورين كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها تمر على الصراط كالبرق الخاطف وأنها تشفع في بعضها وأن لها ما سعت وما سعي لها وأنها اختصت عن الامم ما عدا الانبياء بوصف الاسلام على الراجح كما تقدم لانه لم يوصف بالاسلام أحد من الامم السابقة سوى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد شرفت بأن توصف بالوصف الذي توصف به الانبياء تشريفا لها وتكريما فقد قال

زيد بن أسلم أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير لم يذكر الله بالاسلام غير هذه الامة أى وما ورد مما يوهم خلاف ذلك مؤول * وقد خصت هذه الامة بخصائص لم تكن لاحد سواها الا الانبياء فقط * فمن ذلك الوضوء فانه لم يكن لأحد سواها الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا فى التوراة والانجيل وصف هذه الامة أنهم يوضؤن أطرافهم * وفى بعض الآثار افترضت عليهم أن يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الانبياء لكن تقدم فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال هذا وضوء الامم من قبلكم من توضأ مرتين آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوءى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء خليلى ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الحديث كما ترى يقتضى مشاركة الامم مع هذه الامة فى أصل الوضوء والاختصاص انما هو بالتثليث وتقدم الكلام على ذلك أى والغسل من الجنابة ففيما أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام فى وصف هذه الامة وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء قبلهم وأن منها سبعين الفا ومع كل واحد من هؤلاء السبعين الفا سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أى ومن اجلال الله تعالى توقير المشايخ منهم وأنهم اذا حضروا القتال فى سبيل الله حضرتهم الملائكة لنصرة الدين وأن الملائكة تنزل عليهم فى كل سنة ليلة القدر وتسلم عليهم وأن كل صدقاتهم فى بطونهم وأثابتهم عليها وتعجيل الثواب فى الدنيا مع ادخاره فى الآخرة كصلة الرحم فانها تزيد فى العمر ويثاب عليها فى الآخرة وما دعوا به أستجيب لهم روى الترمذى رحمه الله أعطيت هذه الامة مالم يعط أحد بقوله تعالى أدعونى أستجب لكم وانما يقال هذا للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام فى وصف هذه الامة ان دعونى أستجبت لهم فاما أن يكون عاجلا واما أن أصرف عنهم سوءا واما أن أدخرلهم فى الآخرة وشرط العلة الحائض سوى الوطء وما الحق به وهو مباشرة ما بين سرتها وركبتها وتقدم وصفهم فى الكتب القديمة بما لا ينبغى اعادته هنا لطوله

(باب ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم)

ولد له صلى الله عليه وسلم من خديجة رضى الله عنها قبل البعثة القاسم وهو أول أولاده صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى قيل عاش سنتين وقيل سنة ونصفا وقيل حتى مشى *وقيل بلغ ركوب الدابة وقيل عاش سبع ليال وهو أول من مات

من ولده قبل البعثة ثم ولدت قبل البعثة أيضا زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله عنهن وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله عنهن وقيل أكبر بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وبعض الناس ذكر رقية بعد فاطمة وبعد البعثة ولد له صلى الله عليه وسلم عبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله المذكور ولدا في بطن واحدة قبل البعثة أي وقيل اللذان ولدا في بطن واحدة قبل البعثة الطاهر والمطهر وقيل ولد له أيضا قبل البعثة في بطن واحدة الطيب والمطيب وقيل ولد له قبل البعثة عبد مناف مات هؤلاء قبل البعثة وهم يرضعون وأما عبد الله الذي ولد له بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فكان آخر الأولاد من خديجة رضي الله عنها وبهذا يظهر التوقف في قول السهيلي رحمه الله كلهم ولدوا بعد النبوة ❊ وأجاب بعضهم بأن المراد بعد ظهور دلائل النبوة وفيه أن دلائل النبوة وجدت قبل تزوجه بخديجة رضي الله عنها وعند موت عبد الله هذا قال العاص بن وائل والد عمرو بن العاصي وقيل أبو لهب قد انقطع ولده أي لا ولد له ذكر لان ما عدا الذكر عند العرب لا ذكر فهو أبتر فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ❊ أقول في مسلم عن أنس رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول الله فقال أنزل على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ولا يخفى أن هذا يقتضي أن السورة المذكورة مدنية ❊ ثم رأيت الامام النووي رجح ذلك لما ذكر ❊ وقد يقال يجوز أن يكون شانئك هو الابتر نزل بمكة وما عداه نزل بالمدينة وقد يعبر عن معظم السورة بالسورة ❊ ثم رأيته في الاتقان ذكر أن مما نزل دفعة واحدة سورا منها الفاتحة والاخلاص والكوثر ❊ ثم رأيت الامام الرافعي رحمه الله قال فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الاغفاءة وقالوا من الوحي ما كان يأتيه في النوم لان رؤيا الانبياء وحي وهذا غير صحيح لكن الاشبه أن يقال القرآن كله نزل يقظة وكأنه صلى الله عليه وسلم خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة عليه في اليقظة أي قبل ذلك ❊ وفيه أن قوله انفا لا يناسبه قال أو يحمل الاغفاء على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ثم رأيت الجلال السيوطي في الاتقان نظر في جواب الرافعي الأول بما ذكرته واستحسن الجواب الثاني ❊ وفي المواهب أن العاصي بن وائل اجتمع هو ورسول الله صلى الله عليه

[illegible] في المصحف فلما دخل [illegible]
[illegible] الابتر يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وقد كان توفي أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله
عنها أي الذكور فرد الله سبحانه وتعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك
هو الابتر أي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير أي باغضك هو الابتر أي المقطوع
عن كل خير أو المقطوع رحمه بينه وبين ولده لان الاسلام حجزهم عنه فلا توارث
بينهم فلا يقال العاص وأبو لهب لهما أولاد ذكور فالاول له عمرو وهشام
رضي الله عنهما والثاني له عتبة ومعتب رضي الله عنهما قيل وكان بين كل ولدين
لخديجة سنة وكانت رضي الله عنها تعق عن الغلام بشاتين وعن الجارية بشاة
وكانت تسترضع لهم وذكر ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في قوله تعالى يهب لمن
يشاء اناثا كلوط عليه الصلاة والسلام كان له اناث ولم يكن له ذكور ويهب لمن
يشاء الذكور كابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه لم يكن له بنت أو يزوجهم ذكرانا
واناثا كنبينا صلى الله عليه وسلم ويجعل من يشاء عقيما كيحيى وعيسى عليهما
الصلاة والسلام فانهما لم يولد لهما ولد ＊ أما زينب رضي الله عنها فتزوجها ابن
خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة شقيقتها وهو العاصي بن الربيع كما تقدم
＊ وذكر بعضهم بدل هالة هند قال وهالة صحابية وهند لا أعرف لها اسلاما
ويحتمل أن يكون أحدهما الاسم والآخر لقبا فهما واحدة وفي سنة ثمان من الهجرة
أي من ذي الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية رضي الله عنها ＊ وكان
صلى الله عليه وسلم معجبا بها لانها كانت بيضاء جميلة ولده ابراهيم وعق عنه صلى الله
عليه وسلم بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين
وأمر بشعره فدفن في الارض أي وغارت نساؤه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن
من ذلك ولا كعائشة رضي الله عنها حتى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها انظري
الى شبهه فقالت ما أرى شيأ فقال ألا ترى الى بياضه ولحمه وكانت قابلته سلمى
مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وكانت قبل ذلك مولاة عمته صلى الله عليه
وسلم صفية رضي الله عنها وهبتها له صلى الله عليه وسلم وسلمى زوجة أبي رافع رضي الله
عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعمه العباس رضي الله عنه قبل
ذلك وهبه له صلى الله عليه وسلم واسمه ابراهيم وكان قبطيا وقيل غير ذلك أعتقه
صلى الله عليه وسلم لما أخبره باسلام العباس وزوجه مولاته سلمى المذكورة
＊ وقيل كان مولى لسعيد بن العاص فورثه بنوه وهم ثمانية فأعتقوه كلهم الا واحد

خالد فانه لم يعتق نصيبه منه فكلمه صلى الله عليه وسلم أن يعتق نصيبه أو يهبه
أو يهبه منه فوهبه منه صلى الله عليه وسلم فأعتقه قيل بعد أن سأله صلى الله عليه
وسلم أبو رافع فى ذلك وبقى عقبه من أشراف المدينة وكان ولده عبد الله كاتبا وخازنا
لعلى كرم الله وجهه أيام خلافته * فخرجت الى زوجها أبى رافع فأخبرته أن مارية
قد ولدت غلاما فجاء أبو رافع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره فوهب له عبدا
وروى أبو رافع رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه
واغتسل عند كل واحدة منهن غسلا قال أبو رافع فقلت له يا رسول الله لو جعلته
غسلا واحدا قال هذا أزكى وأطيب وسمى صلى الله عليه وسلم ابنه يومئذ أى
يوم ولادته وقيل سماه سابع ولادته ودفعه لام بردة خولة بنت المنذر بن زيد
الانصارى زوجة البراء بن أوس لترضعه وأعطاها قطعة نخل فكانت ترضعه
فى بنى مازن وترجع به الى المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ينطلق اليها فيدخل
البيت ويأخذه فيقبله ثم يرجع ولما احتضر جاء صلى الله عليه وسلم فوجده فى حجر
أمه فأخذه صلى الله عليه وسلم فى حجره وقال يا ابراهيم انا لن نغنى عنك من الله شيأ ثم
ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب ونهانا عن الصياح أى وفى لفظ تدمع العين ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا انه وعد صادق وموعود جامع فان الآخر منا
يتبع الاول وجدنا عليك يا ابراهيم وجدا شديدا ما وجدناه أى وفى لفظ ولولا أنه
أمر حق ووعد صدق وأنها سبيل مأتية لحزنا عليك حزنا شديدا أشد من هذا
وانا بك يا ابراهيم لمحزونون * وفى لفظ وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون وعن سيرين
لما نزل بابراهيم الموت صرت كلما صحت أنا وأختى نهانا صلى الله عليه وسلم عن
الصياح أى ولما بكى صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أنت أحق
من علم الله حقه قال تدمع العين وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه أو لم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكنى نهيت عن صوتين أحمقين
وأخرين صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان وصوت عند
نغمة لهو وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم وذكر أنه لما مات كان صلى الله عليه
وسلم مستقبلا للجبل فقال يا جبل لو كان بك مثل ما بى لهدك ولكن انا لله وانا اليه
راجعون وصرخ أسامة رضى الله عنه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رأيتك تبكى فقال له صلى الله عليه وسلم البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان
* ولما مات ولد سليمان بن عبد الملك التفت الى ولى عهده عمر بن عبد العزيز

رضي الله عنه وقال له ابي أجد في كبدي حرة لا يدفئها الا عبرة فقال له عمر رضي الله عنه اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر والتفت الى وزيره رجاء فقال له رجاء اقضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى اربه ثم أقبل عليهما فقال لولم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعدها ولذلك قيل

في اراقة الكئيب لدمعته * ما يذهب من لوعته

وفي ارساله لعبرته * ما يعينه على سلوانه

ومات سنة عشرة من الهجرة واختلف في سنه فقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام وقيل ثمانية عشر شهرا ومات عند ظئره أم بردة وغسلته وحملته بين يديها على سرير وفي رواية غسله الفضل ابن العباس رضي الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير وفي كلام بن الاثير رحمه الله قيل ان الفضل بن العباس رضي الله عنهما غسل ابراهيم ونزل في قبره هو وأسامة بن زيد وجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر * قال الزبير ورش على قبره ماء وعلم على قبره علامة وهو أول قبر رش عليه الماء وفيه انه رش على قبر عثمان بن مظعون بالماء وهو سابق على سيدنا ابراهيم كما تقدم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم وكبر أربعا أي وقيل لم يصل عليه أي لم تقع الصلاة عليه من أحد * وفي كلام النووي رحمه الله القول بالصلاة عليه هو قول جمهور العلماء وهو الصحيح وما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنه لم يصل عليه قال ابن عبد البر رحمه الله انه غلط فقد أجمع جماهير العلماء على الصلاة على الاطفال اذا استهلوا عملا مستفيضا عن السلف والخلف وقال الامام أحمد رحمه الله في خبر عائشة رضي الله عنها انه خبر منكر جدا أي وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم الطفل يصلى عليه وجاء صلوا على أطفالكم فانه من أفراطكم * وقد جاء في المرفوع اذا استهل المولود صلى عليه وورث وورث وجاء أحق ما صليتم على أطفالكم ومن المقرر أنه اذا تعارض الاثبات والنفي قدم الاثبات على النفي ولما كسفت الشمس في ذلك اليوم قال قائل كسفت لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكسف لموت أحد ولا لحياته * وفي لفظ ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته الحديث ودفن بالبقيع وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان ابن مظعون رضي الله عنه ولقنه صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكي وهو غريب وقد احتج به بعض أئمتنا على استحباب تلقين الطفل وفي التتمة للمتولي من أئمتنا

والاصل في التلقين ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن ابراهيم قال قل الله ربي ورسول الله أبي والاسلام ديني فقيل له يارسول الله أنت تلقنه فمن يلقننا فأنزل الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * أي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره فقال يابني ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون يابنيّ قل الله ربي والاسلام ديني ورسول الله أبي فبكت الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا عمر فقال يارسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج الى تلقين مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة معه ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة يريد بذلك وقت الموت أي عند وجود الفتانين وعند السؤال في القبر فتلا النبي صلى الله عليه وسلم الآية فطابت الانفس وسكنت القلوب وشكروا الله وفيه ان هذا يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم يلقن أحدا بل ولده ابراهيم وهذا الحديث استند اليه من يقول بأن الاطفال يسألون في القبر فيسن تلقينهم وذهب جمع الى انهم لا يسألون وأن السؤال خاص بالمكلف وبه أفتى الحافظ بن حجر رحمه الله فقال والذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا ويوافقه قول النووي رحمه الله في الروضة وشرح المهذب التلقين انما هو في حق الميت المكلف أما الصبي ونحوه فلا يلقن * قال الزركشي وهو مبني على ان غير المكلف لا يسأل في قبره وذكر القرطبي رحمه الله أن الذي يقتضيه ظواهر الاخبار ان الاطفال يسألون وان العقل يكمل لهم * وذكر أن الاحاديث مصرحة بسؤال الكافر أي من هذه الآية ويخالفه قولهم حكمة السؤال تمييز المؤمن من المنافق الذي كان يظهر الاسلام في الدنيا وأما الكافر الجاحد فلا يسأل قال الفاكهاني ان الملائكة لا يسألون قال بعضهم ووجهه ظاهر فان الملائكة انما يموتون عند النفخة الاولى أي فلم يبق منهم من يقع منه السؤال * وأما عذاب القبر فعام للمسلم والكافر والمنافق فعلم الفرق بين فتنة القبر وعذابه وهو ان الفتنة تكون بامتحان الميت بالسؤال وأما العذاب فعام يكون ناشئا عن عدم جواب السؤال ويكون عن غير ذلك * وقد اختص نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما ذاك الا ان الانبياء قبل نبينا

كان الواحد منهم اذا أتى أمته وأبوا عليه أخر لهم ونزل وحلوا بالعذاب وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث رحمة بتأخير العذاب ولما أعطاه الله السيف دخل في دينه قوم مخافة من السيف فيقيض الله فتاني القبر ليستخرجا بالسؤال ما كان في نفس الميت فيثبت الله المسلم ويزل المنافق وفي بعض الآثار تكرر السؤال في المجلس الواحد ثلاث مرات وفي بعضها ان المؤمن يسأل سبعة أيام والمنافق أربعين يوما أي قد يقع ذلك وفي بعض الآثار فتانى القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان * وفي بعضها الثلاثة انكر ونكير ورومان وقيل منكر ونكير يكونان للمنافق ومبشر وبشير للمؤمن ونقل الحافظ السيوطي عن شيخه الجلال البلقيني رحمهما الله ان السؤال يكون بالسريانية واستغربه وقال لم أره لغيره * وفي كلام الحافظ السيوطي لم يثبت في التلقين حديث صحيح ولا حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين ولهذا ذهب جمهور الائمة الى ان التلقين بدعة وآخر من افتى بذلك العز بن عبد السلام وانما استحسنه ابن الصلاح وتبعه النووي نظرا الى ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال وحينئذ فقول الامام السبكي حديث تلقين النبي صلى الله عليه وسلم لابنه ليس له أصل أي صحيح أو حسن وقال صلى الله عليه وسلم في حق ابراهيم ان له ظئرا تتم رضاعه * وفي رواية ان له ظئرين يكملان رضاعه في الجنة. وقال لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطي وفي لفظ لاعتقت القبط وما استرق قبطي قط وفي لفظ مارق له خال قال بعضهم معناه لو عاش فرآه اخواله القبط لاسلموا فرحا به وتكرمة له فوضعت الجزية عنهم لانها لا توضع على مسلم ومعنى الثاني اذا أسلموا وهم احرار لم يجر عليهم الرق لان الحر المسلم لا يجري عليه الرق وذكر ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كلم معاوية في أن يضع الخراج عن أهل بلد مارية وهي حفنة بالحاء المهملة واسكان الفاء وبالنون قرية من قرى الصعيد ففعل معاوية ذلك رعاية لحرمتهم أي وقال النووي رحمه الله وأما ماروى عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام في المغيبات ومجازفة وهجوم على بعض الزلات * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكأنه لم يظهر له وجه تأويله وهو ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع أي وكان اللائق به ان يكون نبيا وان لم يكن ذلك ثم رأيت الجلال السيوطي رحمه الله نقل عن الاستاذ أبي بكر بن فورك وأقره أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم ووقف على قبره وقال يابني ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب انا لله وانا اليه راجعون وكنى به

صلى الله عليه وسلم فقد جاءه جبريل عليه السلام قال له السلام عليك يا أبا ابراهيم ان الله قد وهب لك غلاما من أم ولدك مارية وأمرك ان تسميه ابراهيم فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك في الدنيا والآخرة زاد الحافظ الدمياطي رحمه الله فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك أقول وسبب اطمئنانه صلى الله عليه وسلم بذلك ان مأبورا كان يأوي اليها ويأتي اليها بالماء والحطب فاتهمت به وقال المنافقون علج يدخل على علجة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا كرم الله وجهه ليقتله فقال له علي كرم الله وجهه يا رسول الله اقتله أو أرى فيه رأيي فقال بل ترى رأيك فيه فلما رأى السيف بيد علي كرم الله وجهه تكشف وفي لفظ فاذا هو في ركي يتبرد فقال علي كرم الله وجهه أخرج فتناوله يده فأخرجه فاذا هو مجبوب أي ممسوح فكف عنه علي كرم الله وجهه ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أصبت ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب أي وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه السلام المذكور فالمراد مزيد الاطمئنان وفي كلام بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على مارية رضي الله عنها وهي حامل بولده ابراهيم فوجد عندها من ذكر فوقع في نفسه شيء فخرج صلى الله عليه وسلم وهو متغير اللون فلقيه عمر رضي الله عنه فعرف الغيظ في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية رضي الله عنها وهو عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه فاذا هو مجبوب فلما رآه عمر رضي الله عنه رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ألا أخبرك يا عمر ان جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن الله برأها ونزهها مما وقع في نفسي وبشرني ان في بطنها غلاما مني وانه أشبه الخلق بي وأمرني ان أسميه ابراهيم وكناني بأبي ابراهيم ولولا اني أكره ان أحول كنيتي التي تكنيت بها لتكنيت بأبي ابراهيم والله أعلم أي وفي النور اني لا أعرف في الصحابة خصيا الا هذا وشخصا آخر يقال له سندر رآه مولاه يقبل جارية له فخصاه وجدعه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه سيده وفي كلام بعضهم عد ابن منده وأبو نعيم مابورا في الصحابة وقد غلطا في ذلك فانه لم يسلم ومازال نصرانيا ومنه أي بسببه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله عنه

(باب ذكر أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم)

أعمامه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر وهم الحارث وهو أكبر أولاد جده عبد المطلب وبه كان يكنى وشقيقه قثم وقد هلك صغيرا وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة

وهؤلاء الثلاثة أشقاء لعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الحارث لا شقيق له وحمزة وشقيقاه المقوم بفتح الواو وكسرها مشددة وحجل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيرة والحجل السقاء الضخم أي وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على الجيم وهو في الاصل الخلخال والعباس وشقيقه ضرار وقد تقدم ان أم العباس رضي الله عنه أول من كست الكعبة الحرير وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب وقيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده أي لانه كان أجود قريش وأكثرها طعاما ومالا * وذكر بعضهم في أعمامه العوام وعماته صلى الله عليه وسلم ست وهن أم حكيم وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وهؤلاء الخمسة اشقاء لعبد الله والده صلى الله عليه وسلم وصفية أي وهي شقيقة حمزة ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا البعثة الا حمزة والعباس وحكي اسلام أبي طالب وقد تقدم ما فيه ولم يسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف الا صفية أي وهي أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت أي وماتت في خلافة عمر رضي الله عنه قيل وأسلمت عاتكة التي هي صاحبة الرؤيا يوم بدر وقيل واروى قال بعضهم والمشهور ان عاتكة لم تسلم

(باب ذكر أزواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم)

لا يخفى أن أزواجه صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنا عشر امرأة خديجة رضي الله عنها وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت أبي هالة بن زرارة التيمي وقيل كانت تحت عتيق بن عائذ المخزومي أولا ثم تحت أبي هالة كما تقدم وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب أي ليس فيه رفع صوت ولا تعب أي من درة مجوفة فقد جاء أنها قالت له يا رسول الله هل في الجنة قصب فقال انه من لؤلؤ مجبى بالجيم والموحدة مشددة أي مجوف وخصوصيتها رضي الله عنها بهذا البيت لانها أول من بنى بيتا في الاسلام بتزوجها برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء من كسى مسلما على عري كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق جزاء وفاقا * وعن عائشة رضي الله عنها ما غرت على أحد ما غرت على خديجة رضي الله عنها ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له صلى الله عليه وسلم يوما * وقد مدح خديجة رضي الله عنها ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيرا منها فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقنا منها الولد وحرمته من غيرها واتفق له صلى الله عليه وسلم أنه أرسل لحما لامرأة

قتنا ولد صلى الله عليه وسلم ودفعه لآخريدفعه لها فقالت له عائشة رضي الله عنها لم تحرز يدك فقال ان خديجة أوصتني بها فقالت عائشة لكأنما ليس في الارض امرأة الا خديجة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا فلبث ماشاء الله ثم رجع فاذا أم رومان أم عائشة رضي الله عنهما فقالت يارسول الله مالك ولعائشة انها حديثة السن وأنت أحق من يتجاوز عنها فأخذ بشدق عائشة رضي الله عنها وقال ألست القائلة كأنما ليس على وجه الارض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بي اذ كفر بي قومك ورزقت منها الولد وحرمتموه ثم سودة بنت زمعة أي وأمها من بني النجار لانها بنت أخي سلمى بن عبد المطلب كما تقدم ثم أم عبد الله عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما اكتنت بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فصار يقال لها أم عبد الله كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت فما زلت أكنى به أي وكان يدعوها أماً لانه رضي الله عنه تربى في حجرها ويقال انها أتت منه صلى الله عليه وسلم بسقط أي وسمي عبد الله قال الحافظ الدمياطي ولم يثبت كما تقدم وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال وهي بنت سبع سنين وبنى صلى الله عليه وسلم بها وهي بنت تسع سنين أي في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح كما تقدم وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها أريتك في النوم مرتين أرى ملكا يحملك في سرقة أي شقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف فأراك فأقول ان كان من عند الله يمضه وقبض صلى الله عليه وسلم عنها وهي بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها وقبض صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجرها ودفن في بيتها كما سيأتي وماتت وقد قاربت سبعا وستين سنة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه بالبقيع وقيل سعيد بن زيد ودفنت به ليلا وذلك في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية وكان مروان استخلف أبا هريرة رضي الله عنه لما ذهب الى العمرة في تلك السنة ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهي شقيقة عبد الله بن عمر وأسن منه وأمها زينب أخت عثمان بن مظعون وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة رضي الله عنه توفي عنها بجراحة أصابته ببدر وقيل بأحد وهو غلط لما سيأتي من أن تزوجه صلى الله عليه وسلم لها في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين ﴿ أقول وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين

وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وقيل ماتت لما بويع معاوية سنة احدى وأربعين والله أعلم وطلقها صلى الله عليه وسلم وقيل فى سبب طلاقها انه صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها فاستأذنت فى زيارة ابيها أى وقيل فى زيارة عائشة لانهما كانتا متصادقتين أى بينهما المصافاة فأذن لها فأرسل صلى الله عليه وسلم الى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة فأبصرت مارية مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت له انى رأيت من كان معك فى البيت وغضبت وبكت أى وقالت يارسول الله لقد جئت الى شىء ماجئت به الى أحد من نسائك فى يومى وفى بيتى وعلى فراشى ❊ فلما رأى صلى الله عليه وسلم فى وجهها الغيرة قال لها اسكتى فهى حرام على أبتغى بذلك رضاك وفى رواية أما ترضين أن أحرمها على نفسى ولا أقربها أبدا قالت بلى وحلف أن لا يقربها أى قال انها حرام ❊ وفى رواية قد حرمتها على ومع ذلك أخبرك أن أباك الخليفة من بعد أبى بكر فاكتمى على وفى رواية قال لها لا تخبرى بما أسررت اليك وأخبرت بذلك عائشة رضى الله عنهما فقالت قد أراحنا الله من مارية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها على نفسه وقصت عليها القصة وقيل خلا صلى الله عليه وسلم بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على قد حرمت مارية على نفسى وأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين بينهما المصافاة كما تقدم فطلقها وأنزل الله عند تحريم مارية قوله تعالى يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أى أوجب عليكم كفارة كفارة أيمانكم لان الكفارة تحل ما عقدته اليمين لان هذا ليس من الايمان أى واطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على أن حفصة قد نبأت عائشة بما أسره اليها من أمر مارية وأمر الخلافة فلما أخبر صلى الله عليه وسلم عائشة ببعض ما أسره لها وهو أمر مارية وأعرض عما أسره اليها من أمر الخلافة خوفا أن ينتشر ذلك فى الناس قالت عائشة من نبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ❊ ومن ثم كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول والله ان خلافة أبى بكر وعمر لفى كتاب الله ثم يقرأ هذه الآية ولما أفشت حفصة رضى الله عنها سره صلى الله عليه وسلم طلقها كما تقدم فجاءه جبريل عليه السلام يأمره براجعتها لانها صوامة قوامة وأنها احدى زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الجنة وفى رواية تأتى راجعها رحمة لعمر

وقيل هم صلى الله عليه وسلم بتطليقها ولم يفعل فقد جاء عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة وعليه فيراد بالمراجعة المصالحة والرضى عنها كما يأتى ※ قال فى الينبوع وهذا هو المشهور وسيأتى ما يدل على صحته أى والذى سيأتى قول عمر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم لما اعتزل نساءه يارسول الله أطلقتهن قال لا وفيه أن هذا كان عند طلاقهن منه صلى الله عليه وسلم النفقة وهذه الواقعة غير تلك وقيل فى سبب نزول الآية غير ذلك ※ وفى البخارى فى سبب نزول الآية عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فتواطئت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له صلى الله عليه وسلم أكلت مغافير أى أجد منك ريح مغافير فدخل على حفصة رضى الله عنها فقالت له ذلك فقال لها لا ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لاتخبرى بذلك أحدا أى لأنه صلى الله عليه وسلم لايحب أن يظهر منه ريح كريهة لان المغافير صمغ العوسج من شجر الشام كريه الريح وعن عمر رضى الله عنه أن امرأته راجعته فى شىء فأنكر عليها مراجعتها فقالت له عجبا لك يا ابن الخطاب ماتريد أن تراجع وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقام عمر رضى الله عنه فدخل على حفصة رضى الله عنها فقال لها يابنية أنك لتراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقالت له حفصة والله انا لنراجعه فقلت تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم يابنية لايغرنك هذه التى أعجبها حسنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أياها يريد عائشة قال ثم دخلت على أم سلمة لقرابتى منها فكلمتها فقالت يا ابن الخطاب دخلت فى كل شىء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فأخذتنى والله أخذا كسرنى عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها فاذا أنا فى منزلى فجاءنى صاحب لى من الانصار وأخبرنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه فقلت رغم انف حفصة وعائشة فأخذت ثوبى وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو فى مشربة له يرقى اليها بعجلة وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشربة وينحدر منها عليه وغلام له أسود يقال له رباح على رأس العجلة فقلت له قل له هذا عمر بن الخطاب فأذن لى أى بعد أن قال له يارباح استأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات

وفى كل مرة ينظر رباح الى المشربة ولا يرد له جوابا وفى الثالثة رفع عمر رضى الله عنه صوته وأومأ اليه أن ارق فال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصت عليه القصة فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم وراى أن هذا كان عندا جتماعهن عليه فى النفقة لاجل معاتبة الله اياه بسبب الحديث الذى أفشته حفصة ويحتمل أنه لاجتماع الامرين * وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن اسال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المرأتين من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى فيهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة أى فان الله خاطبهما بقوله ان تتوبا الى الله أى فهو خير لكما فقد صغت قلوبكما أى مالتا عما يجب عليكما من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتغاء مرضاته ثم استقبل الحديث قال كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نسائهم فصخبت على امرأتى فراجعتنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم لتراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعنى ذلك منهن فدخلت على حفصة فقلت لها أتغاضب احداكن النبى صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله بغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكى لا تستكثرى النبى صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه فى شئ ولا تهجريه وسلى ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى النبى يريد عائشة فأخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا فدخلت على حفصة فاذا هى تبكى فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبى صلى الله عليه وسلم قالت لا أدرى ها هو معتزل فى المشربة أى الغرفة فانه صلى الله عليه وسلم لما عاتبه الله سبحانه بسبب الحديث الذى أفشته حفصة على عائشة حلف لا يدخل على نسائه شهرا فصار صلى الله عليه وسلم يتغذى ويتعشى وحده فى تلك المشربة فجئت المشربة فقلت لغلام اسود استأذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمته وذكرتك له فصمت فانصرفت ثم غلبنى ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع الى فقال ذكرتك له فصمت فرجعت ثم غلبنى ما أجد فجئت الغلام ثم قلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع الى فقال ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا اذا الغلام يدعونى فقال قد أذن لك النبى

صلى الله عليه وسلم قد دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت له وأنا قائم يارسول الله أطلقت نساءك فرفع بصره الى فقال لا فقلت الله أكبر كنا معاشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة فاذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلت يارسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته صلى الله عليه وسلم تبسم * وفي رواية أن عمر رضي الله عنه لما بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة حثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر وقد يراد بالمراجعة المصالحة والرضى فلا ينافي ما تقدم أنه لم يطلقها وانما أراد ذلك ويدل له ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة * ومن هذا وما يأتي يعلم أنه صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه * واما القول بأنه لم يظاهر أبدا خلافا لمن زعمه أي وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب اعتزاله صلى الله عليه وسلم لنسائه في المشربة أنه شجر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين حفصة أمر فقال لها اجعلي بيني وبينك رجلا قالت نعم قال فأبوك اذا فأرسل الى عمر فجاء فلما دخل عليهما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم تكلمي فقالت بل أنت يارسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر رضي الله عنه يده فوجأ في وجهها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد الى الغرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيأ من نسائه ونزلت آية التخيير * وقد يقال لا مانع من اجتماع هذا السبب مع ما تقدم ويروى أن سبب نزول آية التخيير أن نساءه صلى الله عليه وسلم اجتمعن عليه وسألنه النفقة ولم يكن عنده شيء فآلى أن لا يجتمع بهن شهرا وصعد المنبر الحديث * وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لهم قال فأذن لابي بكر رضي الله عنه فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم حوله نساؤه أي

قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله عنه لأقولن شيأ
أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت فلانة يعني زوجته
سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال من
حولي كما ترى ليسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه الى عائشة فوجأ عنقها
وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ليس عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمع بهن شهرا
وفي رواية أخرى عن عمر رضي الله عنه أنه ذكر أن بعض اصدقائه من الانصار جاء
اليه ليلا ودق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا
جاءت غسان لأنا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فقال لا بل أعظم من ذلك
وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت
كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على
حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري
هو ذا معتزلا في هذه المشربة أي لان نساءه صلى الله عليه وسلم لما اجتمعن عليه
صلى الله عليه وسلم في طلب النفقة اقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة
موجدته عليهن قال عمر رضي الله عنه لاقولن من الكلام شيأ اضحك به النبي
صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له صلى الله عليه وسلم اسود فقلت له استأذن
لعمر فدخل الغلام ثم خرج وقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المسجد
فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج
الي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت
مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت
يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا
معاشر قريش نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم
فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فتكلمت فلانة يعني زوجته فراجعتني فانكرت عليها
فقالت تنكر ان راجعتك فوالله لقد رأيت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
يراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر
أفأمن احداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت
الى حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره
احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن

احدا كن أن يغضب الله عليها الغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتسأليه شيأ وسلى مابدالك ولايضرنك ان كانت جارتك أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعنى عائشة رضى الله عنها فتبدتم أخرى فقلت استأذن يارسول الله قال نعم فجلست وقلت يارسول الله قد أثر فى جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لايعبدون الله فاستوى صلى الله عليه وسلم جالسا * وقال افى شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر الله يارسول الله فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه فى قوله تعالى ياأيها النبى قل لازواجك الآية فنزل ودخل على عائشة رضى الله عنها فقالت له يارسول الله أقسمت أن لاتدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن فقال صلى الله عليه وسلم ان الشهر تسع وعشرون * وفى رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير باصابع يديه * وفى الثالثة حبس ابهامه ثم قال صلى الله عليه وسلم ياعائشة انى ذاكر لك أمرا عليك أن لاتعجلى * وفى رواية انى أعرض عليك أمرا أحب أن لاتعجلى فيه حتى تستأمرى أبو بكر قالت وماهو يارسول الله فقرأ ياأيها النبى قل لازواجك الآية قلت أفى هذا استأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة * وفى رواية أفيك يارسول الله استشير أبوى بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت رضى الله عنها ثم قلت له لاتخبر امرأة من نسائك بالذى قلت لك فقال صلى الله عليك وسلم لاتسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا ثم فعل بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت عائشة رضى الله عنهن * ثم زينب بنت خزيمة رضى الله عنها وهى أخت ميمونة لامها كانت تدعى أى فى الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم أى كما سمى صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه بأبى المساكين لحبه لهم وجلوسه عندهم وتحدثه معهم واحسانه اليهم رضى الله عنه كانت قبله تحت الطفيل بن الحارث فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث فقتل يوم بدر شهيدا فخطبها صلى الله عليه وسلم فجعلت أمرها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها اثنى عشر أوقية ونشا أى وذلك على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهر وفى لفظ أن عبيدة بن الحارث قتل عنها يوم أحد فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أنها كانت تحت عبدالله بن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال فى المواهب وهو أصح * وعن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته فى تور فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمى وهى تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ادع لى فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لى من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس ما عددهم قال كانوا ثلاثمائة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول اذكروا الله وليأكل كل رجل مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لى يا أنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أوحين رفعت وكثت عنده صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر وقيل شهران أو ثلاثة ثم توفيت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنت بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها ولم يمت من أزواجه صلى الله عليه وسلم فى حياته الا هى وخديجة رضى الله عنهما * ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد زينب هذه أم سلمة واسمها هند وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند أبى سلمة رضى الله عنه عبد الله بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وكانت هى وهو أول من هاجر الى الحبشة على ما تقدم فلما مات أبو سلمة رضى الله عنه قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلى الله أن يؤجرك فى مصيبتك ويخلفك خيرا فقالت ومن يكن خيرا من أبى سلمة ولما اعتدت أم سلمة رضى الله عنها أرسل صلى الله عليه وسلم يخطبها مع حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه أى وكان خطبها أبو بكر رضى الله عنه فأبت فلما جاءها حاطب قالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له انى امرأة مسنة وانى أم أيتام أى لانها رضى الله عنها كان معها الاربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة وانى شديدة الغيرة فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول لها أما قولك انى امرأة مسنة فأنا أسن منك ولا يعاب على المرأة ان تتزوج أسن منها وأما قولك انى أم أيتام فانه كلهم على الله وعلى رسوله وأما قولك انى شديدة الغيرة فانى أدعو الله أن يذهب ذلك عنك أى وفيه انهم قالوا يا رسول الله الا تتزوج من نساء الانصار قال ان فيهن غيرة شديدة * وفى لفظ أنها قالت زيادة على ما تقدم ليس لى ههنا أحد من أوليائى فيزوجنى فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أما ما ذكرت من غيرتك فانى أدعو الله أن يذهبها عنك وأما ما ذكرت من صبيتك فان الله

سيكفيهم وأما ماذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجه أي على متاع منه رحى وحفنة وفراش حشوه ليف وقيمة ذلك المتاع عشرة دراهم وقيل أربعون درهما قالت فتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلني بيت زينب أم المساكين رضي الله عنها بعدان ماتت فاذا جرة فيها شيء من شعير واذا رحى وبرمة وقدر وكعب أي ظرف الادم فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الكعب فأدمته فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه وماتت أم سلمة رضي الله عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبوهريرة رضي الله عنه وقيل سعيد بن زيد وغلط قائله * وذكر بعضهم ان تزويج ولدها لها رضي الله عنهما انما كان بالعصوبة لانه كان ابن ابن عمها * ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد أم سلمة رضي الله عنها زينب بنت جحش رضي الله عنها وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم زينب أي خشي أن يقال خرج من عند برة وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند مولاه زيد ابن حارثة رضي الله عنهما ثم طلقها فلما انقضت عدتها زوجه الله اياها أي لانه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة يخطبها له صلى الله عليه وسلم قال زيد فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيأ حتى أوامر ربي عزوجل فأنزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن فكانت رضي الله عنها تفتخر بذلك على نسائه صلى الله عليه وسلم وتقول ان الله أنكحني اياه من فوق سبع سموات وهذا يرد ماقيل ان أخاها أبا أحمد بن جحش زوجها منه صلى الله عليه وسلم قال في النور ويمكن تأويل تزويج أخيها اياها أي وقد ذكر مقاتل رحمه الله أن زيد بن حارثة رضي الله عنهما لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله اخطب علي قال له من قال زينب بنت جحش قال لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نفسا فقال يارسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس علي فعلت فقال صلى الله عليه وسلم انها امرأة لسنا فذهب زيد رضي الله عنه الى علي كرم الله وجهه فحمله على أن يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال اني فاعل ذلك ومرسلك يا علي الى أهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد بأمره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك

فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم وأقضي ان تنكروه فأنكروه وساق لهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة امداد من التمر اعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولم عليها واطعم المساكين خبزا ولحما أى وتزوجها صلى الله عليه وسلم هلال ذى القعدة سنة أربع من الهجرة على الصحيح وهى بنت خمس وثلاثين سنة وقيل نزلت فى ذلك اليوم آية الحجاب فانه صلى الله عليه وسلم لما دعا القوم وطعموا وتهيأ صلى الله عليه وسلم للقيام فلم يقوموا * فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس فلم يدخل وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية وتكلم فى ذلك المنافقون وقالوا محمد حرم نساء الاولاد وقد تزوج امرأة ابنه أى لان زيد بن حارثة كان يقال له بن محمد أى لانه صلى الله عليه وسلم كان تبناه كما تقدم فأنزل الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأنزل ادعوهم لآبائهم فمن حينئذ كان يقال له رضى الله عنه زيد بن حارثة كما تقدم وهى أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به ماتت رضى الله عنها بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى فان عمر رضى الله عنه أرسل الى زينب رضى الله عنها بالذى لها من العطاء فسترته بثوب وأمرت بتفرقته فكان خمسة وثمانين درهما ثم قالت اللهم لا تدركنى عام العمر بعد عامى هذا فماتت وهى أول من حمل على نعش اقية أى بعد فاطمة رضى الله عنها فلا يخالف ما سبق مما ظاهره انه فعل لها ذلك * وفى كلام بعضهم أن زينب هذه أول من حمل على نعش وقيل أول من حمل على نعش فاطمة رضى الله عنها وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى حقها هى التى كانت تساوينى فى المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين واتقى لله واصدق فى حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب رضى الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها انها لأواهة فقال رجل يا رسول الله ما الأواه قال الخاشع المتضرع وهى أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم بعض نسائه أينا أسرع بك لحوقا قال أطولكن يدا فاخذن قصبة يذرعونها وفى لفظ عن عائشة رضى الله عنها كنا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا فى الجدار نتطاول فكانت سودة رضى الله عنها أطولهن فلما ماتت زينب رضى الله عنها أى وكانت امرأة قصيرة علمنا أن المراد طول اليد بالصدقة لانها

كانت تعمل وتصدق لا الجارحة وما في البخاري من أنها سودة قال ابن الجوزي
غلط من بعض الرواة والعجب من البخاري رحمه الله كيف لم ينبه عليه ولا علم
بفساد ذلك الخطأ فانه قال لحوق سودة به صلى الله عليه وسلم من اعلام النبوة وكل
ذلك وهم والغلط زينب فانها كانت أطولهن يدا بالعطاء وجمع الطيبي رحمه الله
بأنه يمكن أن يقال ان سودة رضي الله عنها أول نسائه صلى الله عليه وسلم موتا التي
اجتمعن عند موته وكانت زينب رضي الله عنها غائبة وفيه أن في رواية أن نساء
النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعن عنده لم يغادر منهن واحدة أي فقد قال له بعضهن
* وفي لفظ قلن له أينا أسرع لحوقا بك يا رسول الله وقد قال الامام النووي أجمع
أهل السير على أن زينب رضي الله عنها أول من مات من أزواجه صلى الله عليه وسلم
بعده * ثم جويرية رضي الله عنها بنت الحارث من بني المصطلق سبيت في غزوة بني
المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق فأدى عليه الصلاة
والسلام عنها ذلك وتزوجها وقيل جاء أبوها فافتداها ثم نكحها رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما تقدم وقيل انها كانت بملك اليمين فاعتقها صلى الله عليه وسلم
وتزوجها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية أي لما تقدم
وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسافع بن صفوان وتقدم عن
عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت جويرية عليها ملاحة وحلاوة لا يكاد
يراها أحد الا وقعت بنفسه وكانت بنت عشرين سنة أي وتوفيت في المدينة سنة
ست وخمسين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو والي المدينة يومئذ وقد بلغت
سبعين سنة ثم ريحانة بنت يزيد من بني النضير * وقيل من بني قريظة وكانت قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجل من بني قريظة يقال له الحكم * قال الحافظ
الدمياطي رحمه الله ولذلك ينسبها بعض الرواة الى بني قريظة وكانت جميلة وسيمة
وقعت في سبي بني قريظة فكانت صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فاعتقها وتزوجها
وأصدقها اثنى عشر أوقية ونشا * وقيل كانت موطوءة له صلى الله عليه وسلم
بملك اليمين أي فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها
ويتزوجها وبين ان تكون في ملكه وعليه فتكون من السراري لا من الزوجات
* قال الحافظ الدمياطي والاول أي انها زوجة أثبت عند أهل العلم وقال العراقي
ان الثاني أي كونها سرية اضبط ودخل بها صلى الله عليه وسلم بعد ان حاضت
حيضة أي وذلك في بيت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية سنة ست من الهجرة

وغارت عليه صلى الله عليه وسلم غيرة شديدة فطالقها فأكثرت البكاء فراجعها صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد لاقول بأنها كانت زوجة قيل ماتت مرجعه صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ودفنها بالبقيع * ثم أم حبيبة رضي الله عنها وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله عنهما وهي بنت عمة عثمان بن عفان هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى وهي ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت في حجره رضي الله عنها وتنصر عبيد الله بن جحش هناك وثبتت هي على الاسلام رضي الله عنها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي رحمه الله فزوجه صلى الله عليه وسلم اياها وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار أي والذي تولى عقد النكاح خالد بن سعيد بن العاصي على الاصح وكانت وكلته في ذلك وهو ابن عم أبيها وقيل الذي تولى عقد النكاح عثمان ابن عفان رضي الله عنه * وقيل كان الصداق أربعة آلاف درهم وجهزها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل ابن حسنة في سنة سبع وقيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعليه يحمل ما في كلام العامري ان النبي صلى الله عليه وسلم جدد نكاح أم حبيبة رضي الله عنها بنت أبي سفيان رضي الله عنه تطييبا لخاطره * ثم صفية بنت حيي رضي الله عنها سيدتي النضير قتل مع بني قريظة كما تقدم وكانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة ابن أبي الحقيق وقتل عنها يوم خيبر وتقدمت قصة قتله في خيبر ولم تلد لاحد منهما واصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها لانه لما جمع سبي خيبر جاءه دحية الكلبي رضي الله عنه فقال يارسول الله اعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية رضي الله عنها فقيل يارسول الله انها سيدة بني قريظة والنضير لاتصلح الالك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبي غيرها فجمعها وجهزتها له أم سليم رضي الله عنها واهدتها له من الليل * وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة سنة فأولم صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق * وفي لفظ لما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يأتي بالاقط وجعل الرجل يأتي بالتمر وجعل الرجل يأتي بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال كانت صفية عاقلة فاضلة ودخل عليها صلى الله عليه وسلم يوما وهي تبكي فقال لها ما في ذلك فقالت بلغني أن عائشة وحفصة

ينالان مني و يقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم قولي لهن كيف تكن خيرا مني وأبي هارون وعمي موسى
عليهما الصلاة والسلام وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم أي فهي بنت نبي و زوج
نبي ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرا في وجهها فسألها عن ذلك فقالت
رأيت كأن القمر وقع في حجري فذكرت ذلك لأبي وتقدم في رواية أنها ذكرت ذلك
لزوجها كنانة فضرب وجهي ضربة أثرت في هذا الاثر وقال انك لتمدين عنقك
الى أن تكوني عند ملك العرب ولا مانع من تعدد الواقعة فقد قال في النور لعلهما
فعلا بها ذلك وتقدم في رواية انها رأت الشمس وقعت على صدرها وتقدم أنه يجوز
تعدد الرؤية أو انها رأت الشمس والقمر في وقت واحد وفي زمن خلافة عمر رضي
الله عنه أتت جارية لها الى عمر رضي الله عنه فقالت له يا أمير المؤمنين ان صفية تحب
السبت وتصل اليهود فسألها عمر رضي الله عنه فقالت أما السبت فاني لا أحبه
منذ أبدلني الله به الجمعة * وأما اليهود فان لي فيهم رحما فأنا أصلها ثم قالت
للجارية ما حملك على ما صنعت قالت الشيطان قالت اذهبي فأنت حرة قال الحافظ
الدمياطي رحمه الله ماتت في رمضان سنة خمسين وقيل سنة اثنين وخمسين
ودفنت بالبقيع وخلفت ما قيمته مائة ألف درهم من أرض وعرض وأوصت لابن
أختها بثلثها وكان يهوديا * وذكر الرافعي رحمه الله عن امامنا الشافعي رضي
الله عنه انها أوصت لأخيها وكان يهوديا بثلاثين ألفا أي وهذا لا يعارض ما ذكر
لانه يجوز أن يكون من روى عنه امامنا لم يعتبر ما زاد على الثلاثين الذي هو تتمة
الثلث وهو ثلاثة وثلث لان ثلث المائة ثلاثة وثلاثون وثلث أو ان القائل أوصت
بثلثها تجوز وأطلق على الثلاثين ثلثا * ثم ميمونة رضي الله عنها بنت الحارث
وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة زوجها له صلى الله عليه وسلم عمه
العباس رضي الله عنه وهي خالة ابنه عبد الله بن عباس وأختها أسماء بنت عميس
وسلمى بنت عميس وزينب بنت خزيمة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد رضي الله
عنه وكانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو ففارقها فخلف عليها أبو رهم فتوفي
عنها فتزوجها صلى الله عليه وسلم وهو محرم أي كما عليه جمهور علماء المدينة
في عمرة القضاء وفي الهدى يشبه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم
خلافا لابن عباس ووهمه في ذلك قال لان السفير بينهما في النكاح وهو أبو رافع
اعلم بالقصة وهو رجل بالغ وابن عباس كان سنه نحو عشر سنين قال ولا يخفى أن
مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وكان ذلك سنة سبع وأقام صلى الله عليه وسلم

بمكة ثلاثا وبنى بها بسرف بعد أن أحل على ما تقدم وماتت سنة احدى وخمسين
على الاصح وبلغت ثمانين سنة ودفنت بسرف الذى هو محل الدخول بها اهـ والحاصل
أن جملة من خطبه صلى الله عليه وسلم من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم يعقد عليه
ومنهن من عقد عليه وهذا القسم أيضا منه من دخل به ومنه من لم يدخل به
* وفى لفظ جملة من عقد عليه ثلاث وعشرون امرأة والذى دخل به منهن اثنتا
عشرة غير المدخول بها غزية وهى أم شريك العامرية وهذه قبل دخوله بها
طلقها ولم يراجعها وهناك أم شريك السلمية أخرى وهى خولة أو خويلة ولم يدخل
بها وهناك أم شريك ثالثة وهى الغفارية وأم شريك رابعة وهى الانصارية
واختلف فى الواهبة نفسها فقيل ميمونة وقيل أم شريك غزية وقيل أم شريك
خولة التى لم يدخل بها ورجح القول الثانى الحصنى حيث اقتصر عليه فى كتاب
المؤمنات فقال ومنهن أم شريك واسمها غزية وهى التى وهبت نفسها النبى صلى
الله عليه وسلم فلم يقبلها على ما قاله الاكثرون فلم تتزوج حتى مات عليه الصلاة
والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى قلب أم شريك الاسلام وهى بمكة
فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن للاسلام وترغبهن فيه
حتى ظهر أمرها لاهل مكة فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا
نسيرك اليهم قالت فحملونى على بعير ليس تحتى شيء ثم تركونى ثلاثا لا يطعمونى
ولا يسقونى وكانوا اذا نزلوا منزلا أوقفونى فى الشمس واستظلوا فبينما هم قد نزلوا
منزلا وأوقفونى فى الشمس اذا أنا بأبرد شيء على صدرى فتناولته فاذا هو دلو من
ماء فشربت قليلا ثم نزع منى ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد ثم رفع
مرارا فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى فلما استيقظوا
اذا هم بأثر الماء على ثيابى فقالوا انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت لا
والله ولكنه كان من الامر كذا وكذا فقالوا ان كنت صادقة لدينك خير من
ديننا فلما نظروا الى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت
الى النبى صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها * قال
وفى ذلك أن من صدق فى حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه أتاه
الفتوحات من الغيب هذا كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم أرجأ من نسائه
خمسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة وآوى اليه أربعا عائشة وزينب
وأم سلمة وحفصة وهؤلاء التسعة مات عنهن صلى الله عليه وسلم وقد نظمهن
بعضهم فقال

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

ومن جملة التى لم يدخل به النبي صلى الله عليه وسلم التى ماتت من الفرح لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى عز أخت دحية الكلبى رضى الله عنهما التى ماتت قبل دخوله بها * ومن جملتهن سودة القرشية التى خطبها صلى الله عليه وسلم فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة وقيل ستة فقال لها خيرا * ومن جملتهن التى تعوذت منه صلى الله عليه وسلم فقالت أعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله منه وفى لفظ عذت بعظيم وفى لفظها بذ الله * وفى كلام بعضهم أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم خفن أن تغلبهن عليه لجمالها فقلن لها انه صلى الله عليه وسلم يعجبه اذا دنا منك أن تقولى له أعوذ بالله منك فلما دنا منها قالت أعوذ بالله منك * وفى رواية قلن لها ان أردت أن تحظى عنده فتعوذى بالله منه فلما دخل عليها قالت له أعوذ بالله منك فصرف صلى الله عليه وسلم وجهه عنها وقال ما تقدم وطلقها وأمر أسامة رضى الله عنه فمتعها بثلاثة أثواب * وفى لفظ أتى أبو أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية أى أسماء بنت النعمان بن أبى الجون الكندية فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت تعال أنت وفى رواية فقال هبى نفسك فقالت تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى صلى الله عليه وسلم بيده اليها لتسكت فقالت أعوذ بالله منك قال عذت بمعاذ فخرج فقال يا أبا أسيد اكسها رازقين وألحقها بأهلها وهذا هو المشهور وروى هذا الخبر عن أسيد بن أبى أسيد قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرأة يتزوجها من بلجون أى من بنى الجون فجئت بها فأنزلتها بالشعب فى اجم ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول جئتك بأهلك فأتاها صلى الله عليه وسلم فأهوى اليها ليقبلها فقالت أعوذ بالله منك الحديث ومن جملتهن التى اختارت الدنيا وقيل التى كانت تلتقط البعر هى المستعيذة منه * ومن جملتهن قتيلة بضم القاف وفتح التاء المثناة فوق بنت قيس أخت الاشعث بن قيس الكندى زوجه اياها أخوها وهى بحضرموت ومات صلى الله عليه وسلم قبل قدومها عليه وأوصى صلى الله عليه وسلم بأن تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وان شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله

عنه فقال هممت أن أحرق عليها بيتها فقال له عمر رضي الله عنه ما هي من أمهات المؤمنين ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم ما تزوجت شيأ من نسائي ولا زوجت شيأ من بناتي الا بوحي جاءني به جبريل عليه السلام من ربي عز وجل أي وهمه صلى الله عليه وسلم أن خديجة رضي الله عنها تزوجها قبل نزول الوحي أي وقد ألف في أزواجه صلى الله عليه وسلم الحافظ الدمياطي جزأ فليطلب وكذا ألف فيهن الشمس الشامي * وأما سراريه صلى الله عليه وسلم فأربع مارية القبطية أم ولده سيدنا ابراهيم وريحانة على ما تقدم ونفيسة جارية وهبتها له صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنها وأخرى اسمها زليخة القرظية

(باب ذكر المشاهير من خدمه صلى الله عليه وسلم من الاحرار)

فمن الرجال أنس بن مالك الانصاري رضي الله عنه كان من أخص خدامه صلى الله عليه وسلم خدمه من حين قدم المدينة الى وفاته صلى الله عليه وسلم عشر سنين كما تقدم فعن أنس رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة يعني زوج أمه بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر وتقدم في بعض الروايات أن ابتداء خدمته له صلى الله عليه وسلم كان عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ومات وقد جاوز المائة * وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان صاحب سواكه ونعله صلى الله عليه اذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه اياهما واذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم وكان رضي الله عنه يمشي بالعصا أمامه صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الحجرة أي * ومعيقيب الرومي رضي الله عنه كان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم * وعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه كان صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم يقودها في الاسفار وكان عالما بكتاب الله عز وجل وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها وأتى امة ولي مصر لمعاوية رضي الله عنهما وتوفي بها وصرف عنها بسلمة بن مخلد رضي الله عنه * وأسقع بن شريك صاحب راحلته صلى الله عليه وسلم كان رضي الله عنه يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أسقع قم فارحل فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء فسكت صلى الله عليه وسلم وجاءه جبريل عليه السلام بآية التيمم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسقع فتيمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين

فقمت وتيممت ثم رحلت له ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى مر بماء فقال لى يا أسقع أمس هذا جلدك * وتقدم أن سبب نزول آية التيمم ضياع عقد عائشة رضى الله عنها فى بعض الغزوات * وبلال مؤذنه صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله عنه على نفقاته وهو مولى أبى بكر رضى الله عنه لانه الذى اشتراه وهو يعذب فى الله وأعتقه كما تقدم * ومن النساء أمة الله بنت رزينة وخولة ومارية أم الرباب ومارية جدة المثنى بن صالح وقيل التى قبلها

(باب ذكر المشاهير من مواليه صلى الله عليه وسلم)

الذين أعتقهم فمن الرجال زيد بن حارثة رضى الله عنهما كما تقدم أن خديجة رضى الله عنها وهبته له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فتبناه صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ابن محمد فلما نزل أدعوهم لآبائهم أى وقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية قيل له زيد بن حارثة كما تقدم وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه أسامة وأخو أسامة لامه أيمن بن أم أيمن بركة الحبشية رضى الله عنهم وأبو رافع * كان قبطيا وكان للعباس رضى الله عنه فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم ولما أسلم العباس وبشر أبو رافع رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه * وشقران كان حبشيا وقيل فارسيا وكان لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم * وثوبان وأنجشة اشتراه صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية وأعتقه وكان رضى الله عنه يحدو بالنساء وقال له صلى الله عليه وسلم وقد حدا بهن رويدا رويدا يا أنجشة رفقا بالقوارير أى النساء لان الحداء اذا سمعته الابل أسرعت فى المشى فترتج الراكب والنساء يضعفن من شدة الحركة وشبههن صلى الله عليه وسلم فى ضعفهن بالقوارير وهى الاوانى من الزجاج * ورباح كان اسود * ويسار كان نوبيا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قتله العرنيون وقد تقدم أن هذا غير يسار الذى كان دليل الامرية غالب بن عبد الله الليثى الى الميفعة وسفينة وكان اسود وكان لام سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم فأعتقته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش وكان اسمه مهران وقيل رومان وقيل غير ذلك وانما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانه حمل أمتعة الصحابة رضى الله عنهم ثقلت عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احمل فانما أنت سفينة قال رضى الله عنه فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين الى أن عد سبعة ما ثقل على وقيل لانه انكسرت به السفينة فى البحر فركب لوحا من ألواحها فنجى * وذكر أن البحر ألقاه على اجمة

سبيع فأقبل نحوه فقال له يا أبا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى وضربني بمنكبيه ثم مشى امامي حتى أقامني على الطريق ثم همهم وضربني بذنبه فرأيت أنه يودعني وقيل انما وقع له ذلك لما أضل الجيش الذى كان فيه بأرض الروم * وسلمان الفارسى رضى الله عنه أى لانه صلى الله عليه وسلم هو الذى أدى عنه نجوم كتابته وفى كونه كان رقيقا ماتقدم أى والخصى الذى أهداه له المقوقس الذى هو مأبور المتقدم ذكره وآخر يقال له سندر وفى كلام بعضهم أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه أربعين رقبة ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين التى أهديت له صلى الله عليه وسلم مع مارية أى وتقدم أنها أختها * وذكر بعضهم أن سيرين هذه وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله عنه وتقدم أن المقوقس أهدى معهما قيسر وأنها أخت مارية وسيرين فهم الثلاثة اخوة وتقدم أنه أهدى اليه صلى الله عليه وسلم رابعة

(باب ذكر المشاهير من كتابه صلى الله عليه وسلم)

فقد ذكر بعضهم أن كتابه صلى الله عليه وسلم كانوا ستة وعشرين كاتبا على ما ثبت عن جماعة من ثقات العلماء وفى الفية السيرة للعراقى أنهم كانوا اثنين وأربعين منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملى عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفى لفظ كان يقول أكتب كذا فأقول أكتب كذا فيقول أكتب كيف شئت ونزل فيه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أى ثم لما كان يوم الفتح وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله فر الى عثمان ابن عفان رضى الله عنه لانه كان أخاه من الرضاعة أرضعت أمه عثمان فغيبه عثمان رضى الله عنه ثم جاء به بعدما اطمأن الناس واستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن حوله ماصمت الا لتقتلوه الى آخر ما تقدم ثم أسلم وحسن اسلامه ودعا الله تعالى ان يختم عمره بالصلاة فمات ساجدا فى صلاة الصبح وقيل بعد التسليمة الاولى * وقيل الثانية وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامر بن فهيرة رضى الله عنهم أى وعبد الله بن الارقم وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم قال عمر فى حقه ما رأيت أخشى لله منه * وأبى بن كعب رضى الله عنه وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الانصار بالمدينة كان فى أغلب أحواله يكتب الوحى وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يكتبون فى عهده عليه الصلاة والسلام * وثابت بن

قيس بن شماس و زيد بن ثابت ومعاوية ابن أبي سفيان أي وأخوه يزيد * قال بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت رضي الله عنهما ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتعلم بالسريانية قال لاني لا آمن يهود على كتابي فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له صلى الله عليه وسلم اليهم واقرأ له كتبهم والمغيرة بن شعبة والزبير ابن العوام * وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمي وعمرو بن العاصي وعبد الله بن رواحة أي ومحمد ابن مسلمة وعبد الله ابن عبد الله بن أبي بن سلول

(باب يذكر فيه حراسه صلى الله عليه وسلم)

قبل ان ينزل عليه قوله تعالى والله يعصمك من الناس سعد بن معاذ حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة يوم بدر أي الليلة التي صبيحتها ذلك اليوم وفي ذلك اليوم لم يحرسه صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر الصديق رضي الله عنه شاهرا سيفه حتى نام بالعريش * وفي كلام بعضهم ان سعد بن معاذ رضي الله عنه كان مع أبي بكر رضي الله عنه في العريش يحرسانه صلى الله عليه وسلم في بدر ومحمد بن مسلمة رضي الله عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم أحد والزبير بن العوام رضي الله عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه حرسه يوم الحديبية وأبو أيوب الانصاري رضي الله عنه حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة بنى بصفية ببعض طرق خيبر وبلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس رضي الله عنهم حرسوه صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أي وحرسه صلى الله عليه وسلم ابن أبي مرثد الغنوي في الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة حنين حيث قال صلى الله عليه وسلم الا رجل يحرسنا الليلة فقال انا يا رسول الله فدعا له صلى الله عليه وسلم وبعد نزول الآية وهي والله يعصمك من الناس ترك الحرس

(باب يذكر فيه من ولي السوق زمنه صلى الله عليه وسلم)

وتصدق هذه الولاية الآن بالحسبة ومتوليها المحتسب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل سعد بن سعيد بن العاصي بعد الفتح على سوق مكة واستعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سوق المدينة

(باب يذكر فيه من كان يضحكه صلى الله عليه وسلم)

منهم نعيمان كان صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى نعيمان لا يتمالك نفسه ان يضحك لانه كان مزاحا وتقدم عنه ويأتي أيضا ما وقع بينه وبين سليط أو سويبط ومنهم الذي

كان يجد فى الحمر واسمه عبد الله ويلقب بالحمار

(باب يذكر فيه أمناء رسول الله صلى الله عليه وسلم)

منهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه وكذا أبو أسيد بن أسيد الساعدى كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نسائه وهو آخر من مات من أهل بدر رضى الله عنهم وكان ممن أبصر الملائكة يوم بدر وكف بصره وبلال المؤذن رضى الله عنه كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نفقاته ومعيقب كان أمينه صلى الله عليه وسلم على خاتمه الشريف

(باب يذكر فيه شعراؤه صلى الله عليه وسلم)

الذين كانوا يناضلون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش حسان بن ثابت وعبد الله

(ابن رواحة وكعب بن مالك رضى الله عنهم أجمعين)

(باب يذكر فيه من كان يضرب الاعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم)

وهم على كرم الله وجهه والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم وعاصم ابن ثابت أى والضحاك بن سفيان رضى الله عنه ولعل المراد من كان يتكرر منه ذلك فلا ينافى ما تقدم فى قصة الحارث بن سويد انه قال لعويم ابن ساعدة رضى الله عنه اضرب عنقه

(باب يذكر فيه مؤذنوه صلى الله عليه وسلم)

وهم بلال وابن أم مكتوم رضى الله عنهما بالمدينة وسعد القرظ مولى عمار بن ياسر رضى الله عنهما بقباء وقيل له القرظ لاتجارة فيه ومن قال القرظى فقد أخطأ وأبو محذورة رضى الله عنه بمكة أى وأذن بين يديه صلى الله عليه وسلم زياد بن الحارث الصداءى أى كما تقدم وقد يقال مراد الاصل من تكرر أذانه فلا يرد هذا وكذا لا يرد عبد العزيز بن الاصم فانه أذن أيضا بين يديه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة

(باب يذكر فيه العشرة المبشرون بالجنة)

وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهم أجمعين وقد نظم ذلك بعضهم فى بيت فقال

لقد بشرت بعد النبى محمد * بجنة عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر * وطلحة والزهرى والخلفاء

أى وربما أسقط بعضهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وذكر بدله عبد الله بن مسعود

رضى الله عنه وهو غريب جدا

(باب يذكر فيه حواريه صلى الله عليه وسلم)

بالحاء المهملة أى أنصاره الذين اشتهروا بهذا الوصف وهم الخلفاء الاربعة وحمزة وجعفر وأبو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير وهو أكثرهم شهرة بهذا الوصف بل هو المراد عند اطلاق حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(باب يذكر فيه سلاحه)

صلى الله عليه وسلم كان له صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة ومن الدروع سبعة ومن القسى ستة ومن الاتراس ثلاثة ومن الرماح اثنان ومن الحراب ثلاثة ومن الخوذ اثنان * فأما السيوف فسيف يقال له مأثور بهمزة ساكنة ثم ثاء مثلثة ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقدم به المدينة أى ويقال انه من عمل الجن * وسيف يقال له العضب أى القاطع أرسل به اليه سعد بن عبادة رضى الله عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بدر وسيف يقال له ذو الفقار كان فى وسطه مثل فقرات الظهر غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كان للعاص بن وائل قتل يوم بدر كافرا وكانت قائمته وقبيعته بفتح القاف وكسر الموحدة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وحلقته باسكان اللام وفتحها وعلاقته بكسر العين فضة وكان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم فى حرب من الحروب * ويقال ان أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة * وسيف يقال له الصمصامة بفتح الصاد المهملة واسكان الميم كان مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو بن معدى كرب أهداه صلى الله عليه وسلم لخالد بن سعد بن العاص حيث استعمله صلى الله عليه وسلم على اليمن * وسيف يقال له القلعى بفتح اللام نسبة الى برج القلعة موضع بالبادية * وسيف يقال له الحتف بفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحت ساكنة وهو المرسب وهذه الثلاثة من سلاح بنى قينقاع مثلث النون * وسيف يقال له الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملة ثم واو ساكنة ثم موحدة أى يرسب ويستقر فى الضريبة وهو أحد السيوف فى التسعة التى أهدتها بلقيس لسليمان عليه الصلاة والسلام * وسيف يقال له المخذم بكسر الميم ثم خاء ساكنة ثم ذال معجمة مفتوحة القاطع وهما كانا معلقين على صنم طى الذى يقال له الفلس * وسيف يقال له القضيب من قضب الشىء قطعه فعيل بمعنى فاعل أى قاطع وأما الدروع فدرع يقال لها ذات الفضول بضم الفاء والضاد المعجمة لطولها أرسل بها اليه صلى الله عليه وسلم

سعد بن عبادة رضي الله عنه حين سار الى بدراى وكانت من حديد وهي التي رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعا من الشعير وكان الدين الى سنة ودرع يقال لها ذات الوشاح بكسر الواو وبالشين المعجمة شفعة وفي آخره حاء مهملة * ودرع يقال لها ذات الحواشي ودرع يقال لها السغدية بالدال والسغد موضع يصنع به الدروع قال في النور والذي أحفظه في هذه الدرع السغدية بضم السين المهملة وبالغين المعجمة الساكنة ثم دال مهملة مفتوحة *ودرع يقال لها الفضة ويقال لها السعدية بالعين المهملة مفتوحة وهما من دروع بني قينقاع يقال انها درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت كما تقدم *ودرع يقال لها البتراء بفتح الموحدة ثم مثناة فوق ساكنة ممدودة قيل لها ذلك لقصرها ودرع يقال لها الخرنق بالخاء المعجمة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون مكسورة ثم قاف قيل لها ذلك لنعومتها وأما القسي فقوس يقال لها البيضاء من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه القسي وهو من سلاح بني قينقاع وقوس يقال لها الروحاء وقوس يقال لها الصفراء من نبع وهو شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه لسهام كسرت يوم أحد * وقوس يقال لها الزوراء ويقال لها الكتوم لانخفاض صوتها اذا رمي عنها قيل وهي التي اندقت سيتها يوم أحد أي وقوس يقال لها السداد *وأما الاتراس فترس يقال لها الزلوق لان السلاح يزلق عنه وترس يقال لها الفتق بضم الفاء وفتح التاء المثناة فوق وبالقاف *وترس يقال لها تمثال عقاب أو كبش فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه فذهب *وأما الرماح فرمح يقال لها المثوى ورمح يقال لها المثوى بضم الميم واسكان الثاء المثلثة وكسر الواو من الثوى وهو الاقامة لان المطعون به يقيم موضعه ولا ينتقل أي وثلاث رماح أصابها من سلاح بني قينقاع يقال لأحدها المثني بضم الميم واسكان الثاء المثلثة ثم نون مفتوحة وفي الاصل المثني بتقديم النون على الثاء * وأما الحراب فحربة يقال لها النبعة وحربة يقال لها البيضاء وحربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة قيل جاء بها الزبير رضي الله عنه من أرض الحبشة أعطاها له النجاشي رحمه الله وقاتل بها بين يدي النجاشي عدو النجاشي وظهر النجاشي على ذلك العدو وشهد بها الزبير رضي الله عنه بدرا وأحدا وخيبر ثم أخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر وكانت تحمل بين يديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد يحملها بلال رضي الله عنه وتركز بين يديه صلى الله عليه وسلم ويصلي اليها وكذا كان يصلي اليها في أسفاره أي وكان صلى الله عليه وسلم يمشي بها وهي

في يده * ورابعة يقال لها المهر وخامسة يقال لها الثمر وكان له صلى الله عليه وسلم محجن طوله قدر ذراع أو أكثر يسير يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره يسمى الذقن كان له رأس منعقة كالصولجان * وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب من شوحط يسمى الممشوق قيل وهذا القضيب هو الذي كانت تتداوله الخلفاء انتهى * أي وكان له صلى الله عليه وسلم مخصرة بكسر الميم واسكان الخاء المعجمة وفتح الصاد وهي ما يمسكه بيده من عصى أو مقرعة تسمى العرجون ويقال لها العسيب * وأما الخود جمع خودة وهي ما يجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة فخودة يقال لها الموشح بالميم وبالشين المعجمة مشددة مفتوحة والحاء المهملة وخودة يقال لها السبوغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة أو ذات السبوغ

(باب يذكر فيه خيله وبغاله وحمره صلى الله عليه وسلم)

كان له صلى الله عليه وسلم سبعة أفراس وكان له بغال ست وكان له من الحمر اثنان وكان له من الابل المعدة للركوب ثلاثة فأما أفراسه صلى الله عليه وسلم ففرس يقال له السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة جريه وهي أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابي بعشرة أواق وكان اسمه عند الاعرابي الضرس أي بفتح الضاد وكسر الراء وبالسين المهملة الصعب السيء الخلق وكان أغر أي له غرة وهي بياض في وجهه محجلا طلق اليمين كميتا أي بين السواد والحمرة وقال ابن الاثير كان اسود أدهم وفرس يقال لها المرتجز أي سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وكان أبيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بأنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من صاحبه بعد ان أنكر بيعه له وقال له ائت بمن يشهد لك فجعل شهادة خزيمة بشهادتين بعد ان قال له صلى الله عليه وسلم كيف شهدت ولم تحضر فقال لتصديقي اياك يارسول الله وان قولك كالمعاينة فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ذو الشهادتين فسمي ذا الشهادتين ثم قال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة أو شهد عليه فهو حسبه لكن جاء أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس على الاعرابي وقال لابارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة برجلها أو فرس يقال له اللحيف بالحاء المهملة واللام المضمومة فعيل بمعنى فاعل لانه كان يلحف الارض بذنبه لطوله أي يغطيها * وقيل لانه كان يلتحف معرفته وقيل هو بضم اللام مصغرا وقيل بالخاء المعجمة مع فتح اللام وهو الاكثر وهذا الفرس اهداه له صلى الله عليه وسلم فروة بن عمرو من أرض البلقاء بالشام وفرس يقال له لزاز أي اهداه له المقوقس كما تقدم مأخوذ من قولهم

لا زرته أى لا صقته فكان يلحق بالمطلوب لسرعته وقيل غير ذلك * وفرس يقال له الظرف أى بكسر الطاء المهملة وسكون الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل وفرس يقال له الورد وهو بين الكميت والاشقر اهداه له صلى الله عليه وسلم تميم الدارى رضى الله عنه واهداه صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه وفرس يقال لها سبحة أى بفتح السين واسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أى سريع الجرى هذا هو المشهور وعد بعضهم فى خيله صلى الله عليه وسلم غير ذلك فأوصل جملتها الى خمسة عشر بل الى عشرين وقد ذكر الحافظ الدمياطى اسماء الخمسة عشر فى سيرته وقال فيها وقد ذكرناها وشرحناها فى كتابنا كتاب الخيل وكان سرجه صلى الله عليه وسلم دفتان من ليف قال لم يكن شئ أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم قميصه فقيل له يا رسول الله تمسح بكم قميصك فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام عاتبنى فى الخيل * وفى رواية فى الفرس أى فى امتهانها وفى رواية فى سياستها وقال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة انتهى * أى وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قام الى فرسه الظرف فعلق عليه شعيره وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح ظهره بردائه فقيل له يا رسول الله تمسح ظهره بردائك فقال نعم وما يدريك لعل جبريل عليه السلام أمرنى بذلك * وعن بعضهم قال دخلت على تميم الدارى رضى الله عنه وهو أمير بيت المقدس فوجدته ينقى لفرسه شعيرا فقلت أيها الامير ماكان لهذا غيرك فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى لفرسه شعيرا ثم جاء به حتى يعلقه عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة وكان صلى الله عليه وسلم يضمر الخيل للسباق فيأمر باضمارها بالحشيش اليابس شيأ بعد شئ ويأمر بسقيها غدوة وعشيا ويأمر أن يقودها كل يوم مرتين ويوجد منها الجرى الشوط والشوطان * وأما بغله صلى الله عليه وسلم فبغلة شهباء يقال لها دلدل اهداها له المقوقس كما تقدم والدلدل فى الاصل القنفذ * وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وهذه أول بغلة ركبت فى الاسلام وفى لفظ رؤيت فى الاسلام وكان صلى الله عليه وسلم يركبها فى المدينة وفى الاسفار وعاشت حتى ذهبت اسنانها فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها على كرم الله وجهه الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضى الله عنه وركبها بعد على ابنه الحسن ثم الحسين رضى الله عنهما ثم محمد ابن الحنفية رحمه الله * وسئل ابن الصلاح

رحمه الله هل كانت انثى أو ذكرأو الشاه للوحدة فأجاب بالاول قال بعضهم واجماع أهل الحديث على أنها كانت ذكرا وماهارجل بسهم فقتلها * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الى زوجته أم سلمة فأتيته بصوف وليف ثم فتلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لدلدل رسنا وعذارا ثم دخل البيت فأخرج عباءة فثناها ثم ربعها على ظهرها ثم سمى وركب ثم اردفنى خلفه وبغلة يقال لها فضة اهداها له عمرو ابن عمرو الجذامى كانقدم ووهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه أى وأوصلها بعضهم الى سبعة وفى مزيل الخفاء وفى سيرة مغلطاى كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضة والتى أهداها له ابن العلماء أى بفتح العين المهملة واسكان اللام وبالمد فى غزوة تبوك والايلية وبغلة أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشى هذا كلامه وعقبة ابن عامر رضى الله عنه كان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود به فى الاسفار وتوفى بمصر ودفن بقرافتها وقبره معروف بها وكان واليها من قبل معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان ثم صرف عنها بمسلمة بن مخلد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته مدة من الليل فقال انخ فانخت ونزل عن راحلته ثم قال اركب فقلت سبحان الله اعلى مركبك يارسول الله وعلى راحلتك فأمرنى فقال اركب فقلت له مثل ذلك ورددت ذلك مرارا حتى خفت أن أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ذكره فى الامتاع * وأما حمره صلى الله عليه وسلم فحمار يقال له يعفور وحمار يقال له عفير بالعين المهملة وقيل بالمعجمة وغلط قائله وكان أشهب ومات فى حجة الوداع والاول اهداه له فروة بن عمرو الجذامى وقيل المقوقس والثانى أهداه له المقوقس وقيل فروة ابن عمرو كذا فى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله والعفرة هى الغبرة أى وأوصل بعضهم حمره صلى الله عليه وسلم الى أربعة وتقدم أن يعفورا وجده صلى الله عليه وسلم فى خيبر وانه يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم طرح نفسه فى بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وتقدمت قصته ومافيها * وأما ابله صلى الله عليه وسلم التى كان يركبها فناقة يقال لها القصواء وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهى التى كانت لاتسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه * وفى رواية أن الناس لم يرفعوا شيأ من الدنيا الا وضعه الله عزوجل ويقال ان هذه العضباء

لم تأكل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تشرب حتى ماتت وقيل ان هذه التي كانت لا تسبق ثم سبقت هي القصواء وكانت العضباء يتسبق بها صاحبها الذي كانت عنده الحاج ومن ثم قيل لها سابقة الحاج وقيل ان هذه الثلاثة اسم لناقة واحدة وهو المفهوم من الاصل وهو موافق في ذلك لابن الجوزي رحمه الله حيث قال ان القصواء هي العضباء وهي الجدعاء وقيل القصواء واحدة والعضباء والجدعاء واحدة * وفي كلام بعضهم * واما البقر فلم ينقل انه صلى الله عليه وسلم ملك شيأ منها أي للقنية فلا ينافي انه صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر * واما غنمه صلى الله عليه وسلم فقيل مائة وقيل سبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله عنها وجاء اتخذوا الغنم فانها بركة * وكان له صلى الله عليه وسلم شاة يختص بشرب لبنها وماتت له صلى الله عليه وسلم شاة فقال مافعلتم باهابها قالوا انها ميتة قال دباغها طهورها واقتنى صلى الله عليه وسلم الديك الابيض وكان يبيت معه في البيت وقال الديك الابيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي والله يحرس دار صاحبه وعشرا عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وقد جاء اتخذوا الديك الابيض فان دارا فيها ديك أبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر ولا الدويرات حولها فاتخذوا هذا الحمام المقاصيص في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم * وفي العرائس أن آدم قال يارب شغلت بطلب الرزق لاأعرف ساعات التسبيح من أيام الدنيا فاهبط الله ديكا وأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم عليه السلام من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح ممن في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه

(باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الظاهرة)

وان شاركه فيها غيره قال قد خلق الله تعالى أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام سليمة من العيب حتى صلحت لحلول الانفس الكاملة وهم في ذلك متفاوتون ونبينا صلى الله عليه وسلم أصح الانبياء مزاجا وأكملهم جسدا * وعن أنس رضي الله عنه مابعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وصوتا انتهى * وكانت صفاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة لاتدرك حقائقها والى هذا يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

تقدم بعض صفته صلى الله عليه وسلم في خبر أم معبد رضي الله عنها ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان ضخم الهامة أي الرأس ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه

كان فخما مفخما أي عظيما في الصدور والعيون يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر * قال كان في وجهه تدوير ليس بالمطهم ولا المكلثم * وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وفي رواية تخرج من وجهه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج انتهى أقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين مشددة ثم موحدة على وزن معظم البائن الطويل في نحافة وأطول من المربوع قال وعن علي كرم الله وجهه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة القوم والممغط المتناهي في الطول والمتردد المجتمع الخلق أي القصير جدا لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فارقه رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب للربعة أي لا طويل ولا قصير عظيم الهامة * أي وفي رواية ضخم الرأس رجل الشعر اذا انفردت عقيصته وفي لفظ عقيقته وهي الشعر المعقوص فرق أي اذا انفرقت من ذات نفسها فرقها أي ابقاها مفروقة والا تركها معقوصة أي تركها وعلى حالها لم يفرقها لم يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره * قال أي جعله وفرة وحاصل الاحاديث أن شعره صلى الله عليه وسلم وصف بأنه جمة ووصف بأنه وفرة وبأنه لمة وفسرت اللمة بالشعر الذي ينزل عن شحمة الاذن والجمة بالذي ينزل على المنكبين قال بعضهم كان شعره صلى الله عليه وسلم يقصر ويطول بحسب الاوقات فاذا غفل عن تقصيره وصل الى منكبيه واذا قصره تارة ينزل عن شحمة أذنه وتارة لا ينزل عنها وجاء في وصف شعره صلى الله عليه وسلم ليس بجعد ولا قطط أي بالغ في الجعودة ولا رجل سبط أي بالغ في السبوطة فلا ينافي ما جاء عن علي كرم الله وجهه كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبطا وعن أم هانئ رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم أربع غدائر أي ضفائر تخرج أذنه اليمنى من بين ضفيرتين وأذنه اليسرى كذلك قال ابن القيم رحمه الله لم يحلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف الا أربع مرات انتهى أزهر اللون أي أبيض مشرب بحمرة أي وهي المراد بالسمرة * وفي رواية كان أسمر ومن ثم جاء في رواية كان بياضه صلى الله عليه وسلم الى سمرة لان العرب قد تطلق على من كان كذلك أي بياضه الى حمرة أسمر ومن ثم جاء ليس بالابيض الامهق أي شديد البياض الذي لا يخالط حمرة كلون الجص وعن علي كرم الله وجهه ليس أبيض شديد الوضح

وفي رواية شديد البياض ولا معارضة لانه محمول على ما كان من جسده تحت الثياب ومن ثم جاء أنور المتجرد وهو ما كشف عنه الثوب من البدن وقيل المراد بالامهق الاخضر فقد قيل ان المهق خضرة الماء ولا بالادم أي بشديد الادمة واسع الجبين * أي وفي رواية مفاض الجبين أي واسعه وفي رواية كان جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم صلتا أي أملس وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلى الجبين كأنه السراج المتوقد يتلألأ * أزج الحاجبين سوابغ من غير قرن أي بين حاجبيه فرجة وهو البلج أي والقرن بالتحريك اتصال شعر الحاجبين وورد مقرون الحاجبين أي شعرهما متصل بالآخر لا حاجز بينهما ولا منافاة لان ذلك يجوز أن يكون بحسب الرائي لان الفرجة التي كانت بين حاجبيه يسيرة لا تبين الا ان دقق النظر بينهما عرق يدره الغضب أي اذا غضب امتلأ ذلك العرق ما فيظهر ويرتفع أقنى العرنين أي سائله مرتفع وسطه أي وفي وسطه أحديداب وفي رواية دقيق العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم أي مرتفعا أدعج العينين أي شديد سواد العينين * وفي كلام بعضهم الدعج سواد العين ويقابله الاشهل وهو من في سواد عينيه حمرة وقد جاء أشهل العينين وأشكل العينين أي في بياض عينه صلى الله عليه وسلم حمرة وكانت في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم كما تقدم * أي وفي رواية أنجل العينين أي واسعهما أهدب الاشفار أي طويل هدب شعر العينين أي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أكحل العينين والكحل سواد هدب العين خلقة وعن جابر رضي الله عنه اذا نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل أي في عينيه كحل وليس بالكحل سهل الخدين أي وفي رواية أسيل الخدين أي ليس في خديه نتوء وارتفاع ضليع الفم أي واسعه أشنب أي في ريقه برد وعذوبة مفلج الاسنان أي مفرق ما بين الثنايا كما في رواية أفلج الثنيتين لان الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات * وفي رواية براق الثنايا كان اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه يفتر عن مثل حب الغمام أي اذا ضحك بانت أسنانه كالبرد وعن أبي هريرة رضي الله عنه حسن الثغر وعن أنس رضي الله عنه شممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهته صلى الله عليه وسلم كث اللحية أي كثير شعرها * وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيف اللحية وكان يسرحها بالماء وكان له صلى الله عليه وسلم مشط من العاج وهو الذبل * وقيل شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية ويقال لعظم الفيل عاج أيضا أي وليس مرادا هنا أي وكان له مقراض أي مقص يقص به أطراف شاربه وفي

المشكاة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يأخذ من شاربه فليس منا ✻ أي وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ بالقراض من عرض لحيته وطولها وقد لا ينافي ذلك ماجاء أمرني ربي باعفاء لحيتي وقص شاربي وقال من الفطرة قص الاظفار والشارب وحلق العانة وكان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه حتى كأن ثيابه ثياب زيات أودهان ✻ أي وفي لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القناع حتى يرى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيات أودهان وليس في شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعن أنس رضي الله عنه أن شيب لحيته صلى الله عليه وسلم كان في عنفقته وصدغيه متفرقا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عرف من مجموع الروايات أن الذي شاب في عنفقته صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب في غيرها وقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها فقال له أبو بكر رضي الله عنه ما أخواتها يارسول الله قال الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت واقتربت الساعة ✻ وفي رواية شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت واقتربت الساعة وقال صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة ولعل شيبه صلى الله عليه وسلم لم يخضب وقيل كان يخضب بالحناء والكتم وقال صلى الله عليه وسلم أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم ونهى صلى الله عليه وسلم عن الخضاب بالسواد وقد تقدم ضليع الفم أي واسعه وهو مما تمدح به العرب وتذم بصغر الفم غاض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة دقيق المسربة بفتح الميم واسكان السين ثم راء مضمومة وهو الخيط الشعر الذي بين الصدر والسرة كأن عنقه جيد دمية هي صورة تتخذ من العاج في صفاء الفضة ✻ أي وعن علي كرم الله وجهه كان عنقه ابريق فضة معتدل الخلق بادنا متماسكا أي ذو لحم متماسك يمسك بعضه بعضا ليس بمسترخي اللحم سواء البطن والصدر أي مستويهما عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس وهي عظام رؤس العظام أي ملتقى كل عظمين كالركبتين والمنكبين والركبتين موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة وهو النحر والسرة بشعر يجري كالخط وهو المعبر عنه فيما سبق بدقيق المسربة عاري الثديين والبطن وما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين أي عظم الذراعين رحب الراحة أي واسعها ✻ قال أنس رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل الاصابع أي طويلها شثن الكفين

والقدمين أي يميلان الى العاط وذلك ممدوح في الرجال مذموم في النساء أي وكانت سبابة قدميه صلى الله عليه وسلم أطول من الوسطى قال ابن دحية رحمه الله وهذا باطل بيقين ولم يقله أحد من ثقات المسلمين أي وانما كان ذلك في أصابع قدميه صلى الله عليه وسلم وهو في ذلك الكثير من الناس * وفي رواية منهوس بالمهملة والمعجمة العقب أي قليل لحم القدمين سبط العظام أي ممتدها لا نتوء فيها وفي رواية سبط العصب وهو كل عظم فيه مخ خمصان الاخمصين بضم وعنه ما الماء أي يتجافا أخمص القدم وهو وسطه أي شديد التجافي عن الارض مسيح القدمين أي أملسهما وهذا يوافق ما جاء في رواية اذا وطيء بقدمه وطيء بكلها ليس له أخمص اذا زال زال تقلعا أي يرفع رجله بقوة ويخطو تكفؤا أي يتمايل الى قدامه *وقيل يمينا وشمالا كالمختال ولا يذم الا من تكلفه لا من كان ذلك جبلة له ويمشي هونا أي برفق ووقار دون عجلة ذريع المشية أي واسعها اذا مشى كأنما ينحط من صبب أي وذكر في سفر السعادة ان هذه المشية مشية أصحاب الهمم العلية ومن قلبه حي وان هذا النوع من المشي يسمى مشي الهون المذكور في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وهو أعدل أنواع المشي لان الماشي اما متماوت بالمشي كالخشبة أو طائش ينزعج وهذان النوعان في غاية القبح لان الاول يدل على الخمول وموت القلب والثاني يدل على خفة الدماغ وقلة العقل *ثم قال وأنواع المشي عشرة هذه الثلاثة منها وذكر باقيها وكان صلى الله عليه وسلم اذا التفت التفت جميعا أي بسائر جسده ولا يلوي عنقه كما يفعله أهل الخفة والطيش يفتح الكلام ويختمه باشداقه لا يقال تقدم صلى الله عليه وسلم المتشدقين لانا نقول المراد بهم من يكثر الكلام من غير احتياط ولا احتراز ومن يلوي اشداقه استهزاء بالناس وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم أي بالكلام القليل الالفاظ الكثير المعاني فصلا لا فضول فيه ولا تقصير قال صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلام واختصر لي الكلام اختصارا *قال ومن تلك الكلمات لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها خير الامور أوساطها السعيد من وعظ بغيره انتهى اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث قارب يده اليمنى من اليسرى فضرب بابهامه اليمنى راحة اليسرى أي وربما يسبح عند التعجب وربما حرك رأسه وعض شفته وربما ضرب بيده على فخذه وربما نكت الارض بعود واذا غضب أعرض بوجهه أي وكان صلى الله عليه وسلم

اذا غضب احمر وجهه الشريف وكان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته
* وفي رواية اذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء أي تنفس
طويلا وقال حسبي الله ونعم الوكيل جل أي معظم ضحكه التبسم وكون معظم
ضحكه ذلك لا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم ضحك غير ما مرة حتى بدت نواجذه وكان
صلى الله عليه وسلم اذا جرى به الضحك وضع يده على فيه * قال وكان أكثر
أحواله صلى الله عليه وسلم يمشي متنعلا وربما مشى صلى الله عليه وسلم حافيا
* وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل من هدية أهديت اليه حتى يأكل منها صاحبها
أي بعد ان أهديت اليه صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة وكان صلى الله عليه
وسلم يأكل بثلاث أصابع ويلعقهن اذا فرغ يلعق الوسطى ثم التي يليها ثم الابهام
وقال ان لعق الاصابع بركة * وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بلعق الصحفة
ويقول انكم لا تدرون في أي طعامكم البركة انتهى ونحن نوضح بعض هذه الصفات
الظاهرة بعبارة واضحة قريبة للافهام فنقول كان صلى الله عليه وسلم عظيما
معظما في الصدور والعيون كبير الرأس لان كبر الرأس يدل على كثرة العقل
غالبا ووجهه كالقمر ليلة البدر لون جسده الذي ليس تحت الثياب أبيض مشرب
بحمرة طويل الحاجبين مع دقة ما بينهما خال من الشعر وهو البلج وضده القرن وهو ان
يتصل شعر أحدهما بالآخر بين حاجبيه عرق اذا غضب انتفخ طويل الانف مع
حدب في وسطه ودقة في طرفه ليس في خديه ارتفاع لان العرب تذم به في عينيه
شكلة وهي بياض وحمرة شديد سواد العين مع اتساعها واسع الفم لان سعة الفم
تدل على الفصاحة بين ثناياه والرباعيات فرجة ويقال لها الفلج كثير شعر اللحية
شبيه قليل عنقه كالابريق الفضة اذا مشى مال الى امامه

(باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الباطنة)

وان شاركه فيها غيره كان صلى الله عليه وسلم سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح أي كثير المزاح فلا ينافي
ما روي كان يمازح أصحابه * قال وقد جاء اني لا أمزح ولا أقول الا حقا لكن
جاء عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مزاحا وكان
يقول ان الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه وجاء عن بعض الصحابة
رضي الله عنهم ما رأيت أحدا أكثر مزاحا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت في النبي صلى الله عليه وسلم دعابة
* وعن بعض السلف كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة فكان يبسط الناس

بالدعابة قال صلى الله عليه وسلم لعمته صفية لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها وهو يضحك الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وهي العجائز الرمص أي والعروب المتحببة لزوجها التي تقول وتفعل ما تهيج به شهوته اياها وأترابا كأنهن ولدن في يوم واحد لانهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل وطلب ان يحمله على بعير فقال له اني حاملك على ولد الناقة فقال يارسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وقد أتى أن زاهرا وفي لفظ زاهر وكان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية فكان كلما قدم من البادية يأتي معه بطارف وهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضروه * وفي لفظ لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه جاءه يوما وهو يبيع متاعه في السوق وكان رجلا دميما فاحتضنه من خلفه فقال أرسلني من هذا فلما عرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يمكن ظهره من صدره الشريف عليه الصلاة والسلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال يارسول الله تجدني كاسدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند الله لست بكاسد أو قال أنت عند الله غال ويجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جمع بين هذين اللفظين وكل روى ما سمع منهما * وعن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت حتى اذا حملت اللحم وكنا في سفرة أخرى قال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول هذه بتلك وعن أنس رضي الله عنه قال دخل صلى الله عليه وسلم على أمي فوجد أخي أبا عمير حزينا فقال يا أم سليم ما بال أبي عمير حزينا فقالت يارسول الله مات نغيره تعني طيرا كان يلعب به فقال صلى الله عليه وسلم أبا عمير ما فعل النغير وكان كلما رآه قال له ذلك وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي فيها فلطخت وجهها فضحك صلى الله عليه وسلم وأرخى فخذه لسودة وقال الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أي

وقال صلى الله عليه وسلم يوما لعائشة ما أكثر بياض عينك انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكبار ومالا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته وكان صلى الله عليه وسلم يقابل السيئة بالحسنة ولا يذم ذواقا ولا يمدحه والذواق الشيء يقال ماذقت ذواقا أي شيأ من طعام أو شراب وعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني نفحة بسوط في يده وقال بسم الله أوجعتني قال فبت لنفسي لائما * أقول أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبحنا اذا رجل يقول أين فلان فانطلقت وأنا متخوف فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك وطئت بنعلك على رجلي بالامس فأوجعتني فنفحتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها واما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال له جبريل عليه السلام أي بعد ان سأله صلى الله عليه وسلم في ذلك ان ربك عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك * وفي الحديث لاينال عبد صريح الايمان حتى يكون كذلك وفي الحديث ان ذلك أفضل أهل الدنيا والآخرة وكان صلى الله عليه وسلم لا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق والمسئلة لا يقطع على أحد حديثه ولا يتكلم في غير حاجة يعظم النعمة وان دقت لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما يغضب اذا تعرض للحق بشيء وعند غضبه لذلك لا يثنيه شيء عن الانتصار له ويكرم كريم قوم ويوليه عليهم ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم فان كان غائبا دعا له وان كان شاهدا زاره وان كان مريضا عاده ويسأل الناس عما الناس فيه أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو آذنه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول عنده الناس في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء لا ترفع فيه الاصوات ولا يتنازعون عنده الحديث اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير أي على غاية من السكون والوقار لان الطير لا تكاد تقع الا على شاكن واذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه أي لا يقطع بعضهم على بعض حديثه

يضحك مما يضحكون ويعجب مما يعجبون فقد ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجرا الى بصرى ومعه نعيمان بن عمرو الانصاري وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري وكان سويبط على زاد أبي بكر فجاءه نعيمان وقال له أطعمني قال لا حتى يأتي أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا مزاحا فيه دعابة وله أخبار ظريفة في دعابته فقال لسويبط لاغيظنك فذهب الى ناس ✽ وفي رواية فمر بقوم فقال لهم نعيمان تشترون مني عبدا لي قالوا نعم قال انه عبد له كلام وهو قائل لكم لست بعبده أنا رجل حر فان كان اذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدي قالوا بل نشتريه ولا ننظر في قوله فاشتروه منه بعشرة قلائص فاقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا فجاء القوم له وقالوا له قد اشتريناك فقال هو كاذب أنا رجل حر وفي رواية أنهم وضعوا عمامة في عنقه فقال لهم انه يتهزأ وليست بعبده فقالوا له قد أخبرنا بخبرك فطرحوا الحبل في عنقه وذهبوا به ولم يسمعوا كلامه فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبره خبره فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم أنه يمزح وردوا عليهم القلائص وردوا سويبطا منهم ✽ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فضحك من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا كاملا لان سفر أبي بكر رضي الله عنه كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بعام ووقع لنعيمان هذا انه مر بمخرمة بن نوفل رضي الله عنه وقد كف بصره وهو يقول الا رجل يقودني حتى أبول فأخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال له ههنا فبال فصاح الناس به فقال من قادني قيل نعيمان فقال لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال له هل لك في نعيمان قال نعم فقام معه فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو اذ ذاك أمير المؤمنين وهو يصلي فقال دونك الرجل فجمع يديه في العصا ثم ضربه فقال الناس أمير المؤمنين فقال من قادني فقيل نعيمان فقال لا أعود الى نعيمان أبدا وجاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائه فقال بعض الصحابة لنعيمان لو نحرتها فأكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم ويغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقها فنحرها نعيمان فخرج الاعرابي فرأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا قالوا نعيمان فاتبعه النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عنه فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد فأشار اليه رجل ورفع صوته ما رأيته يا رسول الله وأشار باصبعه حيث هو فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تعفر وجهه بالتراب فقال ما حملك

على ما صنعت قال الذين دلوك على يارسول الله هم الذين أمروني فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عن وجهه ويضحك ثم غرم صلى الله عليه وسلم ثمنها وكان رضي الله عنه اذا دخل المدينة طرفة اشتراها في ذمته ثم جاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يارسول الله هذه هدية فاذا جاء صاحبها يطلب ثمنها جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له أعط هذا ثمن ما جئت به اليك فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تهده لى فيقول يارسول الله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن يكون لك فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر ضحوك السن أي أكثر أحواله ذلك حسبما رآه هذا المخبر فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة فانه بحسب ما كان عنده ذلك المخبر وفي كلام ابن القيم رحمه الله قد صانه الله عن الحزن في الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان دائم البشر ضحوك السن كذا قال وفي كلام الامام أبي العباس بن تيمية رحمه الله ليس المراد الحزن الذى هو الالم على فوات مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك منهي عنه وانما المراد به الاهتمام واليقظة لما يستقبله من الامور وهذا مشترك بين القلب والعين وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت خلقه القران أي ما ذكره القران وانك لعلى خلق عظيم وانه تأدب بآدابه وتخلق بمحاسنه * وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال قال * وذكر في عوارف المعارف أن في قول عائشة رضي الله عنها خلقه القران سر غامض حيث عدلت الى ذلك عن قولها كان متخلقا باخلاق الله سترا للحال بلطف المقال استحياء من سبحات ذي الجلال انتهى أي فكان صلى الله عليه وسلم متصفا بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لامره والشدة على أعدائه والتواضع لاوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال لاذاهم والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خيري الدنيا والآخرة مع التعفف عن أموالهم الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة التى اتصف بها صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية وخوفا من الله أي ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يقول أنا أتقاكم لله وأخوفكم منه وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فدخل معي في لحافي ثم قال ذريني أتعبد لربي فقام صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم قام فصلى فبكى

حتى سال دمعه على صدره ثم ركع وبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضي الله عنه فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الى قوله سبحانك فقنا عذاب النار * وكان صلى الله عليه وسلم يقول أواه من عذاب الله قبل أن لا ينفع أواه أي * وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من صنعت له النورة ودخل الحمام سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخله وجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله أواه أواه قبل أن لا يكون أواه أي وفي سفر السعادة لم يدخل صلى الله عليه وسلم الحمام أبدا والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله تعالى المشهورة بحمام النبي صلى الله عليه وسلم لعلها بنيت في موضع اغتسل فيه صلى الله عليه وسلم مرة هذا كلامه وأرسل صلى الله عليه وسلم وصيفة فأبطأت عليه فقال لها لولا خوف القصاص لاوجعتك بهذا السواك وما ضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة امرأة ولا خادما من أهله قال وعن خادمه أنس رضي الله عنه ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني ولا لامني أحد من أهله صلى الله عليه وسلم الا قال دعوه وفي لفظ خدمته في السفر والحضر عشر سنين والله ما قال لي في شيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا وهذا يدل على أنه رضي الله عنه خدمه صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة وتقدم أن في بعض الروايات ما يدل على أن ابتداء خدمة أنس له صلى الله عليه وسلم في فتح خيبر وتقدم ما فيه ووصف صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة بأن حلمه صلى الله عليه وسلم يسبق غضبه ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وقد تقدم قصته صلى الله عليه وسلم مع اليهودي الذي طلب منه وفاء ما اقترض منه صلى الله عليه وسلم قبل حلول الاجل ونقدم ذلك وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء

شرح قال ابن بطال رحمه الله ان هذا الرجل هو عيينة بن حصن لانه كان له يقال له الاحمق المطاع وهو صلى الله عليه وسلم انما تطلق في وجهه تألفا له ليسلم قومه لانه كان المطاع فيهم وأما ذمه صلى الله عليه وسلم له فلانه يعلم ما يقع منه بعد فانه ارتد في زمن الصديق رضي الله عنه وحارب ثم رجع وأسلم أي وقد قيل ان سبب نزول قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية أن عيينة هذا قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم قال على أن تبني لي مقصورة في مسجدك هذا أكون أنا وقومي فيها وتكون أنت معي ومن تأمل سيرته صلى الله عليه وسلم مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والضعفاء والمساكين علم أنه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية في التواضع ورقة القلب ولين الجانب * وعن أنس رضي الله عنه أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة يوما فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أني أذهب فخرجت على صبيان يلعبون في السوق واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض ثيابي من ورائي فنظرت اليه صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فقال يا أنيس اذهب حيث أمرتك فقلت نعم أنا أذهب يا رسول الله انتهى * وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وأرجح الناس حلما وأعظم الناس عفوا وأسخى الناس كفا * وكان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه وقد اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ثم قال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم * وفي رواية لو أن لي مثل جبال تهامة ذهبا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني كذوبا ولا بخيلا ولا جبانا كما تقدم * وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلبا وأشد الناس بأسا وأشد الناس حياء وكان أشد الناس حياء من البنت البكر في خدرها أي بيتها وسترها وكان اذا فرح غض طرفه واذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض صوته وربما غطى وجهه بيده أو ثوبه * وكان يحب الفأل الحسن ويغير الاسم القبيح بالحسن كما تقدم وربما غير الحسن بالقبيح كما تقدم وكان يقول لاصحابه اذا أرسلتم لي رسولا فليكن حسن الاسم حسن الوجه من ذلك أن شخصا كان سادنا أي خادما للصنم * وكان يسمى غاوي بن ظالم فبينما هو عند صنمه اذ اقبل ثعلبان الى الصنم ورفع كل واحد منهما رجله وبال على رأس ذلك الصنم فلما رأى ذلك كسر ذلك الصنم وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم

فقال صلى الله عليه وسلم له بل أنت راشد بن عبد ربه * ومن هذا السياق يعلم أن الثعلبان بفتح الثاء المثلثة مثنى ثعلب لا بضمها ذكر الثعالب * كما قيل ومن تغيير الاسم القبيح بالحسن ما وقع له صلى الله عليه وسلم في غزوة ذي قرد أنه مر على ماء فسأل عنه فقيل له هذا اسمه بيسان وهو ملح فقال له بل اسمه نعمان وهو طيب فانقلب عذبا واشتراه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ثم تصدق به فلما جاء اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت يا طلحة الا فياض فسمي طلحة الفياض * وكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الامر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا حلف قال لا ومقلب القلوب وربما قال في يمينه واستغفر الله واذا اجتهد في اليمين قال لا والذي نفس أبي القاسم بيده وربما قال والذي نفس محمد بيده وربما قال في يمينه لا واستغفر الله والذي نفسي بيده * وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس اغضاء عن العورات وكان اذا كره شيأ عرف في وجهه ولم يشافه أحدا بمكروه حتى اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول أو يفعل كذا بل يقول ما بال أقوام يقولون أو يفعلون كذا لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ما دعاه احد من أصحابه أو أهل بيته الا قال لبيك يخالط أصحابه ويحادثهم ويداعب أي يمازح صبيانهم ويجلسهم في حجره الشريف أي فقد كان صلى الله عليه وسلم يصف أولاد عمه العباس عبد الله وعبيد الله وغيرهما رضي الله عنهم ويقول من سبق الى فله كذا فيستبقون اليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم ويلتزمهم ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويشهد الجنائز ويقبل عذر المعتذر ما وضع أحد فمه في أذنه الا استمر صاغياله حتى يفرغ من حديثه ويذهب وما أخذ أحد بيده فيرسل يده صلى الله عليه وسلم منه حتى يكون الآخذ هو الذي يرسلها وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه يكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم ولا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وطعن في الحديث الذي ورد بذلك واذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي تجوز بها أي خففها أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى

وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم * قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومن ثم رغب صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لاحد من المسلمين رحمة له أى اذا كان لا يستحق ذلك السب فى باطن الامر ويستحقه فى ظاهر الامر * أى وقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد * وكان صلى الله عليه وسلم يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار أى ويركبه عريانا ويردف خلفه فعن أنس رضى الله عنه رأيته صلى الله عليه وسلم يوما على حمار خطامه ليف أى وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر * وكان يجلس على الارض وكان يشرب قائما وقاعدا وينتعل قائما وقاعدا ويصلى منتعلا وحافيا * وفى لفظ كان أكثر صلاته صلى الله عليه وسلم فى نعليه وكان يحب التيامن فى شأنه كله فى طهوره وترجله وتنعله وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته وكان يكتحل بالاثمد عند النوم ثلاثا فى كل عين وفى لفظ ثلاثا فى اليمنى ومرتين فى اليسرى * وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وانه من خير أكحالكم وكان يعود المساكين ويجلس بين أصحابه وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة كما تقدم وكان يفلى ثوبه أى وان كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لا يؤذيه ويحلب شاته ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم نفسه ويعلف ناضحه وهو الجمل الذى يستقى عليه الماء ويقم البيت * قال وعن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة ما رئى فارغا قط فى بيته اما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لارملة انتهى ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ويحب الطيب ويأمر به وكان يتطيب بالمسك والغالية ويتبخر بالعود والعنبر والكافور ويأمر أصحابه بالمشى امامه ويقول خلوا ظهرى للملائكة وزاهدا فى الدنيا ما ترك درهما ولا دينارا وتوفى ودرعه مرهونة وتقدم أنها ذات الفضول عند يهودى وتقدم أنه أبو الشحم على نفقة عياله وتقدم أن ذلك كان ثلاثين صاعا من شعير وكان الاجل سنة * وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا وعن النعمان ابن بشير رضى الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه * وفى رواية ما شبع يومين من خبز الشعير أى ومعلوم أن

ذلك انما هو لتأسى به أمته عن الاعراض عن الدنيا قالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما * فأما اليوم الذى أجوع فيه فأضرع اليك وأدعوك * وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك * قال صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا انما أنا فى الدنيا كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفىء فتركها ولم يرجع اليها وقال صلى الله عليه وسلم ما أبالى بما رددت به عنى الجوع ولم ينخل له صلى الله عليه وسلم دقيق الشعير قال وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والذى بعث محمدا بالحق ما رأى منخلا ولا أكل خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض فقيل لها كيف كنتم تصنعون بالشعير قالت كنا نقول أف أف انتهى أى فيطير ما طار وما بقى عجناه ولا خبز له صلى الله عليه وسلم مرقق ولا أكل النقى من الخبز وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال صلى الله عليه وسلم أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام أى فانه صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا ولا أكل على خوان قط انما كان يأكل على السفرة وربما وضع صلى الله عليه وسلم طعامه على الارض أى وخطب صلى الله عليه وسلم يوما فقال والله ما أمسى فى بيت محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات قال الحسن والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن أراد صلى الله عليه وسلم أن تتأسى به أمته وعن أبى هريرة رضى الله عنه كان يمر هلال ثم هلال لا يوقد فى بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لا لخبز ولا لطبخ فقيل له بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة فقال بالاسودين الماء والتمر * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالى ما يجدون فيها عشاء وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أهدى لنا أبو بكر رجل شاة قالت انى لاقطعها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلمة البيت فقال لها قائل أما كان لكم سراج فقالت لو كان لنا ما نسرج به أكلناه * وكان صلى الله عليه وسلم لا يجمع فى بطنه بين طعامين ان أكل لحما لم يزد عليه وان أكل تمرا لم يزد عليه وان أكل خبزا لم يزد عليه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد من قطن قصير الكمين كمه الى الرسغ وطوقه مطلق من غير زرار أى وفى لفظ كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول قصير الكمين كمه الى الرسغ وكان له

صلى الله عليه وسلم جبة ضيقة الكمين * وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر من نسج عمان * وكان له صلى الله عليه وسلم بردة يمانية طولها ستة أذرع في عرض ثلاثة أذرع وشبر كان يلبسهما في يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان * وكان له صلى الله عليه وسلم رداء أخضر طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر تداولته الخلفاء * وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب كساها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه علي كرم الله وجهه فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب يعني عمامته التي وهبها له صلى الله عليه وسلم *وكان اذا اعتم رخى عمامته بين كتفيه وكان يلبس القلنسوة اللاطية أي اللاصقة بالرأس وذات الآذان كان يلبسها في الحروب والقلانس الطوال انما حدثت في أيام الخليفة المنصور وكان صلى الله عليه وسلم يقول فرق بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس أي فانه صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس تحت العمائم ويلبس القلانس بغير عمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان له صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة لابسها * وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء يلبسها في العيدين ويرخيها خلفه وجاء ان جبريل عليه السلام كانت عمامته يوم غرق فرعون سوداء ومقدار عمامته الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يثبت في حديث قال بعض الحفاظ والظاهر انها كانت نحو العشرة أذرع أو فوقها بيسير وكانت له صلى الله عليه وسلم خرقة اذا توضأ تمسح بها هذا وفي سفر السعادة لم يكن صلى الله عليه وسلم ينشف أعضاءه بعد الوضوء بمنديل ولا منشفة وان احضروا له شيأ من ذلك أبعده والحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها كانت له صلى الله عليه وسلم نشافة يتنشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ رضي الله عنه في معناه كلاهما ضعيف وقال تنشيف الاعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث * وكانت له صلى الله عليه وسلم ملحفة مورسة اذا أراد أن يدور على نسائه رشها بالماء أي لتظهر رائحتها * وكان يصبغ قميصه ورداءه وعمامته بالزعفران * أي وفي لفظ كان يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء وعن ابن أوفى رضي الله عنه كان أحب الصبغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة * قال الحافظ الدمياطي رحمه الله و يعارض هذه الاحاديث ما روي في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر وفي لفظ نهى عن ان يتزعفر

الرجل أي وقد يقال على تقدير صحة تلك الاحاديث فهي منسوخة أو كان ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل واختلف هل لبسها فقيل نعم في الاوسط للطبراني ومسند أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه * قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى بزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوزن وارجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم قلت يا رسول الله لعلك ستلبس السراويل * قال أجل في السفر والحضر وبالليل وبالنهار فاني أمرت بالستر ولم أجد شيأ استر منه ويخرجه هو وشيخه ضعيفان وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين * وفي لفظ آخر اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقراء الدنيا وعذاب الآخرة أتتني الدنيا خضرة حلوة ورفعت الى رأسها وتزينت لي فقلت اني لا أريدك لا حاجة لي فيك ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء انتهى * وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء قال وكان يقول صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الفاقة أحب الي من اليسار وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أرثي له صلى الله عليه وسلم من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنع عنك الجوع فيقول يا عائشة ان اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم أخشى ان ترفعت في معيشتي ان يقصر بي دونهم وأصبر أياما يسيرة أحب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرى وما من شيء أحب الي من اللحوق باخواني قال وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله لاصبرن لجهدي ولا قوة الا بالله انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان صلى الله عليه وسلم على غاية من الاعراض عن الدنيا وكان يصلي على الحصير وعلى الفروة

المدبوغة وربما نام على الحصير فأثرت في جسده الشريف وكان ينام على شيء من أدم محشو ليفا فقيل له في ذلك فقال مالي وللدنيا وعن عائشة رضي الله عنها دخلت امرأة من الانصار فرأت ذلك الادم وفي لفظ رأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت اليه بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت على فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا فقال رديه فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال والله يا عائشة لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعنها رضي الله عنها انها كانت تفرش ثلاث العباءة مثنية طاقين في بعض الليالي ربعتها فنام صلى الله عليه وسلم عليها ثم قال يا عائشة مالفراشي الليلة ليس كما يكون قلت يا رسول الله ربعتها قال فأعيديه كان وكان صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا قال اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان يقول لاصحابه كلهم رضي الله عنهم اذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي قال وكان أرجح الناس عقلا والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر الناس وعن وهب ابن منبه قرأت أحدا وسبعين كتابا انه صلى الله عليه وسلم أرجح الناس وأفضلهم رأيا وفي رواية وجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدأ الدنيا الى انتهائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة بين رمال الدنيا ومما يتفرع على العقل اقتناء الفضائل واجتناب الرذائل واصابة الرأي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك صلى الله عليه وسلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ومما يكاد يقضي منه العجب حسن تدبيره صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم الى أن انقادوا اليه صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم انتهى والله أعلم

(باب يذكر فيه مدة مرضه وما وقع فيه ووفاته صلى الله عليه وسلم)

التي هي مصيبة الاولين والآخرين من المسلمين ذكر أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى البقيع من جوف الليل فاستغفر لهم فعن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في جوف الليل اني قد أمرت

أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي قال فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الاولى قال ثم أقبل على وقال يا أبا موهبة هل علمت انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي والجنة * أي وفي رواية ان أبا موهبة قال له بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الارض والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا موهبة لقد أخترت لقاء ربي والجنة ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى أهله فلما أصبح اشتدى بوجعه من يومه ذلك أي ابتدأه الصداع * وفي رواية ذهب بعد ذلك الى قتلى أحد فصلى عليهم ثم رجع معصوب الرأس فكان ذلك بدء الوجع الذي مات فيه وفي رواية رجع من جنازة بالبقيع قالت عائشة رضي الله عنها لما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه قال لو كان ذلك وأنا حي فاستغفر لك وادعو لك وأكفنك وأدفنك * وفي لفظ وما يضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت واثكلاه والله انك لتحب موتي لو كان ذلك لظللت يومك معرسا ببعض أزواجك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت ان أرسل الى ابيك وأخيك فأقص أمري وأعهد عهدي فلا يطمع في الدنيا طامع * وفي لفظ ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون قال وفي رواية انها قلت أويدفع الله ويأبى المؤمنون ثم قال لي رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعى لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر * وفي رواية لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال أبى الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا أبا بكر قال ابن كثير رحمه الله وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها فضل الصديق رضي الله عنه من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولعل خطبته صلى الله عليه وسلم هذه كانت عوضا عما أراد صلى الله عليه وسلم ان يكتبه في الكتاب * وفي رواية انه اجتمع عنده صلى الله عليه وسلم رجال فقال صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم أي وهو

سيدنا عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن أي وانما قال ذلك رضي الله عنه تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهم فأمرهم بالخروج من عنده وجاء ان العباس رضي الله عنه قال لعلي كرم الله وجهه لا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح من مرضه هذا فاني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ✽ أي وفي رواية خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مرضه الذي مات فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عمه العباس رضي الله عنهما وقال له والله أنت بعد ثلاث عبد العصى واني لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجعه هذا بعد ثلاث الا ميتا فاني رأيت في وجهه ما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت فاذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله فيمن هذا الامر فان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا فقال علي كرم الله وجهه والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها وما زال صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فاشتد به المرض عند ميمونة رضي الله عنها ✽ وقيل في بيت زينب رضي الله عنها وقيل في بيت ريحانة رضي الله عنها قالت عائشة رضي الله عنها فدعا صلى الله عليه وسلم نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له ✽ وفي رواية صار يقول وهو في بيت ميمونة أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة رضي الله عنها وفي البخاري يقول أين أنا اليوم أين أنا غدا استبطاء ليوم عائشة رضي الله عنها فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء فكان في بيت عائشة وفي رواية عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء في مرضه فاجتمعن فقال اني لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن أن تأذن لي فأكون في بيت عائشة فعلتن فأذن له قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله معتمدا عليهما الفضل بن العباس ورجل آخر ✽ وفي رواية بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر وفي رواية بين أسامة ورجل آخر عاصبا رأسه الشريف تخط قدماه الارض حتى دخل بيتي قال ابن عباس رضي الله عنهما الرجل الذي لم تسمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أي فانه كان بينهما وبين علي ما يقع بين الاحماء وقد صرحت بذلك لما أرادت أن تتوجه من البصرة بعد انقضاء وقعة الجمل وخرج الناس ومن جملتهم علي كرم الله وجهه لتوديعها حيث قالت والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون

بين المرأة وابنها أقبل على أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيننا وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وقد تقدم ذلك ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه فقال هريقوا على من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فأعهد اليهم فأقعدناه صلى الله عليه وسلم فى مخضب لحفصة من حجر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم وفى لفظ حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن أى وصب المياه المذكورة له دخل فى دفع السم أى فانه صلى الله عليه وسلم صار يقول لعائشة يا عائشة ما أزال أجد الطعام الذى أطعمته بخيبر فهذا أوان انقطاع ابهرى من ذلك السم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الشريف حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد أى دعا لهم فأكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ففهمها أبو بكر رضى الله عنه وعرف أن نفسه يريد أى فبكى أبو بكر فقال نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر أى وفى رواية قال يا أبا بكر لا تبك أيها الناس ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر وهذا حديث صحيح جاء عن بضعة عشر صحابيا ولكثرة طرقه عد من المتواتر ✽ وفى أخرى ان أعظم الناس على منا فى صحبته وذات يده أبو بكر وفى أخرى فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى يدا فى الصحابة من أبى بكر وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة ✽ أى وفى الحديث حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت شرا استغفرت لكم أى وهذا بيان للثانى لاستغناء الاول عن البيان ومعلوم أن خيرا وشرا هنا ليسا أفعل تفضيل الذى يوصل بمن حتى يلزم التناقض بل المراد أن ذلك فضيلة ثم قال صلى الله عليه وسلم انظروا هذه الابواب اللاصقة فى المسجد ✽ أى وفى لفظ هذه الابواب الشوارع فى المسجد فسدوها الا باب أبى بكر أى وفى لفظ الا ما كان من باب أبى بكر فانى وجدت عليه نورا ✽ وفى أخرى لفظ سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد الا خوخة أبى بكر فان المراد بالابواب الخوخ فانى لا أعلم ان أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه أى وفى لفظ أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر ✽ وفى لفظ لا تؤذونى فى صاحبى ولولا أن الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا الا سدوا كل خوخة الا خوخة ابن أبى قحافة. أى وجاء فى الحديث لكل نبى خليل من أمته وان خليلى أبو بكر وان الله اتخذ صاحبكم

خليلا * وفى رواية وان خليلى عثمان بن عفان وجاء لكل نبى خليل وخليلى
سعد بن معاذ وفى أسباب النزول للثعالبى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم
يكن نبى الا وله خليل الا وان خليلى أبو بكر * وفى رواية الجامع الصغير ان الله
اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وان خليلى أبو بكر وفى رواية الجامع الصغير
خليلى من هذه الامة أويس القرنى ولعل هذا كان قبل أن يقول صلى الله عليه
وسلم فى مرض موته قبل موته بخمسة أيام انى أبرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل
فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتى
لاتخذت أبا بكر خليلا لكن خلة الاسلام أفضل * وفى رواية ولكن اخوة الاسلام
أفضل ومودته وفى رواية لكن أخى وصاحبى وجمع بأن الاول أى اثبات الخلة لغير
الله محمول على نوع منها ونفيها عن غير الله محمول على كمالها ثم لا يخفى أن قوله صلى
الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا يدل على أن
مقام الخلة أرقى من مقام المحبة وأن المحبة والخلة ليسا سواء خلافا لمن زعم ذلك أى
ولا مانع أن يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل فلا حاجة الى ما تكلفه بعضهم
مما يدل على أن مقام المحبة أفضل من مقام الخلة أى الذى يدل عليه ماجاء الا قائل
قولا غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفى الله وأنا حبيب الله وأنا سيد ولد آدم
يوم القيامة وعند ذلك أى اغلاق الابواب قال الناس أغلق أبوابنا وترك باب
خليله فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغنى الذى قلتم فى باب أبى بكر وانى أرى
على باب أبى بكر نورا وأرى على أبوابكم ظلمة لقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت
وأمسكتم الاموال وجاد لى بماله وخذلتمونى وواسانى أى ولعل قولهم وترك باب
خليله لا ينافى ما تقدم من عدم اتخاذه خليلا وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر
بسد الابواب الا باب أبى بكر قال عمر يا رسول الله دعنى أفتح كوة أنظر اليك حيث
تخرج الى الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وقال العباس بن عبد
المطلب يا رسول الله مابالك فتحت أبواب رجال فى المسجد يعنى أبا بكر ومابالك
سددت أبواب رجال فى المسجد فقال يا عباس مافتحت عن أمرى ولا سددت عن
أمرى * وفى لفظ ما أنا سددتها ولكن الله سدها وجاء عن ابن عباس رضى الله
عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسد الابواب الا باب على قال الترمذى
حديث غريب * وقال ابن الجوزى هو موضوع وضعه الرافضة ليقابلوا به
الحديث الصحيح فى باب أبى بكر وجمع بعضهم بأن قصة على متقدمة على هذا

الوقت وأن الناس كان لكل بيت بابان باب يفتح للمسجد وباب يفتح خارجه الابيت على كرم الله وجهه فانه لم يكن له الاباب من المسجد وليس له باب من خارج فأمر صلى الله عليه وسلم بسد الابواب أى التى تفتح للمسجد أى تضييقها وصيرورتها خوخا الاباب على كرم الله وجهه فان عليا لم يكن له الاباب واحد ليس له طريق غيره كما تقدم فلم يأمر صلى الله عليه وسلم بجعله خوخة ثم بعد ذلك أمر صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ الاخوخة أبى بكر رضى الله عنه * وقول بعضهم حتى خوخة على كرم الله وجهه فيه نظر لما علمت أن عليا كرم الله وجهه لم يكن له الاباب واحد ولباب فى قصة أبى بكر رضى الله عنه ليس المراد به حقيقته بل الخوخة وفى قصة على كرم الله وجهه المراد به حقيقته * أقول ومما يدل على تقدم قصة على كرم الله وجهه * ماروى عنه قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن سد بابك قال سمعا وطاعة فسد بابه ثم أرسل الى عمر ثم أرسل الى العباس بمثل ذلك ففعلوا وأمرت الناس ففعلوا وامتنع حمزة فقلت يارسول الله قد فعلوا الا حمزة فقال صلى الله عليه وسلم قل لحمزة فليحول بابه فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تحول بابك فحوله وعند ذلك قال يارسول الله سددت أبوابنا كلها الاباب على فقال ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها * وفى رواية ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب على ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فانى أمرت بسد هذه الابواب غير باب على فقال فيكم قائلكم وانى والله ماسددت شيأ ولا فتحته ولكنى أمرت بشىء فاتبعته انما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت ان أتبع الا ما يوحى الى ومعلوم أن حمزة رضى الله عنه قتل يوم أحد فقصة على كرم الله وجهه متقدمة جدا على قصة أبى بكر رضى الله عنه وعلى كون المراد بسد الابواب تضييقها وجعلها خوخا يشكل ماجاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب على فقال العباس يارسول الله قدر ما أدخل أنا وحدى وأخرج قال ما أمرت بشىء من ذلك فسدها كلها غير باب على لعل تقدير صحة ذلك يحتاج الى الجواب عنه وعلى هذا الجمع يلزم أن يكون باب على كرم الله وجهه استمر مفتوحا فى المسجد مع خوخة أبى بكر رضى الله عنه لما علم أنه لم يكن لعلى باب آخر من غير المسجد وحينئذ يتوقف فى قول بعضهم فى سد الخوخة الاخوخة أبى بكر اشارة الى استخلاف أبى بكر لانه يحتاج الى المسجد كثيرا دون غيره لكن فى تاريخ ابن كثير رحمه الله وهذا أى سد جميع الابواب الشارعة الى المسجد

الا باب على لا ينافى ما ثبت فى صحيح البخارى من أمره صلى الله عليه وسلم فى مرض الموت بسد الأبواب الشارعة الى المسجد الا باب أبى بكر لان فى حال حياته صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة رضى الله عنها تحتاج الى المرور من بيتها الى بيت أبيها صلى الله عليه وسلم فأبقى صلى الله عليه وسلم باب على كرم الله وجهه لذلك رفقا بها ❊ وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزالت هذه العلة فاحتيج الى فتح باب الصديق رضى الله عنه لاجل خروجه الى المسجد ليصلى بالمسلمين لانه الخليفة بعده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وهو يفيد أن باب على كرم الله وجهه سد مع سد الخوخ ولم يبق الا خوخة أبى بكر رضى الله عنه وجعل لبيت على كرم الله وجهه باب من الخارج وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا يحل لاحد جنب مكث فى المسجد غيرى وغيرك ❊ وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه حتى انتهى الى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته انه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض الا لمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم ان لا تضلوا قال الحافظ ابن كثير وهذا أى الثانى اسناده غريب وفيه ضعف هذا كلامه والمراد المكث فى المسجد لا المرور به والاستطراق منه فان ذلك لكل أحد ثم رأيت الحافظ السيوطى رحمه الله أشار الى ذلك ❊ وذكر ان مثل على كرم الله وجهه فيما ذكر ولداه الحسن والحسين حيث قال وكذا على بن أبى طالب والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث فى المسجد مع الجنابة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا انهم كانوا عيبتى التى أويت اليهم فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته هذه أيها الناس من أحس فى نفسه شيأ فليقم أدع الله له فقام اليه رجل فقال يا رسول الله انى لمنافق وانى لكذوب وانى لنؤم فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويحك أيها الرجل لقد سترك الله لو سترت على نفسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وايمانا واذهب عنه النوم اذا شاء قال ابن كثير فى اسناده ومتنه غرابة شديدة وأمر صلى الله عليه وسلم فى مرضه أبا بكر أن يصلى بالناس قال وكانت تلك الصلاة صلاة العشاء وقد أذن بلال فقال ضعوا لى ماء فى المخضب أى وهو شبه الاجانة من نحاس فاغتسل فيه ❊ أى وهذا مع ما سبق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان له مخضب من حجر

ومخضب من نحاس ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يذهب فأغمي عليه ثم أفاق فقال
أصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك أي وبعد ذلك قال صبوا لي ماء في المخضب
فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا هم
ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب
فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس
ملومة في المسجد ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة
وأرسل إلى أبي بكر رضي الله عنه بأن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال له
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر
رضي الله عنه لعمر يا عمر صل بالناس فقال له عمر رضي الله عنه أنت أحق
بذلك * وفي رواية أن بلالا رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم
فقال الصلاة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا أستطيع الصلاة خارجا مر
عمر بن الخطاب فليصل بالناس فخرج بلال رضي الله عنه وهو يبكي فقال له
المسلمون ما وراءك يا بلال فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع
الصلاة خارجا فبكوا بكاء شديدا وقال لعمر إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمرك أن تصلي بالناس فقال عمر رضي الله عنه ما كنت لأتقدم بين
يدي أبي بكر أبدا فادخل على نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن أبا بكر
على الباب فدخل عليه صلى الله عليه وسلم بلال رضي الله عنه فأخبره بذلك
فقال نعم ما رأى مر أبا بكر وليصل بالناس فخرج إلى أبي بكر فأمره أن يصلي بالناس
فصلى بالناس * وفي رواية فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي
الله عنها فقلت إن أبا بكر رجل أسيف أي رقيق القلب إذا قام مقامك لم يسمع
الناس من البكاء فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر وليصل بالناس فعاودته فقال
مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع
الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحفصة مه إنكن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام * وفي لفظ
إنكن لأنتن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام فقالت حفصة رضي الله عنها
لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا مروا أبا بكر وليصل بالناس أي مثل صاحبة
يوسف عليه الصلاة والسلام وهي زليخا أظهرت خلاف ما تبطن أظهرت للنساء
اللاتي جمعتهن أنها تريد إكرامهن بالضيافة وإنما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف
عليه الصلاة والسلام ويعذرنها في حبه والنبي صلى الله عليه وسلم فهم عن

عائشة رضي الله عنها أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا هكذا يقتضيه ظاهر اللفظ والمنقول عن عائشة رضي الله عنها أنها انما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس أبا بكر فيكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنها رضي الله عنها أنها قالت ما حملني على كثرة مراجعتي له صلى الله عليه وسلم الا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى انه يقوم أحد مقامه الا تشاءم الناس منه ✽ وفي رواية ان الانصار رضي الله عنهم لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد واشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل رضي الله عنه فأخبره بذلك ثم دخل عليه علي كرم الله وجهه فأخبره بذلك ثم دخل عليه العباس رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس امامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم الا واني لاحق بربي وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم بخير فان الله يقول والعصر ان الانسان لفي خسر السورة وان الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن أحب ان يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوا أئمتهم وفي الحديث حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ✽ وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى خيرية الموت بأنه فرط فخير صفة لا أفعل تفضيل حتى يشكل بأنه يقتضي أن حياتي خير لكم من مماتي ومماتي خير لكم من حياتي كما مر ثم لا زال أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس سبعة عشر صلاة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية أي أتى بها منفردا وقال صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبي حتى

يؤمه رجل من قومه أي وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم لما صلى خلف عبد الرحمن ابن عوف كما تقدم في تبوك ❊ قال وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة أي وأبو بكر في الصلاة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه ذهب ليتأخر فأومأ اليه أن لا يتأخر وأمرهما فأجلساه الى جنب أبي بكر عن يساره ❊ وفي رواية عن يمينه وأنه صلى الله عليه وسلم دفع في ظهر أبي بكر وقال صل بالناس أي ومنعه من التأخر فجعل أبو بكر رضي الله عنه يصلي قائما كبقية الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا انتهى وهذا صريح في أنه صلى الله عليه وسلم صلى مقتديا بأبي بكر رضي الله تعالى عنه وحينئذ لا يحسن التفريع على ذلك بما جاء في لفظ فكان أبو بكر رضي الله عنه يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ يأتم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر ❊ وفي لفظ يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر ❊ وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم صلوا خلف أبي بكر وأبو بكر يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصار يسمع الصحابة التكبير وقد بوب البخاري على ذلك باب من أسمع الناس تكبير الامام وقال بعد ذلك باب الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم فان منعه صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه من التأخر مع صلاته على يسار أبي بكر أو على يمينه يدل على أن أبا بكر رضي الله عنه لم يقتد بالنبي صلى الله عليه وسلم بل استمر اماما اذ لا يجوز عندنا أن يقتدي أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع تقدم أبي بكر عليه صلى الله عليه وسلم في الموقف وحينئذ يخالف ذلك قول فقهائنا ان الصحابة رضي الله عنهم اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اقتدائهم بأبي بكر وجعلوه دليلا على جواز الصلاة بامامين على التعاقب اذ لا يحسن ذلك الا أن يكون أبو بكر رضي الله عنه تأخر ونوى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم الا أن يقال يجوز أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر تكررت ففي مرة منعه صلى الله عليه وسلم من التأخر واقتدى به وفي مرة تأخر أبو بكر رضي الله عنه عن موقفه واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم واقتدى الناس بالنبي بعد اقتدائهم بأبي بكر وصار أبو بكر يسمع الناس التكبير ولا ينافي ذلك قول البخاري الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم لجواز أن يكون المراد يقتدون ويتبعون تكبير المأموم ثم رأيت الترمذي رحمه الله تعالى صرح بتعدد صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر رضي الله عنه حيث

قال

قال ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر مقتديا به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية هذا كلامه وبه يرد قول البيهقي رحمه الله والذي دلت عليه الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلفه في تلك الايام التي كان يصلي بالناس فيها مرة وصلى أبو بكر رضي الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم مرة * وقال صلى الله عليه وسلم في مرضه ذلك يوما لعبد الله بن زمعة ابن الاسود مر الناس فليصلوا أي صلاة الصبح * وكان أبو بكر رضي الله عنه غائبا فقدم عبد الله عمر رضي الله عنه يصلي بالناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته أخرج رأسه الشريف حتى أطلعه للناس من حجرته ثم قال صلى الله عليه وسلم لالالا ثلاث مرات ليصل بهم ابن أبي قحافة فانتقضت الصفوف وانصرف عمر رضي الله عنه أي من الصلاة فما برح القوم حتى طلع ابن أبي قحافة فتقدم وصلى بالناس الصبح * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت عمر رضي الله عنه قال أليس هذا صوت عمر فقالوا بلى يارسول الله فقال يأبى الله ذلك والمؤمنون وفي لفظ يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر قال ذلك ثلاثا قال في السيرة الشامية فبعث صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر رضي الله عنه تلك الصلاة فصلى بالناس * وقد يقال المراد بصلى عمر تلك الصلاة نوى تلك الصلاة ودخل فيها فلا يخالف ماتقدم من انتقاض الصفوف وانصراف عمر رضي الله عنه من الصلاة وقال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت يا ابن زمعة والله ماظننت حين أمرتني الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا فقال عبد الله بن زمعة رضي الله عنه ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكن حيث لم أر أبا بكر ورأيتك أحق من حضر بالصلاة وفي آخر يوم أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الستارة والناس خلف أبي بكر فأراد الناس أن ينحرفوا فأشار اليهم صلى الله عليه وسلم أن امكثوا وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من هيئة المسلمين في صلاتهم سرورا منه صلى الله عليه وسلم بذلك وذلك يوم الاثنين يوم موته صلى الله عليه وسلم ثم ألقى الستارة وفي السيرة الشامية لما كان يوم الاثنين قبض الله تبارك وتعالى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وفتح الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة رضي الله عنها فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به فأشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر رضى الله عنه الى أهله بالسنح * وفيها فى رواية أنه لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى صلاة الصبح وأبو بكر يصلى بالناس فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس فعرف أبو بكر رضى الله عنه أن الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه على يمين أبى بكر رضى الله عنه نصلى قاعدا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس وانعاضوته حتى خرج من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم انى والله ما تمسكون على بشئ انى لم أحل الا ما أحل القران ولم أحرم الا ما حرم القران * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله قد أراك بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة فآتيها قال نعم ثم دخل صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر رضى الله عنه الى أهله بالسنح فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وقد أمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه أن يصلى بالناس قبل مرضه فانه صلى الله عليه وسلم خرج الى قباء بعد أن صلى الظهر * وقد وقع بين طائفتين من بنى عمرو بنى عوف تشاجر حتى تراموا بالحجارة ليصلح بينهم فقال صلى الله عليه وسلم لبلال رضى الله عنه ان حضرت صلاة العصر ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أذن بلال ثم أقام ثم أمر أبا بكر رضى الله عنه فتقدم وصلى بالناس فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشق الناس حتى قام خلف أبى بكر فصفح الناس أى صفقوا فلما كثر ذلك التفت أبو بكر رضى الله عنه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فأراد التأخر فأومأ اليه صلى الله عليه وسلم أن يكون على حاله وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس * فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال يا أبا بكر ما منعك اذ أومأت اليك أن لا تكون ثبت فقال أبو بكر يا رسول الله لم يكن لابن أبى قحافة أن يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للناس اذا نابكم فى صلاتكم شئ فليسبح الرجال ولتصفق النساء * وهذا استدل به القاضى عياض رحمه الله على أنه لا يجوز لاحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصلح للتقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ولا فى غيرها لا لعذر ولا لغيره * وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له صلى

الله عليه وسلم ❊ وقد قال صلى الله عليه وسلم أئمتكم شفعاؤكم وحينئذ يحتاج للجواب عن صلاته صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ركعة وسيأتى الجواب عن ذلك ولعل هذه المرة كانت فى اليوم الذى توفى فيه صلى الله عليه وسلم ❊ فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالناس الغداة ورأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم قد برىء ففرحوا فرحا شديدا ❊ ثم جلس صلى الله عليه وسلم فى مصلاه يحدثهم حتى أضحى ثم قام صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يتفرق الناس من مجالسهم حتى سمعوا صياح الناس وهب يقلب الساعظنا أنه غشى عليه وابتدر المسلمون الباب فسبقهم العباس رضى الله عنه فدخل وأغلق الباب دونهم فلم يلبث ان خرج اليهم فنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ياعباس ما أدركت منه صلى الله عليه وسلم فقال أدركته وهو يقول جلال ربى الرفيع قد بلغت ثم قضى فكان هذا آخر شىء تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأيته فى الامتاع نقل هذا القول الذى قدمته عن البيهقى ❊ وذكر فى رواية أخرى لم يزل أبو بكر رضى الله عنه يصلى بالناس حتى كانت ليلة الاثنين فأقلع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعك وأصبح مفيقا فعمد الى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل وعلى غلام له يدعى ثوبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ❊ وقد شهد الناس مع أبى بكر رضى الله عنه ركعة من صلاة الصبح وقام ليأتى بالركعة الاخرى فجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يتفرجون له حتى قام الى جنب أبى بكر رضى الله عنه فاستأخر أبو بكر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فقدمه فى مصلاه وجلس صلى الله عليه وسلم فلما فرغ أبو بكر رضى الله عنه من صلاته أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة ثم انصرف الى جذع من جذوع المسجد فجلس الى ذلك الجذع واجتمع اليه المسلمون يسلمون عليه ويدعون له بالعافية ❊ ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل بيت عائشة ودخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة رضى الله عنها ❊ وقال الحمد لله قد أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم معافا وأرجو أن يكون الله عز وجل قد شفاه ❊ ثم ركب رضى الله عنه فلحق بأهله بالسنح وانقلبت كل امرأة من نسائه صلى الله عليه وسلم الى بيتها ❊ فلما دخل صلى الله عليه وسلم اشتد عليه الوعك فرجع اليه من كان ذهب من نسائه وأخذ فى الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق ويشخص بصره الى السماء فيقول فى الرفيق الاعلى الاله ❊ وكان عنده صلى الله عليه وسلم وقد اشتد به الامر قدح فيه

ماء * وفى لفظ بدل قدح علبة وفى لفظ ركوة فيها ماء فلما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم الامر صار يدخل يده الشريفة فى القدح * ثم يمسح وجهه الشريف بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت أى غمراته * وعن فاطمة رضى الله عنها ما رأت صلى الله عليه وسلم لما يتغشاه الكرب وتقول واكرب أبتاه فيقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أبيك كرب بعد اليوم * أقول وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال واكرباه وقال لا اله الا الله ان للموت لسكرات * اللهم أعنى على سكرة الموت * وفى رواية اللهم أعنى على كرب الموت والحكمة فى ذلك أى فيما شوهد من شدة ما لقى من الكرب عند الموت تسلية أمته صلى الله عليه وسلم اذا وقع لاحد منهم شىء من ذلك عند الموت * ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها لا أكره شدة الموت لاحد أبدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى رواية لا أزال أغبط المؤمن بشدة الموت بعد شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحصل لمن شاهده من أهله وغيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم من المشقة عليه * كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب الشديد ثم رأيت الاستاذ الاعظم الشيخ محمد البكرى رحمه الله ونفعنا به سئل عن ذلك فأجاب بأجوبة منها هذا الذى ذكرته * ومنها أن مزاجه الشريف كان أعدل الامزجة فاحساسه صلى الله عليه وسلم بالالم أكثر من غيره * ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم أنى لا وعك كما يوعك رجلان منكم ولان تشبث الحياة الانسانية ببدنه الشريف أقوى من تشبثها ببدن غيره لانه أصل الموجودات كلها أى كما تقدم أى وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم فى مرضه ليس أحد أشد بلاء من الانبياء كان النبى من أنبياء الله يسلط عليه القمل حتى يقتله وكان النبى صلى الله عليه وسلم ليعرى حتى ما يجد ثوبا يوارى به عورته الا العباءة يدرعها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء * وقال صلى الله عليه وسلم ما يبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشى على الارض ليس عليه خطيئة وقال ليس من عبد مسلم يصيبه أذى فما سواه الاحط عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها * وفى لفظ لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة * وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل يشتكى ويتقلب على فراشه وكان يعوذ بهذه الكلمات اذا اشتكى أحد من الناس أذهب الباس رب الناس واشف أنت

الشافي لاشفاء الاشفاؤك شفاء لايغادر سقما * فلما ثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه أخذت بيده اليمنى وجعلت أمسحه بها فأعوذه بتلك الكلمات فانتزع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من يدي * وقال اللهم اغفرلي واجعلني في الرفيق الاعلى مرتين * وفي رواية لم يشتك صلى الله عليه وسلم شكوى الا سأل الله العافية حتى كان مرضه الذي مات فيه فانه لم يكن يدعو بالشفاء وطفق صلى الله عليه وسلم يقول يانفس مالك تلوذين كل ملاذ أي وعن عائشة رضي الله عنها دخل على عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ومعه سواك يستن به أي من عسيب النخل * وكان أحب السواك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضريبع الاراك وهو قضيب يلتوى من الاراك حتى يبلغ التراب فيبقى في ظلها فهو ألين من فرعها فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت أنه يريده لانه كان يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه ان نعم فتناولته فقصمته ثم مضغته وفي رواية فتناولته فناولته اياه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند الى صدري وكانت رضي الله عنها تقول ان من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو في بيتي وبين سحري ونحري أي والسحر الرئة * وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته * وفي رواية فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وجاء أنهم لدوه صلى الله عليه وسلم في هذا المرض أي أسقوه لدودا من أحد جانبي فمه وجعل يشير اليهم وهو صلى الله عليه وسلم مغمى عليه أن لا يفعلوا به وهم يظنون أن الحامل له على ذلك كراهة المريض للدواء * فلما أفاق قال ألم أنهكم أن لا تلدوني لا يبقى أحد في البيت الالدوأنا أنظره الا العباس فانه لم يشهدكم وهذا ردّ عليهم فانه قد جاء أنهم قالوا له عمك العباس أمر بذلك ولم يكن له في ذلك رأى انما قالوا ذلك تعللا وخوفا منه صلى الله عليه وسلم قالوا تخوفنا أن يكون ذات الجنب فان الخاصرة أي وهو عرق في الكلية اذا تحرك وجع صاحبه كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ذلك اليوم فأغمى عليه حتى ظنوا أنه قد هلك فلدوه أي لدته أسماء بنت عميس رضي الله عنها * فلما أفاق وأراد أن يلدّ من في البيت لدّ جميع من في البيت حتى ميمونة رضي الله عنها وكانت صائمة هذا * وفي رواية أنه لما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم المرض دخل عليه عمه العباس رضي الله عنه وقد أغمى عليه فقال لازواج النبي صلى الله عليه وسلم لولددتمه قلن انا لانجترى

على ذات [illegible] قال من لدنى
فقد [illegible] ثم قلن كان
العباس هو قد لدك وقالت له أسماء بنت عميس رضى الله عنها انما فعلنا
ذلك ظننا أن بك يارسول الله ذات الجنب فقال لها ان ذلك لداء ما كان الله
ليعذبنى به * وفى رواية أنا أكرم على الله من أن يعذبنى بها وفى أخرى انها من
الشيطان وما كان الله ليسلطها على * قال بعضهم وهذا يدل على أنها من سيىء
الاسقام التى استعاذ صلى الله عليه وسلم منها بقوله اللهم انى أعوذ بك من الجنون
والجذام وسيىء الاسقام * وفى السيرة الشامية لما أغمى عليه صلى الله عليه وسلم
اجتمع عليه نساء من نسائه منهم أم سلمة وميمونة ومن نساء المؤمنين منهم أسماء
بنت عميس وعنده صلى الله عليه وسلم العباس عمه واجتمعوا على ان يلدوه فلدوه
* فلما افاق صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بى قالوا يارسول الله عمك
فقال عمه العباس رضى الله عنه حسبنا يارسول الله أن يكون بك ذات
الجنب فقال ان ذلك داء ما كان الله ليعذبنى به لا يبقى فى البيت أحد الالد الا عمى
فلدوا حتى ميمونة وكانت رضى الله تعالى عنها صائمة عقوبة لهم بما صنعوا واعتق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه هذا أربعين نفسا وكانت عنده صلى الله
عليه وسلم سبعة دنانير أو ستة فأمر عائشة رضى الله عنها ان تتصدق بها بعد ان
وضعها صلى الله عليه وسلم فى كفه وقال ما ظن محمد بربه ان لو لقى الله وهذه عنده
فتصدقت بها * وفى رواية أمرها بارسالها الى على كرم الله وجهه ليتصدق
بها فبعثت بها اليه فتصدق بها بعد ان وضعها فى كفه وقد كان عمه العباس رضى
الله عنه قبل ذلك بيسير رأى ان القمر قد رفع من الارض الى السماء فقصها على
النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هو ابن أخيك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل
عليه السلام صحبة ملك الموت وقال له يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك قال فاقبض
ياملك الموت كما أمرت فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أتاه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد ان الله أرسلنى اليك تكريما لك وتشريفا أسألك عما
هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مغموما وأجدنى
يا جبريل مكروبا ثم جاءه اليوم الثانى والثالث فقال له ذلك فرد عليه صلى الله
عليه وسلم بمثل ذلك وجاء معه فى اليوم الثالث ملك الموت فقال له جبريل عليه
السلام هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على
آدمى بعدك أتأذن له فأذن له فدخل فسلم عليه * ثم قال يا محمد ان الله أرسلنى

اليك فان أمرتني أن أقبض روحه قبضت * وان أمرتني أن أتركه تركت قال أوتفعل قال نعم وبذلك أمرت فنظر النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال له يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك * أي وفي رواية أتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقرؤك السلام ورحمة الله ويقول لك ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربي يصنع بي مايشاء * وفي رواية الخلد في الدنيا ثم الجنة أحب اليك أم لقاء ربك ثم الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاء ربي ثم الجنة * أي وجاء أن جبريل عليه السلام قال وهذا آخر وطئي بالارض * وفي لفظ آخر عهدي بالارض بعدك ولن أهبط الى الارض لاحد بعدك * قال الحافظ السيوطي رحمه الله وهو حديث ضعيف جدا ولو لم يكن فيه معارضة أي لما ورد أنه ينزل ليلة القدر مع الملائكة يصلون على كل قائم وقاعد يذكر الله لانه يحمل على أنه آخر نزوله بالوحي وفيه أنه ذكر أن حديث يوحي الله الى عيسى عليه السلام أي بعد قتله الدجال صريح في أنه يوحى اليه بعد النزول والظاهر أن الجائي اليه عليه السلام بالوحي جبريل عليه السلام بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته لانه السفير بين الله ورسله عليهم الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض لما أمرت به فقبض روحه الشريفة وعند اشتداد الامر به صلى الله عليه وسلم أرسلت عائشة رضي الله عنها خلف أبي بكر رضي الله عنه أي لانه كان تقدم لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا وقال له قد رد الله بك علينا عقولنا وقد أصبحت بنعمة من الله وفضل فقال له أبو بكر يا رسول الله اليوم يوم بنت خارجة يعني زوجته وكانت بالسنح قال له ائت أهلك فقام أبو بكر وذهب وأرسلت حفصة خلف عمر وأرسلت فاطمة خلف علي كرم الله وجهه فلم يجيء أحد منهم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صدر عائشة وذلك يوم الاثنين حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول هكذا ذكر بعضهم وقال السهيلي لا يصح أن يكون وفاته يوم الاثنين الا في ثالث عشرة أو رابع عشرة لاجماع المسلمين على أن وقفة عرفة كانت يوم الجمعة وهو تاسع ذي الحجة وكان المحرم اما بالجمعة واما بالسبت فان كان السبت فيكون أول صفر اما الاحد أو الاثنين فعلى هذا لا يكون الثاني عشر من شهر ربيع الاول بوجه وقال الكلبي أنه توفي في الثاني من شهر ربيع الاول قال الطبري وهذا القول وان كان خلاف الجمهور فلا يبعد ان كانت الثلاثة أشهر التي قبلها كلها تسعة وعشرين يوما وفيما قاله نظر لمتابعة أنس

ابن مالك فيما حكاه البيهقي والواقدي وقال الخوارزمي توفي أول شهر ربيع الاول
وفي رواية أن سالم بن عبيد ذهب وراء الصديق الى السنح فأعلمه بموت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك ذهب الى الصديق
بعد الرسول الذي أرسلته له عائشة رضي الله عنها قبل موته صلى الله عليه وسلم
وآخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره ولا يفيض بها لسانه
وآخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك بجزيرة العرب دينان وكانت
مدة شكواه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر ليلة وقيل أربعة عشر ليلة وقيل اثنى
عشر ليلة وقيل عشرا وقيل ثمانية وقالت فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وا أبتاه اجاب داعيا دعاه يا أبتاه الفردوس مأواه يا أبتاه الى
جبريل ننعاه قال ابن كثير رحمه الله وهذا لا يعد نياحة بل هو من ذكر فضائل
الحق عليه عليه أفضل الصلاة والسلام قال وانما قلنا هذا لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن النياحة * وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من سفاهة
رأيي وحداثة سني اني أخذت وسادة فوسدتها رأسه الشريف من حجري ثم
قمت مع النساء أبكي والتدم والالتدام ضرب الخد باليد عند المصيبة وسمعوا قائلا
ولا يرون شخصه قال انه الخضر عليه السلام أي قال علي كرم الله وجهه أتدرون
من هذا هذا الخضر عليه السلام * وفي اسناده متروك يقول السلام عليكم
يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم
القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا عن كل هالك ودركا من كل ما فات
فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته * قال ابن كثير رحمه الله هذا الحديث مرسل وفي اسناده ضعف
* وسجي صلى الله عليه وسلم بثوب حبرة أي بالاضافة برد من برود اليمن والاتفق
على أن ثيابه صلى الله عليه وسلم التي كانت عليه قبل الموت نزعت عنه ثم سجي
الاان كلام فقهائنا يشعر بذلك حيث جعلوا ذلك دليلا لنزع ثياب الميت وستره
بثوب * وعند ذلك دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فأما عمر
رضي الله تعالى عنه فخبل * وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فأخرس وأما علي
كرم الله وجهه فأقعد وجاء أبو بكر وعيناه تهملان فقبل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين
وثبت جأشهم أي فان عمر رضي الله تعالى عنه صار في ناحية المسجد يقول والله

ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى ناس من المنافقين كثير وأرجلهم وصار رضى الله عنه يتوعد من قال انه مات بالقتل أو القطع ونقل عنه رضى الله عنه انه قال ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولكن ما مات ولكن ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام ثم رجع الى قومه بعد أربعين ليلة بعد أن قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى بن عمران عليه السلام فليقطعن يدى رجال وأرجلهم ولا زال رضى الله عنه يتوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه فقام أبو بكر رضى الله عنه وصعد المنبر * وقال كلاما بليغا ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين * فقال عمر رضى الله عنه هذه الآية فى القرآن * وفى لفظ كأنى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا ثم قال انا لله وانا اليه راجعون صلوات الله وسلامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وعند ذلك نحتسب رسوله * قال يعنى أبا بكر وقال والله لمحمد صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون وقال تعالى كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة * فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه بالخلافة كما سيأتى اقبلوا على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل يغسل فى ثيابه أو يجرد منها كما تجرد الموتى فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من ناحية البيت قائلا يقول لا تغسلوه فانه كان طاهرا فقال أهل البيت صدق فلا تغسلوه فقال العباس رضى الله عنه لا ندع سنة لصوت لا ندرى ما هو فغشيهم النعاس ثانية فناداهم أن غسلوه وعليه ثيابه * أى وزاد فى رواية فان ذلك ابليس وأنا الخضر وفى رواية لا تنزعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه قال الذهبى حديث منكر فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه * وفى لفظ وعليه قميص محلول مفتوح يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون أيديهم على والعباس وكذا ولد العباس الفضل وقثم فكان العباس وابناه الفضل وقثم يقلبونه مع على * وفى لفظ غسله على والفضل محتضنه والعباس يصب الماء وجعل الفضل رضى الله عنه يقول أرحنى قطعت وتينى وأسامة وشقران مولاه وفى لفظ وصالح

مولاه صلى الله عليه وسلم يصبان الماء ولف على كرم الله وجهه على يده خرقة
وأدخلها تحت القميص يغسل بها جسده الشريف وعن على كرم الله وجهه
ذهبت ألتمس منه ما يلتمس من الميت أى ما يخرج من بطن الميت فلم أر شيأ فكان
صلى الله عليه وسلم طيبا حيا وميتا وما تناولت منه صلى الله عليه وسلم عضوا الا
كأنما يقلبه معى ثلاثون رجلا أى ويحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم عن الفضل
رضى الله عنه * قيل وتغسيل على كرم الله وجهه له صلى الله عليه وسلم كان
بوصية منه صلى الله عليه وسلم له فعن على كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أوصى أن لا يغسله أحد غيرى * وقال لا يرى أحد عورتى الا طمست
عيناه غيرك * أى على فرض وقوع ذلك فلا ينافى ما تقدم وادعى الذهبى أن هذا
الحديث منكر * وفى رواية فكان الفضل وأسامة رضى الله عنهما يناولان
الماء من وراء الستر وأعينهما معصوبة * وفى لفظ كان العباس وأسامة يناولان
الماء من وراء الستر أى لأن العباس رضى الله عنه نصب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلة أى خيمة رفيعة من ثياب يمانية فى جوف البيت وأدخل عليا بها
زاد بعضهم والفضل وأبا سفيان بن الحارث بن عمه صلى الله عليه وسلم ونصب
الكلة دليل لقول فقهائنا رحمهم الله والاكمل وضع الميت عند الغسل فى موضع
خال من الناس مستور عنهم لا يدخله الا الغاسل ومن يعينه والذى رواه ابن ماجه
رحمه الله أنه تولى غسله صلى الله عليه وسلم على والفضل وأسامة بن زيد
يناول الماء والعباس واقف أى لا يغسل ولا يناول الماء * أى ويحتاج للجمع بين
هذه الروايات وقيل ان العباس لم يشاهد غسله صلى الله عليه وسلم وعن على
رضى الله عنه لما غسلت النبى صلى الله عليه وسلم اجتمع ماء فى حقويه فرفعته
بلسانى وازدردته فأورثنى ذلك قوة حفظى ويروى أنه كرم الله وجهه رأى فى
عينه صلى الله عليه وسلم قذاة فأدخل لسانه فأخرجها منها * وعن عائشة
رضى الله عنها والله لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا نساؤه أى لو ظهر لها ما قولها المذكور وقت غسله صلى الله عليه وسلم
ما غسله صلى الله عليه وسلم الا نساؤه وغسل ثلاث غسلات واحدة بالماء القراح
وواحدة بالماء والسدر أى والغسلة التى كانت بالماء القراح كانت قبل الغسلة التى
بالسدر فهى المزيلة وواحدة بالماء مع الكافور أى وهذه هى الجرية فى الغسل
هذا * وفى كلام سبط بن الجوزى رحمه الله وغسل صلى الله عليه وسلم فى المرة
الاولى بالماء القراح * وفى الثانية بالماء والسدر وفى الثالثة بالماء والكافور وفى

لفظا فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله وغسل من ماء بئر غرس وهي بئر بقباء قال صلى الله عليه وسلم نعم البئر بئر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه وكان صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويؤتى له بالماء منها وعند ابن ماجه رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه اذا أنامت فاغسلني بسبع قرب من بئري بئر غرس وكفن صلى الله عليه وسلم بثلاثة أثواب سحولية أي بيض من القطن من عمل سحوله قرية من قرى اليمن ❊ وفي رواية الشيخين عنها كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة قيل ازار ورداء ولفافة ❊ وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أي لم يكن في كفنه صلى الله عليه وسلم ذلك كذا فسر بذلك امامنا الشافعي رحمه الله وجمهور العلماء قال بعضهم وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وما قيل ان معناه أن القميص والعمامة زائدان على الاثواب الثلاثة ليس في محله لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة وهذا يدل على أنه نزع عنه صلى الله عليه وسلم القميص الذي غسل فيه قبل تكفينه في الاثواب الثلاثة ❊ وقيل كفن في ذلك الثوب بعد عصره وفيه أنه لا يخلو عن الرطوبة وهي تفسد الاكفان ويؤيد كونه صلى الله عليه وسلم كفن في ذلك الثوب ما جاء في رواية كفن صلى الله عليه وسلم في ثوبه الذي مات فيه وحلة نجرانية والحلة ثوب فوق ثوب ❊ قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفي كلام بعضهم أنه حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به ❊ وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كفن في الاثواب الثلاثة المتقدمة وزيادة برد حبرة أحمر ❊ وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت أتي بالبرد ولفوه فيه ولكنهم ردوه أي ثم نزع عنه صلى الله عليه وسلم ولم يكفنوه فيه ❊ وفي رواية ثوبين وبرد أحمر وهذا يخالف ما عليه أئمتنا أن من كفن في ثلاثة أثواب يجب أن تكون لفائف يستر كل منها جميع البدن وفي رواية كفن في سبعة أثواب وبعد تكفينه صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الثلاثاء وضع على سريره في لفظ ثم أدرج صلى الله عليه وسلم في أكفانه وجمر وعودا وندا ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره ❊ وذكر أنه كان عند علي كرم الله وجهه مسك وقال انه من فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم الناس أفذاذا لم يؤمهم أحد ❊ وفي لفظ لما أدرج صلى الله عليه وسلم في أكفانه ووضع على سريره ثم وضع على شفير حفرته ثم صار الناس يدخلون عليه رفقا رفقا لا يؤمهم احد وذكر أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين

والانصار بقدر ما يسع البيت فقالا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وسلم المهاجرون والانصار كما سلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحد وكان أبو بكر وعمر في الصف الاول الذي حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا اللهم انا نشهد انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل اليه ونصح لامته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا الهنا ممن تبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه كان بالمؤمنين رؤفا رحيما لا نبتغي بالايمان به بدلا ولا نشتري به ثمنا أبدا فيقول الناس آمين آمين * وهذا يدل على أن المراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء لا الصلاة على الجنازة المعروفة عندهم والصحيح ان هذا الدعاء كان ضمن الصلاة المعروفة التي بأربع تكبيرات * فقد جاء أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فكبر أربع تكبيرات ثم دخل عمر رضي الله عنه فكبر أربعا ثم دخل عثمان رضي الله عنه فكبر أربعا ثم دخل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما ثم تتابع الناس ارسالا يكبرون عليه أي وعلى هذا انما خصوا الدعاء بالذكر لانه الذي يليق به صلى الله عليه وسلم ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك * قال وقال ابن كثير رحمه الله وهذا الامر أي صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم فرادى من غير امام يؤمهم مجمع عليه ولا يقال لان المسلمين لم يكن لهم حينئذ امام لانهم لم يشرعوا في تجهيزه عليه الصلاة والسلام الا بعد تمام البيعة لابي بكر رضي الله عنه لانه لما تحقق موته صلى الله عليه وسلم واجتمع غالب المهاجرين على أبي بكر وعمر وانضم اليهم من الانصار أسيد بن حضير في بني عبد الاشهل ومن معه من الاوس وتخلف علي والزبير * أي ومن كان معهما من المهاجرين كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بني هاشم في بيت فاطمة وتخلف الانصار بأجمعهم واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة * أي في دار سعد بن عبادة وكان سعد مريضا ملازما بيته أي اجتمعوا أولا ثم تفرق عنهم أسيد بن حضير رضي الله عنه ومن معه من الاوس فلا يخالف ذلك ما تقدم من انضمام أسيد بن حضير رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين رضي الله عنهم مع أبي بكر رضي الله عنه ولا يخالف ذلك ما في بعض الروايات عن عمر رضي الله عنه وتخلف الانصار عنا بأجمعهم في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون الى أبي بكر رضي الله عنه الا عليا والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة رضي الله عنها فقال عمر رضي الله عنه لابي بكر رضي الله عنه انطلق بنا الى اخواننا من الانصار أي فانه أتاهم آت فقال ان هذا الحي من الانصار

مع سعد بن عبادة رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم أي فعن عمر رضي الله عنه بينا نحن في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ دخل رجل ينادي من وراء الجدار ان اخرج الي يا ابن الخطاب فقلت اليك عني فانا عنك متشاغل يعني بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد حدث أمر ان الانصار قد اجتمعوا سقيفة بني ساعدة فأدركهم قبل أن يحدثوا أمرا يكون فيه حرب قال فانطلقنا نؤمهم أي نقصدهم حتى رأينا رجلين صالحين أي وهما عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي وهما من الاوس قالا أين تريدون فقلت نريد اخواننا من الانصار فقالا لا عليكم أن تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين بينكم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا هم مجتمعون واذا بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا انه وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله * ثم قال اما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم أي دب قوم بالاستعلاء والترفع علينا تريدون أن تختزلونا من أهلنا أي تنحونا عنه وتستبدون به دوننا * فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه على رسلك يا عمر فكرهت أن أغضبه وكنت أرى منه بعض الحدة فسكت وكان أعلم مني والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قالها في بديهته وأفضل فقال اما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا يعني مكة ولدتنا العرب كلها فليست منها قبيلة الا لقريش منها ولادة ودارونا معاشر المهاجرين أول الناس اسلاما ونحن عشيرته صلى الله عليه وسلم وأقاربه وذوو رحمه فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة ولم يترك شيأ أنزل في الكتاب بأيديهم الا قاله ولا شيأ قاله رسول صلى الله عليه وسلم في شأن الانصار الا ذكره * ومنه لو سلكت الناس واديا وسلكت الانصار واديا لسلكت وادي الانصار * وقال لقد علمت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر فقال له سعد رضي الله عنه صدقت فقال أي الصديق رضي الله عنه نحن الوزراء وأنتم الامراء * أي وفي رواية أنه أي الصديق رضي الله عنه قال لهم أنتم الذين آمنوا ونحن الصادقون انما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والصادقون هم المهاجرون * قال الله

تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون * وفى رواية أن أبابكر رضى الله عنه احتج على الانصار بخبر الائمة من قريش وهو حديث صحيح ورد عن نحو أربعين صحابيا وانتم يامعشر الانصار اخواننا فى كتاب الله وشركاؤنا فى الدين وانتم أحق بالرضا بقضاء الله وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين أيهما شئتم واخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح ولم اكره مما قال غيرها * وكان والله أن أقدم فتضرب عنقى ولايقربنى ذلك من اثم أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال كل من عمر وأبى عبيدة لاينبغى لاحد أن يكون فوقك يا أبابكر أى وفى لفظ بل نبايعك وانت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من عمر رضى الله عنه كان بعد ان أتى أباعبيدة وقال انك أمين هذه الامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مارأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين * وفى رواية ان أبابكر رضى الله عنه قال لعمر أبسط يدك لابايعك فقال له أنت أفضل منى فاجابه بأنت أقوى منى ثم كرر ذلك فقال له فان قوتى لك مع فضلك واعترض قول أبى بكر المذكور بأنه كيف يقول ذلك مع علمه بانه أحق بالخلافة وكيف يقدم أباعبيدة على عمر مع انه أفضل منه وأجيب بانه رضى الله عنه قال ذلك لانه استحى أن يقول رضيت لكم نفسى مع علمه بأن كلا من عمر وأبى عبيدة لايقبل وان أبابكر رضى الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحق عند أهل السنة لانه قد يكون أقدر من الافضل على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الامر وما فيه انتظام حال الرعية وعند قول أبى بكر رضى الله عنه ماذكر قال قائل من الانصار أى وهو الحباب بحاء مهملة مضمومة فموحدة رضى الله عنه ابن المنذر أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب بالجيم والجذيل تصغير الجذل وهو عود ينصب للابل الجرباء فتحتك به ليزول جربها والمحكك الذى كثربه الاحتكاك حتى صار أملس والعذيق تصغير العذق بفتح العين وهو النخلة والمرجب المسند بالرجبة وهى خشبة ذات شعبتين يسند بها النخلة اذا كثر حملها * أى أنا ذو الرأى والتدبير الذى يستشفى به فى الحوادث لاسيما هذه الحادثة منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وتتابعت خطباؤهم على ذلك وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استعمل الرجل منكم قرن معه رجلا منا فنرى ان يلى هذا الامر رجلان منا ومنكم فقام زيد بن ثابت رضى الله عنه وقال للانصار أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وكنا نحن أنصاره فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبى بكر رضى الله

عنه * وقال هذا صاحبكم فقال الحباب ابن المنذر رضي الله عنه يامعشر الانصار لاتسمعوا مقالة هذا فيذهب قريش بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم فاجلوهم من بلادكم فأنتم أحق به منهم أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة فقال له عمر رضي الله عنه اذا يقتلك الله فقال بل أراك تقتل فقال بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير رضي الله عنهما فقال يامعشر الانصار انا كنا أول من سبق الى هذا الدين وجهاد المشركين ما قصدنا الا رضى الله ورسوله فلا ينبغي لنا ان نستطيل على الناس ولا نطلب عرض الدنيا وان قريشا أولى بهذا الامر فلا تنازعهم فقال له الحباب ألقيت على ابن عمك يعني سعد بن عبادة فقال لا والله ولكني كرهت ان أنازع قوما حقا جعله الله لهم * وفي رواية * قال عمر رضي الله عنه يامعشر الانصار ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر يؤم الناس وأيكم يطيب نفسه ان يتقدم أبا بكر وفي لفظ ان يقيمه عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر رضي الله عنه * وفي لفظ قالوا نستغفر الله لا تطيب أنفسنا ولعل المراد قال معظمهم فلا يخالف ذلك ما جاء عن عمر رضي الله عنه ولما كثر اللغط وعلت الاصوات حتى خشيت الاختلاف وقلت سيفان في غمد واحد لا يكونان * وفي رواية هيهات لا يجتمع فحلان في مغرس فقلت أبسط يدك يا أبا بكر وكذا قال له من الانصار زيد بن ثابت وأسيد ابن حضير وبشير ابن سعد رضي الله عنهم فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار أي حتى سعد بن عبادة رضي الله عنه خلافا لمن قال ان سعد بن عبادة أبى ان يبايع أبا بكر حتى لقي الله أي فانه رضي الله تعالى عنه توجه الى الشام ومات بها قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والعذر له في ذلك أنه رضي الله عنه تأول ان للانصار في الخلافة استحقاقا فبنى على ذلك وهو معذور وان لم يكن ما اعتقده من ذلك حقا هذا كلامه ولا ينافيه ما جاء عن عمر رضي الله عنه وثبنا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة أي فعلتم معه من الاعراض والاذلال ما يقتله فقلت قتل الله سعد بن عبادة فانه صاحب فتنة نعم ينافيه ما حكاه ابن عبد البر أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أبا أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله * وقال بعضهم ويضعفه ما جاء في بعض الروايات ان أبا بكر رضي الله عنه لما قال لسعد لقد علمت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر قال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الامراء وبه يظهر التوقف فيما تقدم عن ابن حجر رحمه الله هذا وفي كلام سبط بن الجوزي رحمه الله وأنكر

على سعد أمره وكادوا يطؤون سعدا فقال ناس من أصحابه اتقوا سعدا لا تطؤه فقال عمر رضي الله عنه اقتلوا سعدا قتله الله ثم قام عمر رضي الله عنه على رأس سعد وقال قد هممت ان أطأك حتى تندر عيونك فأخذ قيس بن سعد رضي الله عنه بلحية عمر رضي الله عنه وقال والله لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة فقال أبو بكر رضي الله عنه مهلا يا عمر الرفق الرفق ما هنا أبلغ فقال سعد أما والله لو كان لي قوة على النهوض لاسمعتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع * فلما عاد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الى محلهما أرسلا له بايع فقد بايع الناس فقال لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب من دمائكم سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يداي والله لو اجتمع لكم الجن والانس لما بايعتكم * فلما عاد الرسول وأخبرهم بما قال قال له عمر لا ندعه حتى يبايع فقال له قيس ابن سعد دعه فقد لج فاتركوه فتركوه * وكان سعد رضي الله عنه لا يحضر معهم ولا يصلي في المسجد ولا يسلم على من لقي منهم فلم يزل مجانبا لهم حتى اذا كان بعرفة يقف ناحية عنهم فلما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة فقال له ايه يا سعد فقال له ايه يا عمر فقال له عمر أنت صاحب المقالة قال نعم انا ذاك وقد أفضى الله اليك هذا الامر كان والله صاحبك خيرا لنا وأحب الينا من جوارك * وقد أصبحت كارها لجوارك * فقال له عمر رضي الله عنه انه من كره جوار جاره تحول عنه فقال له سعد اني متحول الى جوار من هو خير من جوارك فخرج رضي الله عنه الى الشام واستمر بها الى أن مات في السنة الخامسة عشر من الهجرة * وذكر الطبري رحمه الله ان سعدا رضي الله عنه بايع مكرها وهو وهم هذا كلام سبط بن الجوزي رحمه الله * قال عمر رضي الله عنه وانما بايعنا أبا بكر خشية ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة * فاما ان نبايعهم على ما لا نرضى * واما ان نخالفهم فيكون فيه فساد وذلك كان في يوم موته صلى الله عليه وسلم الذي هو يوم الاثنين * فلما كان الغد كانت البيعة العامة صعد أبو بكر رضي الله عنه المنبر وقام عمر رضي الله عنه بين يدي أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه * ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة عامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال في خطبته بعد ان حمد الله وأثنى عليه أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة

والضعيف فيكم قوى حتى ارتج عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الاضربهم الله بالذل ولا أشيعت الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم * فقوموا الى صلاتكم رحمكم الله وشن الغارة بعض الرافضة على قول الصديق رضى الله عنه فقومونى بأنه كيف تجوز امامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع أن الرعية تحتاج اليه ورد بأن هذا من أكبر الدلائل على فضله لقوله الآخر أطيعونى ما أطعت الله فان عصيته فلا طاعة لى عليكم لان كل أحد ماعدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام تجوز عليه المعصية ولما بويع بالخلافة أصبح رضى الله عنه على ساعده قماش وهو ذاهب به الى السوق فقال له عمر أين تريد قال السوق قال تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالى فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا اليه فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم أى فى سعة النفقة ولا بأوكسهم وكسوة الشتاء والصيف واذا أبليت شيأ رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة * وفى رواية جعل له ألفين فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلت عن التجارة فزادوه خمسمائة وهو رضى الله عنه أول من جمع القرآن وسماه مصحفا والتخذ بيت المال ومنهم من جعل ذلك من أوليات عمر ولما تخلف على والزبير ومن معهما كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بنى هاشم فى بيت فاطمة كما تقدم عن المبايعة استمروا على ذلك مدة لانهم رضى الله عنهم وجدوا فى أنفسهم حيث لم يكونوا فى المشورة أى فى سقيفة بنى ساعدة مع أن لهم فيها حقا * وقد أشار سيدنا عمر رضى الله عنه الى أن بيعة أبى بكر رضى الله عنه كانت فلتة أى بغتة لاعن استعداد لها ولكن وقى الله شرها أى لم يقع فيها مخالفة ولا منازعة ولذلك لما اجتمعوا أى على والزبير والعباس وطلحة بن عبيد الله ومن تخلف عن المبايعة منهم بأبى بكر رضى الله عنه قام خطيبا وقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله فى سر ولا علانية ولكن أشفقت من الفتنة أى لو أخرت الى اجتماعكم * وقد روى أن شخصا قال لابى بكر رضى الله عنه ما حملك على ان تلى أمر الناس وقد نهيتنى أن أتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وقال ما فى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة فقال على والزبير رضى الله عنهما ما غضبنا الا لانا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها انه لصاحب

الغار وأنا لنعرف شرفه وخيره ولذا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة من بين الناس وهو حي ولم يكن تأخرهم رضي الله عنهم لقدح في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ومن ثم قال امامنا الشافعي رضي الله عنه أجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لانهم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر ولو دلقا لهم أي فالامة أجمعت على حقية امامة أبي بكر رضي الله عنه وهذا أي اجتماع على كرم الله وجهه بأبي بكر رضي الله عنه كان بعد ما أرسل اليه على كرم الله وجهه في الاجتماع به واجتمع به كما سيأتي لكن سيأتي ان ذلك كان بعد موت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وسياق غير واحد يدل على أن اجتماع على والزبير ومبايعتهما أبا بكر كان قبل موت فاطمة رضي الله عنها وهو ما صححه ابن حبان وغيره ❊ ويؤيده ما حكاه بعضهم أن الصديق رضي الله عنه خرج يوم الجمعة فقال اجمعوا لي المهاجرين والانصار فاجتمعوا ثم أرسل الى على بن أبي طالب كرم الله وجهه والنفر الذين كانوا تخلفوا معه فقال له ما خلفك يا على عن أمر الناس فقال خلفني عظيم العتبة ورأيتكم استقليتم برأيكم فاعتذر اليه أبو بكر رضي الله عنه بخوف الفتنة لو أخر ثم أشرف على الناس وقال أيها الناس هذا على بن أبي طالب لا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار من أمره الا وأنتم بالخيار جميعا في بيعتكم فان رأيتم لها غيرى فأنا أول من بايعه ❊ فلما سمع ذلك على كرم الله وجهه زال ما كان قد داخله فقال أجل لا نرى لها غيرك امدد يدك فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه فان هذا دليل على أن عليا كرم الله وجهه بايع أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ❊ وفي كلام المسعودي لم يبايع أبا بكر أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ❊ وقال رجل للزهري لم يبايع على كرم الله وجهه أبا بكر ستة أشهر فقال لا والله ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه على كرم الله وجهه قلت أمل الجمع على تقدير الصحة وقد جمع بعضهم بأن عليا كرم الله وجهه بايع أولا ثم انقطع عن أبي بكر لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع ❊ أي ويدل لهذا الجمع ان في رواية أن أبا بكر رضي الله عنه لما صعد المنبر ونظر في وجوه القوم فلم ير الزبير رضي الله عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا كرم الله وجهه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على بنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه ويبعد هذا الجمع ما في البخاري عن عائشة رضي الله

عنها ❊ فلما توفيت فاطمة رضي الله عنها التمس أي علي كرم الله وجهه مصالحة أبي بكر رضي الله عنه ولم يكن بايع تلك الاشهر فأرسل الى أبي بكر الحديث ❊ والسبب الذي اقتضى الوقوع بين فاطمة وأبي بكر رضي الله عنه ما أن فاطمة رضي الله عنها جاءت الى أبي بكر تطلب ارثها مما أعطاه الانصار له صلى الله عليه وسلم من أرضهم وما أوصى به اليه صلى الله عليه وسلم وهو وصية مخيريق عند اسلامه وهي سبعة حوائط في بني النضير ❊ قال سبط ابن الجوزي وهو أول وقف كان في الاسلام ومما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أرض بني النضير وفدك ونصيبه صلى الله عليه وسلم من خيبر وهما حصنان من حصونها الوطيح والسلالم فانه صلى الله عليه وسلم أخذهما صلحا كما تقدم وحصته صلى الله عليه وسلم مما افتتح منها عنوة وهو الخمس فان ذلك كله كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق من ذلك على أهل بيته سنة وما بقي جعله في الكراع أي الخيل والسلاح في سبيل الله فربما احتاج صلى الله عليه وسلم الى شيء ينفقه قبل فراغ السنة فيقترض ولهذا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند اليهودي على آصع من شعير وافتكها أبو بكر وتلك الدرع كانت ذات الفضول التي أهداها له صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة لما توجه الى بدر كما تقدم ولم يشبع هو ولا أهل بيته ثلاثة أيام تباعا أي متتابعة كما تقدم فقال لها أبو بكر رضي الله عنه لست بالذي أقسم من ذلك شيأ ولست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها الا عملته واني أخشى ان تركت أمره أوشيأ من أمره أن أزيغ ❊ وفي رواية قال لها قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هي طعمة أطعمنيها الله فاذا مت عادت على المسلمين فان اتهمتيني فسلي المسلمين يخبرونك بذلك ❊ وقال لها قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ولكن أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه وقوله صدقة هو بالرفع كما هو الرواية أي الذي تركناه فهو صدقة وقد منع بذلك عائشة وبقية أزواجه صلى الله عليه وسلم لما جئن اليه يطلبن ثمنهن وزعمت الرافضة أن الصديق رضي الله عنه كان ظالما لفاطمة بمنعه اياها من مخلف والدها وانه لا دليل له في هذا الخبر الذي رواه لان فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث ورد بأنه انما حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعي فساوى آية المواريث من قطعية المتن ❊ وكان مخصصا لآية المواريث ❊ وذكر عن الرافضة أنهم زعموا أن صدقة بالنصب وأن ما نافيه ويرده

صدر الحديث انا معاشر الانبياء لا نورث ✽ واما رواية نحن معاشر الانبياء فلم توجد في كتاب من كتب الحديث كما قاله غير واحد ومن رواه بذلك رواه بالمعنى لا نا نحن وانا مفادهما واحد ولا يعارض ذلك قوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى حكاية عن زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث اذ المراد وراثة العلم والحكمة ✽ وفي لفظ انها رضي الله عنها قالت له من يرثك قال أهلي وولدي فقالت فما لي لا ارث ابي فقال لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث فغضبت رضي الله عنها من أبي بكر رضي الله عنه وهجرته الى ان ماتت اي فانها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر على ما تقدم ومعنى هجرانها لابي بكر انها لم تطلب منه حاجة ولم تضطر الى لقائه اذ لم ينقل انها رضي الله عنها لقيته ولم تسلم عليه ولا كلمته ✽ وروى ابن سعد ان ابا بكر رضي الله عنه جاء الى بيت علي لما مرضت فاطمة فاستأذن عليها فقال علي كرم الله وجهه هذا ابو بكر على الباب يستأذن فان شئت أن تأذني له فأذني قالت وذاك أحب اليك قال نعم فأذنت له رضي الله عنه فدخل واعتذر اليها فرضيت عنه وان ابا بكر رضي الله عنه صلى عليها وقال الواقدي وثبت عندنا ان عليا كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلا وصلى عليها ومعه العباس والفضل رضي الله عنهم ولم يعلموا بها أحدا ✽ قال بعضهم وكأنها تأولت قوله صلى الله عليه وسلم لا نورث وحملت ذلك على الاموال أي الدراهم والدنانير كما جاء في بعض الروايات لا تقسم ورثتي دينارا ولا درهما بخلاف الاراضي ولعل طلب ارثها من فدك كان منها بعد ان ادعت رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فدكا وقال لها هل لك بينة فشهد لها علي كرم الله وجهه وأم أيمن فقال لها رضي الله عنه أبرجل وامرأة تستحقينها واعترض عليه الرافضة بأن فاطمة معصومة بنص انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وخبر فاطمة بضعة مني فدعواها صادقة لعصمتها وأيضا شهد لها بذلك الحسن والحسين وأم كلثوم رضي الله عنهم وردّ عليهم بأن من جملة أهل البيت أزواجه صلى الله عليه وسلم ولسن بمعصومات اتفاقا فكذلك بقية أهل البيت ✽ وأما كونها بضعة منه فمجاز قطعا وانها كبضعته فيما يرجع للخير والشفقة وأما زعم أنه شهد لها الحسن والحسين وأم كلثوم فباطل لم ينقل عن أحد من يعتمد عليه على ان شهادة الفرع للاصل غير مقبولة ✽ وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله أنه رضي الله عنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر رضي الله عنه فقال ما هذا فقال كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها فقال مماذا تنفق على المسلمين وقد

حاربتك العرب كما ترى ثم أخذ عمر الكتاب فشقه * وقد جاء ان بعد موت فاطمة أى وذلك بعد ستة أشهر من موته صلى الله عليه وسلم لاليالى على ما تقدم أرسل على كرم الله وجهه وقد اجتمع على وبنو هاشم الى أبى بكر وقالوا ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهة ان يحضر عمر رضى الله عنه لما علموا من شدته فخافوا ان ينتصر لأبى بكر رضى الله عنه فيتكلم بكلام يوحش قلوبهم على أبى بكر فقال عمر رضى الله عنه لأبى بكر لا والله لا تدخل عليهم وحدك قال ذلك خوفا عليه ان يغلظوا عليه فى المعاتبة وربما كان ذلك سببا لتغير قلبه فيترتب عليه ما لا ينبغى فقال أبو بكر رضى الله عنه وما يفعلون بى والله لآتينهم أى فدخل عليهم أبو بكر رضى الله عنه وحده فقال له على كرم الله وجهه انا قد عرفنا لك فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك أى لانحسدك عليه ولكن استبددت علينا بالامر أى لم تشاورنا فيه وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا نصيبا أى فى المشاورة ففاضت عينا أبى بكر رضى الله عنه * وقال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من قرابتى فقال له على كرم الله وجهه موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر * أى وقد حضر عنده على كرم الله وجهه رقى المنبر بكسر القاف فتشهد وذكر شأن على كرم الله وجهه وعذره فى تخلفه عن البيعة ثم ان عليا رضى الله عنه بايعه أى بعد ان عظم أبا بكر وذكر فضيلته وسابقته وذكر أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة حق على أبى بكر فأقبل الناس على على كرم الله وجهه وقالوا أصبت وأحسنت وقد علمت الجمع بين من قال بايع بعد ثلاثة أيام من موته صلى الله عليه وسلم * ومن قال لم يبايع الا بعد موت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر وهو انه بايع أولا ثم انقطع عن أبى بكر رضى الله عنه * لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع ثم بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الامر ان تخلفه انما هو لعدم رضاه ببيعته فاطلق ذلك من أطلقه ومن ثم أظهر على كرم الله وجهه مبايعته لأبى بكر ثانيا بعد ثبوتها على المنبر لازالة هذه الشبهة وبهذا يعلم ما وقع فى صحيح مسلم عن أبى سعيد من تأخر بيعة على هو وغيره من بنى هاشم الى موت فاطمة ومن ثم حكم بعضهم عليه بالضعف * ومما يؤيد الضعف ما جاء ان عليا وأبا بكر رضى الله عنهما أتيا لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام فقال على كرم الله وجهه تقدم ياخليفة رسول الله فقال أبو بكر رضى الله عنه ما كنت لاتقدم رجلا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه على منى بمنزلتى من ربى وصلاة

أبي بكر رضي الله عنه بأنه بأس لم تختص بالمرض فقد دعاه أنه وقع قتال بين بني عمرو ابن عوف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال يا بلال ان حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى كما تقدم وفي شرح مسلم للامام النووي رحمه الله وتأخر علي كرم الله وجهه * أي ومن تأخر معه عن البيعة لأبي بكر ليس قادحا فيها لأن العلماء اتفقوا على انه لا يشترط لصحتها مبايعة كل أهل العقد والحل بل مبايعة من تيسر منهم وتأخره كان للعذر * أي الذي تقدم وكان عذر أبي بكر وعمر بقية الصحابة واضح لأنهم رأوا ان المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين لأن تأخرها ربما لزم عليه اختلاف ينشأ عنه مفاسد كثيرة كما أفصح به أبو بكر رضي الله عنه فيما تقدم وجاء كما تقدم انه قيل لعلي كرم الله وجهه هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال لا والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندي من النبي عهد في ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد الا بردتي هذه وما تركت اخا بني تيم وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدي والنبي صلى الله عليه وسلم لم يمت فجأة بل مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني * فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترنا للدنيا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه * وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان فلما قبض ولاها عمر رضي الله عنه فبايعته وأقام فيها لم يختلف عليه منا اثنان وأعطيت ميثاقي لعثمان رضي الله عنه فلما مضوا بايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أي الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية فهو رأى رأيته * وفي لفظ لكن شيء من قبل أنفسنا فهذا تصريح منه كرم الله وجهه بأنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على امامته وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم عند مرجعه من حجة الوداع بعد ان جمع الصحابة وكرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث تقدم الكلام عليه وان ذلك لا يدل على الخلافة وانما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ان بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة أي من غير استعداد ولا مشورة كما تقدم ردا على من بلغه عنه انه قال

اذا مات عمر بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبي بكر عن مشورة فالبيعة لا تتوقف على ذلك فغضب فلما رجع من آخر حجة حجها المدينة قال على المنبر قد بلغني ان فلانا قال والله لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ان بيعة أبي بكر كانت فلتة من غير مشورة فلا يغترن امرؤ أن يقول ان بيعة أبي بكر كانت فلتة فنعم وانها كانت كذلك الا ان الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الاعناق اليه مثل أبي بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فانه لا بيعة له ولا الذي بايعه * ولما ثقل المرض على الصديق رضي الله عنه دعا عبد الرحمن فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال أنت أعلم به مني * فقال الصديق وان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به ثم دعا عليا كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك ثم قال علي كرم الله وجهه اللهم علمي به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله ودعا جمعا من الانصار فيهم أسيد ابن حضير وسألهم فقال اللهم أعلمه يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الامر أحد أقوى عليه منه فعند ذلك دعا عثمان رضي الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها * وعن الاول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فان عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وان بدل فلكل امرء ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختم ثم دعا عمر خاليا فأوصاه بالمسلمين وقبل ان يظهر الصديق رضي الله عنه هذا الامر اطلع على الناس من كوة وقال أيها الناس اني قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي كرم الله وجهه فقال لا نرضى الا أن يكون عمر قال فانه عمر قال وكانت صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم كصلاتهم على غيره أي بتكبيرات اربع لا بمجرد الدعاء من غير تكبيرات انتهى وهو يخالف ما تقدم المفيد ان صلاتهم انما كانت مجرد الدعاء لا الصلاة المعهودة * وقد يقال لا مخالفة وانما نصوا على الدعاء لكونه مخالفا للدعاء المعروف في صلاة الجنازة على غيره صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسلم عن القاضي عياض واختلف هل صلى عليه صلى الله عليه وسلم فقيل لم يصل عليه أحد أصلا وانما كان الناس يدخلون ارسالا يدعون ويتضرعون والصحيح الذي عليه الجمهور انهم صلوا عليه أفرادا فكان يدخل عليه فوج يصلون فرادى

ثم يخرجون ثم يدخل فوج آخر فيصلون كذلك * وعن ابن الماجشون صلى عليه صلى الله عليه وسلم اثنان وسبعون صلاة كحمزة رضي الله عنه قيل له من أين لك هذا قال من الصندوق الذي تركه مالك رحمه الله تعالى بخطه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فصلى عليه الرجال الاحرار أولا ثم النساء الاحرار ثم الصبيان ثم العبيد ثم الاماء * واختلفوا في الموضع الذي يدفن فيه فمن قائل يدفن في البقيع ومن قائل يقول يدفن عند ابراهيم الخليل فقال أبو بكر رضي الله عنه ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب * أي وفي رواية أنه رضي الله عنه قال ان عندي في هذا خبرا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدفن نبي الا حيث قبض * وفي لفظ لا يقبض الله روح نبي الا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه وعن أبي بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في أحب الامكنة اليه قال بعضهم ولا شك أن أحبها أي الامكنة اليه أحبها الى ربه تعالى فان حبه صلى الله عليه وسلم تابع لحب ربه جل وعلا * وفي الحديث ما مات نبي الا دفن حيث قبض فحول فراشه وحفر له ودفن في ذلك الموضع الذي توفاه الله فيه واختلفوا هل يجعل له صلى الله عليه وسلم لحد أو يجعل له شق * وكان في المدينة شخصان أحدهما يصنع اللحد والآخر يصنع الشق والاول هو أبو طلحة زيد بن سهل * والثاني أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه * وفي لفظ كان أبو عبيدة يحفر حينئذ لاهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فقال عمر رضي الله عنه ترسلوا لهما وكل من حضر منهما تركناه فأرسلوا لهما رجلين وقال عمر رضي الله عنه اللهم خر لرسولك وقيل المرسل والقائل ما ذكر العباس رضي الله عنه وسبق أبو طلحة رضي الله عنه فصنع له صلى الله عليه وسلم لحدا وأطبق عليه تسع لبنات ثم أهيل التراب * وقد جاء في الحديث الحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا * وقد روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته الحدوا لي لحدا وانصبوا على اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم وسل صلى الله عليه وسلم من قبل رأسه كما رواه البيهقي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أي وضع سريره صلى الله عليه وسلم عند مؤخر القبر فكان رأسه الشريف عند المحل الذي يكون فيه رجلاه فلما أدخل القبر سل من قبل رأسه ودخل قبره العباس وعلي والفضل وشقران واقتصر ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما على الثلاثة الاول

وفرش شقران في اللحد تحته صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء * وفي رواية بيضاء كان يجعلها على رحله اذا سافر لان الارض كانت ندية وقال والله لا يلبسها أحد بعدك فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل أخرجت أي عملا بوصيته صلى الله عليه وسلم فقد روى البيهقي عن أبي موسى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن لا تتبعوني بصارخة ولا بمجمرة ولا تجعلوا بيني وبين الارض شيأ لكن في رواية الجامع الصغير افرشوا لي قطيفتي في لحدي فان الارض لم تسلط على أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وكان دفنه صلى الله عليه وسلم ليلة الاربعاء وعن أم سلمة رضى الله عنها أنا كنا مجتمعين نبكي تلك الليلة لم ننم فسمعنا صوت المساحي فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحة واحدة فأذن بلال بالفجر * فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب فزادنا حزنا فيالها من مصيبة ما أصابنا بعدها من مصيبة الا هانت اذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضى الله عنها لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لانس يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب * وفي لفظ أطابت نفوسكم اذ دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في التراب ورجعتم * وفي رواية أنها قالت لعلي كرم الله وجهه يا أبا الحسن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالت كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه كان نبي الرحمة قال نعم ولكن لا راد لامر الله وقد جاء أن الانسان دفن في التربة التي خلق منها وهو يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من تربة واحدة لانهم دفنوا ثلاثتهم في تربة واحدة فقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره اذا أنا مت وفرغتم من جهازي فاحملوني حتى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقفوا بالباب وقولوا السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فان أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقا بقفل فادخلوني وادفنوني وان لم يفتح الباب فأخرجوني الى البقيع وادفنوني به * فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت أدخلوا الحبيب الى الحبيب فان الحبيب الى الحبيب مشتاق * ولما احتضر عمر رضى الله عنه قال لابنه عبد الله رضى الله عنه يا عبد الله ائت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل لها ان عمر يقرأ لك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم بأمير المؤمنين وقل يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه فان أذنت فادفنوني وان أبت فردوني الى مقابر المسلمين فأتاها

عبدالله وهو يبكي فقال ان عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت لقد كنت ادخرت ذلك المكان لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما رجع عبدالله الى أبيه و أقبل عليه قال عمر اقعدوني ثم قال لعبدالله ماوراءك قال قد أذنت لك قال الله أكبر ماشيء أهم الي من ذلك المضجع * وقد ذكر أن الحسن رضي الله عنه لما سقي السم ورأى كبده تقطع أرسل الى عائشة رضي الله عنها أن يدفن عند جده صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلما مات منع من ذلك مروان وبنو أمية فدفن بالبقيع ويذكر أنه رضي الله عنه قال لاخيه الحسين رضي الله عنه قد كنت بلغت الى عائشة اذا مت ان تأذن لي أن أدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولاأدري لعلها كان ذلك منها حياء فاذا أنامت فاطلب ذلك منها فان طابت نفسها فادفني في بيتها وما أظن القوم الا يمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد فان لي فيمن فيه أسوة * فلما مات الحسن رضي الله عنه جاء الحسين رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها فطلب منها ذلك فقالت نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدا منعوا عثمان من دفنه هناك و يريدون دفن حسن فبلغ ذلك الحسين رضي الله عنه فلبس الحديد هو ومن معه وكذلك مروان لبس الحديد هو ومن معه فبلغ ذلك أبا هريرة رضي الله عنه فانطلق الى الحسين وناشده الله وقال له اليس أخوك * قد قال لك ما قال فلم يزل به حتى رضي بدفنه بالبقيع فدفن بجانب أمه رضي الله عنهما ولم يشهد جنازته أحد من بني أمية الا سعيد بن العاص لانه كان أميرا على المدينة قدمه الحسين تصلي عليه اماما * وقال هي السنة قال ابن كثير رحمه الله والذي نص عليه غير واحد من الائمة سلفا وخلفا أنه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى والقول بأنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريب والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء وبعض ليلة الاربعاء * وكان السبب في تأخره صلى الله عليه وسلم ما لهم من اشتغالهم ببيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى تمت * وقيل لعدم اتفاقهم على موته صلى الله عليه وسلم وكان آخر من طلع من قبره الشريف قثم بن العباس رضي الله عنهما وقيل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لانه ألقى خاتمه في القبر الشريف وقال لعلي يا أبا الحسن خاتمي قال وانما طرحته عمدا لامس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكون آخر الناس عهدا به * قال انزل فخذه وقيل ألقى الفاس في القبر وقال الفاس الفاس فنزل وأخذها ويقال ان عليا اكرم الله

وجهه لما قال له المغيرة ذلك نزل وناوله الخاتم أى أو الفاس أو أمر من نزل وناوله ذلك وقال له انما فعلت ذلك لتقول أنا آخر الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا واعترض بأن المغيرة رضى الله عنه لم يكن حاضر الدفن * وقد روى أن جماعة من العراق قدموا على على كرم الله وجهه فقالوا يا أبا الحسن جئناك لنسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه فقال لهم أظن أن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أجل عن هذا جئنا نسألك * قال كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضى الله عنهما وقام الاجماع على أن هذا الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة الشريفة قال بعضهم وأفضل من بقاع السماء أيضا حتى من العرش * وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ما نفضنا الايدى من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا قال بعضهم وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا الى بعض * وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى وفى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها فيا له من خطب جل عن الخطوب ومصاب غلب دمع العيون كيف يصوب وطارق هجم هجوم الليل وحادث هد كل القوى والحيل واشتد أسف حماره عليه صلى الله عليه وسلم الذى كان يركبه ألقى نفسه فى حفيرة فمات كما تقدم وتركت ناقته صلى الله عليه وسلم الاكل والشرب حتى ماتت * وأنشد الحافظ الدمياطى عن غيره

ألا يا ضريحا ضم نفسا زكية * عليك سلام الله فى القرب والبعد
عليك سلام الله ماهبت الصبا * وماناح قمرى على البان والرند
وماسجعت ورق وغنت حمامة * ومااشتاق ذو وجد الى ساكنى نجد
ومالى سوى حبى لكم آل أحمد * أمرغ من شوقى على بابكم خدى

(باب بيان ماوقع من الحوادث من عام ولادته صلى الله عليه وسلم الى زمن وفاته صلى الله عليه وسلم على سبيل الاجمال وبيان زمن ولادته عاما ويوما وشهرا ومكانا)

اعلم أن الاكثر على أنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل * وحكى بعضهم الاجماع عليه قال وكل قول خالفه فهو وهم وقيل بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بزيادة خمسة أيام وقيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بشهرين وعشرة أيام وقيل بعشرين سنة وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم يوم

الاثنين فی شهر ربیع الاول لعشرت لحون منه وقیل للیلتین وقیل لثمان خلت واختاره الحمیدی تبعا لشیخه ابن حزم * وحکی القضاعی رحمه الله فی عیون المعارف اجماع أهل التاریخ علیه وقیل لاثنتی عشرة لیلة وهو المشهور * وقیل لسبع عشرة وقیل لثمان بقین منه وذلك فی النهار عند طلوع الفجر وقیل ولد لیلا وعلیه عمل أهل مکة فی زیارة موضع مولده الشریف صلی الله علیه وسلم وکونه فی شهر ربیع الاول هو قول الجمهور من العلماء * وحکی ابن الجوزی رحمه الله الاتفاق علیه وقیل فی صفر وقیل فی ربیع الآخر * وقیل فی رجب وقیل فی شهر رمضان واختلف فی مکان ولادته صلی الله علیه وسلم فقیل بمکة وعلیه قیل بالدار التی کانت لمحمد بن یوسف أخی الحجاج وقیل بالشعب شعب بنی هاشم وذلك المحل یزار الآن وقیل بالردم وقیل ولد صلی الله علیه وسلم بعسفان * وفی السنة الثالثة من مولده صلی الله علیه وسلم شق صدره الشریف عند ظئره حلیمة رضی الله عنها وقیل کان فی الرابعة وفیها ولد أبو بکر الصدیق رضی الله عنه * وفی السنة السادسة من مولده صلی الله علیه وسلم کانت وفاة أمه آمنة ودفنت بالابواء وقیل بشعب أبی دب بالحجون محل مقابر أهل مکة وقیل فی دار رابعة بالعلاة وفیها ولد عثمان بن عفان رضی الله عنه وفی السنة السابعة من مولده صلی الله علیه وسلم استعمل بمکة الله جده عبد المطلب وفیها أصابه صلی الله علیه وسلم رمد شدید وفیها استسقی عبد المطلب به وهو صلی الله علیه وسلم معه بسبب رقیقة وفیها خرج عبد المطلب لتهنئة سیف بن ذی یزن الحمیری بالملك * وفی السنة الثامنة من مولده صلی الله علیه وسلم کانت وفاة جده عبد المطلب وکفالة عمه أبی طالب له صلی الله علیه وسلم وفی هذه السنة مات حاتم الطائی الذی یضرب به المثل فی الجود والکرم ومات کسری انوشروان وفی السنة التاسعة من مولده صلی الله علیه وسلم قیل سافر به عمه أبو طالب الی بصری من أرض الشام وهی مدینة هوازن * وفی السنة العاشرة من مولده صلی الله علیه وسلم کانت حرب الفجار الاولی * وفی السنة العاشرة وقیل الحادیة عشر من مولده صلی الله علیه وسلم کان شق صدره الشریف * وفی السنة الثانیة عشر من مولده صلی الله علیه وسلم کان حرب الفجار الثانی وکان سفر عمه أبی طالب به صلی الله علیه وسلم الی بصری من أرض الشام علی ماعلیه الاکثر * وفی السنة الثالثة عشر من مولده صلی الله علیه وسلم ولد عمر بن الخطاب رضی الله عنه * وفی السنة الرابعة عشر من مولده صلی الله علیه وسلم کانت حرب الفجار الثالثة * وقیل کان عمره صلی الله علیه وسلم عشرین سنة وفی السنة السابعة عشر من مولده صلی الله

عليه وسلم كان سفره مع الزبير بن عبد المطلب والعباس بن عبد المطلب الى اليمن لتجارة وصحبهما النبي صلى الله عليه وسلم * وفي السنة الخامسة والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة * وفي سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الكعبة وفي سنة أربع وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه * وفي سنة خمس وثلاثين من مولده هدمت قريش الكعبة وبنتها * وفي سنة سبع وثلاثين رأى صلى الله عليه وسلم الضوء والنور وكان صلى الله عليه وسلم يسمع الاصوات وفي السنة الاولى من النبوة كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد أن مكث صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يوحى اليه في المنام * وفي السنة الثالثة من النبوة قيل توفي ورقة بن نوفل * وفي السنة الرابعة من النبوة كان اظهار الدعوة * وفي السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضي الله عنها وقيل ولدت في الرابعة وفي السنة الخامسة كانت الهجرة الاولى الى ارض الحبشة وفيها ماتت سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم وهي أول شهيدة في الاسلام * وفي السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه * وقيل أسلما رضي الله عنهما في سنة خمس وكان اسلام حمزة رضي الله عنه قبل اسلام عمر رضي الله عنه بثلاثة أيام * وفي السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معادات بني هاشم وبني المطلب * وقيل كان ذلك في السادسة وقيل في الخامسة وقيل في الثامنة وذلك في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة شرفها الله عند المقابر * وفي السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم وفي السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب وماتت خديجة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن وفيها أتاه صلى الله عليه وسلم جن نصيبين وأسلموا وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم سودة رضي الله عنها بنت زمعة ودخل عليها في مكة وفيها عقد صلى الله عليه وسلم عقده على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل صلى الله عليه وسلم عليها الا في المدينة * وفي السنة الحادية عشر من النبوة كان ابتداء اسلام الانصار رضي الله عنهم * وفي السنة الثانية عشر من النبوة كان الاسراء والمعراج وفيها وقعت بيعة العقبة الاولى * وفي السنة الثالثة عشر من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التي هي الكبرى وبعضهم يسميها العقبة

الثالثة ويسمى اسلام الانصار عتبة مع أهلا بايعته فيه وفي هذه السنة أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يهاجر الى الحبشة * فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة بن الدغنة سيد القارة * وفي السنة الرابعة عشر من النبوة وهي السنة الاولى من الهجرة الى المدينة كانت الهجرة فيها في صفر أو في غرة ربيع الاول وفيها كان بناء المسجد ومساكنه صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار رضي الله عنهم * قيل وكان ابتداء خدمة أنس رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صارت الانصار يبعثون اليه صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونساءهم * وكانت أم أنس رضي الله عنه ما لا شيء لها تهديه له صلى الله عليه وسلم فكانت تتأسف فأخذت بيد أنس رضي الله عنه وقالت يا رسول الله هذا يخدمك * وجاء أن زوجها أبا طلحة رضي الله عنه جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك ويجمع بأن أمه جاءت به أولا ثم جاء به أبو طلحة ثانيا لانه وليه وعصبته قال في الخميس وهذا غير خدمته له في سفر . منه صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر وفيها كما في الاصل * وقيل في السنة الثانية زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب لانها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وتركت على الفريضة الاولى كذا قيل * وفي هذه السنة مات من مشركي مكة الوليد ابن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل لعنه الله يا عم ما جزعك فقال والله ما بي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان رضي الله عنه لا تخف إني ضامن أن لا يظهر وفيها مات العاص بن وائل وفيها مات أسعد بن زرارة رضي الله عنه وفيها ابتدئت الغزوات فكان بها غزوة الابواء وغزوة ودان كما في الاصل وفي هذه السنة بنى صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وفيها شرع الاذان وفيها صلى صلى الله عليه وسلم الجمعة في طريقه حيث ارتحل صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها في الاسلام وفيها أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه * وكان بها بعث عمه حمزة رضي الله عنه يعترض عير القريش وبعث ابن عمه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه الى بطن رابغ وبعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الى الخرار يعترض عير القريش * وفي السنة الخامسة عشر من النبوة والثانية من الهجرة تزوج علي كرم الله وجهه بفاطمة رضي الله عنها وتكنيته بأبي تراب وغزوة بواط وغزوة العشيرة وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه الى بطن نخلة وتحويل

القبلة وتجديد بناء مسجد قباء وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى ووفاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر وشروع صلاة عيده وفرض زكاة الاموال وغزوة قرقرة الكدر وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه وغزوة بني قينقاع وغزوة السويق وموت عثمان بن مظعون رضي الله عنه والتضحية وصلاة عيدها وفي السنة السادسة عشر من النبوة والثالثة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه لقتل كعب بن الاشرف لعنه الله وتزوج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم رضي الله عنها وغزوة غطفان وغزوة نجران وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى قرد ❊ وتزوج حفصة رضي الله عنها وتزوج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وولادة الحسن وغزوة أحد وغزوة حمراء الاسد وعلوق فاطمة بالحسين رضي الله عنهما ❊ وفي السنة السابعة عشر من النبوة والرابعة من الهجرة سرية أبي سلمة رضي الله عنه الى قطن ووفاته ❊ وسرية عبدالله بن أنيس رضي الله عنه الى عرنة لقتل سنان بن خالد ❊ وسرية القراء رضي الله عنهم الى بئر معونة وقصة الرجيع ❊ وسرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى مكة لقتل أبي سفيان رضي الله عنه ❊ وغزوة بني النضير ووفاة زينب بنت خزيمة ❊ وغزوة ذات الرقاع وصلاة الخوف وولادة الحسين رضي الله عنه ❊ وغزوة بدر الصغرى وتزوج أم سلمة رضي الله عنها وتحريم الخمر عند بعضهم ❊ وفي السنة الثامنة عشر من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع ونزول آية التيمم ❊ وتزوج جويرية رضي الله عنها وقصة الافك وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وقصة أولاد جابر رضي الله عنهم ❊ وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها ونزول آية الحجاب وفرض الحج وفي السنة التاسعة عشر من النبوة والسادسة من الهجرة ❊ سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى القرطاء وقصة ثمامة وغزوة بني لحيان وغزوة الغابة ❊ وسرية عكاشة رضي الله عنه الى الغمر وسرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى ذي القصة وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة رضي الله عنهم ❊ وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى بني سليم بالجموح وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى العيص وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى الطرف وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى وادي القرى ❊ وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى أم قرفة وسرية عبدالله بن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع وسرية عبدالله بن رواحة رضي الله عنه الى أسير بن رزام اليهودي بخيبر وسرية زيد بن

حارثة رضي الله عنهم الى مدين وغزوة الحديبية ونزول حكم الظهار وتحريم الخمر وتزويجه صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضي الله عنها * وفي السنة العشرين من النبوة والسابعة من الهجرة كان اتخاذ الخاتم وارسال الرسل الى الملوك ووقوع السحر به صلى الله عليه وسلم وغزوة خيبر وفتح وادي القرى والدخول بأم حبيبة رضي الله عنها * وسرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى طائفة من هوازن وعمرة القضاء وتزوج ميمونة رضي الله عنها * وسرية ابن أبي العوجاء رضي الله عنه الى بني سليم * وفي السنة الحادية والعشرين من النبوة والثامنة من الهجرة كان اسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاصي رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه * وسرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني الملوح وسريته الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله عنه بفدك واتخاذ المنبر الشريف * وسرية شجاع بن وهب رضي الله عنه الى بني عامر وسرية كعب ابن عمير الغفاري الى ذات اطلاح * وسرية مؤتة وسرية عمرو ابن العاصي رضي الله عنه الى ذات السلاسل وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى سيف البحر وسرية أبي قتادة رضي الله عنه الى بطن أضم وسرية عبد الله ابن أبي حدرد رضي الله عنه الى الغابة * وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى بنخلة وسرية عمرو بن العاصي الى سواع صنم هذيل وسرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه الى مناة صنم للاوس * وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني خزيمة وغزوة حنين وسرية أبي عامر رضي الله عنه الى أوطاس * وسرية الطفيل الى ذي الكفين وغزوة الطائف وولادة ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقدوم أول الوفود عليه صلى الله عليه وسلم وهو وفد هوازن ووفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها * وفي السنة الثانية والعشرين من النبوة وهي التاسعة من الهجرة بعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وبعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق وسرية قطبة ابن عامر رضي الله عنه الى خثعم وسرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب وسرية علقمة بن مجزز رضي الله عنه الى أهل الحبشة * وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى الفلس وبعث عكاشة بن محصن رضي الله عنه الى الجناب واسلام كعب بن زهير وهجره صلى الله عليه وسلم لنسائه وغزوة تبوك وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك الى اكيدر وارسال كتابه من تبوك الى أكيدر وارسال كتابه من تبوك الى هرقل وهدم مسجد الضرار * وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم

وقصة اللعان واسلام ثقيف ورجم الغامدية ووفاة النجاشي ووفاة أم كلثوم رضى الله عنها وموت عبد الله بن أبي بن سلول وحج أبي بكر الصديق رضى الله عنه * وفي السنة الثالثة والعشرين من النبوة وهي العاشرة من الهجرة قدوم عدى ابن حاتم رضى الله تعالى عنه وبعث أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الى اليمن * وبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى الحارث ابن كعب بنجران وبعث على بن أبي طالب كرم الله وجهه الى اليمن وبعث جرير بن عبد الله البجلى الى تخريب ذى الخليفة وبعث جرير بن عبد الله أيضا رضى الله عنه الى ذى الكلاع وبعث أبي عبيدة ابن الجراح رضى الله عنه الى أهل نجران * وقصة بديل وتميم الدارى ووفاة ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وخروجه صلى الله عليه وسلم للحج * وفي السنة الرابعة والعشرين من النبوة وهي الحادية عشر من الهجرة قدوم وفد النخع وسرية أسامة ابن زيد رضى الله عنهما الى أبناء وقصة الاسود العنسى ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة وما وقع في ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه ووقت مرضه صلى الله عليه وسلم وموته وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم * اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك * اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين * اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا * اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شرنفوسنا * اللهم ارزقنا نفسا مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك * اللهم انا مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بحولك وقوتك والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد واختم لنا بخير واصلح لنا شأننا كله وأفعل ذلك باخواننا وأحبابنا وسائر المسلمين واستغفر الله من قول بلا عمل واستغفره من كل خطأ وزلل وأسأله علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا وعملا متقبلا وشفاء من كل داء وان يجعل ذلك حجة لنا ولا يجعله حجة علينا انه جواد كريم رؤف رحيم لطيف خبير الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده عبدك ورسولك سيدنا محمد الذات الكاملة والرحمة المنزلة من عندك * اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من خدام سنته آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

وقد انتهى بحمد الله طبع هذه السيره * التى هى بكل وصف جميل وكل
جليل جديره * جمعت من المحاسن النبوية بين الحسن والاحسان * و
من الفوائد الحديثية فرائد البديع والبيان * وابتهجت بالاخبار المحمدية ابتهاج
العروس بالحلى والحلل * وابلجت بالآثار الاحمدية ابلاج القمر
فى كبد السماء واكمل * ولعمرى انها الحسنة الاحسن * ونزهة
والاعين * تتردد الاحداق فى سطورها بين حدائق * وتتنزه النفوس
من طروسها فى شقائق * من كل معنى لو تجسد لكان أحد الكواكب الغر
ومبنى لو تجسم لكان عقدا من الدر * ما طالع فيها مطالع * الا و
سعود الطوالع فى المطالع * ولا أحدق فيه قارئ بنظره * الا ورأى
ناضرة وراقيا نضرة * يتنقل فى آدابها الشهية من ثمرة حلوة الى أحلى
وفى أبوابها البهية من محاسن حلية الى أجلى * فاجهد نفسك أيها المر
لنفسه الفلاح فى تحصيلها * وارتد لك نسخة من نسخها التى هى غنيمة باردة
ظفرت بمثالها * واعكف على مطالعتها عكوف المديم على المدامه * فانها فوز
تنتهز للانس فى الدنيا والفوز يوم القيامه * فجزى الله ملتزمى طبعها الجزا
الجميل * اذ سعيا فى تكثير نسخها على هذا الوجه الجليل * وهما غصنا
دوحة المجد * ونتيجة أقيسة الفضل والسعد * الاديب الالمعى * والار
اللوذعى الهمام الكامل * والقدوة الفاضل * حضرة السيد محمود أفندى
الجزايرى مفتى مجلس وجه بحرى سابقا نجل خاتمة المحققين والمحدثين الشيخ محمد
الجزايرى مفتى ثغر سكندرية كان عليه سحائب الرحمة والرضوان * والروض
الانضر * والبدر الانور * صاحب الخصال الحميده * حضرة مولانا العلا
الشيخ محمود خليفه * بمطبعة قرة عين الدهر * وغرة جبين بنى العصر
ذى الفضل المبين * حضرة الشيخ محمد شاهين * الكائنة بمحروسة
القاهره * جعلها الله مدى الايام والليالى عامره * مصححة على يد جملة
المصححين * على حسب الطاقة واليقين * فالحمد لله على اكمال نسخة هذا
الكتاب * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسائر الاصحاب * صلاة تتضح
وجوه قبولها سافره * وتكون ذخيرة فى الدنيا والآخرة * تحريرا فى أواخر
العشر من شهر شعبان المكرم سنة ١٢٨٠

*(على يد رئيس تشغيله المتوكل على ربه المعين * مصطفى أفندى شاهين)*